

## الجزء السادس

من

﴿ الجواهر ﴾

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسامين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصْطَفَى السَّابِى الْحَكْبِى وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ

( حقوق الطبع محفوظة )

محرم سنة ١٣٤٦ هـ - ٥

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿ سورة يونس مكية وهي تسع ومائة آية ﴾

( هي سبعة أقسام )

﴿ القسم الأول ﴾ في دلائل معرفة الله تعالى واليوم الآخر ونعيم الآخرة من أول السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين -

﴿ القسم الثاني ﴾ في أدلة مختلفة على التوحيد من النظر في النفس والنظر في القرون الخالية من قوله - ولويجمل الله للناس - الى قوله - فينبئكم بما كنتم تعملون -

﴿ القسم الثالث ﴾ في أدلة البعث وأحوال المبعوثين من قوله - انما مثل الحياة الدنيا - الى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون -

﴿ القسم الرابع ﴾ في اثبات النبوة وتقريع الجاهلين وتوبيخهم مع أدلة اثبات الربوبية من قوله - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون -

﴿ القسم الخامس ﴾ قصة نوح عليه السلام من قوله - واتل عليهم نبأ نوح - الى قوله - كذلك نطبع على قلوب المعتدين -

﴿ القسم السادس ﴾ قصة موسى وفرعون من قوله - ثم بعثنا من بعدهم موسى - الى قوله - فيما كانوا فيه يختلفون -

﴿ القسم السابع ﴾ في تقرير ما تقدم كله من القصص والدلائل - من قوله - فان كنت في شك مما أنزلنا اليك - الى آخر السورة

## ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الرَّ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ \* أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ \* إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعِنْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ \* هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْثَرُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \* أُولَئِكَ مَاوَأُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \*

اعلم أن أول هذه السورة كالمتعم لآخر السورة السابقة فان آخر تلك يرجع الى أن الرسول ﷺ أرسل من العرب (٢) وهو رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) وعلى الله وحده توكله (٤) ثم وصف الله تعالى بأنه رب العرش العظيم . وفي أول هذه السورة (١) أنه ليس من عجب أن يرسل الله للناس رسولا منهم وهو متمم للأول من السورة السابقة فكأنه يقول انه ليس للعرب خاصة بل للناس عامة . وكما أنه من العرب هو من سائر الناس فهو لهم مرسل (٢) وأنه يبشر الذين آمنوا أنهم لهم منزلة رفيعة عند ربهم وهذا في مقابلة الأمر الثاني في السورة السابقة وهو انه رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) ثم وصف الله بأنه استوى على العرش وهو في مقابلة الأمر الرابع هناك (٤) وقوله - اليه مرجعكم جميعا - تفيد الوجدانية المستفادة من اختصاص التوكل به . ثم ان هذه السورة جاءت بعد الأنفال والتوبة اللتين اختصتا بالقتال والغزوات وقسمة الغنائم وذكر المنافقين ووعيدهم وما حكم عليهم به من العذاب والتوبيخ والتفريع وفيها ما ذكر الصدقات وقسمتها على المستحقين فهما للسائل الفقيهية والأحكام العملية فناسب أن يؤتى بعدها بما يغذي العقل من الحكمة والعلم فهناك عمل اسلامي وهنا علم حكومي ولذلك ختمت سورة التوبة بأن الله ذو العرش العظيم توطئة لما سيذكر في أول هذه السورة من الجلال الالهى والحكمة العالمية وذكر الشمس وضيائها



والقمر ونوره وأقسام منازلهم ومعرفة عدد السنين والحساب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجانب المصنوعة والارتقاء من ذلك الى تغذية الأرواح الانسانية بهذه المجانب النورية والانزعاج عن العالم الكثيف والاطمئنان بالعالم اللطيف . فمن الناس من يكتفى بالجنات الجارية أنهارها . ومنهم من يرتقى الى سبحات الجلال ومقامات السلامة من المادّة وتغيراتها ثم يرتقى الى مقام الحمد الذي تتغذى النفس فيه بالمعارف العلمية ومعرفة ترتيب الكائنات ونظامها

### ﴿ تفسير الألفاظ ﴾

(الر) قد علمت حكمة هذه في أول سورة آل عمران واستبان هناك سرّ الحروف التي في أوائل السور وكيف كانت ١٤ وجعلت في أوائل ٢٩ سورة وكيف نوعت الى أحادية وثنائية وثلاثية الخ وكيف كان عدد ٢٨ من الأعداد التامة وهو مما له علاقة بتشريح كثير من الحيوانات الفقرية وفقراتها وكيف كان في ذلك رموز وإشارات تلائم عقول الأمم التي نزل القرآن عليها لاعتيادها الرموز والإشارات في الكتب السماوية والعلوم القدسية في نظرهم . وكيف اتصل الكلام من ذلك الى ماهو أتم وأكمل من حيث أن لغة العربية النازل بها القرآن ستبقى الى آخر الزمان لمناسبتها للمنازل الفلكية والفقرات الحيوانية وبعض الأحوال الطبيعية وكيف وافق ذلك رأى مؤلف ألماني في روايته مستنتجا ذلك من تغير اللغات وثبات لغة العرب لبقاء القرآن بها فارجع اليه إن شئت (تلك آيات الكتاب) أي الآيات المذكورة الآتية في هذه السورة وما تقدمها (الحكيم) من الحكمة فهو ذوالحكمة أو هو قد وصف بوصف من تكلم به \* قال الشاعر

وغريبة تأتي الملوكة حكيمة \* قد قلتها ليقال من ذا قالها

وهو الحاكم في الاعتقادات وحكم فيه بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى الخ وبالجنة لأهلها والنار لأهلها (أكان للناس عجبا) استفهام انكار للعجب وعجبا خبر كان واسمها (أن أوحينا) والعجب حالة تعترى الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة . وقد كانوا يقولون ﴿ العجب أن الله لم يجدر سولا يرسله الى الناس إلا يتيم أبى طالب ﴾ (أن) هي المفسرة (قدم صدق) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وأضيفت للصدق لتحققها وفي ذلك تنبيه على أنهم ينالونها بصدق القول والنية (لسحر مبین) أو - لساحر مبین - أي - أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم - فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون الخ (استوى على العرش) استعلى بالقهر والغلبة كما جاء في آية أخرى - وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه - والعرش إما بمعنى الملك وإما بمعنى البناء فكل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى - ومن الشجر ومما يعرشون - أي يبنون وقال في صفة القرية - فهي خاوية على عروشها - والمراد انها خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقوفها - وكان عرشه على الماء - أي بناؤه (بالقسط) أي بعد ألتهم وقيامهم على العدل في أمورهم وذلك لا يتم إلا بإيمانهم (الجيم) الماء الحار (الشمس ضياء) ذات ضياء (والقمر نورا) ذا نور وما بالذات يسمى ضوا وما بالعرض يسمى نورا (وقتره منازل) أي القمر وانما خصه لأن سيره أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين والشرع اعتبر الأهلة أي قدره ذا منازل (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم (إلا بالحق) ملتبسا بالحق مراعى فيه مقتضى الخدمة (يفصل الآيات لقوم يعلمون) إذ لا ينتفع به سواهم (اختلاف الليل والنهار) مجيء كل واحد منهما خلف الآخر (وما خلق الله في السموات والأرض) من أنواع الصور والأشكال والمجانب التي لا حصر لعدددها (يتقون) العواقب (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم البعث وغرامهم بالمحسوسات عن المعقولات (ورضوا بالحياة الدنيا) لغفلتهم عن الآخرة (واطمنوا بها) سكنوا اليها مقصرين همهم على لذاتها وزخارفها



أو سكنوا فيها سكون من لا يزجون عنها فبنوا شديدا وأماوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها لانهما كهم فيما يصادفهم جامعون بين الخسيتين الانهماك في الشهوات والغفلة عن عجائب الآيات (بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا عليه من المعاصي حتى صار سليقة لهم (يهدىهم ربهم بايمانهم) أى بسبب إيمانهم الى سائر سبيل يؤدى الى الجنة أو لادراك الحقائق . ثم استأنف فقال (تجربى من تحتهم الأنهار) حال كونهم (في جنات النعيم) وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى دعاؤهم لأن الله نداء لله ومعناه يا الله إنا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا وتحية الملائكة إياهم وتحية الله أيضا لهم (فيها سلام) وآخر دعواهم (أن الحمد لله رب العالمين) أى أن يقولوا ذلك وأن مخففة من الثقلة . انتهى التفسير

هذه الآيات التى فى هذه السورة والتى تقدمتها آيات القرآن الذى تنزلت فيه الحكمة وحكم فيه بين الحق والباطل والضلال والهدى . يعجبا للناس كيف يعجبون منا أن أرسلنا رسولا منهم لينذرهم أجمعين ويبشر المؤمنين . أظنوا أن العلم والحكمة والوحى تابعات للمال والبنين فلكل وجهة هو موليها . أليس الله بأعلم بمن استعد للعلم ومن حرم الحكمة . هما ضدان لا يجتمعان . وكيف ينزل الوحى إلا على المستعد له وليس الاستعداد بالعظمة والجاه ولا بكثرة الأتباع . وإنما هو استعداد فى القلوب وعطاء من علام الغيوب فكيف إذن يعجبون ممن أوحينا اليه لينذرهم ويبشر المؤمنين أن لهم منزلة سامية ومقاما رفيعا ومجدا يوم يلقون ربهم . فلما أرسلناه اليهم قال الكافرون إن ماجئت به سحر مبين . إن هذا ليس بسحر بل هو حق قام عليه البرهان . أليس ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى أزمان متطاولة عددها سنة وسميت أياما واليوم عند كل بحسبه

#### ﴿ فصل فى بيان قوله تعالى - ستة أيام - ﴾

فاذا نظرنا لأهل الأرض رأينا اليوم عندهم عبارة عن دورتها مرة واحدة حول نفسها وكانت هذه المدة معتبرة فى أزمان أخرى أنها بسبب سير الشمس حول الأرض كل يوم وليلة من الشرق الى الغرب فلما تبين بطلان هذا استقرار الأمر على أنه بسبب دوران الأرض على محورها نفسها . فاذن أهل العقول مستعدون أن يقبلوا أن يكون اليوم مقدرا بمقدار سير كوكب حول كوكب آخر وبناء عليه لو اعتبرناه كذلك ونظرنا لكوكب من الكواكب الثابتة فانه قديم دورته فى مئات السنين بل فى آلافها ومئات الآلاف والآلاف كما تقدم فى مواضع من هذا التفسير . فاذا قرأنا فى القرآن - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وقرأنا - فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - ونظرنا فى علم الفلك الحديث فانا نقول ان اليوم اذا اعتبرناه من هذه الناحية وان لم يكن عندنا كذلك والعقل الانسانى قبل ذلك سابقا قلنا ان اليوم قد يكون آلاف الآلاف من السنين واذن تكون تلك الأيام المذكورة فى القرآن لتفتح العقول الى البحث فاذا سمع الناس أن الله خلق العالم فى ستة أيام صدق الجهلاء المؤمنون وكذب وشك أكثر المتعلمين وتركوا الدين وأصبحوا فى حيرة وفى شك من ليل الجهالة مظلم . ثم يبحث الحكماء منهم والصابرون فى تحقيق ذلك فتكون نتيجة ذلك معرفة علم الفلك فهو يبحث عن عقيدته عسى أن يجد لها مصدقا من العلم ولو بالتأويل فينتهى الأمر أن الأمة قد ظهر فيها عالم بهذا العلم . وهذا هو مقاصد الديانات أن تكون الشكوك مبدأ للباحث والبحث يولد الحكمة والفلسفة واذن يخرج النابغون فى الأمة . فالنابغون من هذا الباب خلقوا ومن عسّ الشك درجوا ولا مفر من هذه المباحث فى الدين ليخرج علماء مختلفون فى علوم نافعة للأمم واعلم أنى قد وفيت هذا المقام حقه فى أول سورة الأنعام فلا أعيده هنا وأبنت هناك كيف كانت تلك الأيام الستة وساعد على ما ذكرناه هناك آيات كثيرة من القرآن فارجع اليه إن شئت

واعلم أن الآية هنا أفادت أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان متداولاً معروفاً عند الناس بدليل التعبير بالاسم الموصول ولا يكون الموصول إلا حيث تكون الصلة معروفة والصلة خلق السموات والأرض في ستة أيام . أقول إن هذا كان حقيقة معروفاً متداولاً عند اليهود والنصارى منذ كورا في أوائل التوراة فكانت هذه الجملة شائعة عند رجال الدين ولأنقل لك ملخصها من نفس التوراة

قال في الإصحاح الأول من سفر التكوين . في البدء خلق الله السموات والأرض ثم شرح بعد ذلك السور والظلمة والليل والنهار وأن الأرض كانت خربة مظلمة وروح الله ترف على وجه الماء وقال إن الماء خلق الله فيه جملداً فما فوقه صار سماء ومنه المساء والصباح والماء الباقي صار تحت السماء فاجتمع في مكان واحد وباقي الأرض صار يابساً وأنبت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً وجعل الله في السماء القمر والشمس والنجوم وجعل في الماء زحافات ذات نفس وخلق طيراً فوق الجبل وتنانين كبيرة والحيوانات اليابسة والبهائم والوحوش ثم خلق الإنسان على صورة الله فسلطه على سمك البحر وطيور السماء وعلى البهائم وجعل الإنسان كغيره ذكراً وأنثى . ثم ختم الإصحاح بما نصه ﴿ ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً ﴾ وقد كان الملاحظ الذي ذكرته لك مقسماً على الأيام الستة اختصرته مخافة التطويل عليك وعلى ذلك كانت الأيام الستة معلومة مشهورة من التوراة المتعارفة بين الناس فلذلك ذكرها القرآن بالاسم الموصول

﴿ فصل في قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - ﴾

أى خلق الله السموات والأرض في أزمان متطاولة وأحوال متغايرة عدها ستة وسماها أياماً ومجرد الخلق ليس تمام المقصد وإنما أهم الأمور نظام الملك وأحكامه وحسن هندامه . لذلك عطف بتم للترتيب الذكري إشارة لتباعد ما بين المرتبتين . مرتبة الخلق . ومرتبة إدارة الشؤون ونظام الأمر فقال ثم استوى على بناءه الذي بناء بالتسطيح والتشكيل بالأشكال ورفع السمك ونظام الكرات وإدارتها وتنظيم ما عليها من مخاوقات وحساب دورانها ونسبتها إلى غيرها ونظام أيامها وشهورها وسنيها وغير ذلك وهذا على اعتبارنا أن العرش هو البناء . أو يقال ثم استوى على الملك الذي شكله في الوجود وذلك الملك كالفضول الأربعة والمعادن والنبات والحيوان والإنسان وجميع ما خلق الله في الأرض والسماء من الصور والأشكال على اعتبار أن العرش عبارة عن الملك والملك عبارة عن المخاوقات والمعنيان يؤولان إلى مقصد واحد مع فرق دقيق

﴿ فصل في قوله تعالى - يدبر الأمر مامن شفيح إلا من بعد إذنه - ﴾

أى يقتدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحركه أسبابها وينزلها بقدر والتدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي فهو يدبر أحوال الخلق في ملكوت السموات والأرض فلا يحدث في العالم السفلي ولا العلوي حادث إلا بتدبيره . وقوله - مامن شفيح إلا من بعد إذنه - أى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له في الشفاعة لأنه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فليس يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم وفي هذا رد على الكفار القائلين بشفاعة أصنامهم . وتدبير العرش المذكور هنا يقرب منه ما سيأتى في سورة هود عليه السلام - وكان عرشه على الماء - فالعرش هنا مقرون بالتدبير وهناك فوق الماء والمعنى متقارب فإن معنى الماء هناك ما أشار له الله تعالى في قوله - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - إلى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال فقد جعل الماء هو الذي يبقى في الأرض لنفع الزرع والضرع والإنسان وقد نزع عنه الزبد فصار جفاء وجعل مثلاً للقرآن والعلم \* وجاء في حديث البخارى ﴿ مثل ما بعثنى الله به من العلم وأهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ﴾ فصريحه ﴿ بأن الماء مثل للعلم . وهكذا جاء في سورة البقرة

- أو كصيب من السماء الخ - فجعل القرآن هناك كالمطر النازل من السماء وعليه صار الماء هنا هو العلم والحكمة والتدبير فافهم هذا المقام تجد أن قوله هنا - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - نظير قوله - وكان عرشه على الماء - فهنا يدبر العرش بالحكمة والعلم وهناك كان العرش على الحكمة والعلم وأيضا ان المخوقات على أقسام فمنها ما هو خير محض ومنها ما كثر خيره ومنها ما قلّ خيره أو عدمه . والقسمان الأخيران لوجودهما إلا في مخيلات الناس والأولان موجودان . وترى المخوقات الطبيعية من هذا القبيل كالإنسان والحيوان وأعم هذه المخوقات وأظهرها الماء فيه حياة النبات والحيوان والإنسان والطهارة ومع هذه النعم الجليلة يغرق فيه عالم نافع وناسك صالح وعجوز مسكينة ويغرق السفن . وهذا الشر القليل اقتضت الحكمة أن يحتمل للخير الكثير فالماء مثل للعلم والحكمة ومن الحكمة أن يغتفر الضرر القليل في جانب النفع الكثير فعرش الله مبني على الحكمة ومن الحكمة ألا تترك هذه المخوقات الطبيعية وأن يتحمل الناس ما يصيبهم من الآلام في جانب النعم الكثيرة وأيضا ان هذه العوالم الأرضية خيرها أكثر من شرّها فلذلك بقيت وما أبقاها الله إلا لهذه الحكمة الظاهرة في الماء المكنونة في كل مخوق مادي . فهذا من لطائف التعبير بلفظ الماء الذي استوى العرش عليه . فكأنه سبحانه يقول اقتضت حكمتي أن أدبر الأمور على الخير المحض وعلى ما غلب خيره لأن من ترك الخير الكثير للشر القليل باء بالجهالة ورجع بالندامة وهو حسير . فما أجل التعبير بالماء هناك فتدبر العرش هنا للعامة وللعلماء وكون العرش على الماء هناك للخواص والحكام - وما يعقلها إلا العالمون - وما أبدع هذا التعبير ليرضى المفكرين وليقنع الجاهلين وكأن قول الله - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - رمز إلى حكمة الحكماء في هذا المقام فإنه لا يبقى في الوجود إلا ما غلب نفعه والماء كذلك فلذلك مكث في الأرض . وهذا المقام معانيه في الحكمة مسطورة . ومقاصده فيها مبرهن عليها مبسوطه فانظر كيف أشار الله في القرآن بلفظ الماء إلى غاية الحكمة ونهاية العظمة فرمز بالماء إلى ما أطال به العلامة ابن سينا في كتاب الاشارات وشرح الشراح كالرازي والطوسي بأطول العبارات . ولكن تأله ما أجمل الحكمة والفلسفة اذا تجلت في كتاب سماوي ورمز لها في الوحي النبوي فله در الحكمة الدينية والعالم النبوية والآراء الحكمية . فانظر كيف اتفق العلم والدين والايان واليقين . واذا طالت الحياة وكتبت في سورة هود لا أذكر من هذا شيا إن شاء الله وإنما أحيلك على ماسطرته هنا . فافرح بنعمة الله وبهجة العلم وكن من الشاكرين

﴿ جمال في اشراق شمس المعارف من قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - ﴾  
انما اخترت لك هذا العنوان في هذا المقام لأنك ستري فيه بهجة الناظرين وقرّة أعين المفكرين وزينة الدنيا والدين وجالا يأخذ بالألباب وحسنا قصرت عن أقله زينب وليلى والرباب وحكمة تسمي الحكماء وتدهش الأدباء

حكم نسجت بيد حكمت \* ثم انتسجت بالمنتسج

ذلك أنه بينما أنا جالس أرتب مسودّات هذا التفسير لأقدمها للطبع إذ حضر صديق لي فقال يذكر الله تدبر الأمر ويقول في بعض آياته - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنوا - فهل لك أن توضح لي هذا التدبير بشكل يفهمه الخاصة والعامة وأرجو ألا تخجلني على علم الفلك وطبقات الأرض وما أشبه ذلك وإنما أنا أحب أن تحضر لي موضوعا واحدا يكون فكاهة المتفكّهين وزينة العاقلين وسمر الجالسين بحيث أحدث به ابني وأسرت به جليسي وأنتفع به في حقلي ويستعمله نجلي وتسير به الكه ربام وتستعين به السيارات ويشفي المرضى وتحتاج اليه الأندية العلمية وأكثر أهل هذه الكرة الأرضية فعرضت عليه أنواعا من النبات والحيوان فلم يرقه ما أقول ولم يحجبه المنقول ولا المعقول ففكرت مليا وقلت قد



وقفت على ضالتك المنشودة وعرفت غايتك المحمودة خذ القول عنى واسمع التفصيل منى (ذلك) أن هناك شجرة لا ينبت إلا في (البرازيل) بأفريقيا وفي جنوب أمريكا وفي وسط استراليا وربما ينبت قليلا في جهات أخرى كإفريقيا ولكن أثره في كل مكان مشهود . ثمرته ليست بأكولة كالتفاح ولا بمشروبة كمنقوع الاقحاح ولا بدواء كالسنا المسكي وغيره من العقاقير ولا بزيت كشجرة الزيتون وإنما تستخرج منه مادة سائلة هي عذة المسافرين وزينة الكاتبين وشفاء المرضى ومتاع اللقوين تسقى الحدائق والمزارع وتدفع النار عن المنازل لا يستغنى عنها مهندس ولا كاتب ولا يقوم بأدونها درس مدرّس ولا حساب حاسب عمت سائر طبقات المتعالمين ودخلت جميع الدواوين وجلست الوزراء والأمراء وحافظت على قوة الكهرباء وكانت خير الحافظات للماء فهي نور الله في أرضه واشراق شمس حكمته وعجيب حكمه وبديع صنعه . يحسبها الجاهل من سقط المتاع وهي عند الحكماء نور أضواء سائر البقاع . فلما سمع ذلك منى . قال صف لى هذه الشجرة وصفا مدققا وبين أعمالها محققا ودع الاجال وهات التفصيل . فقلت هذه الشجرة عظيمة الحجم كبيرة الساق قد ألهم الله الأمم قديما فشعبوا قشورها السمكية ووضعوا تحت الثقب إناء ينزل فيه سائل لبنى . وذلك السائل يصير جامدا بعد نزوله في الإناء . وهذه تسمى (كاوتشوك) باللسان الافرنجى (ربراترى) يعنى (شجرة الاستيك) كما قدّمنا أو (مطاط) الأول بالانجليزية والثانى بالفرنسية والثالث بالعربية . وذلك أننا نشاهد في بلادنا وفي جميع المدارس والدواوين مادة تحافظ على حجمها دائما سواء أردنا مدّها أم أردنا ضغطها فهي ترجع الى حالتها الأصلية . بها نمحو ما أردنا محوه مما كتبناه ونزيله وهي (الاستيك) المذكور فنراها في أيدي التلاميذ والاستاذ والكاتب والخاصب وهكذا . وهذه المادة بعد أن يلقوها في الأواني يغلوونها وينظفونها ثم يضعونها بين اسطوانتين من الصلب بهما تضغط وتصير قطعاشتى وهذا هو الاستيك النقي الذى يكون في الصيف طريا لزجا وفي الشتاء صلبا ثابتا

إن منفعة هذا النوع خاصة بأسلاك الكهرباء وأنه يمنع انفلات أى ذرة منها فهو حافظها الأمين . إن هذا النوع تمكن اذابته بسائل متخذ من (البترول) المعلوم ومتى أحيل بذلك سمي اذن (الاستيك المحلول) وهذا منفعمته في إطار العجلات التى تجرى بها الدراجات (بيسكل) التى يركبها الناس اليوم ويحركونها بأرجلهم فاذا تقب ذلك الاطار أمكن رتق فتقه بهذه المادة التى هى فى الحقيقة من مادته

### ﴿ الاستيك والكبريت ﴾

هذه المادة النقية المتخذة من الشجرة اذا أضيف اليها مقدار قليل من الكبريت فهي التى نراها بين ظهرانينا وهذه لها (خاصتان) أحدهما محافظتها على حجمها . ثانيتهما أنها أقوى مانع يمنع مرور الماء فبالخاصة الأولى تصنع منها إطار العجلات فى الدراجات التى وصفتها هنا وفى العربات وفى السيارات التى هى باللسان الافرنجى (متركار) فهذه الآلات تصلح للركوب بهذه المادة وتريح الركاب . وبالخاصة الثانية تصنع منها قلى الماء التى تحافظ على درجة الحرارة السكامة فيه والوسائد التى يكون حشوها هواء . والأوانى التى يعمل فيها الماء الحار ليستدفى بها المرضى بمقتضى أمر الطبيب . وتصنع منها الأنابيب التى فى أيدي الرجال القائمين باطفاء النار المشتعلة فى المنازل والمدن والقرى وهكذا الأنابيب التى تسقى بها الحدائق وتصنع منها (معاطف وأردية) تمنع المطر عن لباسها . وهناك حال أخرى لهذه المادة . وهى أن يضاف اليها من (٢٠) الى (٣٠) جزءا من مائة جزء من الكبريت واذ ذاك تصبح ذات خواص وأوصاف مغايرة لسابقتها صالحة لأعمال غير أعمالها (ذلك) أنها مادة سوداء لامعة صلبة كصلابة قرن الحيوان . وهذه تصنع منها مساطر ومقابض توضع فى نهايتها أسنة الأقلام وتدخل فى كثير من الزينة وحلية نوع الانسان انتهى وصف هذه الشجرة ومنافعها وخواصها

( رسم شجرة الاستيك )



الأتري رعاك الله عجائبها • أنظر ثم انظر كيف  
خصها الله بأرض دون أرض وجعلها في أمم دون أمم  
وانظر كيف جعل لها ثمرة غير ما نعرفه • نحن نأكل  
التمر ونشم الورد ونأكل اللبن والقشدة من شجرة  
القشدة المعلومة ونلبس من الكتان والقطن • كل  
ذلك معروف مفهوم إنما هذا فائدة غير ما عرفناه  
وحكمة غير ما أدركناه • فانظر كيف خزن الله هذه  
المنفعة في الشجرة حتى احتيجنا إليها • علم الله أننا  
نحتاج إلى الكهرباء بعد آلاف السنين • فماذا صنع

شكل ( ١ )

ودبر • خلق هذه الشجرة قبل خلق الناس ووضع فيها هذه الخاصية ولما جاء هذا العصر قال أنتم لن  
تحفظوا ذرات الكهرباء إلا بهذه المادة وهي نقية فلا كبريت يخالطها ولا غبار يمتزج بها فاذن تحفظ الكهرباء  
للإضاءة والاشراق في كل مكان • مد الناس الأسلاك البرقية (التلغراف) في الأرض ولم يجد الناس سبيلا  
لمدّها في البحر حتى عثروا على هذه المادة لحفظت الأسلاك البحرية من أضرار الماء لها فيها كان  
تواصل الأمم وتعارفها كما قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل  
لتعارفوا - فهذه إحدى دواعي التعارف • أليس هذا هو التدبير • يقول الله - يدبر الأمر من السماء إلى  
الأرض - ويقول - يدبر الأمر يفصل الآيات - فهذا من تدبير الأمر وهذا من تفصيل الآيات • هذا بعض  
أنواع التدبير والتفصيل • علم الله قبل أن نخلق حاجتنا إلى الأسلاك البحرية التي سيخلقها فدبر هذه  
الحكمة والخاصة المذكورة

دبر الله هذه المادة ووضعها في هذه الشجرة • وخزن الفحم في أعماق الأرض • ولما أراد ارتقاء  
نوع الانسان علمه البيان وأرسله إلى باطن الأرض فاستخرج الفحم وجرت به القطرات وأدار الدولاب  
وسقى الأرض وحل على ذات ألواح ودسر في البر والبحر واستخرج الكهرباء واحتاج إلى ما يحفظها فأرسله  
إلى تلك الشجرة فقررت عينه واستخرج منها ذلك السائل (١) فكان حافظ الكهرباء (٢) ثم ألهمه أن  
يذيب تلك المادة فأصبحت رتقا لفتق العجالات في سفره (٣) ثم ألهمه أن يضيف إليها الكبريت قليلا  
فكانت ساقية لبستانه مطفئة لنار احتراق منزله الخ ما تقدم • ثم زاد الكبريت فعمّمت المنفعة في الكتابة  
ونظام رسم الخرائط وجمال الكتب وزينة نوع الانسان تبارك اسمك وتعالى جدك • دبرت بحكمة (١)  
جعلت هذه الشجرة قليلة في الدنيا لأن كثرتها في الأرض معطلة للمنافع باثرة التجارة • كيف لا وهل هي  
تشابه النخل نحتاج إليه في حوز الرطب والتمر وما أكثر حاجتنا إليه • أما هذه الشجرة فانها وإن عمت  
الحاجة إليها فإن ما نستعمله منها لا يوازي عشر معشار ما نحتاج إليه من النخل وكثير من أشجار الفاكهة  
والزيت • لذلك قلت هذه الشجرات في الأرض (٢) ثم هي متباعدة في أقطار المسكونة ليرحل الناس إليها  
ولم تقرب من متناول كل حيّ فهي كالعلم يحرم منه من لا يستعدّ له وإن كان المعلوم مشاهدا محسوسا ولا يحظى  
به إلا من هم له مشوقون وبتحصيله مغرمون • إن هذا الانسان خلق ليكون في حركة جسمية وعقلية  
أمد الحياة تباعدت مطاوباته لتكثر أعماله فتقوى روحه ويتعود الصبر والثبات • فالحكمة في هذه الشجرة  
أشبه شيء ببعض الحكم في الحج • جعل الله الحج ليكون من فضائله التدريس على فراق المؤلف والتعرف  
بغير ما هو معروف والتناهي عن الكسل والمبادرة إلى العمل والسعي لصفا النفوس والمروءة لتتجلى للناس

معاني هذا الوجود (٣) كلما كان الشيء أشرف كان أعزّ مطلباً وأغلى ثمناً وأبعد في طلبه كما نرى في الذهب والفضة والأشجار الكريمة وهذه الشجرة

﴿ آراء نوع الانسان في أمثال هذا المقام ﴾

اعلم أن الناس في أمثال هذا الموضوع ثلاث طبقات (١) طبقة دنيا وهم العامة وكثير من أوصاف المتعلمين ينظرون الى مثل هذه المدة وأمثالها نظرهم الى ما يألفون ولا ينظرون الخلائق الكامنة فيه (٢) طبقة وسطى وهم الذين يدرسون منافعها كما يدرسون منافع كل مخلوق (٣) وطبقة عليا وهم الذين تجامت مراتبهم ونظروا لهذا وأمثلة نظرة عامة محيطية ترجع الى التدبير العام والنظام الكلي أولئك هم أعلى نوع الانسان وهم آباء والناس جميعاً أبناءهم ونسبتهم الى الناس كنسبة المالك والأمرء الى عاقلة الشعوب . فهؤلاء يتحدون المفكرين في الأمم الى النظرات العامة الشارحة للصدور وانحو هذا جاء الأنبياء بطريق الوحي . فهؤلاء نظرهم كلي وحسبك ما ترى في القرآن من أمره للناس بالنظرات العامة . وكلما قلت هذه الطبقة من أمة قلت سعادتها . وكلما كثرت زاد ارتقاؤها . هؤلاء هم الذين يدرسون هذا الوجود درساً يفهمون به التدبير العام . وهذه الطائفة تقل في نوع الانسان كما قلت هذه الشجرة من بين الأشجار ولكن علمهم يعم الأقطار كما عمت منافع هذه الشجرة الأمصار

هذا كله تدبير محكم منظم . إن هذا الوجود كله ساعة منظمة وهيكل محكم . هذا الوجود كله لا فرق بينه وبين جسم الانسان والحيوان من حيث الاتقان والنظام . أنظر كيف علم الله احتياج الناس في أسفارهم في عصرنا الى ما يرتقون به فتق العجلات فوضع هذه الخاصية في تلك الشجرة فكما نرى العين في الانسان والأذن وبقية الحواس لاتم منفعتها إلا بالأيدى والأرجل والاحشاء وبقية الأعضاء وأعصاب الحس والحركة بحيث نرى هناك اتصالاً بين المخ وبين أطراف اليد والرجل وجميع الشعر . هكذا نرى هنا ارتباطاً وثيقاً بين الناس وبين منافع الأرض في سائر الأقطار . وهذه الشجرة من شواهد ذلك فهناك ارتباط الفهم بالكهرباء بهذه الشجرة بحياتها بعالمها بمدارسنا بالشمس والقمر بالكواكب

كل هذه متصلات اتصال أعضاء أجسامنا . هذا هو معنى قوله تعالى - ثم استوى على العرش - وقوله - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - وقوله - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تلتقون - أنظر الى قوله - يفصل الآيات - وانظر الى أنه أتبعها بقوله - لعلكم تلتقون - لماذا جعل هذه الجلة بعد التي قبلها وأتبعها بها . أما تفصيل الآيات فهذه كثير في هذا التفسير . أما الايقان فلهذا يكون عقب ذلك

﴿ الاجابة على هذا السؤال ﴾

يجيب عالم البلاغة على هذا السؤال ويقول لما بينهما من الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي الى آخر ما تراه مسطوراً في كتب البلاغة كالمفتاح للعلامة السكاكي وكتاب السعد التفتازاني وغيرهما . وهذه انما تنفع المتعلمين أثناء دراسة اللغة ولكننا نحن الآن نريد أن نبين ما عسى ذلك في عصرنا الحاضر أي في القرن العشرين . أنظر الى علماء القرن التاسع عشر فانهم كانوا غالباً لا يفكرون في النظام العام باعتبار التدبير والاحكام بل باعتبار النشوء والارتقاء . وكثير منهم من أنكر صانع الوجود . المنظم لكل موجود لأن أنظارهم اقتضت على ما دون النظام التام . فلما أن بزغت شمس العلم في عصرنا ظهر في الأمم مجددون وحكماء مفكرون منهم (١) العلامة (إيلي دوسيون) في كتابه ﴿ الله والعلم ﴾ الصادر سنة ١٩١٣ قال ﴿ الفرضان اللذان يقوم عليهما مذهب القائمين بالانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة قد نقض الأول (سبنسر) و (ويسمان) نقض الثاني ﴾ وقال ان انتقال الصفات بطريق الوراثة لا أصل لها وبرهن على



أن هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم إلا على حكايات مخترعة لاتساو قيمتها العلمية عن قيمة حكاية المروضات وترى أمثاله كثيرين في عصرنا أمثال الدكتور (ادورد هارتمان) إذ قال ﴿ إن الذين قالوا ان هذا العالم وجد بلا قصد كلامهم من الامور الموهومة التي لا أساس لها وعمل ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكي . ولا يمكن النظام بلا قصد كما لا يمكن القصد بلا نظام وكل ما لا نظام له فهو مهمل في فوضى كالثيران الهائلة والطبيعة التي يعالون بها ليست كذلك ﴾ اهـ

وأمثال (لويز بوردو) إذ قال ﴿ يجب أن يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فالقصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به ﴾

وأمثال الاستاذ (فون باير) الألماني في القصد قال ﴿ اذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا قصد في الطبيعة وأن الكون لا يقوده إلا ضرورة عمياء . فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي أنى أرى أن هذه الموجودات تؤدى الى أغراض ومقاصد سامية

وأمثال (كاميل فلامريون) الذى قال ﴿ إن درس الوجود يجعلنا ندرك أن له نظاما مقرررا وغاية دفع به اليها . إن التبصر الذى يظهر في النباتات والحشرات والطيور الخ وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتحان المشاهدات في التاريخ الطبيعى يستنتج منها أن في الطبيعة عقلا مدبرا . وهكذا كثير من الحكماء ذكرناهم في غضون هذا التفسير كلهم نطقوا بمعنى هذه الآية - يدبر الأمر - وهذه شهاداتهم طرا ترجع الى قوله تعالى - لعنكم بقاء ربكم توقنون - فعطف الجملة التي فيها الايقان في سورة الرعد التي تناسب ما في هذه السورة ظهر أثره في هذا الزمان فان العلماء الذين أثبتوا وجود مدبر للكون رجعوا في براهينهم الى هذا التدبير المحكم فالتدبير والتفصيل كما رأيت في الشجرة المذكورة هنا هو الذى أورث اليقين واليقين أشرف من الايمان وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنعام - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هل من علماء غير هؤلاء بحثوا في هذا الموضوع وأتى لهم اليقين كالسابقين . قات قد كتب العلامة (ادمون برييه) في مجلة ﴿ العالم الحى ﴾ سنة ١٩١٢ قال ان ثقة الاستاذ (جينو) بتأثير البيئة (الوسط الخارجى) ضعيف جدا فان هذه البيئات على ما يقول لاتصلح لايجاد أى تغيير وراثى ثابت فالبط وسائر الطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدها نوع معيشتها ولكن بالعكس من ذلك في مذهب المسيو (جينو) فانه يقول بأنها وجدت لها مقدما بدون تأثير من الخارج وأخذ البط يعوم لأنه وجد له أرجلا مغطاة تصلح للعوام فهذه الحيوانات قد أعدت من قبل للعوام أى انها خلقت للعوام قبل أن تستفيد تركيب أرجلها من العوم (٢) وأيضا الاستاذ (بلوچر) الألماني الشهير قال ﴿ لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة ﴾ وأيضا قال الفزيولوجى الكبير (دوبوار يمند) اذا أردنا أن نكون مختصين وجب علينا أن نعترف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلقت لمجرد تعليل الحوادث المراد تعليلها وانها هي نفسها من المفترضات الغامضة ﴾ . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هذه أقوال لا أفهم لها معنى . ما هي الصفات المكتسبة والموروثة هذا كلام غامض . قلت أنا قلت لك أن علماء القرن التاسع عشر وما قبله كانوا يقولون ان هذه الحيوانات يكتسب الفرع منها صفات الأصل وهذا أصل من الاصول الأربعة التي هي مذهب (داروين) (١) وهي أن الحياة ذات أطوار وتغيرات وانتقال من حال الى حال (٢) وهذه التطورات تنتقل بالوراثة الى النسل (٣) وأن الأحياء جميعها بينها تنازع البقاء (٤) وكلما كان الحى أتم وجودا وأقوى وأكمل كان أصلح للحياة والبقاء . والأضعف محكوم عليه بالفناء . فهؤلاء العلماء في القرن العشرين نازعوا في بعض هذه القضايا . ومعنى هذا أن المذهب الأول يقول إن العالم لاصانع له وهذه التنوعات كافية في بقاءه وعلماء هذا

القرن الذين ذكروهم والذين لم أذكرهم هم الذين يقولون كلا إن للعالم صناعا وبرهانه ما يشاهدون من نظام الحشرات والالهامات والمجائب كما شرحناه في هذا التفسير وهو مضمون قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - هنا وقوله - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم ببقاء ربكم توقنون - ثم قلت وبهذا ظهر أن هذه الدنيا ومن عليها من الناس أشبه بأمر تربي أولادها . فكما أن الأم يخلق لها الشديان قبل خلق الولد واللبن يخلق في الثدي قبل الولادة . هكذا الناس خلقت لهم قبل أن يخلقوا هذه الحيوانات وهذه الشجرة التي نحن بصدد الكلام عليها وذلك من التدبير ويناسب قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

هذا وسرى في سورة النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من السور عجائب الحيوان وبدائع تلك الالهامات والقوى التي أجمع حكماء عصرنا في الأمم كلها على دلالتها على حكمة نظمها . وهكذا سرى في سورة المذثر عند الكلام على قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - افاضة الكلام على بعض الحشرات اللاتي خلقت لتعيش في أجسام الحيوان والانسان . فالناس حرم عليهم أن يأكل بعضهم لحم بعض لا بالغية ولا بالأكل الحقيقي ولكن أحل الله ذلك للنرات صغيرة خلقها لتعيش في أجسام أناس مستعدة للمرض وللموت لتخلو الأرض لغيرهم وتصلح بسكانها فلها ﴿شأنان﴾ شأن أنفسها تعيش وتمو وتلد ويخلفها غيرها لتفهمنا قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - فالمثلية هناك سيظهر أثرها في بعض أحوالها إذ تعيش هذه الحيوانات الذرية في أجسام الناس والحيوان . وأما بالشأن الآخر فهي أنها أشبه بالشرطة الذين يكونون في المدن ليحفظوا النظام ويمنعوا تصادم المارة في الطرقات والشوارع . هكذا هذه الحيوانات الذرية خلقت لتقلل من الانسان والحيوان - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - ولوكره الناس أجمعون . وهناك ترى أن هذه أيضا من جند الله التي لا يعلمها إلا هو وإنما علمنا بعضها لأنه قال - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - فالذي نعلمه الآن بما شاء الله أن يعلمه للناس من جنوده واعلم أن هذا التفسير جعله الله مقدمة لهذه الأمم الاسلامية فهو أشبه بشدى الأم قبيل الولادة إذ يكون مستعدا لسر اللبن وكهذه الشجرة المسماة في بلادنا (بالأستيك) وأيضا (كاوتشوك) مأخوذة من كلمة فرنسية وتقدم ذكرها بالانجليزية . ويقال لها في بلادنا المصرية أيضا (مطاط) فكما خلقت هذه الشجرة قبل خلق الكهرباء وافادتها هكذا ظهر هذا التفسير الذي سبق ظهور آلاف من قادة الاسلام في مستقبل الزمان وسيقرؤنه ويكون لهم شأن في رقي الأمم الشرقية - ولتعلمن نبأه بعد حين - انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام

### ﴿ فريدة في التدبير العام ﴾

إن التدبير العام ﴿نوعان﴾ نوع لتدبير القوة . ونوع لتدبير المادة . فالنوع الذي هو لتدبير القوى فذلك أننا نرى غرائز حيوانية وعقولا انسانية وقوى قدسية . أما الغرائز الحيوانية فهي أدنى الدرجات انها قد ألهمت جميع ما تحتاج اليه في حياتها وبناء مساكنها وتربية أولادها ونظام أعمالها . ناهيك ما ترى من نسج العنكبوت ودقته ومستدسات النمل وهندسته وحرص الحشرات على تربية ذريتها سواء أكانت من التي تكفل تربيتها كالنحل والنمل أم كانت تموت قبل أن يفقس بيضها كما ترى في الناموس الذي ستعرف تفصيله في سورة المذثر عند قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - والجراد ودود القز إذ الناموس لا يضع بيضه إلا في المستنقعات والأماكن التي تكون مرعى خصيبا لذريته قبل استكمال قوتها . هكذا الجراد لا يضع بيضه إلا في أماكن خاصة وهي يدفنها في الأرض بحيث لا تكون أبعد ولا أقرب من الوضع الذي يصح معه التفريخ في الأرض وهكذا سائر الطيور علمت وألهمت جميع ما تحتاج اليه في أنفسها وذرياتها وهذا التفسير

قد جمع ما يكفي ذا اللب في مثل هذا وهكذا العالوم اليوم في الأمم المحيطة بنا تكفلت بهذا البيان وأعطت اليقين للمفكرين وهذا كما قال الله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال - سبح اسم ربك الأعلى \* الذي خلق فسوى \* والذي قهر فهدى - فهذا هو التقدير وهذه هي الهداية وبهذا وأمثاله يكون العلم واليقين

### ﴿ العقول الانسانية ﴾

أما العقول الانسانية فانها أرقى من الغرائز الحيوانية • إن الغريزة خاصة بعمل لا تحيد عنه • ينسج العنكبوت ويصطاد بشبكته ويطير بنسيجه كما يطير الانسان اليوم في الجو ويجعل له ما يشبه القنطرة ويبنى مساكن من نسيجه • وهكذا مما استراه في سورة العنكبوت مفصلا موضحا وهكذا غيره • كل هذا لا يصل الى درجة الانسان فان الحيوانات وان كانت غرائزها عجيبة هي قاصرة • أما العقل فهو أوسع نطاقا وأرقى وأقوم وأقوى فهو أعلى من الغريزة • ناهيك ما تراه اليوم من الابداع والارتقاء والارتقاء

### ﴿ القوة القدسية ﴾

أما القوة القدسية فهي أعلى من القسمين • فالعقل وسط بينها وبين غريزة الحيوانات • ولعلك تقول أين القوة القدسية • انها خاصة بالملائكة وأنت عودتنا في هذا التفسير أن تجعلنا نلمس الحقائق بعقولنا • العقل عرفناه والغريزة فهمناها • أما هذه القوة القدسية فاننا لم نعرفها إلا نقلا من كتب الديانات أو من كلام الفلاسفة • قلت اعلم أن هذه القوة نعرفها نحن بأنفسنا ﴿ ذلك ﴾ اننا رأينا طائفة من هذا الانسان لهم قوة غير القوة العاقلة وهي أشبه بغرائز الحيوان وغرائز الأمهات بالنسبة لأولادها • قال هذا لم أفهمه فأوضحه • قلت إن الأم والأب لهما غريزة أشبه بغريزة الحيوان من حيث العطف على ولدها إن للانسان غرائزه كما للحيوان في الأكل وتربية الولد وغيرها ثم هو امتاز عن الحيوان بأن العقل ساعد الغريزة في تربية ولده • ولكن الطائفة الممتازة التي ألفت إليها القوة القدسية أو بعض آثارها هم طائفتان الأنبياء والنابعون ومنهم الحكماء • فالأنبياء يتلقون الوحي عن الملائكة • ولا جرم أن هذا فوق متناول العقل • ثم إن الأنبياء اليوم ليس منهم أحد على الأرض وأن الله عز وجل خلق في كل أمة من أمم الأرض أناسا استعدادهم خلق للعموم لا للخصوص فهم أبدا مغرمون باسعاد المجموع أو بتعليمه يمجدون ذلك في صدورهم ويحسون به في أنفسهم لا يقرّ لهم قرار ولا يكون لهم اضطراب إلا اذا جدّوا في الأسفار وقطعوا القفار وركبوا متن البحار واستخدموا الكهرباء والبخار لنيل الأمانى والأوطار وادراك المعالى وحوز العالوم ونفع العموم • وهؤلاء ليلهم ساهر ونهارهم عامل • فهذه الحال لا تفارقهم • وهذه الأخلاق لا تغادرهم فهم مع العلم ومع أمهم أشبه بالأم الواهلة على ولدها • المولعة بفائدة كبدها • ولكن هذه الصفة في هؤلاء الأشراف أعلى مقاما وأرفع منارا وأشرف مقصدا ومحتدا فلم تنحط الى غرائز الحشرات ولا الى عطف الأمهات من الآدميين والحيوانات بل انها تعلو على العقل وتسخره فتجد تلك الموهبة تسوق العقول التي جاورتها في الأجسام التي حملتها فتحمل المتصفين بها على تحمل المصاعب وقطع السباب وإفراغ الجهد في استخدام العقل • ذلك هو وصف النابغين في سائر الأمم والله لم يخل الأرض قديما ولا حديثا منهم • وكل يظهر في أمته ما فوق له من أمر مادى أو معنوى • كل ذلك لاهام يلهمونه كاهام الحيوان وعامة الانسان ولكن هذا أعلى من العقل فهذا افاضة من الملائكة • وترى الالهام في الأمم المادية كأهل أوروبا يرجع الى المادة وفي الأمم التي قصرت همها على الامور الروحية نبغت فيها فقط وكلاهما إلهامه ناقص • فأما الأمم الاسلامية التي ستظهر بعد هذا التفسير وأمثاله فانها سيكون إلهامها جامعا للأمرين معا فلا يقفون عند الماديات كأهل أوروبا غالبا ولا على المعنويات والروحيات ك بعض الاوروبيين وعامة أهل الهند فيكون الالهام شاملا للأمرين



نافعا في الروح والجسم والمعنى والمادة

وبهذا عرفت ﴿القوى الثلاثة﴾ الغريزة والعقل والقوة القدسية وأن هذه القوة في عالم أعلى منا وتنزل على أفراد في الأمم المختلفة وتظهر على أيديهم منافع للناس وسعادة مادية أو معنوية . وأرقى هذه الطائفة هم الحكماء الذين يدرسون هذا الوجود وهم مغرمون برمهم وبنظامه وبنظام الأمم . فوجود هؤلاء في الأرض دليل على أن هناك قوى أعلى منهم يستمتتون منها بطعامتهم وهم يبنون عليها سواء أعلموا ذلك كالأنبياء أم لم يعلموه كالحكماء وبعض التابعين . فهذا هو النوع الأول من النوعين العاملين للتدبير وهو تدبير القوة فظهور أناس في الناس امتازوا بقوة أرقى من غيرهم . وعموم العقول في الناس وعموم الغرائز في الحيوان في ذلك كله معنى التنزل من السماء إلى الأرض يكون الوحي للأنبياء فيعلمون العقلاء وهؤلاء العقلاء يفسكرون في الوحي ويذهبون مذاهب شتى لنفع الناس فهذه العقول كلها مسخرة لهذه الموهبة القدسية ثم إن غرائز الحيوان والإنسان تحت ذلك كله مسخرة مطيعة كما سخر الله الإنسان فنفع الحيوان طوعا أو كرها ألا ترى أنه يقدم الطعام للثور والفرس وأنه يزرع القطن فيأكله الدود فهوذا الإنسان سخر طوعا وكرها ككل مخلوق \* وملاحظه أننا نرى القوة القدسية ألقت شعاعا من العلم على العلماء التابعين للأنبياء وباللهم للتابعين والحكماء وبالقوة العقلية زرع الناس ونظموا الأرض فأكل الحيوان أردنا أم لم نرد . هذا هو معنى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - في هذا المقام وهو الكلام على القوى الثلاث وبه تم النوع الأول وهو تدبير القوة

﴿ النوع الثاني من التدبير العام . تدبير المادة ﴾

إن تدبير المادة أيضا داخل في قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - فكما رأينا القوى تمتد أعلاها أسفلها . هكذا نرى المادة تمتد أعلاها أسفلها . ألم تر إلى الشمس كيف كان أهل الأرض لا يعيشون إذا لم يكن ضوءها مرسل إلى أرضهم فستري في سورة - الشمس ونسخها - كما رأيت في مواضع كثيرة من هذا الكتاب مثل مافي سورة الفاتحة وغيرها أن كل مخلوق على الأرض لا يحيى إلا بوجود الشمس فلولاها لم يكن ريح تهب ولأماء يجري ولا حيوان يدب ولا إنسان يوجد بل تكون الأرض قاعا صافيا . ثم انك ترى السحاب يجري والرياح تهب كل ذلك لمنافع الناس على الأرض . فهاهوذا الأعلى نفع الأدنى كما نفعت القوة العالية وحافظت على من دونها طوعا أو كرها . سخرت العوالم المحيطة بنا لحياتنا . وامتلاء الجو بالبخار والسحب ونزلات الأمطار وزجر الرعد ولمع البرق وهبت العواصف فبنت الزرع وازينت الأرض للناظرين وبهرت النجوم في سمواتها وأرسلت أشعتها تترى لأهل الأرض فساروا على هداية ضوءها في البر والبحر فكانت نورا لسارهم وهداية لمسافرهم ومرشدا لربانهم ونجاة لسفنهم واسعادا لبدوهم وحضرهم وهم آمنون

﴿ مستقبل الأمم على الأرض وواجب المسلمين ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي قد اطلعت على ترتيب التدبير من السماء إلى الأرض في القوى والمواد . وهاأنذا أذكر لك نتائج ذلك في الأمم فأقول . قد تبين لك أن العقول موزعة على الناس والمنافع على الأرض في مواطن من هذا التفسير وأهل الأرض متضامنون وليس لهم دخل في انزال المطر ولا ضوء الشمس ولا خلق الهواء ولا خواص الأرض . قضى الشمس وتشير الرياح بحرارته فتجري السحب فتتزل على الأرض والناس يتلقون الماء فيها ويزرعون والماء يجري في الأنهار إلى البحر الملح . يظن الإنسان لأول وهلة أن هذا الماء الجاري إلى البحر ضائع لافائدة منه كما في ماء النيل بمصر ودجلة والفرات المحيطين ببلاد الجزيرة وكنهر الكنج بالهند وكنهر الأمزون وغيرها . يقول الناس إن الماء يجري أيام الفيضان إلى البحر ولا فائدة

منه بل هي قوى معطلة وليس الأمر كما يظنون . ان الماء اذا سقى الحقول وأنبت العشب وعاشت به الأمم فأنما مثله مثل رجل يسعى أولاً لما يبقى جسمه ثم يراه يسعى ليربي أولاده ليعيشوا بعده . هذه حال هذه الأنهار . الناس يعيشون بها ثم هي تجرف الطين والرمل والحصى الى البحر كل سنة ليكون ذلك طبقات وراء طبقات بها تتكون الجبال في قاع البحار فيعلا هناك كما تعلا اليابسة كل سنة (بالجرين) الذي يحمله الماء . فجميع الجبال التي نراها كالمقطم والجبال همالايا وغيرها كما ستراه مفصلاً في هذا التفسير في السور التي بين سورتى يوسف والنحل ان شاء الله تعالى وفي قوله تعالى - أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت - الى قوله - والى الجبال كيف نصبت - في سورة الغاشية انما تتكوّن أولاً في البحار في مئات الآلاف من السنين فهي أجنة في بطون البحور تخرج بعد أمد طويل . إذن ليست القوى معطلة . فالنهر اذا عشنا بمائه فوق الأرض فان ما فضل يستعمله باذن الله في احداث عوالم ستكون بعد قرون . فالجبال مكونات من فضلات الأنهار كما كوّنّت الأجنة مما فضل من غذاء الأبوين في أجسامهما فالنطفة منهما من فضلات الدم الجارى في عروقهما ودم الحيض الذي لا يكون إلا زمن القوّة واللبن المغذى للطفل . كل ذلك فضلة فأضعة من القوى كما فاض النهر وجرى فكوّنّت به هذه الجبال . وليس معنى هذا أن الناس على الأرض ينامون ويتركون أنهارهم . نعم هذا تدبير محكم ونظام عجيب عام

﴿ازدياد الناس على الكرة الأرضية﴾

ازداد الناس اليوم على سطح هذا السيار الذي نعيش فيه وازدحت القرى والأمصار بسكانها واشترأوا الى منافع الأرض وقد علموا أنهم متضامنون وان لم يعملوا بهذا التضامن . والذي أراه أن الناس سائرون الى حال ستجمعهم طوعاً أو كرها . سيفكر الناس في استخدام جميع المواهب العقلية في الانسان والخواص في الأرض كما ستراه في ملخص كتابي ﴿أين الانسان﴾ في تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا - وذلك بقلم الاستاذ (سنتلانه الطلياني) تقرظاله وهو مترجم الى العربية من التليانية فان هذا الملخص هناك هو معنى الآية وهو موضح لهذا المقام قرب الوقت الذي تحاسب فيه كل أمة على ما فرطت في عقولها وما أهملت من أرضها كما في الكتاب المذكور . قد رأيت ألا شئ في الوجود معطل وأن ماء النهر الجارى الى البحر له عمل فسيضطّر الناس الى أن يحاسب بعضهم بعضاً على ما أضعوا من قوى . وستقول كل أمة للأخرى ان عندك قوى مخزونة في جبالك أوفى مائك أوفى أرضك أوفى عقول أبنائك فاستخرجها لأن المنافع تعود منك على التجارة والمبادلة وغيرها فاذا أبت قهرها غيرها واستخرجوا المنافع وشاركوها . ذلك سيتم متى ازداد عدد السكان سيضطرون لذلك اضطراراً لأنهم متضامنون كما قدّمنا . وأضرب لك مثلاً

خذ ملابس صبي من صبيان المدارس في أنحاء الأرض الآن فهي مركبة من

(١) صوف يحضرونه غالباً من استراليا أو من جنوب افريقيا

(٢) أوقطن مستحضر من مصر أو أمريكا أو بلاد الهند

(٣) أوكتان مستحضر غالباً من بلاد روسيا أو بلجيكا أو إيرلنده

(٤) ويحتاج الى سير من جلد مخصوص وهو يجلب من أمريكا الشمالية

(٥) ويصنع ذلك كله في بعض ممالك أوروبا

(٦) وازرة من فضة تستجلب من بلاد (المكسيك)

(٧) ومشابك أخرى إما من نحاس أصفر مستخرج من النحاس الأحمر المستجلب من اسبانيا

(٨) أو من قصدير من شبه جزيرة بلاد الملايو

(٩) وكل هذه تحملها السفن فتعبر البحار

(١٠) وقس على ذلك كل ما يحتاج اليه

﴿ واجب المساهمين الذين ألف لهم هذا الكتاب ﴾

أيها الذكي إياك أن تظن أن اطلة هذا الموضوع خارجة عن الآية في التدبير العام والتدبير العام انحصرت في القوى والمادة وقد رأيت تدبير القوى من الأعلى إلى الأدنى والمادة أيضا من الأعلى إلى الأدنى وهذا ما يخص ما ذكرنا وهذا الكتاب للمساهمين وأنت المحاطب لأنه لا يفهم هذا إلا أناس لهم قوة بها يفوقون المجموع والذي ذكرته علم والعلم إن لم يصحبه عمل ضاع فها أنا ذا أوصيك بالمساهمين • إن المساهمين اليوم أحاطت بهم الأمم من كل جانب وقد سبقهم النصارى والمجوس واليهود فعم التعليم اليهود واليابان وأوروبا ولم يبق جاهلا إلا المسلم ولا يتعلم غالبا إلا القليل فجاء كل الجدة واتخذ سبيلا إلى تعميم التعليم حتى نأحق بالأمم وهذا لا يحتاج إلى أكثر من عشرين سنة • وحتى نعلم التعليم في الأمم الإسلامية أمكنها استخراج المنافع من العقول ومن المادة كما شرحناه • يدبر الله الأمر من السماء إلى الأرض ونحن مكلفون أن نعمل بقدر طاقتنا • وحتى ارتقت الأمم الإسلام صارت مجارية للأهم الأخرى وحينئذ تكون مساوية لهم فلا تتم بأنهم عطلت عقول أبنائها ولا منافع أرضها وخواصها ولا المطر النازل في أرجائها • فإن لم تكن سابقة الأمم في ذلك فلتكن مساوية لهم هذه هي السبيل التي يجب اتباعها ونشرها وأن هذا التفسير وأمثاله في هذا العصر مقدمات لذلك الرقي المنشود والحمد لله رب العالمين

﴿ فصل في قوله تعالى - وقدره منازل ﴾

هي ثمان وعشرون منزلة أولها الشرطين وآخرها بطن الحوت وهي مقسومة على اثني عشر برجاً أولها الحمل وآخرها الحوت لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإن كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة

﴿ القمر أصل الشهور والأسابيع ﴾

اعلم أن القمر لولاه لم تكن شهور ولا أسابيع ولكن اختلاف الناس عسيرا في حسابهم • وبيانه أن دورة القمر التي تتم في ٢٨ يوما كما تقدم جعلت مقياسا للشهر • ثم بالنظر لاختلاف الفصول من شتاء وصيف وخريف وربيع جعل مقياسا لها فجعل كل فصل ثلاثة أشهر وكل شهر أربعة أسابيع وكسر

فدورة القمر هي التي نهت النوع الانساني إلى أقسام السنة الاثني عشر المسماة شهورا • فأما سيرا الشمس فلم يعط الناس إلا الفصول الأربعة باعتبار بعد الشمس وقربها وهي الدورة السنوية • ههنا أخذت الأمم

تفصل أيام السنة وشهورها بحسب ما يعين لها فانهم لما رأوا الأسبوع سبعة أيام لم ينظروا لليوم بنظر واحد

(١) الكلدانيون والفرس يجعلون مبداء من شروق الشمس ويجعلونه ٣٤ قسما متساوية هي الساعات

(٢) اليهود يبتدئون من غروب الشمس إلى شروقها ليلا ومن شروق الشمس إلى غروبها • فالساعات

ليلا ونهارا تختلف طولا وقصرا بحسب الفصول عندهم بخلاف الكلدان والفرس فهي متساوية مع اختلاف الفصول

(٣) الايطاليون في أواسط القرن التاسع عشر كانوا يحسبون كاليهود

(٤) العرب يحسبون النهار من مرور الشمس على خط الزوال مبتدئين من الساعة الأولى إلى الرابعة

والعشرين التي تنتهي بمرور الشمس عند خط الزوال عيونه في اليوم الثاني

(٥) لم تتفق الأمم الكبرى كفرنسا وغيرها في مصالحها العمومية لاسيما في مواعيد السكك الحديدية

على ما كان عند العرب إلا في زمن قريب جدا • وأسماء الأيام مستنبطة من أسماء الكواكب السيارة

(١) الاثنين القمر عند الفرنجة (٢) الثلاثاء من مارس عند الفرنجة أي المريج (٣) الأربعاء يرجع



عند الفرنجة الى عطارد (٤) الخميس يرجع الى جوبتر عندهم أى المشتري (٥) الجمعة يرجع الى الزهرة (٦) السبت يرجع الى ساتون أى زحل (٧) الأحد يرجع للشمس وهذه كانت معروفة عند آبائنا العرب فاذا قال الفرنجة مثلا ان الأربعاء وهو (مركردى) مشتق من مركور أى عطارد فان آبائنا قالوا ان يوم الأربعاء عطارد وهكذا بقيت الأيام بالنقل عن الأمم . ولقد اتفقت الأمم كلها على تحديد عدد أيام السنة ابتداء من القرن الثالث للميلاد واعتبرا أكثرهم ان مدة الاسبوع معادلة ربع دورة القمر حول الأرض (١) وكان الفرس والمصريون لذلك العهد يعتبرون السنة (٣٦٥) يوما مقسمة الى اثني عشر شهرا والشهر ٣٠ يوما يضاف اليها فى آخر كل سنة خمسة أيام (أيام النسيء) ومع ذلك لم تطابق السنة الحقيقية والأشهر عند قدماء المصريين هي (توت . فاووفى . أوثير . شوكا . توبى . مشير . مامينوت . فرمونى . ياشون . بونى . ايبفى . ميسورى) والشهر الأول منها وهو (توت) يبتدىء فى الاعتدال الخريفي (٢٢) سبتمبر من كل عام

(٢) الصينيون كانوا يعرفون السنة الشمسية وقد ضبطوها مرات عديدة

(٣) العرب . السنة تتألف من (١٢) شهرا والشهر مؤلف من (٢٩) يوما ويلىه شهر مؤلف من ٣٠ يوما والسنوات الكبيسة يزداد عليها يوم واحد والكبيسة فى كل ٣٠ سنة احدى عشرة سنة والباقي وهو ١٩ بسيطة

(٤) اليهود تقويمهم الدينى بالقمر وتقويمهم المدني شمسي يبتدىء من فصل الربيع (٥) قدماء الرومان تبتدىء السنة عندهم من فصل الربيع ولكن (رومولوس) مؤسس رومية قسمها عشرة أقسام ذاعلا عما رسمه القمر فى سيره من قسمته السنة ١٢ قسما وأسماء الشهور بعضها مشتق من أسماء الآلهة عندهم . هكذا مارس . ابرليس . يוניوس وبعضها أعداد وأضاف بعض ملوكهم شهرين آخرين وهما (جانوار يوس وفبروار يوس) ثم أضافوا شهرا آخر فصارت الشهور ١٣ شهرا وهو أمر غريب . فانظر ماذا حصل جاء الأمبراطور (يوليوس قيصر) فوضع التقويم اليونانى بأن تكون السنة مؤلفة من ١٢ شهرا بعضها يحتوى على ٣٠ وبعضها على ٣١ يضاف اليها كل أربع سنوات يوما فى السنة الكبيسة . ولما كان الرومانيون يجهلون نظام الأسابيع وسقطت الدولة الرومانية غيروا نظام الشهر الرومانى وجعلوه على ما نعلم اليوم من الأسابيع المعروفة اليوم المجهولة عند الرومان

وقد نقش الأمبراطور أغسطس على ألواح النحاس التقويم الذى وضعه قيصر وأطلق اسم يوليوس (يوليو) على شهر يسمى (كنتيكيس) تخليدا لاسمه كما أطلق اسمه هو وهو أغسطس على شهر يسمى (سكتيليس) . فانظر كيف اضطرت الأمم كلها أن تجعل السنة ١٢ شهرا . لماذا . لأن القمر لما دار حول الأرض ١٢ مرة كان هذا قريبا من السنة ينقص عنها نحو ١١ يوما فكان القمر فى سيره نطق بلسان فصيح قائلا . ها أنا ذا رسمت لكم الشهور فانسجوا على منوالى حتى اضطر الرومانيون بعد ما قاسوا المشاق فى تعديل السنة وقد غفلوا عن سير القمر الى حذف الشهر الزائد عن اثني عشر وأول من تظن لهذا يوليوس ورجع الى الشهور الاثني عشر كسائر الأمم . وهذا هو سر قوله تعالى - وقدره - أى القمر - منازل لتعلموا عدد السنين - فأفاد أن نظام القمر هو الذى يفيد السنين ويعرف بها ويقسمها ولولاها لاختلفت شهورهم وضاعت مصالحهم . ولما كانت الأمم بعضها محتاج الى بعض نظم الله لهم سير القمر حتى يتبعوه فى الحساب فتنتظم معاملاتهم . فنظام السموات تبعه نظام أهل الأرض

﴿ فصل فى معنى قوله تعالى - والحساب - من قوله - لتعلموا عدد السنين والحساب - ﴾

اعلم أن السنة الشمسية كما قدمنا فى كل أربع سنين فيها سنة كبيسة وثلاثة بسيطة . وقاعدتها أن

تقسم سني التاريخ المسيحي على أربعة فترات فان قبلت السنة القسمة فهي كبيسة والا فهي بسيطة . ولاشك أن هذه السنة التي أكتب فيها هذا التفسير وهي سنة ١٩٢٤ تقبل القسمة على أربعة واذن فهي كبيسة أنا في هذه الساعة أكتب ليلة السبت نصف الليل الليلة السادسة من شهر سبتمبر من هذه السنة . ومع ذلك السنة على هذا الحساب لم تزد على ٣٦٥ يوما و٦ ساعات وهي في الحقيقة ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥٠ ثانية أعني ٣٦٥٠٣٤٢٢١٧ يوما وسطيا . وحينئذ تكون كل سنة يوليوسية تزيد عن المدة الحقيقية للسنة الفلكية بكسر من اليوم مسار الى ٧٧٨٣٠٠٠ ر . أعني ١١ دقيقة تقريبا وهذا الفرق وان كان قليلا يصير يوما كاملا في كل ١٣٢ سنة وفي سنة ١٥٨٢ ميلادية قد وصلت هذه الزيادة الى عشرة أيام فأمر البابا (جريجوار ليلوس) الطلابي بأن يصلح هذا الخلل فأسقط ١٠ أيام من تلك السنة إذ جعل الخامس من شهر أكتوبر الخامس عشر . ولما كان الفرق وهو ١١ دقيقة يصير ١٨ ساعة تقريبا في كل مائة سنة وثلاثة أيام في كل أربعة مائة سنة . وجب إذن طرح ثلاثة أيام من كل أربعة مائة سنة فأضاف الى القاعدة اليوليوسية قاعدة أخرى وهي أن كل ثلاث سنين مئينة عوضا عن أن تكون كبيسة تكون بسيطة والرابعة تبقى كبيسة وهم جرا . والمراد بالسنة المئينة ما ينتهي عدد التاريخ فيها بصفرين مثاله سنة ١٦٠٠ ولزيادة السهولة اتفقوا على أن السنة المئينة الكبيسة هي التي عددها يقبل القسمة على ٤٠٠ فسنه ١٦٠٠ كبيسة و١٧٠٠ و١٨٠٠ و١٩٠٠ بسيطة

وقد قبل هذا التعديل جميع الأمم ماعدا المسكوف والأروام والأقباط فانهم بقوا على التعديل اليوليوسي ولذلك نرى فرقا ١٢ يوما بين حسابهم وحساب الافرنج ١٠ منها هي الأيام التي أسقطها (جريجوار) والاثنان ناشتان من جعلهم سنتي ١٧٠٠ و١٨٠٠ كبيستين والافرنج جعلوهما بسيطتين ومع ذلك لا يزال هناك فرق يبلغ ربع يوم تقريبا كل عشرة قرون فيكون يوما واحدا كل ٤٠٠٠ سنة بحيث يجب أن يضم يوم واحد لسنة ٥٥٨٢ لأجل تعديل الخطأ المجتمع القليل جدا فتعجب من الحساب كيف بلغ في الدقة مبلغا شغل العالم الانساني أجمعه وقد كان ابتداءه سير القمر الذي قسم السنة ١٢ قسما وهذه الأقسام تنقص ١١ يوما تقريبا فعدلت الشهور من حال الى حال . ومتى زادت عن ١٢ تأدب الناس وحذفوا الزائد ثم أخذوا يحذفون ويزيدون أجيالا وأجيالا الى أن وصلوا الى الثواني من آلاف السنين . أليس هذا هو سر قولته تعالى - لتعلموا عدد السنين والحساب - أولم يكف أن يقول - عدد السنين - حتى أضاف لها الحساب إشارة الى هذه الدقة المتناهية فالقمر حكم عليهم أن يجعلوا السنة ١٢ شهرا وهم اضطروا بالحساب أن ينظموا أيام الشهر فبدل أن يكون ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة بحساب القمر زادوه نحو يوم تقريبا في الشهر الشمسي . ولا يزال الحساب يتناهي في الدقة الى الآن

فيا عجب كيف كان القمر دليلا على الحساب . وكيف شغل الناس بالفرق بين الشهر القمري والشمسي والسنة القمرية والشمسية . وكيف كانت السنين الكبيسة والبسيطة في الحساب العربي في كل ٣٠ سنة لا تزيد الزيادة للكبس فيها على ١١ يوما دائما أبدا وكل دور (٣١٠) من السنين وهذا الدور مشتمل على أدوار صغيرة كل دور منها ٣٠ سنة وهي سبعة أدوار . فتعجب كيف كانت الكبيسة الشمسية محتاجة الى دقة أتم كما رأيت وكل هذا سر قولته تعالى - لتعلموا عدد السنين والحساب - وقوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعاصرون - يعني أن الله راعى في خلق ذلك الحكمة والمصلحة ولم يذر القمر والشمس يتخبطان في سيرهما ويتعثران في جريهما بل ضبطهما بحساب على مقتضى احتياج الناس وحسابهم . وبهذا الحساب يزدادون دقة وحكمة فلأنتي جعلت الحساب سهلا صحيحا لا كسرفيه لأدبى ذلك الى جود عقولهم وموت نفوسهم وجهالة عقلاهم ولكن ذلك الكسرفي السنين الشمسية والقمرية يؤدي

الى نبوغهم في الحساب فترتقى الأمم واذا كان الحرب في الأمة وشدة الحاجة الى العلوم والصناعات يؤدى الى ارتقامها . هكذا هنا في الحساب ودقته تؤدى الى رفعة الشأن . فكما ازدادوا حيرة ازدادوا اجتهدا فأتروا . هذا معنى قوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق - وختم الآية بقوله . لمن أفصل هذا . أفصله لقوم يعلمون . يعنى أن مثل هذا المقام لا يعرفه إلا العلماء به . فأما الجهلاء به ولو كانوا أعلم الناس بالنحو والصرف واللغة والفقه فان التفصيل ليس لهم . فعار على أمة الاسلام أن تخلو من النابغين في هذا الفن . وكيف نرى التعديل يأتى من أوروبا والمسلمون نائمون اليوم وليسوا كأبائهم الأولين

اللهم انك أنزلت هذا الكتاب وطلبت فيه أن تكون الأمة فيها علماء في كل علم فاذا قصرت الأمة كما هو حاصل الآن وليس أحد عالم بهذه العلوم إلا الفرنجة . فامن يفصل لهم القرآن . ولمن يقرأ . وكيف يفصل الله الآيات لقوم لا يعلمون . يارب إن المسلمين اليوم لا يعملون أكثر العلوم ويعرّون على مثل هذا القول مرة الكرام ولا حظ لهم منه إلا حظ الجائع من النسيم . فيا ليت شعري لمن هذا التفصيل ولمن هذا القول . يا الله إنك قد سلطت الفرنجة علينا لجهلنا . يارب انك فصلت هذه الآيات لقوم يعلمون الفلك والأمة غافلة فنقلته أنت الى الفرنجة وصرنا نقرأ القرآن ولا نبالي بما سمعنا انك تفصله لقوم يعلمون لأن المسلمين اليوم قوم بعلم الفلك يجهلون . فاللهم اجعل منهم قوما عاشقين لعلوم مختلفة وبث الحجة في قلوبهم واجعل منهم من يحشون على كل صناعة وكل علم واجعل كتابي هذا مما يحرضهم على عشق العلوم وحب الحكمة والتخلق بخلقك وخلقك العلم والحكمة لأنك العليم الحكيم اهـ

### ﴿ بهجة العلم في هذه الآيات ﴾

إن تقدير المنازل والبروج للشمس والقمر وسيرهما بحساب متقن هو الذى جعل الناس آمنين على ﴿ أمرين ﴾ حساب الدرجات الأرضية ونظامها . وحساب الميزان والكيل والمساحة . ولأبين ذلك في مقامين ﴿ المقام الأول ﴾ حساب الدرجات الأرضية ومعرفتها وكرويتها ودورانها اعلم أن أول من فكر في كروية الأرض رجل يقال له (أراتوستانس) هذا الرجل ولد في القيرون سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية وأثينا ثم دعى الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ قبل الميلاد فأقام بها الى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٤ ق م وهذا الفلكي ألف كتابا في معرفة جرم الأرض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الأرض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نصب عمود في الأرض هناك لم يظهر له في الظهيرة ظل ممتد شمالا واذا نصب عمود آخر مثله في الاسكندرية ظهر له ظل شمالا في تلك الدقيقة عينها واذا رسم خط من أعلى هذا العمود الى طرف ظله وجدت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة فهى المسافة بين الاسكندرية واسوان

ولبيان هذا المقام حقّ البيان أقول أن هذا الفلكي قد تربى في الجامعة المصرية بالاسكندرية التي أسسها بطليموس الأول وقد تخرج منها كثير من العلماء والأطباء ومنهم هذا الفلكي فتاقت نفسه يوما أن يسافر من الاسكندرية الى اسوان فسافر في نهر النيل فلاحظ أمرين ﴿ أولهما ﴾ أنه كلما أوغل في جهة الجنوب سفرا يرى بعض النجوم الشمالية الظاهرة تغيب تدريجا ﴿ وثانيا ﴾ أن بعض النجوم التي لم تكن ظاهرة تبدو تدريجا نطرها أن هذا لا يكون إلا اذا كانت الأرض كروية وكيف يقيس الأرض كلها اذن هنالك اجترأ بقياس بعضها ثم بحسب الباقي وما ذلك البعض ياترى . هو ما بين الاسكندرية واسوان فقاسه فوجده (٦٨٠) ميلا وهذه المسافة هى التي ارتفاعها الشمس عند الاسكندرية أكثر من اسوان ٧ درجات وخمس درجة فاذن هذه المسافة جزء من خمسين من الدائرة التي تحيط بالكرة وبضرب هذا العدد في خمسين يساوى (٣٤٠٠٠) ميل . ثم قال في نفسه اذا أنا سافرت من اسوان أيضا جنوبا واستمرت فاني أرجع الى الاسكندرية

من الشمال ثانيا إذا قطعت قدر هذه المسافة المذكورة خمسين مرة . هذا ما قاله ذلك الفلكي ولكن الحساب الآن ليس كذلك فان الدائرة حول الأرض لا تزيد عن (٢٣٧٠٠) ميل والسبب في ذلك الخطأ المقدر بنحو (١٥٣٠٠) ميل أن اسوان ليست في جنوب الاسكندرية تماما بل هي تنحرف جهة الشرق الجنوبي قليلا فلذلك طالت المسافة جدا . انتهى ما ترجمته من الكتب الانجليزية مقتصرًا على الفائدة

ومن المؤلم أن هذا العالم لما عمى في آخر حياته ترك الأكل حتى مات قاقلا لا خير في حياة لا تصحبها لذة المطالعة والعلم . فلذلك أثر الموت انتحارا

انظر الى الآية التي نحن بصددنا وتفكر في عمل هذا الفلكي اليوناني المصري كيف عرف بارتفاع الشمس الدرجات السبع والخمس وأنها هي جزء من خمسين من الدائرة المحيطة بالأرض وحسب المحيط كله . لولا دوران الشمس حول الأرض بحسب الظاهر ما أدرك هذا العالم هذا الحساب . انتهى الكلام على كروية الأرض أما دورانها فانه قد وضح فيما كتبت في كتاب (جواهر العلوم) وقد جعلته في محاوراة بين فتى وفتاة فلا تقل ماداري بينهما من الحديث لتقف على ما كنت أكتبه في أول أيام تأليني واترى أن دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن بحسب بل له منه دلائل كما ستراه فيما يأتي . وهنا ننقل ما في (جواهر العلوم)

﴿ فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والأواخر في الأفلاك ﴾

( ومسألة الدوران والشمس هي الدائرة حول الأرض أم بالعكس )

فقلت ياسيدي أرجوك ذكر مقال شاف يكشف لي حجاب الخفاء عن الهيئة فقد أشكل القول فيها وخالف السلف الخلف وكل حزب بما لديهم فرحون فاني لا أدري ما الصواب فيها أقول الأقدمين الذين قالوا ان الأرض ساكنة وأن الشمس وجميع الكواكب تدور حولها أم قول العصريين القائلين بأن تلك الأجرام لا وجود لها وإنما السماء لها معنى آخر وهو الشمس المشرقة وتوابعها من السيارة وسيارة السيارات وانها سبع طبقات بعضها فوق بعض وهي الأقدار السبعة المعلومة وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس ثم ما الذي جعلهم على ذلك حتى جدوا فيه وما الفائدة في تلك المباحث . فقال اعلمي أن المتقدمين والمتأخرين أفرغوا وطا بهم في البحث عن الاجرام العلوية والكواكب المشرقة ولم يألوا جهدا في البحث عنها لميل الطباع البشرية الى اقتناض شوارد العلوم وفوائد المنطوق والمفهوم . ولذلك نرى كل انسان يحب بعلمه ولو في مسألة من دنيا المسائل . فقلت ياسيدي وهل في العلم أدنى وأعلى . فقال نعم ان المعلومات تنقسم الى علوية شريفة والى سفلية تستضيء منها مركبة من عناصر سريعة الانحلال قريبة الدثور واللذة في العلوم على حسب شرف المعلومات . فكلما كان المعلوم أشرف وأفضل كانت البهجة به واللذة أكثر . وكلما نقص عن رتبة الشرف والفضل بأن استمد من غيره أو كان قريب الدثور والانحلال قلت البهجة به واللذة وأنى يستوى لذة معرفة موت فلان وحياته وغنى زيد وفقير عمره وغير ذلك بلذة معرفة أقدار الكواكب وأبعادها وحساب دورانها وسننها وشهورها وأيامها وانتظام سيرها في دوائرها فان اللذة بالأول وقتية قليلة بخلاف اللذة بالثاني فهي عظيمة جدا دائمة بدوام المعلوم . وعلى هذا القياس كانت سيرة العلماء والملوك والحكام والدول الكبيرة ألد من سيرة العامة والسوقة والجهلة والدول الصغيرة وكذلك العالم العلوي على السفلى ولذلك كان البحث عن كمال الله وجماله أبهج وألد في النفوس الشريفة لأنه لا أشرف منه ولا أدوم . وبالجملة فالبحث عن العلويات أمر لذيذ ولذلك اتجهت أفكار الأمم بأجمعها اليه وصوبت أسهم آرائها لغرضه . ولقد أطلعت على آراء قديمهم وحديثهم وعجربهم وبجرهم وغتهم وسمينهم فوجدت موضوع أبحاثهم دائرا على محورين (الأول) القوانين الحسابية التي بها يعرف الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول والانتقالات وغير ذلك



مما توقفت عليه أحوالنا المعاشية وعباداتنا وحجنا وصومنا وإفطارنا وغير ذلك وهو فنُّ التقويم المسمى حلم الفلك وهذه القوانين ليس فيها بين المتقدمين والمتأخرين كبير خلاف بل هي متقاربة ولا خلاف إلا في أمور جزئية لا تهدم أصلاً من الأصول ولا توجب خطأ في مقول **﴿ الثاني ﴾** البحث عن العالم بأسره وهو علم هيئته الدنيا وهو فنُّ يبحث فيه عن الأرض مع غيرها من أجزاء العالم والعالم هو سائر المحدثات فهو صنعة عظيمة تكل العقول عن الاحاطة بعلم ما احتوى عليه من المخلوقات وعن الابعاد بين الكواكب ومقادير أجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعن السيارات والثوابت وعن الشمس أهى التى تدور حول الأرض أم الأرض هى التى تدور حولها وعن حقيقة السموات وغير ذلك . وهذا هو الفنُّ الذى حصى فيه وطيس الخلاف بين الأوائل والأواخر وعلماء هذا الفنُّ مقرّون بأن أدلتهم ظنية غاية الأمر أن بعضها أقرب الى الظن من الآخر ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على تقدير بعد الزهراء عن الشمس وعلى مقدار جرمها . ثم فى سنة ١٢٩٣ أرسلوا العارفين الى الجهات وحرروها فعرفوا أن جميع حساب السابقين خطأ محض وانها أقل من ذلك كله بعدا وجرما . ومن الجائز ظهور الخطأ فى هذا التحرير أيضا فى وقت آخر

وحيث كانت مسائل هذا الفن ظنية اختلف علماءؤه فى أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والأرض فقد كان علماء الهيئته فى غابر الأزمنة على ما وصل اليها يدرسون فى مدارسهم ويعلمون تلامذتهم هذه الهيئته الجديدة المعروفة الآن . فقد كان **( فيثاغورس )** الفيلسوف الشهير يعلم تلامذته فى مدرسة **( كروتونيا )** من بلاد ايطاليا على طريقة حركة الأرض وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام معتقدين أن هذا المرنى الذى نسميه سماء أوفلسكا هو فضاء واسع وزرقته ناشئة من اكتناف الأشعة الشمسية للأجزاء الأرضية وأن الكواكب الثابتة فى ذلك الفراغ عبارة عن شمس كشمنا هذه وكل شمس حولها سيارات كسيارات شمسنا وأقمار كقمرها وذوات ذوات كما حول شمسنا وكل واحد من هذه السيارات والأقمار وغيرها عالم مثل كرة أرضنا ومن جملة هاتيك الشمس المشهورة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه الأرض التى نحن عليها والقمر ملتزم لها ويدور عليها ومعها على الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض الى حيث لا يحيط به النظر ولا يدركه الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة . ولما شاعت هذه الطريقة فى زماننا هذا وأراد العلماء تطبيقها على ما ثبت عندهم من ظواهر الشريعة من كون السموات سبعة قالوا معلوم أن الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى فى غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الأولى ويقال لها المرتبة الأولى والقدر الأول وما كان أبعد منها غير كثير وأقل فى الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها أبعد عن التى قبلها وأقل منها ظهورا واستنارة والطبقة السابعة هى التى خفيت كواكبها فلا ترى إلا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات هى طباق السماء وفى قوله تعالى - وزينا السماء الدنيا بمصابيح - قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التى نحن فيها المزمينة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة وذوات الأذنان وغيرها من متعلقاتها الى نحو ذلك من التأويلات التى شرحها علماءؤه وكما ورد عليهم من اعتراض وكما أجابوا عنه . وقد رأيت فى بعض رسائل العلامة المرحوم عبدالله باشا فكبرى أن تلك المباحث مستوفاة التفصيل فى كتاب **﴿ أسرار الملك والملكوت ﴾** وشرحه الموسوم **﴿ بأفكار الجبروت ﴾** والشرح المذكور فى دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومتمنه بالعربية . ثم ان هذه الطريقة كما قدّمنا هى التى كانت سارية فى

أنحاء المعمورة بين عاماتها مستفيضة بين خاصتها وعامتها حتى جاء (بطليموس) قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة فاختار القول بسكون الأرض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد

ولما جاء الاسلام وترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية نقلها الفارابي من فلاسفة الاسلام في مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابن سينا وغيره فمن جاء بعده وهجرت الطريقة المتقدمة التي كان عليها (فيثاغورس) وقد قال هؤلاء العلماء ان السموات أجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات (البصلة) متباعدة ولا تقبل الحرق ولا الالتئام وليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا لون لها ولا توصف بلين ولا ملاسة ولا خشونة ولا خفة ولا ثقل

وبالجملة فهي أجرام أثرية شريفة مخالفة للأجسام العنصرية الارضية في جميع أوصافها وهي التي تدور الحركة اليومية والكواكب تتحرك معها قسرا وللسيارات حركة أخرى مخالفة لحركة السموات أي ان السموات تدور من المشرق الى المغرب وتلك الكواكب معها ثم الكواكب لها حركة أخرى تدور بها من المغرب الى المشرق كنملة على دولاب تسير متجهة الى غير جهة حركته وبهذه الحركة المخالفة تكونت الفصول والسنون وانتظمت أحوال العالم ودون ذلك في كتب المتقدمين

ولما شاعت هذه الطريقة بين علماء الاسلام أخذ بعضهم في تطبيقها على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسكت عن ذلك فريق وفريق كفر القائل بذلك المذهب ثم برهن محققوهم كالغزالي وغيره على أن هذه لا تصادم الدين وأن من اعتقد ذلك فقد جنى عليه وضل سواء السبيل وأضل الناس فان الدين لا ينفي ولا يثبت . وكما أن من يقول ان الله خلق (البصلة) ست طبقات أو سبعا أو ثمانيا وانها كروية أو مثلثة أو مربعة لا تكفره كذلك لا تكفر من يبحث في العلويات إذ كلها من مخلوقاته عز وجل ولم تذكر إلا للاستدلال على صانعها والدلالة واضحة على كل حال وعلى أي شكل وكثير من علماء الكلام كانوا يناضلون الفلاسفة ويخطئونهم ويضللون فهمهم حتى قال العلامة الفخر الرازي ان الأقرب للقرآن أن تكون الكواكب سابعة في السماء كما يسبح السمك في البحر وأدحض حججهم في قولهم أن الحرق والالتئام مستحيل على الفلك واستدل بقوله تعالى - كل في فلك يسبحون - وكان بعضهم يعرف الطريقة المستفيضة الآن ويقارن بين الطريقتين ويميل الى هذه الطريقة كما سيظهر قريبا ثم نبغ ببلاد هستان رجل يقال له (كويرنيكوس) تميز في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ من الميلاد وهي سنة ٩٣٧ من الهجرة فرجع الى الطريقة التي كان عليها (فيثاغورس) المؤسسة على حركة الأرض وقرر أن الشمس مركز وأن الأرض والسيارات تدور حولها فأولا عطارده ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل وأيد هذه الطريقة بأدلة وأشهر ذلك في كتاب له عنوانه ﴿حركات الأجرام السماوية﴾ فحكم عليه في مجمع كنيسة رومة بالزيغ والاتحاد ولو أمكنهم قتله لقتلوه ونهوا عن اشهار كتابه ومع ذلك شاع هذا المذهب فنسب اليه وقيل هيئته (كويرنيكوس) ثم قام بعده جماعات في جهات متعددة وأزمان مختلفة في أنحاء أوروبا ودولوا على هيئته وسموها بالهيئة الجديدة وسموها التي قبلها بالقديم . وأنت ترى من هذا أنها في الحقيقة هي القديمة وأن تسميتها جديدة بحسب ماشاع وظنه كثير من الناس خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الاسلامية وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبدالرحمن ابن أجد المقوف سنة ٧٥٦ من الهجرة في كتابه المسمى بالمواقف وأورد على طريقة دوران الأرض اعتراضات ثلاثة ثم كر على تلك الاعتراضات بالنقض والرد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ في شرحه وكان فراغه من تأليفه سنة ٨٠٧ فليراجعه من أراد وليتأمل

البصير كيف كان علماء الاسلام يدرسون الطريقتين ويعرفونهما حق معرفتهما قبل أن يظهر (كويرنيكوس) ويدعى البعض أن مانلقوه من أفواه أساتذتهم من الافرنج تقليدا لهم مخترع من عندهم لم يسبقهم به أحد وهكذا نسبة كثير من المسائل اليهم مع أنهم في الحقيقة ناقلون عن غيرهم ويدعون أنهم هم السابقون فليتأمل المنصفون . راجع تاريخ العلامة (سديو) المؤرخ الشهير الفرنسي . تعلمي الخجج الدامغة التي أقامها على أن أكثر الاختراعات لبني جنسه كذب محض وأنها في كتب العرب من قبل . فقالت له قد طال الكلام في هذا الموضوع فما رأيك . فقال اني قدّمت الأسباب الى رأيي في صدر هذه المقالة وأزیده الآن وضوحا فأقول . إن الله عز وجل فطر كل مخلوق على فطرة تناسب احتياجه ولونظرنا لجميع الحيوانات التي على وجه الأرض وكذا الانسان لوجدنا كل فرد منها يعلم ما يحتاج اليه حق العلم ويجهل ما عداه لطفا من الله تعالى به . ولما كانت السكواكب والأفلاك لا تحتاج منها الا الى القوانين الحسابية أظهرها لنا اللطيف الخبير بالبراهين القاطعة ولم يحكم وطيس الخلاف بين الأمم في الأزمنة المختلفة فيها والخلاف فيها يسير جدا لا يهدم أصلا من الاصول . أما معرفة أجرام السماء وسكانها وهل الأرض التي تدور أم الشمس فجهلنا به وعلمنا سياتي لا يتوقف عليه أمر من أمور معاشنا لما ثبت بالبرهان أن الحساب لا يختلف سواء اعتبرنا الأرض هي الدائرة أم الشمس

ومن عجيب الأحكام أن أدلته ظنية فعظم الخلاف بين الطائفتين بالاثبات والنفي وكأن الله أراد أن يرينا أن أقرب شئ الينا جهلناه . وبالعجب كيف نجهل حالنا مع أرضنا . نحن مقيمون أم ظاعنون . ومستقرّون أم متحركون . وذلك مصداق لقوله عز وجل - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فكم من شئ جهلناه وهو قريب منا كمسئلة الروح فقد احتدم فيها الوغى بين العلماء في كل عصر ولم يهتدوا الى الآن وما علم الهيئة إلا كعلم الطب فانه ظني أيضا . فقالت الفتاة . لقد بنيت كون الهيئة علما ظنيا على أنه ليس مما يحتاج الى تحقيقه في المعاش والمعاد وعلى قياسه على الطب وأنا أحتج على أن المسألة يقينية بما رأيته في كتب القوم من البراهين فلا أسلم أن علم الهيئة ظني . فقال اختصري في البراهين فالوقت لا يسع والقصد أن يكون مجلسنا نبذا لطيفة وأثمار علوم لا جدليا . فقالت استدلوأولا بأنه لا يصح دوران الجسم الأكبر حول الأصغر فالعكس هو الطبيعي . (ثانيا) كل نجم يدور حول نفسه فكذلك الأرض . (ثالثا) تغير ظل الأرض وقت الخسوف على سطح القمر بهيئة تدل على أنها دائرة وظلها تبع لها (رابعا) ذبذبة البندول فقد وضعوه وضعا بدقة لا يتأثر بمؤثر خارجي عليه فرسم خطوطا تتقاطع وتكون رؤسها أقواسا تطول كلما قرب البندول من القطبين وتقصر كلما قرب من خط الاستواء وفيه يكون على خط مستقيم دائما (خامسا) انهم وضعوا مقدارا من الزيت في السكول وأداروه بآلة فدار وتكور وتفرطح في قطبيه الى آخر ما قالوا فلعلها مثله . فقال لها ابراهيم بعض هذه الأدلة أقيسة تمثيلية وهي لا تثبت حكما وبعضها مبني على الاستبعاد وهما لا يفيدان القطع ولكن باجتماعها أفادت الاقناع لا اليقين . فقالت الفتاة . هل القرآن ينافي هذا المذهب على فرض أنه يقين . فقال إن القرآن كلام الحكيم الذي أعجز جميع البلغاء والفصحاء ولم يكن القصد منه أن تشغل أذهاننا بتطبيقه على كل مذهب يحدث في العالم وعقول الناس تتفاوت ولوطبقناه على هذا المذهب هل نأمن أن تحدث مذاهب أخرى فوجب أن يطبق عليها أيضا . كيف ولم تذكر العلويات فيه والكائنات الأرضية إلا ليعرف كمال الصانع بالصنعة . أما كون الصنعة دائرة أو ساكنة فذلك ليس محل بحثه وكم حاول العلماء تطبيقه على الهيئة التي أدرجت في الأكتاف مع أن كثيرا من ظواهر الألفاظ كان يخالفها حتى جاء اكتشاف الافرنج فأبطل المذهب السابق وظهر أن تلك المحاولة والتطبيق على المذهب الباطلي يصادف محله . على أن علماء الاسلام كانوا يضللون الفلاسفة السابقين ويخالفون مشاربهم بأرائهم الناقصة حتى

وافقوا من قبل علماء الافرنج في هذه الأيام . فقالت وهل تذكر شيئاً من ذلك . فقال نعم  
أولاً نفس دوران الأرض فقد شتم من كلام صاحب المواقف أنه يعتمد عليه وهذا كان قبل أن يعرفها الافرنج  
ثانياً كانوا يعتقدون النحاس والسعد وخراب الدول وعمارتها من آثار العلويات  
ثالثاً عدم الخرق والانتقام في الفلك  
رابعاً أن الأفلاك لها نفوس وإرادات  
خامساً أن بعد الهواء كرة النار

وكل ذلك نقضه علماء الاسلام ووافقهم الافرنج في هذه الأيام . على أننا لو أرخينا العنان للقلم ونظرنا في  
القرآن لوجدنا ما يشير الى الطريقة الجديدة وان لم يذكر في كتب المتقدمين منها قوله تعالى - صنع الله الذي  
أتقن كل شيء - بعد قوله - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب - ومنها أنه قال - وهو الذي  
مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار - فذكر  
الليل والنهار بعد ذكر الأرض يشير الى أنها من آثار الأرض ويقوى ذلك أنه قال - يغشى الليل النهار -  
فجعل الليل الذي هو ظلمة الأرض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس ففيه تلميح الى أن الأرض هي التي  
تحدث ذلك بفعل الله تعالى ومنها - والشمس وضحاها \* والقمر اذا تلاها \* والنهار اذا جلاها \* والليل  
اذا يغشاها - فجعل النهار الذي هو في مقابلة وجه الأرض للشمس مجلياً لها والليل الذي هو الظلمة الأصلية  
للأرض مغشياً لها فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الأرض وهذان  
الوجهان ذكرهما العلامة الشيخ محمد يرم الخامس التونسي ومنها قوله - وكل في فلك يسبحون - بعد  
ذكر الأرض والقمر والشمس ومع ذلك كله فالقرآن لا يعارض شيئاً من هذه الأشياء على أننا لا نحتاج لتأويل  
القرآن إلا لليقينيات وهذا ليس منها فان نوع بنى آدم لا يمكنه أن يحيط بشئ من علم الله تعالى إلا بما شاء  
وهل يشاء الله أن نعلم مالا مصلحة لنا في علمه بل علم مثل ذلك ربما أضرب بمصالح الانسان من حيث ولوعه  
بما هو بعيد عنه وربما يشغله عن أمور معاشه . بل الأغرب أن أحد العلماء الفرنسيين المتأخرين قال  
ما ترجمته ﴿ ان للعقل حدّاً محدوداً لا يتجاوزه فاتعاب العقل في معرفة الأجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر  
في أن يرى ما فوق السقف من أسفله . فهب انك أعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف  
حتى يرى ما فوقه ﴾ ويناسب هذا ما صرح به عالم الفرنسيين المسمى (فيلكس لامبروس) في القرن التاسع  
عشر من قوله ﴿ إن الجذب كلمة يعلم منها الفعل لا السبب فان هذا المعنى بحث عنه الطبيعيون فلم يوفوه الخ ﴾  
ما قال . فكلام هذين العالمين يؤيد ما قلنا من أن هذه ظنيات . أنظره في كتابنا ﴿ ميزان الجواهر ﴾  
وسيرد عليك فيه أيها القارئ إن شاء الله تعالى أن كل حيوان له حدّ ومقدار في المعارف لا يتجاوزه ولا ينقص  
عنه ولولا ذلك لاختل نظام العالم . ههنا انتهى الكلام على المقام الاول وهو دوران الارض وكرويتها

### ﴿ الشمس وشفاء الامراض ﴾

قبل الانتقال الى الكلام على ﴿ المقام الثاني ﴾ يحسن أن أقف وقفة معك أيها الذكي أريحك فيها من  
عناء الفكر واتعاب الذهن بذكر بعض منافع الشمس فأنتقل بك من مسألة الدوران وما يتبعها الى منافع  
نورها في صحة أجسامنا وتقوية قواها لنرى اتساع هذا النظام . فبينما نراها تقسم الفصول بقربها وبعدها  
ويحيا الحيوان وينمو النبات بها اذا بها تقوم مقام الادوية التي امتلأت بها الصيدليات التي يشفي بعض المرضى بها  
وكثير منهم تضره الادوية لعدم تحرّى الطبيب وجهله وقلة علمه وعدم احاطته بأطراف موضوع المرض وقد  
أجمع العلماء أن المعالجة بالامور البسيطة أفضل من المعالجة بالمركبة . والبسيطة مثل الهواء والماء والشمس  
فهالك مقال طيب فاضل في مقالة نشرها في صيف هذه السنة (سنة ١٩٢٧ م) قال مانصه



### ﴿ الاستشفاء بنور الشمس في المصايف ﴾

عند حلول فصل الصيف يؤم كثيرون من سكان المدن شواطئ البحار والجبال للاصطياف تمتعا بالراحة واستنشاق الهواء النقي لتصح أجسامهم وتستقيم صحتهم . ونظرا لحلول موسم الاصطياف هذا العام رأينا لفت نظر الجمهور وكل من يهيمه الاحتفاظ بصحته وصحة عائلته وأولاده الى أن هناك فائدة كبرى بل هناك كل الفائدة من تعريض الاجسام للشمس

ولما كانت الاشعة فوق البنفسجية وهي العنصر الفعال في الطيف الشمسي لا تتوافر بكثرة إلا على الجبال وشواطئ البحار وفي الحقول وذلك نظرا الى صفاء نور الشمس وتقاوة الهواء في الجهات المذكورة فان هذه الاشعة لا تتوافر تماما في المدن حيث يضع معظمها باختلاط نور الشمس برطوبة الهواء والغبار والابخرة والبرهان المحسوس على ذلك أن مدة قليلة يقضيها المرء في الحقول أو على شواطئ البحار والجبال يجعل الجزء المعرض للشمس من جلده أسمر اللون في حين أن الانسان لا تتغير بشرته لو تعرض للشمس في المدن ولو كان ذلك مدة طويلة

إن الحمام الشمسي مفيد جدا اذا استعمل بالعناية التامة مع مراعاة الارشادات التالية حتى يدرأ المرء عن نفسه ما عساه يتعرض له من الضرر . أما طريقة تعريض الجسم للشمس فتكون بالكيفية الآتية يجب أن يتلقى الانسان ضوء الشمس مباشرة على جلده من غير أن يجعل بينهم حاجلا كالملابس والزجاج والحمام الشمسي يجب أن يعم الجسم ماعدا الرأس . فاذا تعذر تعريض الجسم كله لسبب من الأسباب وجب تعريض أكبر مسطح مستطاع منه

ويؤخذ الحمام الشمسي تدريجا لأنه اذا عرّض الجسم كله دفعة واحدة من أول مرة مدة طويلة أصيبت الأحشاء بالاحتقان والبشرة بالتسلخ . ويؤخذ الحمام الشمسي كل يوم حتى في الأوقات التي يكون فيها الجو ملبدا ببعض الغيوم . ويجتنب التعرض للشمس في الأوقات التي يكون فيها الحر شديدا كما يلزم تغطية الرأس بقبعة من القش واسعة الأطراف أو يستظل بمظلة فاتحة اللون مع وضع نظارات ذات زجاج ملون وعلى السيدات أن يضعن شاشا ملونا على وجوههن وأن يلبسن قفازات منعا لتأثير نور الشمس واسمرار وجوههن وأيديهن . ولابد من اجتناب تيار الهواء

وتراعى في الحمام الشمسي أمرجة الأشخاص بالنسبة الى السن ولون البشرة وحجم الجسم لأن الذكور والبدنين والسمرا اللون يتحملون حرارة الشمس وتعريض أجسامهم لهامدة أطول من المدة التي يتحملها الأنثى والأطفال ونحيفو البنية وذوو البشرة البيضاء

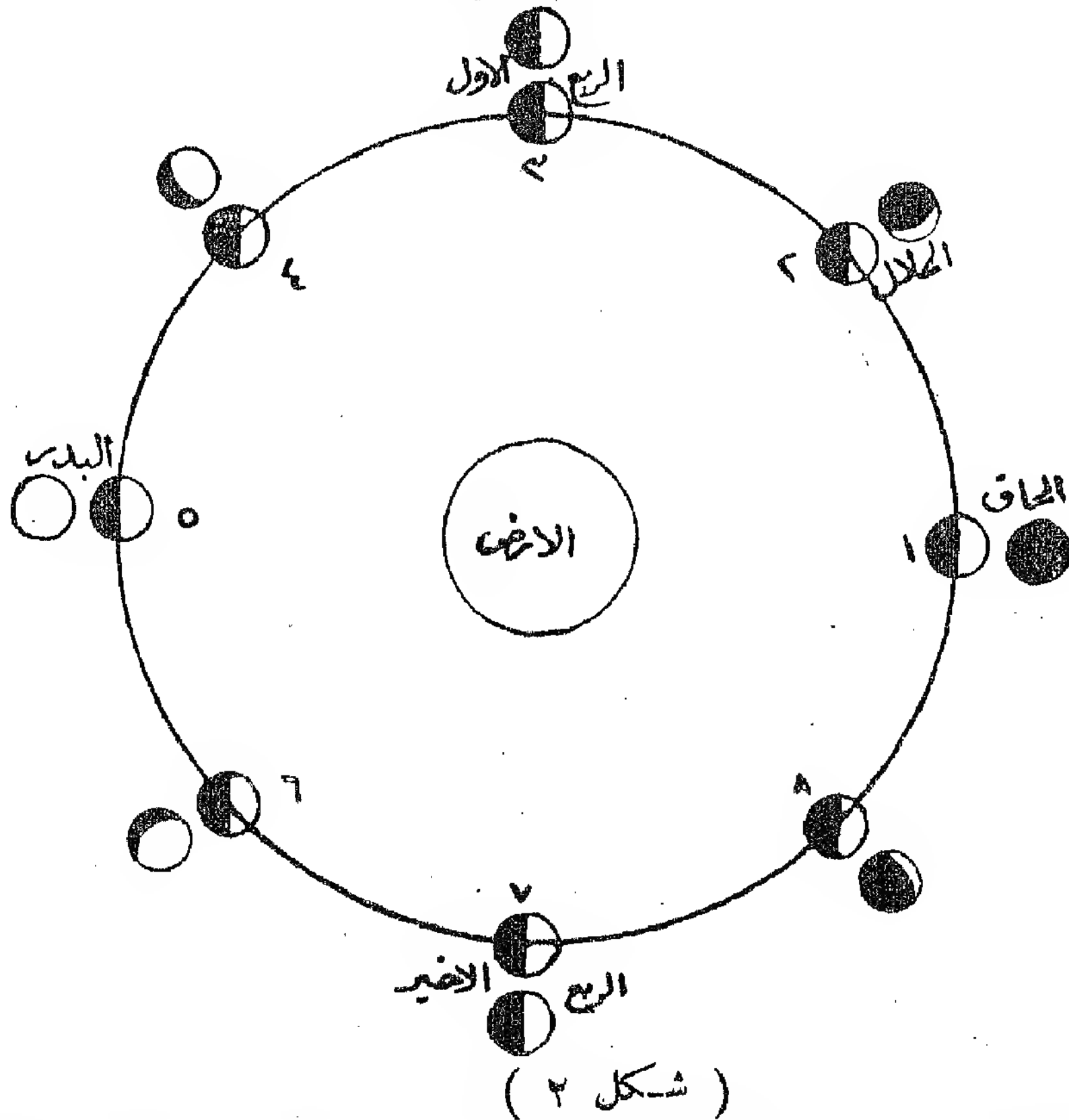
وعلى من يريد الاستشفاء بنور الشمس أن يشرب كمية كبيرة من مياه الشرب أثناء ذلك . ويحسن أن يكون التعرض مرتين كل يوم مرة في الصباح بعد طلوع الشمس بمدة قصيرة وقبل الفطور بنصف ساعة تقريبا ومرة أخرى قبل الغروب بنحو ساعة لأنه لوحظ أن الأشعة فوق البنفسجية تكثر في الطيف الشمسي صباحا ومساء أكثر من وجودها وسط النهار . والمواعيد التي هي أكثر ملاءمة في هذا الفصل هي ما بين الساعة السادسة والتاسعة صباحا وما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء والتعريض يكون بالطريقة الآتية

يضطجع الانسان في الشمس ويغطي رأسه كما تقدم وفي اليوم الأول يرفع ملابسه عن يديه وساعديه وقدميه وساقيه مدة خمس دقائق . وفي اليوم الثاني يرفع ملابسه عن أطرافه العليا والسفلى . وبعد خمس دقائق يغطي ذراعيه وخصيه وخمس دقائق أخرى باقي الأطراف . وفي اليوم الثالث يرفع ملابسه عن بطنه وأطرافه وبعد خمس دقائق يغطي بطنه وخمس دقائق أخرى يغطي ذراعيه وخصيه وخمس دقائق ثالثة يغطي باقي الأطراف . وفي اليوم الرابع يرفع ملابسه عن جسمه وبعد أن يعرض صدره للشمس مدة خمس دقائق

يفطيه ثم يغطي بطنه بعد خمس دقائق ثم ذراعيه ونفذه بعد خمس دقائق أخرى ثم باقى أطرافه بعد خمس دقائق من ذلك ويعرض ظهره مدة خمس دقائق . وفى اليوم الخامس يرفع جميع ملابسه عن جسمه ويعرض عنقه مدة خمس دقائق ثم يغطيه وهكذا يوميا بالتدريج الى اليوم السابع الذى فيه يعرض المرء جسمه جميعه مدة ساعة من الزمن ويستمر بعد ذلك على هذا الموال مدة ساعة أو أكثر حسب استعدادده . والنتيجة المؤكدة لتعرض الجسم للشمس هى تنبيه القوى وتحسين الشهية للطعام وازالة فقر الدم وتنشيط الجسم الخامل وتنظيم الدورة الدموية وانهاش الجهاز العصبى واصلاح وظائف الاحشاء وابادة المكروبات التى قد توجد على سطح الجلد وتحسين وظائفه كما أنها تضاعف الفعل الشافى للأدوية ومختلف طرق العلاج

هذا والفائدة التى تعود على من يستعمل الحمام الشمسى هى أعظم بكثير مما لو اقتصر المرء على استنشاق الهواء النقي دون تعرض جسمه للشمس الأمر الذى دعا مصلحة الصحة العمومية لأن تجعل تعرض الاطفال لنور الشمس لوقايتهم من الكساح فى المقام الاول من نصائحها للجماهير المنشورة فى الصحف أخيرا مع العلم بأن الافكار اتجهت فى أوروبا وأمريكا وخصوصا فى ألمانيا لتعرض أجسام الاطفال اجباريا للأشعة فوق البنفسجية سواء كانت مباشرة من الشمس أو من الجهاز الصناعى لوقايتهم من مرض الكساح كما هى الحال عندنا فى التطعيم الاجبارى للوقاية من مرض الجدري . ولذلك ننصح المصطافين سواء كانوا على شواطئ البحار أو على الجبال أو فى الحقول أن يهتموا بتعرض أجسامهم للشمس فى الصباح والمساء أكثر من أن يهتموا باستنشاق الهواء النقي فقط انتهى ﴿ تذكرة ﴾

تقدم الكلام على الشمس والقمر فى سورة الأنعام عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم لأبيه آزر - وقد رسمت هناك صور الشمس وتوابعها ولم يرسم هناك القمر فوجب أن نرسم هنا وجوه القمر لأن ما هنا من الآيات مكمل لما هناك إذ جاء فى هذه السورة ماهو أوضح ونرسم أيضا صور المجموعات الكوكبية والعدم ليكون المطلع على هذا التفسير قد ألمَّ بجمال هذا العلم وفرح بالحكمة فهناك صورة أوجه القمر



### ﴿ الكلام على المقام الثاني ﴾

( وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية تابعت لسير الشمس )  
 ستعجب أيها الذكي من هذه الجراءة وتقول أي مناسبة بين الرطل والوقية والدرهم والقنطار وبين  
 سير الشمس وقول الله تعالى - ولتعلموا عدد السنين والحساب - في هذه الآية تتعجب وحق لك أن تتعجب  
 مني أن أدعى دعوى يصعب تصديقها بل لاتعقل • وكيف يعقل أن الكيلة والرابع والمائة والقدر والأردب  
 في بلادنا المصرية منسوبة لسير الشمس وأي عقل يتصور ذلك إن الأردب ١٢ كيلة والكيلتان وربة  
 والكيلة الواحدة ربعان والرابع ملوتان وستدهش من قولي لك إن الفدان منسوب لمساحته لسير الشمس  
 في السماء سيددهشك قولي وتقول أي مناسبة بين مساحة الفدان وسير الشمس وآيات القرآن  
 كل ثلاثة فدادين (١٠٠٠) قصبة والقصبة ثلاثة أمثaro (٥٥) ستمترا فأين الشمس هنا وأين القرآن  
 ثم إن الناس يقيسون الأثواب بالذراع البلدي المعروف وبالهنداسة وعندهم ذراع يسمى (الذراع النيل)  
 لا مناسبة بين هذه كلها وبين الشمس وآيات القرآن • هذا ما يخطر ببالك وقت كلامي في هذا المقام  
 أما الجواب عليه فهو وإن كان يعرفك السبب فانه لا يدفع العجب بل انك عند ما تعرف الحقيقة تزيد  
 دهشا وعجبا • فهالك ملخص ماسياتي في سورة الرحمن أخلص لك منه ما يكفيك الآن وهناك يزيد الايضاح  
 إن الله يقول هنا - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل - لماذا - قدره منازل  
 - لتعلموا عدد السنين والحساب - إذن تقدير المنازل يعلمنا عدد السنين ويعلمنا الحساب والحساب يدخله  
 الكيل والوزن والمساحة المعبر عنها في سورة الرحمن بالميزان إذ يقول هناك - والسماء رفعها ووضع الميزان \*  
 ألا تطفوا في الميزان - • يقول هناك اني رفعت سمواتي ووضعت فيها الميزان بحيث يكون سير الشمس  
 وغيرها بحساب لأجل انكم لاتزيدون في ميزانكم ولاتنقصون بل يكون الميزان حقا • فهذا هو قوله  
 - وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - هذا كلام الله فانظر عمل الانسان قبل أن ينزل القرآن  
 بالآلاف السنين • عمد المصريون القدماء الى (الهرم الأكبر) فبنوه على مقياس مدار الشمس السنوي فجعلوا  
 (١) محيط (الهرم الأكبر) جزءا من مليار من محيط مدار الشمس السنوي أي من ألف ألف ألف

جزء منه

- (٢) ارتفاعه جزء من ألف ألف ألف جزء من البعد بين الشمس والأرض أي مليار
- (٣) ضعف الارتفاع المذكور يساوي قطر محيط دائرة مساوية لمحيط الهرم
- (٤) فالارتفاع نفسه يساوي جزءا من مليار من البعد بين الشمس والأرض
- (٥) ضلع الهرم يساوي جزءا من ربع مليار من محيط الدائرة الشمسية
- (٦) الضلع المذكور يساوي (٤٠٠) ذراع بلدي أو (٣٦٠) هنداسة
- (٧) الذراع البلدي جزء من مائة ألف ألف ألف جزء من ذلك المحيط أي من مائة مليار من محيط الدائرة الشمسية

- (٨) ربع الذراع البلدي المكعب ألف درهم من الماء المقطر
- (٩) وكل ١٢ درهما أوقية وكل ١٢ أوقية رطل فالرطل ١٤٤ درهما والقنطار مائة رطل ثم إن المقاييس منها عشرى ومنها اثنا عشرى

- (١٠) الأردب ذراع بلدي مكعب (١١) الأردب إذن جزء مكعب من (٤٠٠) من الضلع المذكور أو واحد من مائة ألف ألف جزء من محيط الدائرة الشمسية
- (١٢) الفدان (١٠٠) هنداسة في (١٠٠) هنداسة تساوي (١٠٠٠٠) عشرة آلاف هنداسة

فطوله مائة وعرضه (١٠٠) فهو نسبة عشرية . والهنداسة جزء من (٣٦٠) جزءاً من ضلع الهرم المنسوب لربع محيط الدائرة الشمسية

(١٣) الذراع النيلي ٥ من ٦ من الهنداسة فيكون ضلع الفدان (١٢٠) ذراعاً نيلياً والفدان (١٤٤٠٠) ذراعاً نيلياً ويكون القيراط (٣٠٠) والسهم (٢٥) والدانق (١٠٠) فالذراع النيلي والهنداسة كلاهما يحسبان الفدان (١٠٠ في ١٤٤) يساوي (١٤٤٠٠)

هذا هو الذي فعله قدماء المصريين . أنظر كيف يقول الله - لتعلموا عدد السنين والحساب - وانظر كيف كان نفس هذا السرّ هو الذي صنعه قدماء المصريين كيف علموا أنه لن يستقيم لنا وزن ولا كيل ولا مساحة إلا بنسبة محفوظة وعلموا أن أرضنا ليس بها شيء ثابت فلم يروا أثبت من مدار الأرض حول الشمس في مدارها السنوي الذي هو مدار ظاهري للشمس حولها . علموا ذلك فبنوا الهرم الأكبر على مقتضاه حتى إذا تهتمّ رجع الناس إلى الدائرة الفلكية فقاوسوها واذن يصحّحون مقاييسهم

هذا كلام الله وهذا سرّه الذي ظهر على يد قدماء المصريين قبل نزول القرآن بألاف السنين وهذا أعجب العجب . إن الفرنسيين لما أرادوا أن يجعلوا لهم وحدة حاولوا أن يصنعوا ما صنعه قدماء المصريين . فإذا فعلوه قاسوا درجة أرضية كما فعل الفلكي المصري المتقدم ذكره هنا ثم ضربوها في (٣٦٠) درجة التي هي الدرجات لكل دائرة وجعلوا ذلك (٤٠٠٠٠٠) أربعين ألف كيلومتراً أو (٤٠) ألف ألف متر وقالوا إن المتر الواحد جزء من (٤٠) مليون جزء من محيط الكرة الأرضية . وعليه أخذ الناس يقيسون به ثم بعد ذلك علموا أن محيط الكرة الأرضية لم يكن قياسه مضبوطاً بل هناك خطأ والانجليز نظروا نظرة أخرى فانهم عندهم (الياردة) التي هي أقلّ من المتر فهي نحو (٩١) من مائة من المتر هم أيضاً حاولوا الرجوع إلى نظام الطبيعة فجعلوا الياردة هي المقياس لأنها عبارة عن طول الساق المعدني الذي هو رقص الساعة الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية . إن رقص الساعة إن طال قلت حركته وإن قصر أسرع فلهذا الرقص الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية هو الذي جعلوه مقياساً وإنما أوردت لك فعل الفرنسيين والانجليز لتعلم وجهة النوع الانساني فانهم جميعاً يريدون أن تكون مقاييسهم على نظام ثابت وأى ثبات لغير النظام العام فالأوروبيون رجعوا للعالم الأرضي ونظامه وقدماء المصريين رجعوا لدائرة الشمس . ثم إن الفرنسيين نسبوا جميع المكييل والموازين إلى المتر كما فعل قدماء المصريين سواء بسواء

هنا عرفنا الحقيقة وأدركت سرا من أسرار القرآن . وههنا يتبدى لك العجب الأكبر . ألا ترى إلى قوله تعالى في هذه السورة - فالיום ننجيكَ ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . أليس من الآيات التي أظهرها الله على أيديهم وغفل عنها أكثر الناس قبل زماننا ما ذكرته لك الآن في الهرم وبنائه . أليس الهرم محلاً تدفن فيه جثث أحد الفراعنة وإن لم يكن فرعون موسى . وسترى في هذه السورة أنهم وجدوا صورة البروج مرسومة على تابوت أحد القدماء من المصريين كما سأوضحه هناك . فالله أبقى جثث الفراعنة وألهم علماءهم أن يضعوا أسرار السموات على تلك الأبدان تارة بالرسم والتصوير كما ستراه في هذه السورة . وتارة بالأبنية التي أسست على نظام السموات وسير الشمس

إن هذه هي الآيات التي وحي الله العالم الانساني على جهلها فقال - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . ذم الله الناس على التغفل عن علوم قدماء المصريين التي دونوها على توابيتهم أو بمبانيهم وهندستها كما عرفت في الهرم . هذا هو السرّ المكنون . وهذا هو العلم المخزون . وهذا من أجلّ أسرار القرآن . وليس التوبيخ قاصراً على المسامين بل يعم الناس كلهم كالفرنسيين والانجليز الذين أسسوا موازينهم ومقاييسهم على نظم ليست أدق من نظام قدماء المصريين . فيا ليت شعري كيف يعيش المصري



المسلم ويموت وهو يجهل أن الكيلة والذراع البلدى ومساحة الفدان منسوبة للهيم وليسير الشمس ه أم كيف يعيش المسلمون ويموتون وهم لا يعاونون أن هذا قد جاء فى القرآن وأن موازين المصريين ومكاييلهم قد ذكرها فى القرآن وهى له معجزة وأى معجزة ه اللهم إن المسلمين قوم اليوم نيام وقد آن استيقاظهم وأقبلت أيام مجدهم ه لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيزه

﴿ تذكرة للأمة المصرية والأمة الإسلامية ﴾

قد كنت وعدت فى سورة الأعراف أن أكتب فى هذا المجلد ما كتبتة لمجلس النواب المصرى ومجلس الشيوخ والوزارة فى شأن التعليم فى المدارس المصرية أيام الاحتلال الاوروبى فان هذه الآيه جمعت العلوم التى يجب أن يعرفها المسلمون ولا يحرمون من علوم القرآن التى تمتع بها أهل أمريكا واليابان والصين وأوروبا لحسد الاوروبين لنا خيفة رجوع مجدننا فعلىنا الآن لما رجع التعليم الى حظيرة الوطن وردت بضاعتنا اليها أن ندرس العلوم كلها ه وهذا نص المذكرة

﴿ مذكرة لاصلاح التعليم الثانوى بالملكة المصرية ﴾

( قدمت الى أصحاب المعالى رئيس مجلس الشيوخ ومجلس النواب ووزير المعارف )

(١) لكل جماعة متحدة من الطوائف الانسانية صفات خاصة تشملهم وأحوال معلومة تجمعهم وتثبت وحدتهم وتصور ألفتهم ه فاذا انتفت تلك الصفات أو نقصت زلت قدمهم وزالت وحدتهم فتفرقوا شذر مندر وهم غافلون

(٢) إن أقوى دعائم الوحدة ما يتعلمه الطلاب فى المدارس العامة من العلوم فان أواصرها تربطهم وتجمع الأبناء فى ساحة الآداب والكمال

(٣) ليس التعليم الابتدائى بمن فتيلا فى هذا المضمار ه كلابل هو ممد لما هو أعلى مراما وأثبت نظاما ه وكذلك التعليم فى المدارس العالية فانما هو لاختصاص الطلاب فى أمور عملية ه ان مدرسة الطب والصيدلة لمدواة الانسان ه ومدرسة البيطرة للحيوان ه والزراعة لنظام الحقول ه والحقوق والقضاء للفصل فى المخاصمات ه والهندسة للرئى وللبنان ه والحربية والشرطة لحفظ الثغور ونظام الجمهور

(٤) فاذن التعليم الذى يشترك فيه أبناء الأمة ويحفظ وحدتهم ويوسع مداركهم العامة هو التعليم الثانوى وعليه المعول فى الأمم الراقية الآن وفى مصر قبل نحو ٣٥ سنة وماعداه فاما ممدله واما صناعات عملية

(٥) فلننظر نظرة عامة فى مدارسنا المصرية الثانوية ه انها خالية من العلوم التى بها الحياة فليس بها علم النبات ولا علم الحيوان ولا خلاصة من تشريح الانسان ولا نبذة فى علم الهيئة ه الطالب فى الثانوى لا يدرس طبقات الأرض الضرورية للحياة ولا مافى الجبال المصرية من المعادن ولا الأقوام الدين وللسوا المصريين وسكان السودان ولا أواصر القرابة التى تربطهم ولا يعرف من تاريخ عظماء مصر قديما وحديثا إلا قليلا مبعثرا غير مشوق لحب الوطن ه لقد حدثنى الاستاذ (ادوارد براون) الانكليزى المستشرق حينما زار مصر أيام اللورد كرومر قال ﴿ أرسلت لى حكومتنا البريطانية ثياب عشرات من رؤساء القبائل المجدلين فى حرب التعايشى لا ترجم الأوراق المحفوظة فيها فوجدت منها ما يشابه السولة العباسية خطأ وانشاء ه ومنها ما يناسب دولة الأمويين ﴾ فحجبت كيف يعرفون قبائلنا ونحن عنها غافلون

(٦) إن الطالب فى الثانوى ليس لديه ما يشوقه للعلوم وهو يجهل ما بين يديه وما خلفه وما تحته ه يجهل طبقات الأرض ومعادنها إلا قليلا ه ويجهل مافى داره من حيوان ه وما فى حقله من نبات ه وما فى جسمه من أعضاء ه ودورة دموية ه ودورة تنفسية ه ودائرة عقلية ه وما فوقه من نجوم لامعات ه اللهم إلا تلك النبذة الضئيلة فى كتب الجغرافية ه انه لا يدرس نفسه ه ولا هضم طعامه ه ولا نظام الضياء والظلام

ولا هرتة التي يآلفها . ولا فرسه التي يركبها . ولا الزهرة التي يستحسنها ويشمها . إن التعليم في الثانوى يحول العقول الى الخيال ويصرفها عن المحسوسات . وهو الذى صرف بعض الأذهان عن حقائق العلوم الى خيال الروايات وضياع الأوقات . إن حاسة البصر جردت من أكثر مدركاتها العامة فانصرفت النفس الى شهوتها إلا من لهم قدم فى الفضل ثابتة وجدّ عظيم . ومن أغضت عينه عن الماديات ناب عنها سمعه فاحتاج الى قائد كما للعميان . هكذا يفعل الغرب اذا نصح للشرقيين . لو كان التعليم الثانوى تاما كما فى البلاد الغربية أو كما كان فى مصر قبل الآن لكان ذلك نورا على نور الذكاء ولاظهر الذكاء المصرى فريدا (٧) لولا الذكاء المصرى والاجتهاد الفردى والتعليم فى أوروبا وعموم الجرائد والمجلات والنهضة العلمية المصرية مارأينا فى البلاد نابغين ولا قادة ماهرين . لقد كان التعليم الثانوى شاملا فى مصر فى أوائل الاحتلال وقبله أكثر هذه العلوم المفقودة الآن . ولقد كانت مدته خمس سنين وكانوا يدرسون العوالم المحيطة بهم ثم اعتري التعليم ما اعتراه بالتدريج وحرم أبناء النيل ارتشاف مناهل العلم بأصول الكائنات وجمال مصر وعجائب السودان وغرائب ما فيه من المعادن والغابات

(٨) ان التعليم فى المدارس الثانوية ان لم تتوجه هم أصحاب الشأن وأولى الأمر بالبلاد الى ترقيته أصبح المهندس أو القاضى أو كل من له رآسة عامة فى الأجيال المقبلة فى دائرة محدودة من العلوم . يقول العلماء ﴿ البلادة خير من الفطنة البتراء ﴾ وإذا كان الجهل شرا فشر منه نقص يدلى الى غرور . فأولهما جهل بسيط . وثانيهما جهل مركب تجعله الأمم المغيرة سلاحا لتقتل به الضعفاء ووسيلة لتغلب الأقوياء . فأما الأمم المستقلة فهى التى تراعى النظام التام وتفتح باب العلم واسعا ليهرع طلاب الثانوى شوقا الى العلوم . إن اتساع التعليم الأولى فى البلاد لا يغنى شيئا عن التعليم التام . ان متعلما واحدا خير من آلاف الآلاف من المتعلمين تعليما أوليا فهو رأسهم يقودهم الى طريق الفلاح . فكمال التعليم الراقى لقواد الأمم ألزم لها من تعميم التعليم الأولى فى البلاد

(٩) لقد أدرك هذه الحقيقة فى مصر الاستاذ لمير الفرنسى ناظر مدرسة الحقوق سابقا وظهر ذلك فى حادثته المشهورة بينه وبين وزارة المعارف إذ أبان لها ذلك النقص الشائن فى التعليم الثانوى قائلا انه لا صلة بين نقصه وبين السكّال فى دراسة الحقوق . وكيف يكون دارس الحقوق خاليا من مبادئ المنطق وبعض العلوم فكان جزء ذلك الحرّ الشجاع أن قدّم استقالته وسافر الى ليون وأصبح أبا وأستاذا لطلاب الحقوق بفرنسا من المصريين اعجابا بذكائهم وهم محبتون

(١٠) ان لم يغير هذا المنهج أصبح طبيعة راسخة وهيئات هيات أن يغيره متخرجون فى مستقبل الأجيال . وكيف يعلمون غيرهم ما يجهلون وكل امرئ بعامة مفتون والغرور يعمى ويصم والناس أعداء ما جهلوا . فاليكم أيها القادة أوجه خطابى هذا موقنا أنه يوافق مقاصدكم النبيلة التى اتجهت أنظاركم اليها حتى ترى زهرة البلاد مقبلين على العلوم عاكفين على البحث والتنقيب فلانعود نسمع من أكبر تاجر للكتب فى مصر أن أبناء البلاد معرضون عن الكتب العلمية عاكفون على الأدبية ونحوها

ان المتعلم اذا أقفلت عين بصيرته العلمية فلم يعشق العلوم كان آخر عهده بها نيل الشهادة ويكون ذلك مفتاح الشره والحرص فيودّ لو تفتح له الحكومة خزائنها ليقضى منها لبائته ويكون عالة عليها وهو فى غرور . أما اذا انفتحت عين بصيرته بما ذكرناه من العلوم فانه يعرج بأتمته الى مراقى الفلاح وإذا كانت مدارسنا الثانوية قبل عهد الاحتلال وفى عهده حافلة بهذه العلوم وكان المتعلمون غفر البلاد بها وكنا نتحسر على تلك الأيام فما أسعد هذا اليوم اذا خاطب شيوخ الأمة ونوابها وحكوماتها الوطنية وثمراتها الناضجة أن أغشوا البلاد وأنتم خلاصة الأمة وقادتها وفيكم فطاحل المتعلمين والنابغين قبل فوات الفرصة وليدرس المنهج الثانوى

الذي كان في مدارسنا قبل مسخه ويزد عليه ما يناسب هذا الزمان حتى يقول أبناؤنا  
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا \* وانا لندرجو فوق ذلك مظهرها

وها أنا ذا قد أدّيت ماوجب عليّ وهبتيكم الموقرة الرأي الأعلى

﴿ جوهرة سنية في أن جمال الكواكب قبسة من عوالم الجنات عجبت في هذه الحياة ﴾

اعلم أن الجبال على ﴿ قسمين ﴾ جمال يثير فينا ما كمن من اللذات الحيوانية والشهوات الجسمية لداعية  
التناسل فهذا أدنى القسمين \* وهذا نوع من العذاب المجهل في الدنيا وذلك يشير له قوله تعالى - فلاتجهبك  
أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون - وكل جمال  
لاحظناه في شجر أو زهر أو قصور أو حور في هذه الحياة وكان قصارى أمره الشهوات الطبيعية أو التملك أو  
ما أشبه ذلك فهذا قد شبت لذته بالألم وجنته بجهنمه وسعاده بشقائه فاننا نفرق بين جمال بستان تملكه  
وآخر لا تملكه بان الأول يخالط جماله تسكليف الملك وعذاب الحرص وحسد العدو وغيره الصديق ومطالب  
نموه ورعايته وحفظه بأن نسقيه ونقيم عليه الحراس وما أشبه ذلك

أما الذي لا تملكه من تلك المزارع والبساتين وما أشبهها فان خطر بأنفسنا الموازنة بيننا وبين المالكين  
له وتحسرها أو حسدنا فان ذلك من نوع العذاب \* فأما اذا لاحظنا أنه كشجر البادية أو كالغابات العامة فان  
ذلك الجبال لا ألم فيه يدعو لراحة النفس وسرورها وبهجتها على مقدار نصيبها من تعقل الجبال

ولذلك تجد أن لكل أمة من الأمم الراقية حقائق عامة وبساتين ومنتزهات تسرّ الجمهور \* فتراهم  
محرصون الحرص كله ألا تكون الأشجار مثمرة ولا الأزهار أرجحة ذكية الرائحة \* ذلك لتستمتع أبصار  
الجمهور ولا تتناول الأيدي ولو أن هناك أثماراً ما كولة لحرص الناس على أكلها وتسابقوا إلى نيلها ونسوا  
جمالها فتصبح تلك البساتين أشبه في جمالها بالرجال عند النساء وبالعكس \* فان جمال كل من الصنفين  
يدعو الآخر إلى التناسل الداعي إلى العمل في الحياة والشقاء \* إذن البساتين العامة في المدن جعلت لراحة  
الناس من مشاق الحياة وأسقامها وآلامها ونسيان مرأثرها وسعيرها فخل بينها وبين الشهوات البهيمية  
التي فرّ منها الناس إلى الضواحي والخلوات \* ألا ترى رعاك الله أن جمال الذكور والاناث انما هو طبيعة  
الذرية وما هو إلا كالحب يرمى به للطائر فيقع في الشبكات \* انه مقتدات لنظام الأسرات لاغير وكلما ازداد  
سهما وكبر بنوهما وبتاتهما رأيت الحب تحوّل من الجبال الأدنى إلى الجبال الأعلى جمال المعاشرة والمساوقة  
في تربية الذرية والتعاون والأنس والاشفاق بعد أن كانا في مبدا التعارف لا يلحظان إلا حجرة الخد وجمال  
الوجه واعتدال القد وطول الشعر ودمع العين ولعس الشفة وألا يفتقر الثغر إلا عن لؤلؤ رطب أو برد  
أو اقحوان \* أصبحا لا يذكران إلا صحة الولد واسعادته وتربيته وآدابه وقوته وتعلمه وما أشبه ذلك من  
مطعمه وملبسه \* فهذا كله دليل على أن الجبال في الجنسين وسيلة لا تقصد لذاتها بخلاف جمال الحقائق  
العامة والمنتزهات \* فان الجبال هناك مقصود لذاته ولو خالطته المواد الشهوية كالفاكهة لرجع إلى ماسم  
الناس منه في منازلهم وحياتهم الحيوانية \* اذا عرفت هذا فأقم وجهك إلى النجوم وانظر جمالها ولألاءها  
﴿ الكواكب جنات عجبت للفكرين واسكن أكثر الناس عنها محجوبون ﴾

يا سبحان الله ويا سعادته \* نظرت يا الله إلى الأمم الأرضية المعذبة فأرحتهم بالحدائق في ضواحيها  
وزرعت لهم في الطرق أشجاراً وجعلت لهم أوقاتاً يسمعون فيها الموسيقى وهكذا \* هذه لذات تسكاد تكون  
خالصة من الآلام ليريحوا نفوسهم من الأعمال الشاقة \* فانظر ماذا فعل الله بعد ذلك \* أقفل العيون  
وأقفل الجفون وأطفأ السراج الوهاج وأبرز النجوم وأشرقت الأرض بنور ربها في الليالي المدهشات وقال  
للحكماء وللعلماء ههنا هي الرياض فتمتعوا فيها وانظروا معانيها أتم اليوم في حظيرتي فيها كوها فلئن

أعدت أئمتكم الرياض العامة لرياضة العامة . فها أناذا أعددت حدائق السماوية لرياضة الخاصة فأنسيتمهم أسقام الحياة وآلامها أضعاف أضعاف ما أفعل مع العامة . ان العامة ألهمت الأمم أن يبدوا لهم ما هو أقرب لعقولهم وأدنى الى فهمهم فلم أخرجهم من سجن الحياة وذل المعيشة إلا لما هو أقرب اليها وهي البساتين العامة فهي بساتين أرضية . أما أئمت أيها الخاصة الذين أعددتكم لجواري والقرب مني بالعلم والحكمة فهاكم رياضاً جيلة واسعة هي مبادئ الجنات فهناك تلاحظون عظمة الوجود . فلئن ابتهج العامة والجهلاء بمنظر زهرة في شجرة فأنتم تبتهجون بدل كل زهرة بكوكب مشرق في ظلمات الليالي ترونه بأعينكم صغيراً وتلاحظونه بعقولكم كبيراً فبينما أعينكم ترسمه على شبكيتها كأنه ليمونة اذا عقولكم ترسمه أكبر من أرضكم وأعظم من شمسكم . وها أناذا أبحت لخيالك أن يتصور ما يشاء من الصور الحسان الجيلات فتتخيلون ما سمعتم عن الأرواح في العلم الحديث من أن هذه الكواكب ربما كان فيها سكان وانهم أرفع مقاماً من سكان أرضكم وأسعد حالاً وأنعم بالاً وأشرف منزلة وتمنون اللحاق بهم لتعيشوا معيشة أهناً وتسعدوا سعادة أكمل . فها أناذا ملأت خيالك بجمال باهر من النجوم ثم فتحت الباب على مصراعيه لتتسابقوا الى الخيرات وتقولوا فلتكن أعمالنا مرضية وقلوبنا نقية حتى نسارع الى ذلك الجمال ونعيش في باحات الكمال

أقول هذا هو البستان الذي زرعه الله للفكرين من سائر أئمة الأرض . وهذا البستان يجهله العامة في جميع الأمم ولا يعقلونه . هذا البستان لا ألم فيه ألبتة . فجمال الحور الحسان في هذه الحياة مشوب بالآلم أما جمال النجوم فانه مشوق لما وراءه من علم وحكمة ودراسة . وكما أن جمال الحور الحسان داع للتناسل . هكذا هنا جمال النجوم داع لدراستها . فليقرأ الناس أقدار الكواكب وأبعادها وأنوارها فتصبح العقول ونحن على الأرض في عوالم أرقى وأرقى ويعتدون المرصد في الممالك فيشاهدون مشاهد تنسيهم لذرة العقول الصغيرة على الأرض ويرون أن الضوء الذي يسير في الثانية الواحدة مقدار (٣٠٠) ألف كيلومتر يحتاج في وصوله إلينا من بعض الكواكب التي نراها ليلاً الى ثلاث سنين بل الى (٥٠) بل الى (١٠٠) بل الى (١٠٠٠) بل الى (١٠٠٠٠٠) ألف ألف . بل الى ستين ألف ألف سنة . وقد تقدم هذا في هذا التفسير في مواضع مختلفة . وأيضاً يرون اختلافاً في أضوائها كالاختلاف في أبعادها . فاذا جعلنا ضوء شمسنا واحداً فهناك كواكب من هذه تكون أضواؤها منها (١٥) مرات بل (٢٠) بل (١٠٠٠) بل (٨٠٠٠) ثمانية آلاف كالسمك الرابع بل أكثر مما لانعلم . وهكذا في أقدارها بما لا حصر له

هذا مجمل ما يفكر فيه المفكرون في عالمنا . إن الله عز وجل جعل على هذه الأرض أناساً أرقى من الناس وهم المفكرون وفتح لهم باب الجنة في هذه الحياة وهم على ﴿قسمين﴾ قسم فرح بتخييل الأنوار في أضواء الكواكب وهذا لذته خيالية فهو إذ ذاك في سلام وأمان من الهموم والأحزان ما دام على هذه الحال . وهذه الطبقة من الناس قد دخلوا في اللذة الخيالية التي سيكونون فيها في البرزخ بعد الموت . وقسم نظري في عوالم تلك العوالم ونفع الناس بها وأرشدتهم وهذا أسعد من قبله . ولأقول الإشارة بقوله تعالى هنا - وتحييتهم فيها سلام - . ولثاني الإشارة بقوله - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

﴿رياض الجنات التي أعدها الله في هذه الدنيا للعارفين وهيأها للفكرين في قوله تعالى - إن في

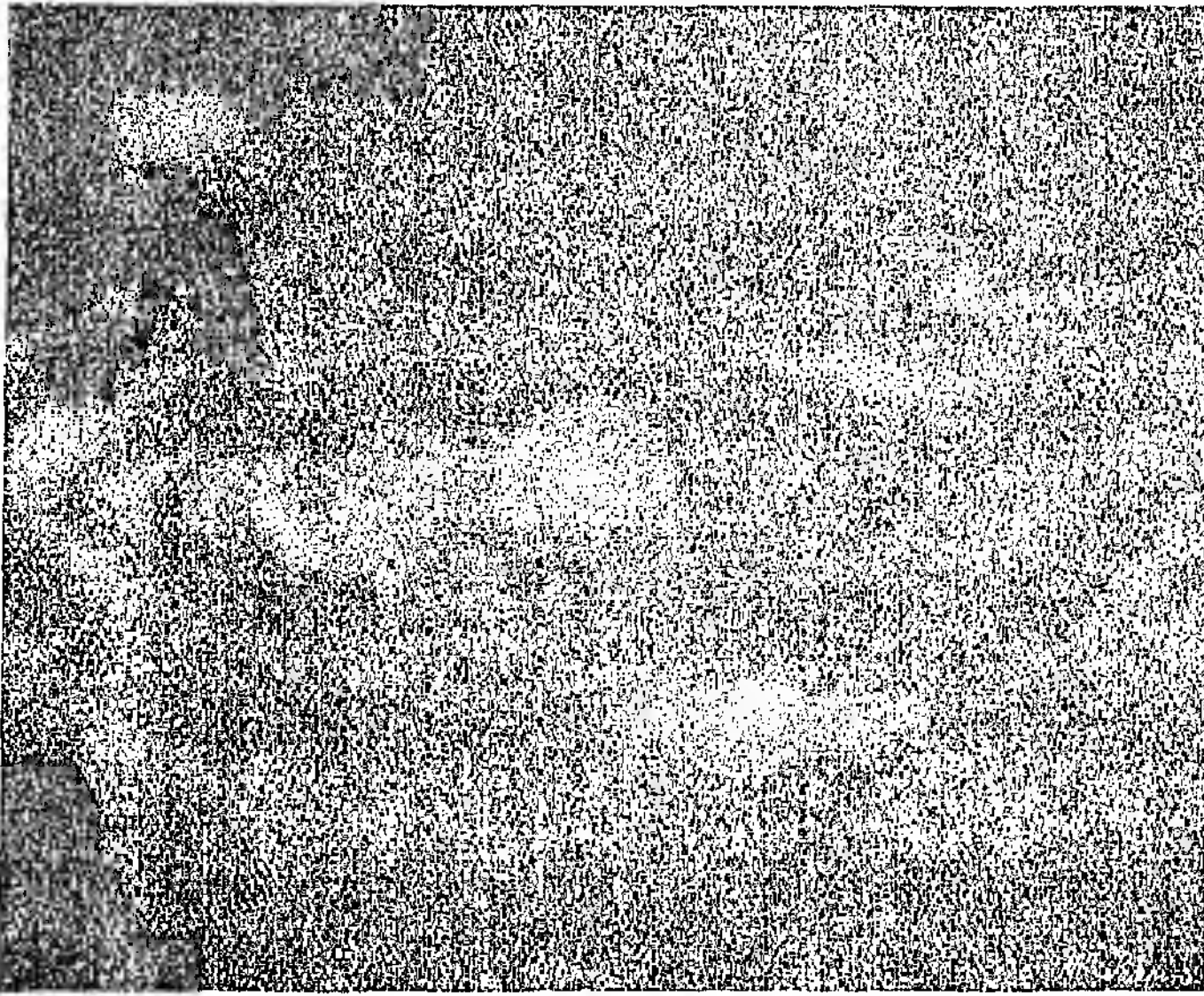
اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض الخ -﴾

لقد ذكرت لك كيف جعل الله للناس في الأرض رياضاً في المدن وأعدّها للعلماء وللجاهلين وقد ذكرت لك بعض رياض الحكمة في السموات . فلأترك في هذه المقالة الرياض الغناء في السموات التي كشفها الله اليوم وهيأها لمن بعدنا من الأمم الإسلامية ليكنونوا بها عالمين

تعلم أيها الذكي أن أرضنا التي نسكنها قد عرف الناس مساحتها ووزنها وبعدها كما تقدم في سورة الأنعام



وأنها تابعة للشمس . وهناك سيارات أخرى معروفة مذكورة في سورة الأنعام أيضا والسيارات أقمار وكلها للشمس تابعت . وهناك أيضا النجوم ذوات الذنب التي يقول العلماء في عصرنا انها كعدد السمك في البحار وكلها دوائر حول شمسنا . وما شمسنا هذه العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بنحو ثلثمائة ألف مرة وألف ألف مرة إلا إحدى الشمسوس وهي من أصغرهن قدرا وتلك الشمسوس تعد بمئات ألوف الألوف فيقال انها تبلغ نحو (٢٤٢) ألف كوكب شمسي . كل هذا معروف في هذا التفسير مرارا . فهذه الشمسوس كلها هي المكوّنة للمجرة . والمجرة يراها الناس بأعينهم كل ليلة صافية الاديم كأنها سائل لبنى أو كأنها تبين ولذلك تسمى عند العامة ﴿ طريق التبانة ﴾ وعند الانجليز ﴿ الطريق اللبنى ﴾ وعند علماء الدين ﴿ أبواب السماء ﴾ هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شمسوسها وهي ترى واضحة ظاهرة كما قلت لك في ليلة ليس فيها سحب . يراها الانسان بعينه معترضه السماء من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى والناس لا يعلمون عنها شيئا ولم تعلم حقيقة حق علمها إلا قريبا فقد كنا منذ نحو (٤٠) سنة ونحن بطلب العلم في دار العلوم نتلقى عن أساتذتنا في الفلك أن الشمسوس التي أمكن معرفتها في تلك المجرة لا تزيد على (١٨) ألف ألف شمس . أما الآن فقد عرف العلماء منها أكثر من (٢٤٢) ألف ألف شمس . وربما كان لكل شمس سيارات وتوابع . هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شمسوسها . وما هذه المجرة إلا روض واحد من رياض الله التي زرعها في هذا الجوّ الفسيح المملوء من الأثير فهناك ما تلقيناه عن أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسنى الذى هو أستاذنا في هذا العلم ثم أتبعه بما عرفه العلماء في عصرنا ل ترى الرياض الزاهرة والجال الفتان في السماء اتعرف معنى هذه الآية . وهذه صورة المجرة

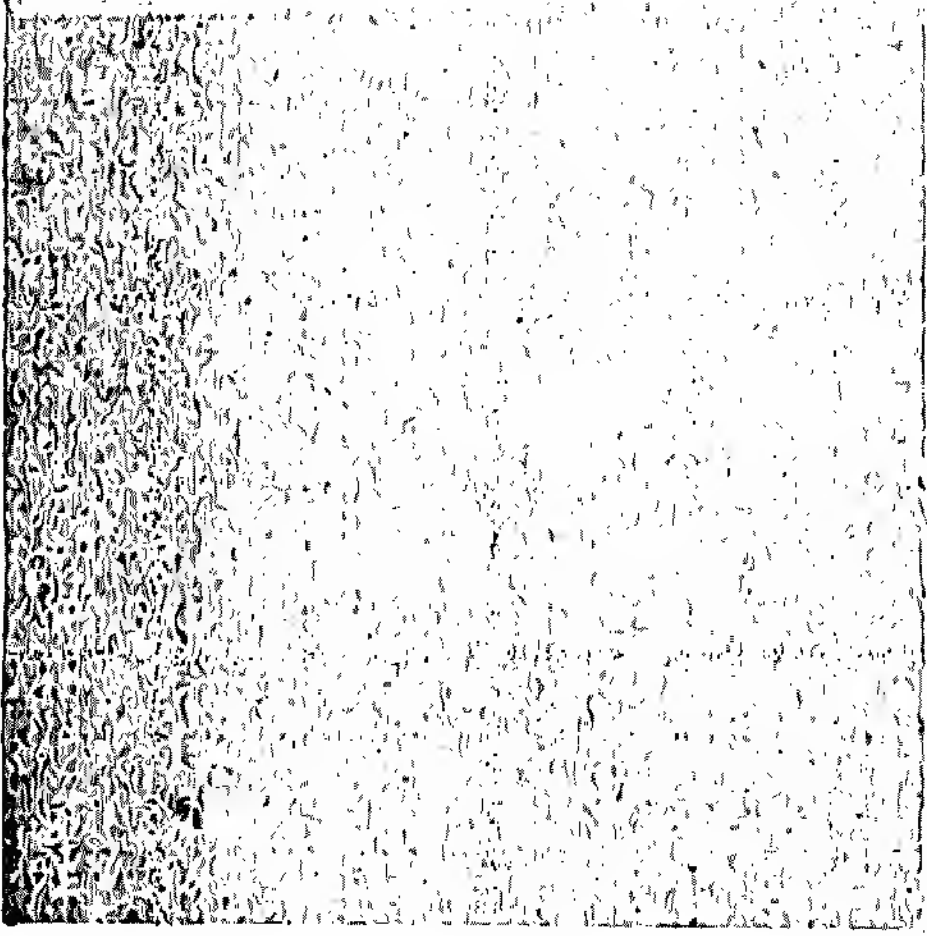


هذه هي الروضة الكوكبية التي شمسنا شجرة من أشجارها وأرضنا غصن من أغصان تلك الشجرة ومصر ورقة من أوراق ذلك الغصن . والقاهرة ذرة من ذرات الورق وسكانها وأنا منهم نعيش حول تلك الذرة الصغيرة ونحن الى الله ذاهبون . وكما أن القاهرة بلدة مما لا عدله من البلدان في الأرض . هكذا المجرة ما هي إلا روضة واحدة من رياض لا حصر لها في هذا الجوّ الفسيح . وقد قسموا تلك الرياض

( شكل ٣ )

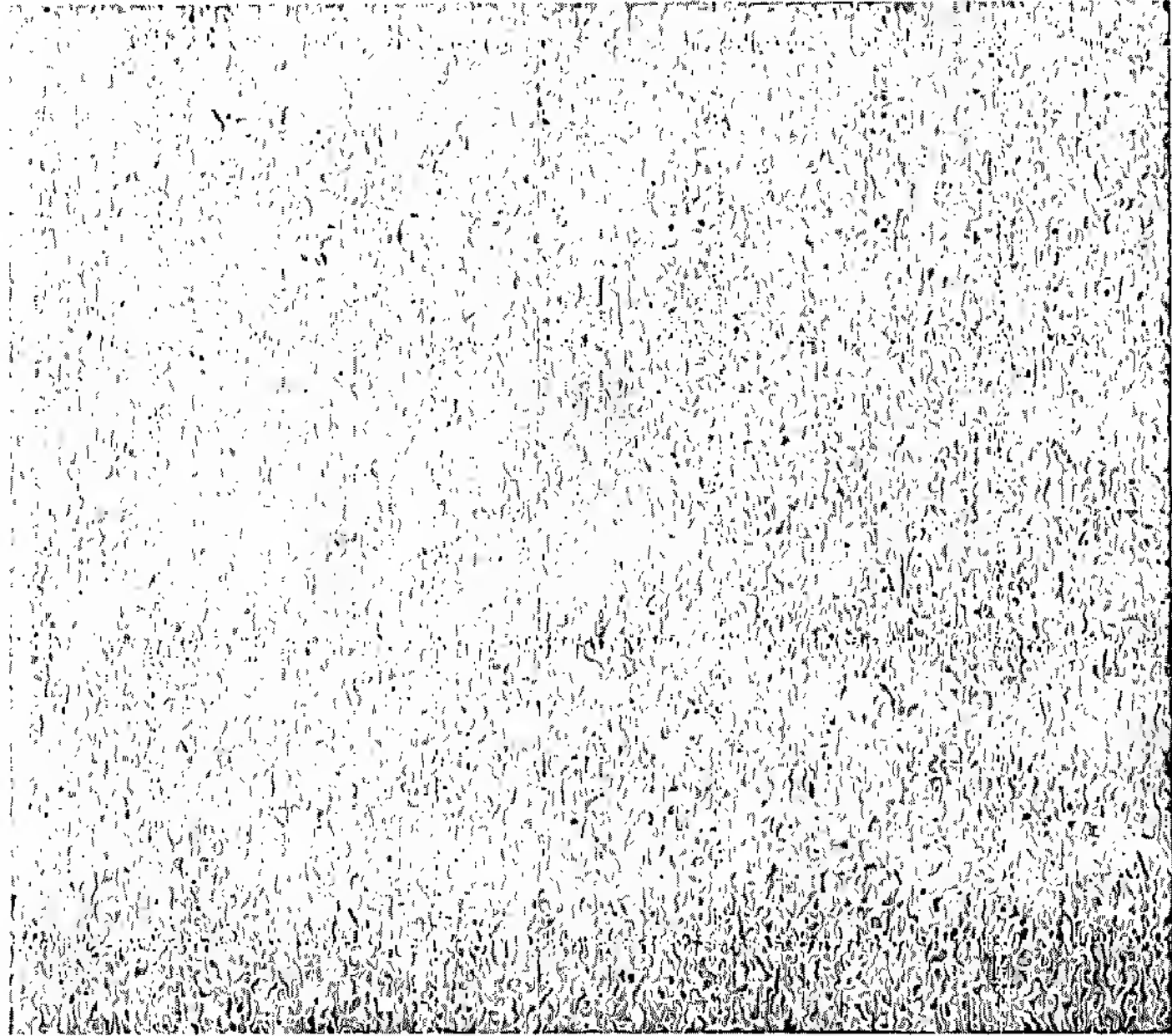
البهجة في السماء الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم منها يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليلها بالنظارات الى جملة نجوم وتسمى مجموعاته كوكبية . والقسم الثانى يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليل جزء منها الى نجوم بالنظارات . والقسم الثالث يسمونه (سدام) لا يمكن أقوى النظارات تحليله . هذه هي الأقسام الثلاثة التي اصطلح عليها العلماء . والقنوان جمع قنوا فكأن النجوم في هذين القسمين قنوا النخلة أو عنقود العنب ومن القسم الأول جملة الثريا الموضوعة في صورة الثور وهي مركبة من (٨٠) نجمة تقريبا ستة منها ترى بالعين المجردة . والسدام جمع سديم وهو في اللغة السحاب الرقيق وفي اصطلاح الفلكيين سحابة أوضاع

أوقطة نيرة سحابة، لاتحل الى نجوم مفردة بالظارات القوية  
( المجموعات الكوكبية )



تظهر المجموعات الكوكبية بشكل مستدير غالبا  
حتى يظن في مبدأ الأمر انها من ذوات الأذنان، ولكن  
عدم تغير شكلها وعدم تحركها يميزها عن ذوات  
الأذنان . والنجوم المتكوبة منها المجموعات الكوكبية.  
تظهر في جهة المركز أكثر عددا مما في الأطراف وقد  
حسب المعلم ( هرشل ) أن بعض هذه المجموعات التي  
شكلها كروي لاتشتمل على أقل من ( ٥٠٠٠ )  
نجمة منضمة الى بعضها في سعة قطرها الظاهري  
لايزيد عن عشر قطر القمر . وأشهر هذه المجموعات  
قنوتوكان وهي في السماء الجنوبي وترى دائما بالعين

العارية ( شكل ٤ ) والجزء المركزي منها ذولون أحمر برتقالي فاتح  
( شكل ٤ ) ومثل هذا القنوما هو مبين في شكل ٦ ( رسم قنوتوكان . شكل ٥ )



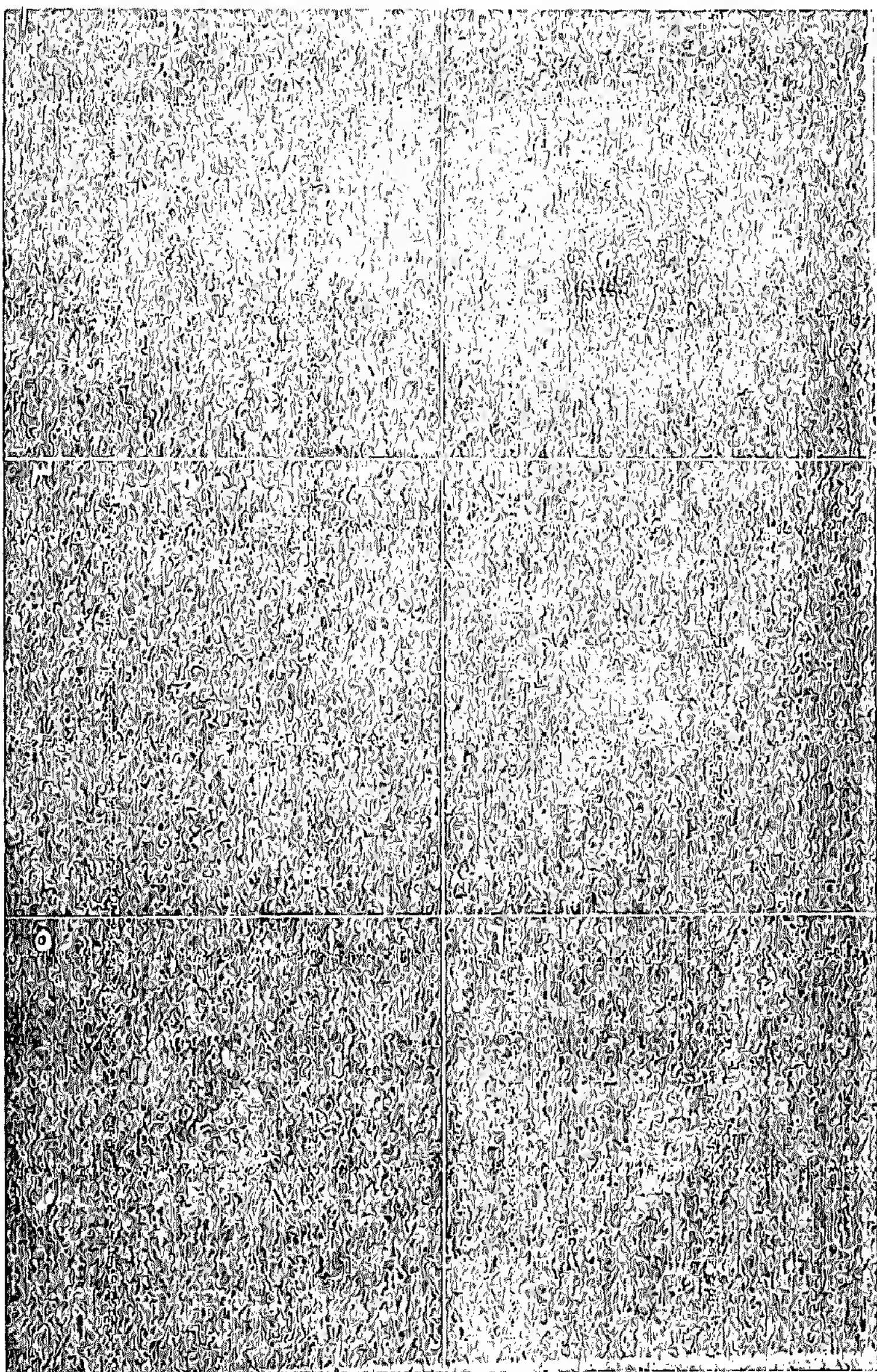
( شكل ٥ )

( القسم الثاني السدام التي يمكن تحليل بعضها )

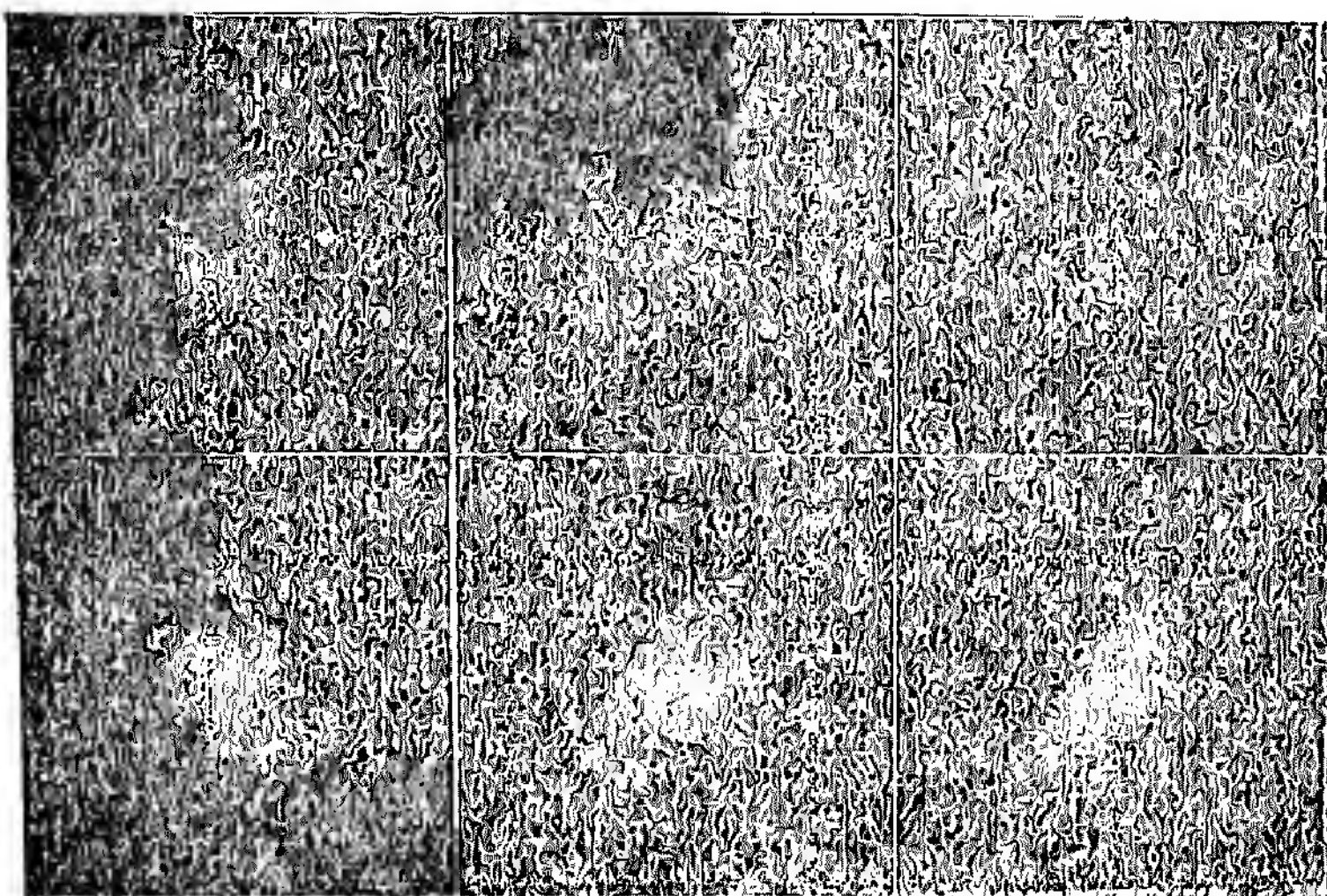
السدام التي ينحل جزء منها تظهر في الغالب على شكل منتظم قليلا أو كثيرا ولاشك في أن هذه المجموعات  
هي من المجموعات الكوكبية غير أنها موضوعة بعيدا جدا أو أنها مركبة من نجوم صغيرة جدا يمكن تحليل بعضها  
بالنظارات وبعض السدام ذات الشكل المنتظم مستدير وبعضها بيضاوي وبعضها ناقص مطاول جدا يقرب  
من المستقيم ( شكل ٧ ) وبعض السدام البيضاوية حلقية كما يرى في ( شكل ٨ ) وأحيانا ترى نجوم على  
نفس الحلقة



( شكل ٦ )



(١) من الميزان (٢) من الجأى على ركبتيه (٣) من الجمدى (٤) من اللو (٥) من الحية (٦) من الجوزاء



( شكل ٧ )



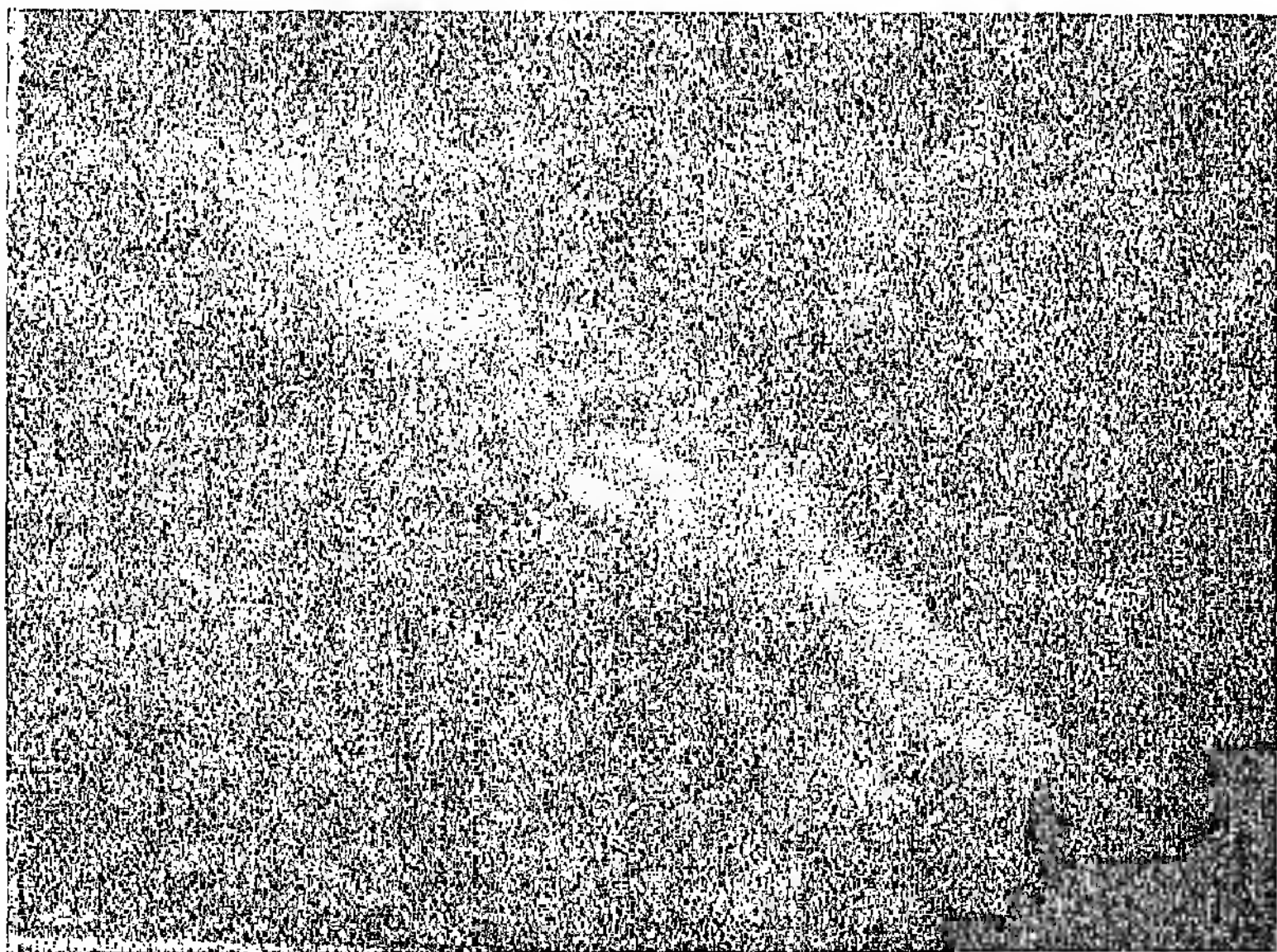
ومن ضمن السحابات المنتظمة ما شكله مخروطي أو كشكل ذات الذنب . ويمكن أن يكون انتظام الشكل مترتباً على قوة الآلة بحيث إن الانتظام لا يكون إلا ظاهرياً فعلى رأى (هرشل) تظهر سحابة كاب الصيد مثلاً على شكل حلقة مضاعفة في نصف دائرة وفي وسط الحلقة توجد سحابة لامعة جداً وخارجاً عن الحلقة على بعد منها توجد سحابة صغيرة مستديرة

(القسم الثالث) : السدم الغير المحاولة ذات الشكل غير المنتظم . توجد سدماً لا يمكن أقوى الآلات حلها وهي سدم الرقبة الثالثة . وهذه السحابات تظهر إما بشكل غير منتظم وذلك كسديم المرأة المسلسلة (شكل ٩) والسديم الحلقي الناقص للأسد (شكل ١٠)

( شكل ٨ - سديم المرأة المسلسلة )



( شكل ٩ - سديم الأسد )





وهذا القسم الثالث وهو السديم لم يعلم منه العلماء أيام تلقينا هذا العلم منذ أربعين سنة إلا خمسة آلاف فقط فهذه ترى كأنها سحب أبيضاب ولسكنها ليست واضحة وضوح المجرة . أما الآن فهناك ما قاله الدكتور (هبل) يقول انه رأى في ألواح التصوير المتصلة بالتلسكوب الأكبر الذي قطر مرآته (١٥٠) بوصة نحو (ألف ألف) أى مليونى سديم يبلغ بعدها عنا (١٤٥) مليون سنة . ومعلوم ان شمسنا يصل ضوءها لنا في (٨) دقائق و (١٨) ثانية وهذه المسافة يقطعها القطر في نحو ٣٣٥ سنة وقلة المدفع في نحو ١٢ سنة فانظر كيف يكون بعد تلك السديم التي لا تبعد بأقل من مائة وأربعين مليون سنة فتعجب

وهذه السديم منتشرة في أبعاد شاسعة جداً يبلغ البعد بين الواحد والآخر منها (١٨٠٠٠٠٠) سنة نورية . وفي كل سديم منها مادة تكفى لتكوين مليون شمس مثل شمسنا . ومعلوم أن شمسنا نجم من نجوم المجرة كما تقدم والمجرة نفسها سديم من السديم . فانظر أيها الذكى وتعجب

هذه هي الرياض الواسعة . هذه هي جنات العلم والحكمة . أرضنا صغيرة وحدائقها وبلدانها وبحارها حقيرة وشمسنا صغيرة ومجرتنا إحدى المجرات والمجرات بلغ المعلوم منها اليوم نحو ألف

ياسبحان الله وباسمائه . نحن محبسون في الأرض هذه الأرض الصغيرة . أما أنا فلا أرى فرقاً بين المسجونين في السجون وبيننا نحن على الأرض . فالمسجون يستروح بالأخبار عن أحوال أمته وأحوال حكومته ويتشوق لذلك وهو في حجرة ضيقة والناس في الخارج أحرار . هكذا نحن في هذه المجرة الضيقة عشنا محكوماً علينا بالبقاء في الأرض الى الموت وقد حرمانا من الصعود الى السماء لنبتهج بتلك الشمس وأنوارها وسكانها ومعجائبها ونفرح لأخبارها . وهذا قوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - وقوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء -

لاجرم أن الجنة ليست تحتنا بل هي فوقنا . إذن هي في السماء (راجع ما نقلنا من الأحاديث وأقوال العلماء في سورة آل عمران) . أفلمست ترى معي أن مثل هذا هو المقصود من قوله تعالى - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج - . أفليس هذا هو النظر في السماء . ثقب في الليالى الصافية أديم السماء فنرى قبة زرقاء جميلة الحيا بها مجموعات كأنها ضباب . وهذه المجموعات تبدو ضئيلة ثم بحث العلماء عنها فوجدوها نحو مليونين . سبحان الله إن البعد شاسع بين العالم والجاهل . الجاهل لا يرى في السماء شيئاً والعالم يراها موطن الكرامة والحكمة والمخلوقات العظيمة . هذا هو ما تشير له الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها فبعد أن ذكر الله ضوء الشمس ونور القمر والحساب واختلاف الليل والنهار قال - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الخ - فهذا هو ذا سبحانه ذكر الاطمئنان بالحياة الدنيا والغفلة عن آيات الله وعدم الرجاء في لقاء الله واستحقاق جهنم . كل ذلك بعد ذكر جلال السماء وكواكبها . فعلوم السماء فتح لأبواب الجنة والغفلة عنها فتتح لأبواب جهنم لأن الانسان لا يشاق الى حياة أعلى إلا اذا علمها . إما بانواع الوحي وإما به مع الدراسة العلمية كما أوضحناه غير مرة في هذا التفسير

(جوهرة في اشراق نور العلم في القلوب باشراف نور الكواكب)

ها أنت ذا أيها الذكى رأيت صورة المجرة وصوراً للعالم أخرى غير المجرة ورأيت أن عالم المجرة والعوالم التي تشابهها تزيد على مليونين ورأيت كلام العلماء في أبعادها التي بعدت جداً . ومعلوم أن كل ذلك تقريب فهناك الآن آخر ما وصل له نوع الانسان من العلم فيما رأيته فأقرأه وانتظر غيره واقراً علوم الأمم حولنا بعد أن تفقه ما ذكرناه . أنظر الى المجرة التي رسمت هنا في صورة (٣) ارجع البصر كوتبين لها تجد انها هي التي فيها كواكب كثيرة منها شمسنا . ان المسافة التي يقاس بها البعد بيننا وبين الشمس التي هي كوكب

من كواكب هذه المجرة نحو ٨ دقائق و ١٨ ثانية كما تتقدم بسير النور وقد عرفت بسير قلة المدفع وسير القطار في الأرض فلا نعيده . نحن لا نقيس بعد هذه المجرة إلا تدريجاً . إذا عرفت بعد الشمس منها فإن بعد أقرب كوكب من كواكب هذه المجرة وهو (ألفا قنطورس) يبلغ بسير النور ثلثمائة ألف ضعف بعد الأرض عن الشمس أي ثلاث سنين ونصف سنة نورية . فيا ليت شعري ماذا يكون ذلك البعد بالقطار أو بقلة المدفع مع العلم بأن النور يسير في الثانية ما يسيره القطار في نحو ٤٥ سنة وما تقطعه قلة المدفع في نحو سنة ونصف . ولننظر نظرة عامة في المجرة فنقول

يقول علماء عصرنا لتتخذ الشمس مركزاً ونرسم حولها كرة قطرها ألفا سنة نورية . فهذه الكرة تشمل جميع الكواكب التي نراها بالعين المجردة وإذا أوسعنا هذه الكرة حتى يصير قطرها خمسين وعشرين ألف سنة نورية شملت جميع الكواكب التي في نظام المجرة التي هي مرسومة أمامك . (صفة المجرة) هي تشبه حبة العدس قطرها (٥٥) ألف سنة نورية . والمسافة التي بين وجهيها عند مركزها عشرة آلاف سنة نورية . وخارج هذه المجرة عالمان آخران في غيوم (محلان) يبعدان نحو (٢٥٠) ألف سنة نورية وهناك كون آخر يبعد (٧٠٠) ألف سنة نورية ثم على مليون سنة نورية تجد السديم بين الكوكبيين في المرأة المسلسلة وكوكبة المثلث وكل منهما طوله الأطول نحو (٥٥) ألف سنة نورية وهو طول قطر المجرة

ولكن هذه المجرة وأبعادها الشاسعة عالم صغير جداً من العوالم . فإذا بعدها . (الجواب) هناك مجاميع من النجوم وقد رأيت بعضها مرسوماً أمامك في هذه الصفحات . وكل مجموعة منها فيها نجوم كنجوم المجرة وكلها منشورة في الفضاء كأنها بساتين زرعتها الله في الفضاء المتسع . أو كأنها جزائر في البحر فجزائرها الأرضية في البحار المائية وهذه جزائر في البحار الأثيرية التي تظهر لنا كأنها فضاء . ويقولون في عصرنا الحاضر أنها الأكوان (الجزرية) . ولأذكر لك على سبيل المثال سديم المرأة المسلسلة المتقدم وجده العلماء يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره خمسون ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم أكثرها لا تمكن رؤيته والكواكب التي نراها فيه تزيد ألوف الأضعاف على شمسنا من حيث النور واللحان بدليل أننا لو أقصينا الشمس عنا مسافة مليون سنة نورية لم يمكن رسمها بالمصور الشمسي . أمّا هذه النجوم التي تبعد عنا هذا البعد الشاسع فإنها ترسم . فإذا كانت شمسنا بالنسبة للكواكب التي عرفت صغيرة جداً وضوءها ضئيل . وإذا كانت المجرة فيها مئات الملايين من الشموس وكانت المجرات الأخرى فيها كواكب مثلها أو أكثر وهي أضوأ ثم أضوأ ثم أضوأ . أفليس هذا معناه أننا صغر في هذا الوجود وإذا قال الشاعر

\* إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل \*

فهكذا نقول إذا صغر أهل الأرض بجانب الأرض وبحارها وجبالها . وإذا صغرت الأرض بجانب الشمس . وإذا صغرت الشمس بجانب مئات الملايين من كواكب المجرة . وإذا صغرت المجرة بجانب ما يقرب من عدد ما يوين من المجرات فما نحن في هذا العالم إلا صغر وبهذا ففهم قوله تعالى - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - فعلمنا قليل كقلة أرضنا بالنسبة لشمسنا وشمسنا بالنسبة لمجرةتنا ومجرةتنا بالنسبة للمجرات وقد يدس الناس أن يعرفوا لهذه العوالم نهاية

وسيعرف المسلمون من ذلك معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - وقوله - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - اه

إذا عرفت هذا فهمت تفسير هذه الآيات . فإذا سمعت الله يقول - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - وختمها بأنه فصل ذلك لقوم يعلمون أدركت ما قدمناه من أن البساتين العامة للعموم . أما السموات فهي للعلماء بها وهسم الخواص . وإذا سمعت قوله

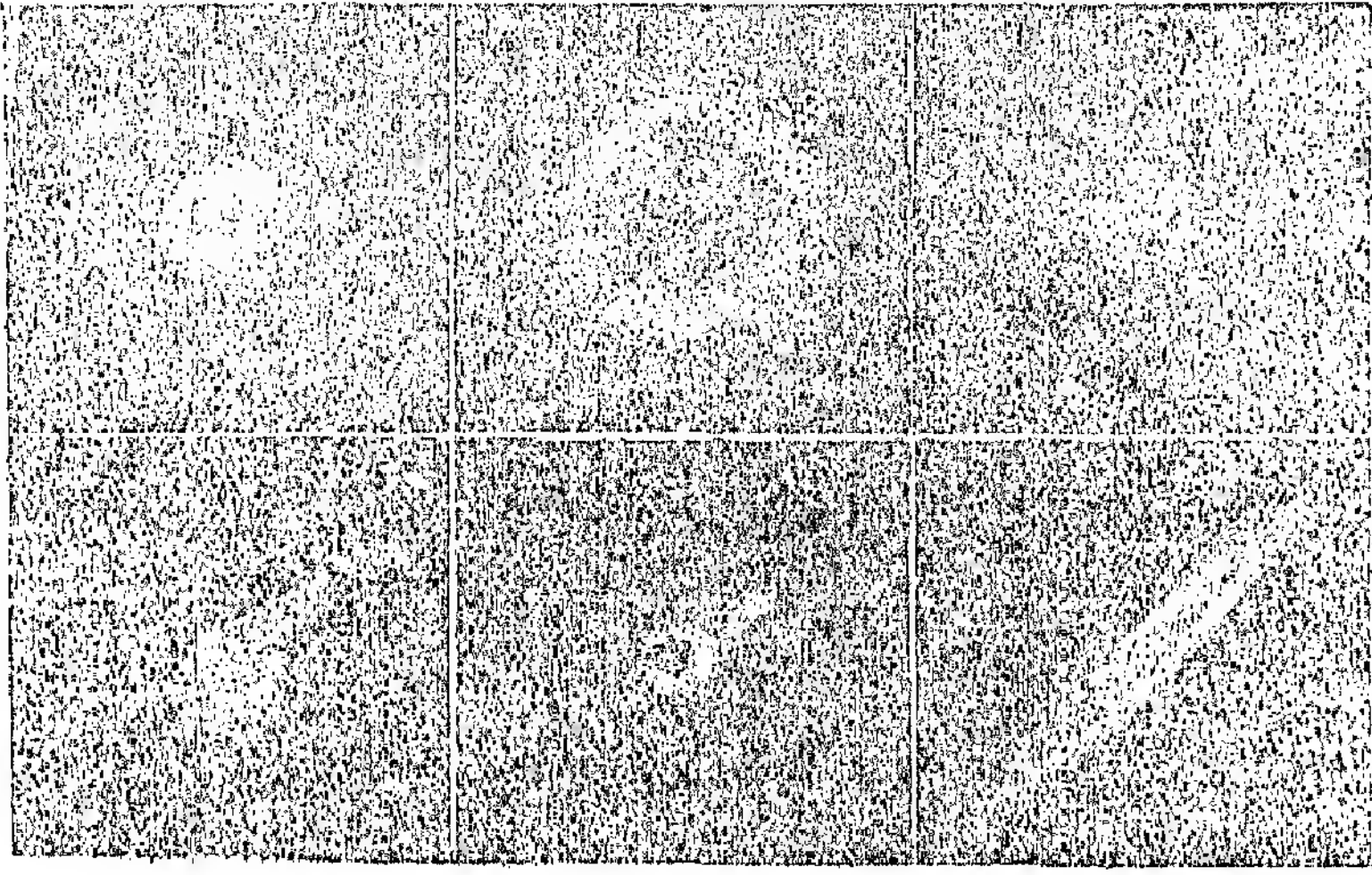
تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا . ثم وصفهم بالاطمئنان بها والغفلة أدركت ما تقدمناه من الحياة المنزلية وشقاؤها الذي لا مندوحة عنه وهو عين ما جاء في قوله تعالى عند ذكر الأولاد والأموال أنهما للعذاب في الدنيا

ثم لخص المقام كله بقوله - دعواهم فيها سبحانه اللهم الخ - وبيانه أن الانسان في الأرض أشبه مسجوناً أبعد عن ملكه كما تقدم . فهذا المسجون له ( أربع أحوال ) حال السجن . وحال الخروج مع عدم الامن من السجن . ثم حال الامن من السجن . ثم أن يعطى له ملكه . فهذه الدرجات الأربع تحصل لنا فنحن الآن في سجن تكاليف الحياة والشهوات وإذا خرجنا منها ربما وقعنا في شقاء آخر وهو المعبر عنه بجهنم . فإذا سلمنا منها فهو نعمة . فإذا أعطينا الكمال اللائق لنا فهذا غاية المراد فقوله تعالى - سبحانه اللهم - تنزيه لله عن الحوادث ملحوظ فيه تشبه العبد به في الخلوص من العلائق الدنيوية وهو المرتبة الثانية المتقدمة وقوله - سلام - هو المرتبة الثالثة . والرابعة كمال العلم بهذا الوجود الذي هو جنة العارفين في الدنيا وفي الآخرة الذي لا تحقق الحمد إلا به إذ لا معنى للحمد على تربية العالمين إلا بعد العلم بها ومن العالمين هذه الكواكب والشمس والقمر المضيئات المذكورات في الآيات التي يمتنع بها الخواص في الدنيا والآخرة والله يعلم أن العامة محرومون من هذا الجمال فألهم رجال الحقائق فزرعوا لهم من تلك البساتين بعض روضات منظمة على أشكال ( بيضاوية ) أي اهليجية وهي المسماة بالقطع الناقص التي تشبه دوائر الكواكب في السموات كدائرة الأرض حول الشمس فانها ليست دوائر تامة والشمس تكون في إحدى بؤرتيها صيفا وشتاء كما أوضحته في غير هذا المقام في التفسير . فبساتين العامة في بعضها ذلك الشكل كأنه يذكر العوام بدوائر الكواكب التي لا يعقلها ليلاً إلا الخاصة

### ( تذكرة )

أيها الذي سيقراً هذا التفسير إن شاء الله شبان من المسلمين في حياتنا وبعد موتنا وسيهرعون إلى بناء المراصد في الممالك الإسلامية في بلاد المغرب ومصر والشام والعراق وبلاد جاوه والملايو وسائر بلاد الهند الشرقية وسيكون هذا القول من أوكد الأسباب لارتقائهم في علوم النجوم وسائر علوم الحكمة لاسيما إذا قرؤوا ما سيأتي في تفسير قوله تعالى في سورة ابراهيم - وذكرهم بأيام الله - كيف كان موسى يذكر قومه بأيام الله وكيف ذكر نبينا ﷺ قومه بأيام الله . وكيف ذكرت أنا الأمم الإسلامية بأيام الله . وكيف يتجلى لك هناك ما برع فيه آباؤنا الأولون من العاوم في الفلك وغيره . وكيف شهد لهم العلامة ( سديو ) الفرنسي بأنهم سادات أوروبا وأساتذتها في العلوم وانهم هم الذين أصلحوا علم اليونان كما وضعه هو ايضاحاً تاماً ونقلنا أنا هناك بعضه . ثم كيف كان بعض ملوك الدولة العباسية يحاربون ملك الروم لأجل بخله عليهم بعالم يسمى ( ليون ) من شدة ولوعهم بالعلم . وكيف غير الله عقولهم في أواخر الدولة فطاردوا العلماء كما فعل الملك يعقوب في الأندلس بآبن رشد . وكيف ذلّ المسلمون شرقاً وغرباً بعد نبذهم العلماء . وكيف كان الجهل سبب خراب بغداد ومصر وبلاد الأندلس وتفصيل ذلك كله مع الإيجاز . ستقرأ هذا التفصيل هناك وتقرأ ما نبغت به بعد ذلك أوروبا لما أخذت علوم ابن رشد وكشفت من العلم ما انتفعنا به وأصبحنا عالة عليهم في علمهم وصناعاتهم . سيقراً هذا وذاك أبناءنا المسلمون والشرقيون وسيطيرون للعلم سراعاً ويرجعون مجدداً ضاع وعزا ذهب والله هو الولي الحميد وهو حسبنا ونعم الوكيل





( شكل ٨ )

﴿ فصل في قوله تعالى - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - ﴾  
اعلم أن اختلاف الليل والنهار قد فصلته تفصيلاً في سورة البقرة . وأما الكلام على ما خلق الله في  
السموات والأرض فهذا أنا إذا أريدك بيانا فوق ماضى منه في هذا الكتاب لينشرح صدرك وتكون رياضة  
بعد العناء في حساب السنين وأذكر لك لطائف

#### ﴿ اللطيفة الأولى . النبات المفترس ﴾

إن الحيوان المفترس يسطو على الغزلان والأرانب والمعز والغنم وما أشبهها . وهكذا كل حيوان يسطو  
على النبات فيأكله ليتغذى به والأكثر فيه أن يكون غير مفترس . وماذا تقول إذا قصص اليوم عليك  
نباتاً مفترساً ﴿ ذلك ﴾ أن العلامة ( آليس ) الانجليزى قد كشف نباتاً في ( أمريكا الشمالية ) له ورق كأنه  
مصيدة الفار وللورق مفاصل كمفاصل اليدين والرجلين في الانسان والحيوان وعلى ظاهرها زغب يقوم مقام  
الأعصاب في ظهر الانسان ثم هناك شوك يحيط بها من كل جانب فإذا جاءت حشرة صغيرة على الورقة  
أحسّ الزغب بها حالا فتنبهت الورقة فتطبق عليها ولا تدعها تفلت وتفرز مادة عليها كما نفرز نحن عصارة  
البنكرياس في المعدة والريق في الفم على طعامنا . وكما تفرز الحية المادة السمية فتضم طعامها بلا أسنان  
ولامعدة وحينئذ تمتص الورقة تلك الغنيمة وقد اقتضت لأنواع النبات من عدوها الحيوان وهي تقول ﴿ فيوم  
لنا ويوم علينا ويوما نساء ويوما نسر ﴾ وتقرأ - وتلك الأيام نداؤها بين الناس -

#### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

نبات مائي يسمى عند النباتيين ( بفاليسير ياسيبراليس ) وهو ينبت في مجارى الأنهار . واقده علمت في  
هذا الكتاب أن لكل نبات ذكر وأنثى وقد يكون الذكر في زهرة والأنثى في زهرة أخرى من الشجرة  
الواحدة كنبات القرع وقد يكون الذكر والأنثى في زهرة واحدة كالقمح وقد يكون كل منهما في شجرة كما  
في النخل . ومن النوع الأول هذا النبات المائي الذي نحن بصدد الكلام عليه فان للزهرة الأنثى منه ساقاً  
لولبيا طويلاً وهذا الساق يحمل الزهرة ويعوم بها فوق الماء مرقصاً لها في الهواء . أما الزهرة التي فيها  
لقح التذكير فانها ليست تعوم بل هي قريبة من المنبت تحت الماء فإذا جاء الأجل وحلّ أوان الثمر . فإذا  
يحصل . أتزل الزهرة الأنثى حتى تصل في الماء الى زهرة الذكور . أم يطول ساق الذكر حالا فيصل الى  
أعلى فيحصل الالتصاق . كلا . لا هذا ولا ذاك وإنما تنفصل زهرة التذكير وتبعد فوق الماء حتى تجتمع



بالأشياء وهي منفصلة ومتى حصل الانقح ينقبض لولب الأشياء حتى تصير في قاع مجرى النهر عند ساق النبات في أسفلها وهناك يتم البزرق فتعجب وزد علما واقرأ - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون -

#### ﴿ اللطيفة الثالثة • شجرة تفترس انسانا ﴾

جاء في بعض المجلات المصرية العصرية أن في بعض الجزائر شجرة يقصدونها أهل تلك الجزيرة ويعبدونها ويقدمون لها في كل سنة فتاة يختارونها لذلك فيحضرون معهم آلات الطرب من طبل وغيره ويضعون هذه البنت في أعلى الشجرة في مقعد هناك فيه مادة حلوة لذيذة من نفس الشجرة تشرب منها الفتاة فتسكر وتغيب حواسها فلا تلبث تلك الشجرة أن تجتمع أوراقها وأغصانها وأشواكها النافذة وقضبانها الملتوية التي تشبه الحبال فتتنضم جميعها على الفتاة والأوراق تكتم أنفاسها والحبال تلتف حولها والشوك ينفذ في باطنها من أعلى ومن أسفل وتأخذ الشجرة إذ ذاك تمضغ الفتاة وتهضمها وهي لا تقدر على النجاة والقوم يدقون الطبول فرحا بهذا العيد الديني وفي الحال لا يسمعون نأوه الفتاة وأنيبها وعويلها وصراخها ثم ينصرفون بعد ألا يبقى لها إلا ما تلفظه الشجرة من عظام لا لحم عليها ولا عرقا وهكذا • وذلك أيضا من انتقام النبات من الحيوان جزاء ما يفعل الحيوان في النبات - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

#### ﴿ اللطيفة الرابعة كيف تظهر صور المخلوقات في فصول السنة الأربعة ﴾

أنظر للدنيا في فصل الربيع (من اخوان الصفاء) فاذا نزلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية وامتد الأنهار ونبت العيون ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاأ الزرع وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الأرض وأخرجت زخرفها وازينت وفرح الناس واستبشروا وصارت الدنيا كأنها صبية شابة تزينت وتجلت للناظرين

#### ﴿ فصل الصيف ﴾

إذا بلغت الشمس آخر الجوزاء وأول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وأخذ النهار في النقصان وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السموم ونقصت المياه وييس العشب واستحكم الحب وأدرك الحصاد ونضجت الأثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان وأخصبت الأرض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وبطرا الانسان وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة رعاء ذات جمال

#### ﴿ فصل الخريف ﴾

إذا بلغت الشمس آخر السنبلة وأول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى وأخذ الليل في الزيادة وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت ريح الشمال وتغير الزمان وجفت الأنهار وغارت العيون واصفر ورق الأشجار وصرمت الثمار وديست البيادر وأحز الحب وفنى العشب واغبر وجه الأرض وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحوش الى البلدان الدفية وأخذ الناس يحززون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب

#### ﴿ فصل الشتاء ﴾

إذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وانجحرت هوام الحيوانات في بطن الأرض وضعفت قوى الأبدان وعرى وجه الأرض من زينته ونشأت الغيوم وكثرت

الانداء وأظلم الهوام وصارت الدنيا كأنها تجوز هزيمة مدبرة قد دنا منها الموت . فإذا بلغت الشمس آخر الحلات وأول الليل عاد الزمان كما في العام الأول وهذا دأبه . ذلك تقدير العزيز العليم . اهـ

هذه صورة . ما خلق الله من شئ . في فصول السنة الأربعة وقد قال . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . أي تناقض ولا اختلال . وها أنت ذا قد شاهدت أن هذه الرواية تمثل كل سنة تمثيلا متواصلا لا اختلاف في فصول الروايات من حيث العموم وإنما تختلف في أحوال جزئية . فتبارك الله أحسن الخالقين .

﴿ فصل في قوله تعالى . إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا الخ . ﴾  
لابد في ذكر المناسبة بين هذه وما قبلها من بيان مقدمة في جبلة الناس وغرائزهم وما فطروا عليه اعلم أن الناس في هذه الدنيا مولعون بما خلقوا له مغرمين بما استعدوا له لا يرجون سواه ولا يحجون إلا الوصول إليه

- (١) فالفتاة في المدرسة مغرمة بالعراس تلبسها وتلب بها
- (٢) والصبيان فيها لا يهنأ لهم إلا حب السلاح وآلات الحرب غالبا والمغالبة في اللعب ﴿ ذلك ﴾ أن الفتاة خافت للولادة والتربية والفتى سيكون من شأنه مدافعة الأعداء عن البلاد
- (٣) ونرى قوما يملكون بحسب ما طبعوا عليه إلى التجارة
- (٤) وقوما للزراعة (٥) وقوما للإمارة (٦) وقوما للملك (٧) وقوما للعلم
- (٨) وكل هؤلاء مختلفون اختلافا كثيرا

وقد ظهر بالاستقراء أن من طلب شياً وهام به ناله كاله أو بعضه على مقتضى حاله . وليس يكون الانسان مغرماً إلا بما شاكه وقد يناله . فهمل تغرم الفتاة بالآلات الحرب والقتال . أم المستعد للإمارة بصناعة البذل \* ففي الحديث ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ . فليست ترجو الفتاة سلاح الحرب غالبا وليس يحب الفتى أن يكون مرضعاً وظئراً للأطفال وهكذا واذن أصبح الناس بالنسبة إلى الأشياء على ﴿ قسمين ﴾ قسم مستعد للشيء يرجوه . وقسم ليس بمستعد له ليس يرجوه . فالخداد مثلاً عادة لا يستعد للحكمة والفلسفة فهو لا يرجوها ومن خلق مستعداً لها يرجوها فينالها الثاني ويحرم منها الأول

فلننظر إذن نظرة في هذه الآيات نجد وصف السموات والسموات ككب وسير الشمس والقمر وهذا من نوع الجمال العالي وفي نوع الانسان عشاق لهذا الجمال وفيه من لا يشقون بل هم مكتفون بالماكل والمشرب والتناسل كالذباب والأنعام والمغالبة كالآساد . فعشاق هذا الجمال يعكفون على الحساب والهندسة والجبر والفلك وحساب المثلثات ويهرعون إلى المراصد فينظرون النجوم ويتأملون أشكالها وجمالها وحركاتها ويدققون ويحسبون وهم بذلك فرحون مستبشرون . فهؤلاء يتمنون لو يساعدهم المقدر ويسبحون في عوالم السماء حتى يقفوا على كنه تلك العوالم ويعرفوا جمال الصنعة الالهية وكلما ازدادوا علماً زادوا سروراً وبهجة بتلك العجائب والبدائع . فالنظر للعوالم العلوية يهيج الصدور ويجعل الانسان مغرماً بالاطلاع على جميع العوالم . أقول فهل هذا الغرام خلق في بعض هذا الانسان باطلا كيف وقد خلقت الفتاة ومعها غريزة تربية الصغار في اللعبة وهي طفلة وكذلك الفتى يغرم بالسلاح الذي هو من جنس ما يكون في مستقبله وهكذا أرباب الصناعات والحرف كل يميل إلى ما خلق له كما كانت أمة اليونان في قديم الزمان تدخل الصبيان في الهياكل وقد وضعوا فيها صور جميع الحرف ويسألون الصبي عما يميل إليه فيجيبهم فيحكمون عليه بأنه من أهل هذه الحرف وقد خلق لها

فإذا كان الاستقراء أثبت هذه القاعدة فلننقص الغائب على المشاهد ولنقل أن من أغرم بهذه العجائب سيكون له مستقبل في الوصول إليها وأن العالم الأخرى أي ما نراه بعد الموت قد أعد لكل امرئ فيه ما

استعد له في الدنيا . فأهل الغرام بالجمال في صور هذا العالم من حيث الحكمة ودقة الصنع وادراك المحاسن سينقلون هناك على تلك الحال وينالون حظا مما أغرموا به وعشق هذه الأفلاك عشق لخالقها ومنظمها ومبدعها فهذه غرائز أوشبه غرائز في النفوس فلا بد من الوصول الى ما استعدت له وهذا هو بيت القصيد ولذلك قسمت الآية هنا الناس (بعد الكلام على عجائب الأفلاك والطبيعة) قسمين ﴿ قسم لا يرجو لقاء الله ورضى بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن هذا الجمال . وقسم في جنات النعيم ولهم ﴿ ثلاث درجات ﴾ في تلك الجنة ﴿ أولا ﴾ ينعمون الله بنعوت الجلال وهي صفات التنزيه وهم منغمسون في لذات الجنة ونعيمها ثم يرون بفكرهم أن خالق الجنة أكبر من هذا كله وأعظم فيسبحونه أي ينزهونه عما هم فيه من النعيم ﴿ ثانيا ﴾ تمتدى أيام سعادتهم فيحوي بعضهم بعضا بالسلام وهو الأمان من المخاوف فيقولون لبعضهم ان هذه اللذات في الجنة لا يمتريها نقص ولا فقر ولا هم ولا غم فهذا هو السلام الذي يدور بينهم وبين بعضهم وهذا من أعظم السعادات إذ يرى الانسان نسيمة لا نقص فيه وقد فهموه من أنفسهم ثم يترقون من هذه المرتبة الانسانية فيسمعون سلام الملائكة كما قال تعالى - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم - وهذا سلام أعلى ويحسون إذ ذاك بسعادة أجمل من الأولى لأن سلام الملائكة من عالم منزه عن السادة فيكون أجمل وألطف وهذا يهدم لسمع السلام من الحق فذا سمعوه خروا ساجدين ونسوا نعيم الجنة وحقر في أعينهم كما يصغر طعام الملك عند من حظى بمجالسته ومؤانسته واذن يكون غذاؤهم هو النظر في ذلك الجمال الأبهى وفي عجائب القدرة وهذه هي المرتبة الثالثة مرتبة الحكماء والعلماء والأنبياء الذين مارسوا هذا الجمال في هذه الحياة الدنيا فيقولون - الحمد لله رب العالمين - وذلك أنهم يطلعون على تربية العوالم المحسوسة والمعقولة وهناك تكون السعادة الروحية التي يحس الناس ببعضها في أوقات قليلة بل إن كثيرا من الناس قد أولعوا بالعلم حتى نسوا كل شيء فما بالك اذا كان ذلك في تلك الساحات البديعة والمقامات الشريفة . وان أردت شاعدا على ذلك من العالم الأخرى ولم تكف بالاستنتاج فاسمع ما قالته روح (غاليلو) الفيلسوف الفلكي حين أحضروها ليستطلعوا رأيها في أحوالنا بعد الموت فأملت عليهم مقالا مصداقا لهذه الآية . فلقد أوضح هذا المقال أيما إيضاح وكشف عن هذه الحقيقة اللثام وجاءنا من عالم الغيب يخبرنا أنه منهم بالتفرج على عجائب الفلك وأنواع النجوم بحيث يراها بأنفسها وأقدارها وأشكالها وأنه شاهد عوالم أرقى نفوسا وعقولا وأخلاقا ومدنية ولهم أعمال غير أعمالنا وعقول غير عقولنا وأنه هو يطوف في تلك الأرجاء ويتنهب بمראها . وأفاد أن الكواكب هناك مع عظم قدرها تتفرج عليها الأرواح الفاضلة كما تتفرج نحن على الزهر في الشجر . وبين أن أرضنا هذه ستزول من الوجود . وأما أرواحنا فانها تبقى ثم ترتقي في عوالم أخرى عند الله وتسكن عن المجرة وكيف يطلع هو اليوم على الملايين من النجوم فيها ثم ينتقل الى مجرة أخرى وهكذا في العوالم الشاسعة العجيبة . وهذا القول من روح (غاليلو) هو ما يقوله علماءنا وإن جنة العارفين هي العوالم والمعارف ولا نهاية لها . أما جنة المغفلين فهي المأكول والمشرب . وأن لا أطيل لك أكثر من هذا وان أردت الاطلاع على هذا المقال المفيد الطويل فاقرأه في تفسير سورة آل عمران المتقدم في المجلد الثاني . ولعلك تقول . كيف يقول (غاليلو) ذلك وهو كافر بالله . أقول هذا القول لم أجزم به وإنما نقلته ليعلم الملحدون من المسلمين أن عقيدة الآخرة موجودة بأوروبا التي هم يقتسونها فاذا كفروا بذلك فهم لا شرقيون ولا غربيون لأن الاتحاد قد جعله بعض صغار العقول من المتعالمين صناعة يرتقون بها إذ يوهمون الناس أنهم علماء حتى كفروا بعلمهم . وهناك اجابات أخرى على هذا الاعتراض في تفسير آل عمران فارجع اليه هناك . انتهى تفسير القسم الأول من هذه السورة

﴿ مناسبة هذه السورة لآخر التوبة ﴾

قبل الانتقال الى القسم الثاني يحسن أن نذكر مناسبة هذه السورة لما قبلها بإيضاح فنقول  
لقد ذكرت في آخر سورة التوبة هذه المناسبة . وأريد الآن أن أذكر المناسبات المتشابهة من أول  
سور القرآن الى هذه السورة غير ما ذكر لكل منها خاصيته ان الجزء الثاني من سورة الفاتحة يشمل على طلب  
الهداية الى الصراط المستقيم . صراط المنعم عليهم . وأول البقرة يفيد أن هذا الكتاب -- هدى للمتقين --  
وهم الذين عبر عنهم في الفاتحة بالمنعم عليهم . وآخر سورة البقرة جاء فيه أن الرسول ﷺ والمؤمنين آمنوا  
بالقرآن وبالملائكة والكتب والرسل بعد ذكر أن الله ، في السموات والأرض وأنه سبحانه يعلم ما تخفيه  
وما نظره . وهاهوذا في أول آل عمران يذكر القرآن والتوراة والانجيل وكل ما يفرق بين الحق والباطل  
وهذا راجع للأمر الثاني في البقرة . ويقول لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو راجع للأول  
أما آخر سورة آل عمران فهو طلب التقوى من المؤمنين . وأول سورة النساء طلبها من سائر الناس لأن  
الرسول ﷺ عام للأمة كلها . وقيل آخر سورة النساء -- فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم  
في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما -- وأتبعه بجواب استفتائهم في مسألة الكلالة . وأول سورة المائدة  
خطاب هؤلاء المؤمنين بأوامر بعد أن أجاب استفتاءهم . وآخر سورة المائدة أن الله له ملك السموات  
والأرض وما فيهن . وأول سورة الأنعام بيان سبب كون الملك مختصا به . ذلك لأنه خلقهم فهو يقول له  
ملكهم ما ثم يقول هو خلقهم وخلق الظلمات والنور . وفي آخر سورة الأنعام يتبرأ من الذين فرقوا دينهم  
وكانوا شيعا . ثم أتبعه بطريقة الهداية وبإخلاصه لله إذانا بأن الذين فرقوا دينهم يخالفون هذا التسليم  
لله وهذه الهداية . وفي أول الأعراف أخذ ينذر من كفر ويذكر المؤمنين تبليانا لنتيجة تبرئته منهم .  
وفي آخر سورة الأعراف يقول -- يسألونك عن الساعة -- فأجابه بأن علمها عند الله وأتبع ذلك بأنه لا  
يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن الناس كلهم كذلك لأنهم في قبضته لأنه خالقهم واستطرد بدم الأسماء والشیطان  
وبطلب الاصغاء للقرآن الخ . ثم أتبعه بقوله -- يسألونك عن الأنفال -- فكما سألوه عن الساعة فكان  
العلم عند الله . هكذا سألوه عن الأنفال فكانت الإجابة عنها من الله . وآخر الأنفال -- إن الذين آمنوا  
وهاجروا الخ بعضهم أولياء بعض -- وهكذا الذين بعدهم . فليخص ذلك أن هنا صلة دينية عامة وصلة  
رحم خاصة فلم يبق إلا ذكر الكفار بالبراءة منهم . أما آخر براءة فانه يفيد (١) أن الرسول ﷺ منهم  
(٢) يهتم بأمرهم (٣) وهم ربما يعرضون عنه (٤) وهو يتوكل على الله رب العرش العظيم  
وأول سورة يونس انكار على الناس تعجبهم من ارسال رجل منهم اليهم وهو راجع للأول وكان حق  
التعجب أن يكون من ارسال ملك لأن الموعظة انما تكون ممن يشاكل لامن المخالف في الجنس وقوله  
-- أن أنذر الناس وبشر المؤمنين الخ -- راجع الى الثاني وهو الاهتمام بأمرهم وقوله -- قال الكافرون إن  
هذا لساحر مبين -- راجع للثالث وقوله -- إن ربكم الله -- الى قوله -- ثم استوى على العرش يدبر الأمر --  
راجع الى الرابع فهو توكل عليه لأنه رب العرش العظيم في آخر التوبة . وهنا فصل ذلك بأن استواءه على  
العرش بعد خلقه السموات والأرض لأن الملك انما يدبر الملك بعد تأسيسه . فههنا المناسبة دقيقة ثابتة انما  
الذي يعوزه التفصيل . انه عبر هنا بقوله -- رب العرش العظيم -- ثم عبر بأنه خلق السموات والأرض الخ --  
يقول ﷺ ان الله كافيه لأنه ملك متصرف في ملكه

﴿ بيان الفارق بين توكل علينا ﷺ وتوكل هود في سورته الآتية ﴾

فأما هود فانه يقول -- إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بما نصيحتها ان ربي على  
صراط مستقيم -- فهو توكل على من بيده نواصي كل دابة . ومحمد ﷺ توكل على من له العرش العظيم



وخلق السموات والأرض فكل منهما تذكر من صفات ربه ما دل على نزعة نفسه . فهو يريد السلامة له  
ولمن اتبعه لأنه عادل في عمله فهو يحفظ كل نسمة ويكأوها ومحمد ﷺ يفكر في أمر الملك العام والنظام .  
فهو متجه إلى النظام العام وهذا هو الذي يليق باتباعه

أيها المسلمون انظروا كيف كان اتجاه النبي ﷺ واتجاهه إلى النظام والملك والعرش والاصلاح العام  
فأعطى ذلك واتبعه أصحابه وأتم منهم فها هم إلى الحكمة والعلم والنظر العام . أيها المسلمون كأني أرى بعيني  
رأسي أقواما منكم نبغوا في العلوم كلها وفاقوا الأمم . تلك الأمم التي لا تريد إلا أنفسها ولا تحافظ إلا على  
كيانها . أما أتم فانكم الأعلون وأتم تنظرون إلى النظام العام نظام السموات والأرض ونظام الأمم  
كونوا على قدم نبيكم ﷺ ولا تفسى لكم ذلك إلا بالفكرة التي ذكرها في التوكل عليه فوجه وجهه شطر  
العرش العظيم وفصل ذلك في يونس بأنه - يدبر الأمر -

ان أفضل صفة الانسان أن يتشبه بالله بقدر طاقته البشرية والله يدبر الأمر فليدبر المسلمون الامور في  
الأرض تابعين في ذلك ربهم بعد درس نظامه ونظام الأمم وليكونوا خير أمة أخرجت للناس . ومستحيل  
أن يتم ذلك لنا نحن في المستقبل إلا بالعلم والعمل الذي شرحناه في هذا التفسير . المسلمون يتخللون القارات  
كلها فإذا صلحوا أصلحوا كل الأمم . والاصلاح العام هو تآخي جميع الانسانية الذي ورد في الأحاديث أنه  
الاصلاح العام المعنون عنه بنزل عيسى عليه السلام ولقد شرحته في هذا التفسير مرارا وقلت في غير موضع  
انه لن يتم ذلك إلا بأخذ العدة له وتعميم التعليم في بلاد الاسلام الخ

لم يكن الله ليجعل الاصلاح طفرة فذلك ما لا نراه فلم يخلق الطفل في لحظة بل أبقاه في بطن أمه تسعة أشهر  
ولم يجعله شيخا الا بعد مروره على أحوال شتى . اللهم ان الاصلاح العام وتدير الأمر في الأرض ونظام  
العرش الانساني المناسب لعرشك العظيم الموزون المنتظم لم يحصل فيما مضى ومستحيل أن يحصل في المستقبل  
الا بعد اعداد الأسباب واتخاذ الوسائل وتمهيد الطرق وتسهيل السبل له بارتقاء الأفراد والأمم سنين وسنين .  
هنالك يصح القول ان الناس يستأهلون أن يقبلوا تعاليم المهدي أو المسيح . أما أن فردا سينزل إلى الأرض  
بضع سنين فيغير الأخلاق ويصلح الأحوال إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين فهذا لم نعرفه في عمل الله عز وجل  
ان ولادة الجنين انما تكون في حينه بعد استعداده للخروج . فالله مدبر للأمر كما في هذه الآية مستو  
على العرش والتدبير يتطلب النظام والترتيب . اذن ان يكون المسلمون قائمين بمعنى هذه الآية لا بنشر العلوم  
ومعرفة نظام هذه الدنيا والسعي في التعاون العام . هذا هو الذي يؤخذ من هذه الآية وبعض ضعفة العقول  
في بلاد الاسلام يتسكلون على المسيح اذا نزل بل هم يظنون أنهم ينامون على فراش الراحة الوثير ويقضون  
أوطارهم وهم آمنون بلامقدمات ولا أسباب . وهذا معناد الكسل والنوم . وهذا ضد النبوة والدعوة  
المحمدية على خط مستقيم فنحن نتوكل على الله رب العرش العظيم الذي يدبر الأمر . فهكذا نحن يجب أن  
نتشبه بمن نتوكل عليه في تدبير الأمر لا أننا نبيت قوانا ونتكلم على من سيرسله الله اليما فيسعدنا ونحن  
نائمون . كلا . ثم كلا

#### ( العقائد لمقاصد )

إن العقائد انما أنزلت لحثنا على الفضائل لا لاقرار الرذائل . عقيدة المسيح وان كانت أشبه بالظنيات  
لأنها من الأحاديث الصحيحة قد جاءت لنعمة العدة ولنكون المثل الأعلى في هذه الأرض ونقود الأمم قيادة  
المحبة والسلام والوئام كما تقدم مرارا في هذا التفسير بإيضاح حين تضع الحرب أوزارها . هكذا عقيدة الايمان  
بالملائكة لنعلم أن هناك حالا أخرى بعد الموت أشبه بحال الملائكة للأبرار وبحال الشياطين للفساد  
ففقيدة الملائكة لاصلاح الأخلاق . وعقيدة المسيح لاصلاح الأمم بالعمل لا بالأمل . هذا ما وقر في

نفسى الآن بمناسبة توكل النبی ﷺ على الله ذى العرش العظيم الذى يدبر الأمر وأن همه المتوكل تتجه الى صفات المتوكل عليه . وقد حصل ذلك فى هذه النبوة فكان لهذه الأمة عروش ملك فى الأرض ولكن العرش العظيم لهذه الأمة هو الظلم العام فيها بنظام الحب كما فى نظام السموات والأرض القائم بالجاذبية والحب العام والحمد لله رب العالمين اهـ

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِاخْتِيارِ لِقَاضِي إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَندَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ \* وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ \* ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ \* وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* قُلْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ \* وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَدَّبُرُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَفَرُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ فِيهِمْ يَخْتَلِفُونَ \* وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ \* وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُمُونَ مَا تَمْكُرُونَ \* هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ يُنَجِّتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \*

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ولو يهمل الله للناس الشر) اذا طلبوه مستعجلين بأن يدعو الرجل عند الضجر والغضب على أهله وولده ويتعجل البلاء والنقمة فيقول لعنكم الله ولا برك الله فيكم . يقول الله لو أن الله أجابهم اذا اذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به (استعجلهم بالخير) أى تجيله لهم الخير أى لو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعمل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضى اليهم أجلهم) أى لأميتوا وأهلكوا جميعا ولكننا لانعجل ولا نقضى وانما نمهلهم امهالا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم) معاصيهم وشركهم وضلالهم (يعمّهون) يترددون ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه (الضرر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقى لجنبه أى مضطجعا (أوقاعدا أوقائما) أى فى جميع أحواله (فلما كشفنا عنه ضرره مر) مضى على طريقته واستمر على جهالة وكفره ومعاصيه ونسى موقف الدعاء والتضرع (كأن لم يدعنا) أى كأنه لم يدعنا واسم أن الخفة ضمير الشأن (الى ضرر مسه) الى كشف ضرر (كذلك) مثل ذلك التزيين لهذا الانسان الذى نسى موقف الدعاء (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة ويا جميع الناس (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب وصرف مواهبهم فيما لا ينبغي (و) الحال انهم قد (جاءتهم رسالتهم) الحجج (البينات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) أى وما استقام لهم أن يؤمنوا فساد استعدادهم وخذلان الله لهم (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم (نجزي القوم المجرمين) نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمحل دلالة على أنهم مجرمون (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى أهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) أى أخيرا تعملون أم شرا فنعاملكم على مقتضى عملكم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى المشركون لما غاظمهم ما فى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد (إئت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظكما ذكر (أو بدله) فتسقط ذكر الآلهة وذمها وتجعل مكان آية العذاب آية رحمة فأجاب (قل ما يكون لى) ما يحل لى (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (ان أتبع إلا ما يوحى الى) أى لا أتبع إلا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل (إني أخاف إن عصيت ربى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة (قل لو شاء الله) غير ذلك (ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ولا أعلمكم بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا أتلاه ولا أعلمه (أفلاتعقلون) أن من عاش أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يدخل مدرسة ولم يشاهد علما ثم جاء بأخبار الماضين والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق وهذه العجائب المتكررة لا يمكن أن يكون أمرا عاديا بل هو من طور آخر وهو الوحي (فن أظلم ممن افترى على الله كذبا) سواء أكان باسناد قول الى الله تعالى لم يقله بادعاء النبوة . أم بادعاء أن الله شريكا أو ولدا (أو كذب بآياته) فكفر بها (إنه لا يفلح المجرمون) \* ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادته كالأصنام (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء الأصنام (شفعاؤنا عند الله) فى أمور المعاش لأنهم ما كانوا يقرّون بالبعث لقوله تعالى - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - وبعض العرب كان يقرّ بالبعث (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) أى أنخبرونه بكونهم شفعا عند الله وهو لا يعلمهم (فى السموات ولا فى الأرض) واذا لم يكن عالما بهم وهو يعلم كل شئ فذلك دليل على عدم وجودهم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه نفسه أن يكون له شريك . ولما كانت هذه الأحوال مما يدعو الى التعجب من

هذا النوع الانساني • وكيف يعبدون ما يصنعون • ويقلدون من لا يعاينون • وكانت النفوس الانسانية تميل الى الحقائق اتى بعد هذا باحدى الحقائق الطبيعية الحكيمية الالهية فأفاد أن نوع الانسان يولد على الفطرة والحال الطبيعية فهم فيها متفقون لا يختلفون • ومتحدون لامتفرقون • ولكن الحكمة في هذا الوجود تقضى الاختلاف والافتراق ليجتمع بعد التفرق المختلفون وليتعارف بعد التجاهل المتفرقون بخلاف بين لغاتهم وأوطانهم وأزيائهم وعاداتهم وبيئاتهم وأحوالهم وألوانهم وممالكهم كما اختلف الزهر في الأشجار وطعوم الأثمار فان هذا العالم على الاختلاف مخلوق وعلى الافتراق مجبول فان لم يكن الاختلاف كان العالم هباء منثورا فاذا كان الاختلاف مبداء ومنتهاه فكيف يتفقون في الدين واذا لم يتفقوا في حال من الاحوال التي لا تكاد تحصى فهم في الدين مختلفون وفي الحقائق متفرقون وان كانت فطرتهم واحدة وانسانيتهم في الأصل غير مفترقة • ألا ترى أن تعريف الانسان بالحيوانية والناطقية • فهذا هو الأصل السارى في كل انسان وبعد هذا افترق في سائر الصفات والأحوال ومنها الدين وهذا قوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة) بحسب فطرتهم ومقتضى انسانيتهم (فاختلفوا) فصاروا في الدين وفي سائر الأحوال مختلفين (ولولا كلمة سبقت من ربك) أن الاختلاف سنة طبيعية وحكمة إلهية وغايتها السكينة واتحاد النفوس في كثير من الأطوار وتآلفهم بما زاولوا من الأعمال على درجات مختلفة وأحوال متباينة فيكون الناس بعد أعمالهم طول الحياة قد صاروا في حال أكمل وكل جماعة منهم تتحد في عمل أو خلق فيكون هذا الاختلاف جميلا في مقاصده نبينا في نهايته لأنه يثمر عقولا مختلفة الجمال كما اختلفت الأشجار في الأزهار والأثمار فصارت بساكن بنفس الاختلاف • هكذا تكون النفوس بعد الموت بتفنيها في الأخلاق والأعمال كالرياض الزاهرات والحقول الباهرات فلولا اختلاف الثمر ما حمل البستان ولولا تنوع الزهر والشجر ما استحسنتها الانسان • فعقول الناس بساكن العالم الأعلى كما أن الأشجار والأثمار ببساكننا • وكل ذلك انما نشأ من الاختلاف يقول الله - ولولا كلمة سبقت من ربك - بهذا الجمال (لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) ليمتاز الحق من المبطل • ومن الجمال أن يكون في العالم الروحي أرواح شريرة كما نرى في الأرض الحنظل وشوك القتاد وضروبا من الأشجار المردة • ونظير هؤلاء في نوع الانسان الفجار والكفار ليكون ذلك دليلا على الجمال فان الشئ لا يعرف إلا بضده وبضدها تميز الأشياء • فبقاء الكافر والمؤمن والصالح والطالح الى أجل محدود لتكامل آجالهم فتظهر أحوالهم ظهورا أجلي ويكون الحنظل مع الموز والاثل مع النخل وهذا هو النظام الجليل وهذا القول ظاهر في علم الفلسفة الحاضرة والعلم الموروث فان العالم كله من أصل واحد الهيولى التي لا تعرف إلا بالعقل وعند بعض الحكماء المحدثين أن العالم يرجع الى الجواهر الفردة وهي متماثلة وعند المحققين الى حركات فأما الانسان فان الأرواح قبل حلولها في الأجسام في أول نشأتها تكون متماثلة لا تمايز بينها وهكذا أجسام الأجنة في بطون أمهاتها تكون في أول أمرها متشابهة مع حيوانات أخرى ثم ترتقى شيئا فشيئا حتى تختلف سائر الحيوان باستكمال الخلق وعند الولادة يكون الاختلاف بين المولودين من الانسان في أمور محدودة فاذا كبروا وتربوا كان هناك خلاف عظيم ولذلك خلقهم الله كما قال في آية أخرى - ولذلك خلقهم - وهذا هو الحق والعلم الصحيح وماعداه فأقوال متفرقة وآراء غير محققة اختلط فيها الحق بالباطل والذهب النقي بالزبرج والزيف بالجيد والله هو العليم الحكيم

ثم أتى بمسألة أخرى كانت سبب الاختلاف في النبوة وهو اقتراح آيات خاصة فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الغيب لله) وهو وحده العالم أن هذه الآيات المقترحة فيها مفسد لا نفع فيها (فاتظروا) نزول ما اقترحه (إني معكم من المنتظرين) لما يفعل بكم بمجودكم ما نزل من الآيات (واذا أذقنا الناس رحمة) خصبا وسعة وصحة (من بعد ضراء مستهم) أي من بعد شدة وبلاء كأهل مكة إذ حبس



عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم رحمهم الله فأنزل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد فلم يتعظ الناس بذلك بل رجعوا الى الفساد كما مر في قوله - واذا مس الانسان ضرر دغانا جنبه - الى قوله - مر كأن لم يدعنا الى ضرر مسه - ولذلك جاء جواب - واذا أدقنا - موافقا لذلك الجواب مع ايضاح وتنويع فقال (اذا) هي للمفاجأة واقعة في جواب اذا الأولى كما تقع الفاء أى في الحال (لهم مكر في آياتنا) بالطعن فيها والاحتمال في دفعها (قل الله أسرع مكرًا) منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم ولقد تقدم عقابهم في سورة الأنفال والتوبة وآل عمران • والمكر اخفاء الكيد وهو من الله الاستدراج والجزاء على المكر (إن رسلنا يكتفون ما تمكرون) الرسل هنا الحفظة فليس يخفى على الله خافية • ولما كان هذا القول ومامر قبله وهو - واذا مس الانسان ضررًا - دالين على سرعة تقلب الانسان وعدم وفائه واتعاضه وكان هذا المقام يحتاج الى ايضاح أردفهما بثالث دلالة على أنه أمر يجب النظر فيه فان عدم الثبات وسرعة التقلب وجحود النعم يورث العذاب الأليم ولذلك قال (هو الذي يسيركم في البر) بأرجلكم وبالذواب والقطرات الجارية والعربات والسيارات الجارية بالكهرباء وغيرها وفي الهواء بالمرابك الهوائية والمطاود جمع منطاد (والبحر) بالسفن العائمة والغاطسة (حتى اذا كنتم في الفلك) السفن (وجرين) أى السفن (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوها بها) أى بتلك الريح لئلا تستقامتها (جاءتها) أى الفلك وهنا اعتبرت جمعاً كأسد وهي مفردة كقفل (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيئهم الموج منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لأنهم رجعوا الى فطرتهم لزوال العوارض المانعة من ذلك قائلين (لئن أخرجتنا من هذه ل نكونن من الساكرين) نعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك (فلما أخرجهم اذا هم يبيغون في الأرض) يفسدون فيها (بغير الحق) مبطلين فيه (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) فان وباله عليكم وأيضاً هو على أمثالكم وبنى جنسكم وجميع الناس متضامنون والبغي على من نفعه عائد عليك ضاربك • تتمتعون (متاع الحياة الدنيا) على النصب أو ذلك متاع الحياة الدنيا على الرفع (ثم اليها مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه • انتهى التفسير اللفظي

اعلم أن هذا القسم متصل بما قبله وصلته بقوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الى قوله في آخر القسم - وتحيتهم فيها سلام • وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

لقد تبين لك هناك أن السلام على ﴿ثلاثة أنواع﴾ سلام الناس بعضهم على بعض يوم القيامة • وسلام الملائكة • وسلام الله تعالى • ولا بد من شرح هذا الموضوع شرحاً وافياً حتى يعرف اتصال هذا القسم بما قبله واذن يظهر لك سرّ مكنون وجوهر بديع وعجب عجاب • وهنا أصلان ﴿الأصل الأول﴾ أن هذا المقام عبارة عن مبحث في السعادة والسلام والأمن • فكل من كان من الناس أهدأ بالاً ورضى فهو الى السعادة أقرب • وكل من كان جزع النفس مضطرب القلب حزينا متألماً أو طامعاً أو مأشبه ذلك فهو الى الشقاوة أقرب على مقتضى ما اتصف به قلة وكثرة • واذا كنت أيها الذكي ممن تابعوا هذا التفسير فقد عرفت ذلك ﴿الأصل الثاني﴾ أنه لا يتفق الامن والسلام والراحة لجميع الناس في الدنيا دائماً في ألم ومطالب تزعج لبّ اللبيب وتوغر صدر الحليم فالخير والشرّ مقرونان في قرن • وعليه تكون السعادة محالة في هذا الوجود فبانضمام الأصل الثاني للأول يتناقضان ولا يجتمعان وهذا الرأي وهو عدم السعادة في الدنيا قال به كثير من العقلاء • وهناك سعادات اكتسابية يكتسبها الناس تقرّبهم اليها وهي

(١) إنا نجد المسلم في الصلاة يسلم ٣٦ في الصلوات الخمس المفروضة فاذا انضمت اليها النوافل بلغ القدر ضعفاً أو أضعافاً

(٢) ولا معنى لهذا السلام إلا تذكرة المسلم بالأمن وراحة الضمير وبعد المكروه وجميع المصائب فهو يسلم على الأنبياء والصالحين وعلى نفسه بهذا المعنى . فالمسلم مأمور بطريق دينه أن يعتقد أنه في أمان من كل مكروه . وأين هذا . ذلك ﴿ بثلاث طرق ﴾

الطريق ١ وطريق الإيمان فكما أصابته مصيبة يقول - إنا لله وإنا إليه راجعون - وليس يكون ذلك باللسان وحده فيرى أنه يحمد الله رب العالمين أي رباهم باليمين والشدّة المعبر عنهما بالرحمة وملاك يوم الجزاء . ويقول تعالى - ونباؤكم بالشّرّ والخير فتنة - فتى أحضر المرء في نفسه أن المكروه من الله وأن الله لا يفعل إلا خيرا واطمأن لذلك كما في قوله تعالى - قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا - وقوله - هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين - فإن عنده نوع سعادة . فههنا أمران ﴿ الأول ﴾ اسناد الأمر لله وهذا عند المستعدّ له يعطى بعض الراحة للقلب ولهذا الإشارة بقوله - إن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير \* السكيا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فتى أيقن العبد أن كل شئ معلوم عند الله ارتاح قلبه جدّا ووصل إلى السلامة على شرط الايقان فتكون الحوادث مثل الليل والنهار ﴿ الأمر الثاني ﴾ أن يرى كل مكروه ظاهرا هو محبوب باطنا ويرى كل شرّ أشبه بالحجامة أو شرب الدواء الكريه فيكون متألّما منه ولكنه راض وهذا نوع من السعادة وله الإشارة بقوله - هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين - حيث جعل القتل حسنى وأى مصيبة أعظم من الموت حتى إن الصحابة كانوا يسرعون إلى الحرب لذلك ﴿ الطريق الثالث ﴾ طريق الصبر وقوة العزيمة وهى التى شرحتها لك سابقا فى لغز قابس فى سورة البقرة وكذلك طريق كتاب ﴿ السكوخ الهندى ﴾ الذى أعطيتك صورة منه سابقا تلخص مقصوده . وإليه الإشارة بقوله تعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقوله - وبشر الصابرين - وما أشبه ذلك

فهذه الأمور الثلاثة تعطى الإنسان سعادة كسبية مادام فى هذه الحياة . ومستحيل أن يصل الإنسان إلى تمام السعادة فى هذه الحياة الا قوم مذهولون ذهولا دينيا أو دنيويا بأن فارقوا احساسهم فكيف يحزنون . فالسلام فى الصلاة وتكراره فى الركعات يوقظ نفس المسلم إلى أحد هذه المراتب عسى أن يصل إلى درجة الراضين وإن كانوا فى مكروه وهذه نوع من السعادة والسلام فى هذه الحياة . هذا هو السرّ فى تكرار السلام فى الصلاة . فاذا مات المسلم أحسّ بالسلامة من الآفات وبالأمن إذا كان صالحا ويحسّ أخوانه بذلك فيحيونه به . وليس ذلك تحية لفظية كما فى الدنيا بل المعانى هناك متجلية كما تجلت الألفاظ فى هذا العالم فاذا ارتقوا عن هذه الدرجة حيثهم الملائكة ثم حياهم الله فى الآخرة - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب - وفى آية أخرى - تحيتهم يوم يلقونه سلام - فتى حصل لقاء الله كان هناك السلام . واللقاء هنا علمى فمن كان أكثر علما بالله كان أقرب للسلامة والأمن . فقد يموت المرء ولا يلقى إلا العذاب ويحجب عن ربه فأين السلامة ولن يلقى ربه إلا بريئا من الذنوب كامل النفس . هنالك تفاض عليه العلوم ويدرك سرّ الخليقة واذن لا يكون هناك غم ولا همّ لأنه وصل إلى منتهى السعادة

فعلى الإنسان أن يجدّ فى الأخلاق والعلم ومنفعة الناس حتى ينال السعادة الروحية ويزيد من ربه قربا ولن ينال السعادة فى الآخرة وهو لم يحصل أوائلها فى الدنيا بالاكتساب وتطمئن نفسه فى الدنيا بعض الاطمئنان وهذا يكمل له بعد الموت . أما الذى مات مضطرب الفكر لا ثبات عنده إما لجهالته وإما لذنوبه فذلك لا يسعد فى الآخرة لأنه لا سعادة فى الآخرة إلا إذا كانت أوائلها فى الدنيا فقوله - تحيتهم فيها سلام \* وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - مردّد لصوت السلام فى الدنيا وفى المقابلات بين الناس وللحامد التى يحمد بها الله وللمعانى العلمية التى أدركها الإنسان فى نظام هذا الوجود . فبدأ السلام والسعادة فى الألفاظ فى الصلاة . وأوسطها فى اكتساب ذلك بالإيمان وتهذيب النفس . ونهايتها حصول السعادة والسلام فعلا

وهو المعبر عنه بسلام الملائكة ثم سلام الله تعالى (تحياتهم يوم يلقونه سلام) هذا هو القسم المتقدم . ثم أتبعه بما هو في معناه كالمتمم له فقال . إن الناس يبعدون عن السعادة والسلامة بعدا شاسعا جدا لتفريطهم في المقصود من معنى السلام في صلواتهم وجهلهم القصد من تكرار السلام ﴿ ذلك ﴾ أنهم إذا أصابهم مصيبة وهم لم ينالوا درجة من درجات السعادة المتقدمة سئمت أنفسهم وكرهوا الحياة ولعن الرجل أهله ومن حوله وتمنى الموت . ولو أننا سارعنا إلى أجابة الشر كما نسرع إلى الخير هلك الناس . فهذا دليل أن هذا الانسان - خلق هالوعا - يعني - إذا مسه الشر جزوعا \* وإذا مسه الخير منوعا - وكان يجب أن يكتسب صفة الثبات بأحد الامور الثلاثة المتقدمة . وإنما عبر بقوله - لا يرجون لقاءنا - اشعارا بأن هذه الآية من توابع ما قبلها ولقاء الله إنما يكون للروح المهذبة الكاملة علما وأخلاقا وغيرها من محط عنها فلا يلقاه فلا يرجو لقاءه

ثم أتبعه بجمل أخرى فذكر أن الانسان لا صبر عنده وإذا مسه الضر دعا الله هالعا فإذا زال الضر نسي وأنه إذا ذاق النعمة بعد الشقاء والغنى بعد الفقر ساقه البطر إلى تكذيب الآيات واتباع سبل الضلالات وزاد ذلك بما يعتريه في البحر إذا اضطربت الرياح واختلفت الأمواج كيف يدعو خالقه فإذا نجاه نسيه فهذه الآيات قررت أن الانسان سريع الانفعال يتمنى الموت إذا أصابه الشر المعد لتكميله لجهالتة ويهمل ويطلب النجاة فإذا نالها غفل وهذه الغفلات علامة الشقاء والبعد عن السلامة وبضدها تميز الأشياء . انتهى تفسير القسم الثاني ﴿ لطيفة ﴾

إن ابتهاج الانسان لله إذا أصابه الضر وأحاطت به الأمواج أو وقع في كرب عظيم دليل على أن للعالم خالقا . ألا ترى أن الطفل يلجأ لأمه والفصيل والعجل وأمثالهما كلها ملتجئات إلى أمهاتها . هكذا حبات البر في ظلمات الطين ملتجئات في تغذيتها إلى الأرض والماء . فإذا ما شب الطفل وقوى الحيوان واشتد النبات اعتمد كل على نفسه بتناول الغذاء من الثمار والهواء فهي مستقلات إذا قويت مبتهلات إذا ضعفت هكذا الانسان القوى إذا أصابه الضر وأحاطت به الأنواء كر راجعا إلى ما في داخل قلبه من نور مخبوء وهو الوجدان الذي يرى أن له مرجعا خارجا عن المادة فيناديه قائلا ﴿ يارب ﴾ فإذا نجاه رجع إلى قوته ونسى ربه كما تغذى النبات بالهواء وحرارة الشمس لما قوى واكتفى الحيوان بالنبات مثلا فهذا برهان وجداني اقناعي على وجود الله

### ( القسم الثالث )

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \*

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ  
وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ \* فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ  
عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ \* هُنَالِكَ تَبَاوَأَ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \*

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار  
الناس بها ( كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ( مما  
يأكل الناس والأنعام ) وهي الزروع والبقول والحشائش ( حتى اذا أخذت الأرض زخرفها ) زينتها بالنبات  
واختلاف ألوانه ( وزينت ) بأنواع الزين وقد أدغمت التاء في الزاي \* وقرئ - زينت - على  
الأصل . فقد مثلت الأرض بالعروس وقد أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وزينت بغيرها  
من ألوان الزين ( وظن أهلها ) أهل الأرض ( أنهم قادرون عليها ) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها  
رافعون لعلتها ( أتأها أمرنا ) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم  
( ليلا أو نهارا فجعلناها ) فجعلنا زرعها ( حصيدا ) شديدا بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله ( كأن لم تغن )  
كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث أي كأن الأشجار القائمة والنباتات الطيبة والزروع البهجة لم تكن غنية من  
غنى فلان بالمسكان اذا أقام به وقوله ( بالأمس ) هو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون هذا القول  
وهو زوال خضرة النبات فجأة فيصير حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا  
أنه قد سلم من الجوائح ( كذلك ) كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا كذلك نبين حججنا ودلائلنا لمن تفكر  
لتزول الشبهات ويكون اليقين

وهذا القول متصل بما قبله من تقلب الأحوال على الانسان تارة يطلب الموت والهلاك ويلعن الزوج  
والأبناء لشوكة يشاكها أو زلة قدم يزهاها وأخرى يدعو بالنجاة من الضرر قاعدا أو قائما فاذا نجاه الله نسي  
الدعاء والمਦعو . وهكذا شأنه عند كل نعمة أزلت الضرر فانه يكيد كيدا ويصد عن سبيل الإيمان واذا غشيه  
الموج ودعا بالخلاص وجاءه الفرج لا يذكر النعمة ويرجع الى سابق عهده . ثم أتبعه بهذا المثل إذ جعل حياة  
الانسان أو حظوظه أشبه بعروس ذات جمال وبهجة ودلال قد ازينت للناظرين فلبست من الثياب ألوانا  
وأخذت من كل زينة أشكالا فصارت حوراء في حللها وحلاها

فلما أعجبهم حسنهم وفرحوا بها وظنوا أنهم منها متمكنون أتهمها صاعقة أو برد أوريح جعلتها حصيدا كأن لم  
تكن قائمة بالأمس . وهذا مثل للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها ( ذلك ) أن الله لما  
قال - يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا - أتبعه بهذا المثل لمن بغي في الأرض وتجبر فيها  
وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة . فالمتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون . فحظوظ  
الدنيا كبهجة النبات معرضة للزوال فجأة كهلاك النبات بصاعقة . ونفس الحياة كذلك يخترمها الموت فجأة  
والانسان لا يشعر بذلك . حياة الانسان لموت معرضة كل حين وشبابه وقوته وصحته وماله وولده وسروره  
ولذاته كل ذلك قد ضرب له هذا المثل . فالحياة كمثل العروس والقوة والبأس والذكر والصيت والجمال .  
كل ذلك داخل في المثل إذ يعتريها الذهاب والفناء في لمح البصر أو هو أقرب . فكم من جميل أذهب جماله  
المرض . وغنى أهلك ماله الجوائح . وعاقل ذكى قتل الذكاء والعقل هموم وأشجان فذهب الى المارستان



وذى بنين شهود للمحافل قواد للجحافل حصدهم المنون وهم لا يشعرون فأصبح فريدا وحيدا . وكم من ذى صيت بعيد وذكر جيل أخى الدهر على ذكره بريبة ذكرها وشنعاء تينوها وذنوب أشاعوها فأصبح الممدوح مذموما . وكم من محب بشابه وصحته وهو مبتهج نفور جاءه الموت بجأة فأصبح من أهل القبور . هذه المعانى وأمثالها داخلة فى هذا المثل

واعلم أن هذا المثل وما تقدمه إنما جاء بعد قوله فى آخر القسم الأول - تحيتهم فيها سلام - تبيان لما عليه الناس فى الدنيا من عدم السلامة ومن الشقاء والنلة وذم الحياة والهلك والجزع وما أشبه ذلك من كل ما يوجب الاضطراب كما تقدم فى مثل البحر وأمواجه والنجاة منه الخ ما ذكرنا وقررنا . وهكذا نفس الحياة وحفظها الخ . فلما أبان ذلك أيما تبيان وأظهر كيف تكون عدم السلامة فى هذه الدار وكيف يكون الاضطراب والزوال أتبعه بما هو المقصود فقال (والله يدعو الى دار السلام) ومعلوم أن النكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو سبحانه يقول ما أتم هؤلاء عرفتم حياتكم ونصها وتقلب قلوبكم وحفظكم واخترام آجالكم فى هذه الدار التى لا سلام فيها بحسب طبيعتها فهنا اذا أدعوك الى دار الأمان والاطمئنان والسلامة المذكورة فى قولى - وتحيتهم فيها سلام - فهذا اذا أدعوك الى دار السلامة من الآفات بعد ما تبين لكم المهالك والمشاق . ثم قال (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) لأن الناس مختلفون استعدادا . ولما قال هناك - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - بعد قوله - تحيتهم فيها سلام - أتى بنظيره هنا بعد دعوته الناس الى دار السلام فقال (للذين أحسنوا الحسنى) أى الجنة (وزيادة) هى النظر الى وجه الله الكريم . والنظر لوجه الله الكريم هنا معناه ازدياد العلم بآياته وجماله وحكمه وعجائبه وبدائعه . وكلما ازداد علما ازداد بهجة فهذا النظر بهجة الحكماء والأنبياء وهو يقابل - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - هناك . فقد تبين هنا كيف تكون دار البلاء ثم كيف تكون دار السلام ثم كيف يكون ازدياد العلم بالله المعبر عنه بالنظر . وأنت أيها الذكى تعرف من نفسك الآن أمن أهل الجنة أنت أم من أهل النظر لوجه الله فان كنت صالحا ولكن لا شغف لك ولالذة فى العلم بهذا العالم فأنت تكون فى الجنة وهى دار السلامة . فأما اذا كنت فى جبال العلوم راغبا ورأيت فى نفسك لذة وغراما بها فاعلم أنك ستنظر وجه الله حتما بعد الاستعداد التام

روى صهيب أن رسول الله ﷺ قال ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى ثم تلا هذه الآية - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - ﴾ أخرجه مسلم

فالعامة يتصورون شكلا ينظرونه كما ينظرون الملوك . فأما الخاصة فان النظر لوجه الله يبتدى لهم فى الدنيا بعشق مصنوعاته وقراءة العلوم قديمها وحديثها فينفع أحدهم الناس بالعلم كما ينفعهم الله بالخلق ثم أحدهم يعرج فى معارج السكالم متشبه بمحبوبه سائرا فى طريقه محبا خلقه ناظرا الى جماله الذى تبقى فى أصناف الشجر والنجم والقمر حتى اذا فاجأته المنون أصبح عند من كان محبوبه وصار الغائب مشهودا والمحبوب موجودا وأدرك إذ ذاك أنه كان معه والكنه هو عنه محجوب . واذا سمعت سيدنا عليا كرم الله وجهه يفسر الزيادة بلؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب فما ذلك إلا عين ما ذكرناه وما اللؤلؤة إلا هذا العالم المخلوق يظهر للعالم مجلوا جميلا بهيا كلؤلؤة وهو مبدأ النظر لوجه الله الكريم فان العالم الذى نحن فيه جيل كاللؤلؤة ومستحيل أن يعرف الانسان جماله إلا بالعلم . ومتى عرف الجبال عرف من هو الجبل وهذا هو النظر عينه فسيدنا على يرمى الى هذا المقام لأنه يعز على الأفهام فعرفه بمثال لأن الحقيقة تخفى على العوام وكثير من الخواص

وقوله (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولاذلة) هو ان أى لا يغشاهم حزن وسوء حال (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - (ما لهم من الله من عاصم) ما من أحد يصونهم من سخط الله (كأنما أغشيت وجوههم) غطيت (قطعا من الليل مظاما) لفرط سوادها وظلمتها وقوله (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا (وقال شركاؤهم) أى الأصنام وكل معبود لهم (ما كنتم إيانا تعبدون) تبرأ المعبدون من العابدين فما كانت العبادة فى الحقيقة إلا لأهوائهم ولمن زين لهم تلك العبادة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) أى كفى الله شهيدا وهو تميم (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) إن محففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) فى ذلك المكان (تبلوكل نفس) تختبر وتذوق (ما أسافت) من العمل فتعرف أقيح هو أم حسن (وردوا الى الله) الى جزائه (مولاهم الحق) ربهم ومتولى أمورهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى (وضل عنهم) ضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كان يدعون أنها آلهة اه  
﴿ لطيفة فى النظر لوجه الله تعالى ﴾

لقد اطلع على هذا المقال أحد العلماء ممن لهم قدم فى العلم راسخة . فقال لئن سررتى فى هذه المقالة حال لقد ساءتني حال . فقلت وكيف ذلك . قال كيف تجعل النظر لوجه الله الكريم عبارة عن العلم وأى شئ العلم . إن الانسان اذا رأى وجهها جيل استلذ به وفرح . فأما العلم فهو معروف ولا شئ فيه من ذلك . فقلت له إن هذا المقام ليس يعرف إلا بعد البيان . حقا إن الانسان اذا نظر وجه الجليل سره القدر والشكل واللون والأنف والفم والعين والحد وحسن الهيبة وجمال الزينة والعطف بكسر الأول والهيف والخور والشنب وسائر ما يقوله الشعراء فى أشعارهم ويبدو فى أقوالهم ولكن العلم شئ والشعر شئ فان حاسة النظر إحدى الشبكات الظاهرة الخمس التى يصطاد بها العقل المعلومات والحب على مقدار العلم . فاذا نظرنا الى الجليل وسمعنا نعمته وفصاحته وشهنا طيب ريحه وذقنا ما يذاق منه ولمسنا جلده . هنالك يضم الى النظر هذه المذكورات فتتضاعف اللذة ويزداد الحب فكيف بنا اذا تغلغلنا فى باطنه وعرفنا مواهبه الباطنة من عفة وحلم وكرم وأدب وحسن خلق ومعارف وعلوم . هنالك يحصل لذلك العالم به من اللذة به ما لا يوصف ومن الحب ما هو أعظم . واذن قد تبين لك أن النظر الذى أعظم قدره الناس ما هو إلا وسيلة من وسائل العلم وليس خارجا عنها وأن اللذة بنظر العين جزئية . فاذا كان الخالق المشاهد المحسوس لا يستلذ به إلا باستكمال العلم به ظاهرا بالحواس الظاهرة وباطنا بأدراك العلم فما بالك بمن لا تدركه عيوننا ولا تصل اليه مشاعرنا . فنحن إذن نلتجئ الى العلم الذى عرفت أن النظر من جنوده وندع الفرع ونتمسك بالأصل ونقول المقصود هو الأشرف وهو العلم . ولا ريب أن العلم مبدؤه فى الدنيا ومن لم يبتدىء ذلك فى الدنيا فليس له حظ منه فى الآخرة . ألم يقل الله تعالى - يسع نورهم بين أيديهم وبأيمنهم - فاذن يجب أن يكون للانسان حظ من هذا العلم فى الدنيا وذلك هو النور المذكور يسع بين يديه بعد الموت ومن لا نور له هنا لا نور له هناك

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( التقصير فى علوم الكائنات يحرم أحياء المسامين من العاجبة وأمواتهم من النظر لوجه الله الكريم )  
قد تبين أن النظر لوجه الله الكريم مبدؤه العلم فى الدنيا ومن لم يعلم لم ينظر والعلم يرجع الى النظر فى جمال هذه المخالقات وعجائب النفس وبدائع الصنع وتركيب الأجسام ونظام الوجود . والناس فى الدنيا اذا قرؤوا هذه العلوم على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم يقرؤها لمعاشه كالعلوم الرياضية لنظام السواوين ونظام

الجند وما أشبه ذلك . وقسم يقرؤها ليتحلى به في المجالس ويتفاخر به على الأقران . وقسم يقرؤها كما يقرؤها القسمان المتقدمان ولكنه يتحرى النظام والجمال ويهجه بهجة التشریح ونظام النبات وحساب الطبيعة وبهجة النجوم وعجائب حركاتها وبدائع أشكالها ويتغلغل في ذلك وهذا لاشك يهيجه الى الفرح بمن هو السبب الأول فيه وهذا مبدأ النظر . وكلما ازداد علما زاد حبا للصانع ولانهاية لهذا العلم كما لانهاية للحب والالفة . هذا هو الحق الصراح الذى لا يحصى عنه . والأمة اذا حظيت بهذه النعمة سعد أحيائها بالغلبة والمجد وفرح أموانها بالنظر لوجه الله الكريم . فيعجبها كل العجب لأمة الاسلام تلك الأمة التى جاء القرآن بترغيبها فى الآخرة وخطبها بما يعرفه الخلق من الجنات المحسوسة ولم يشأ أن يترك الجنة الحقيقية والسعادة الأبدية التى هى أعلى من المحسوسات حتى يستنتجها الفلاسفة والعقلاء . كلا بل لوح لها بقوله - وزيادة - وجاءت السنة فعرفتنا الزيادة وقالت هى النظر لوجه الله الكريم وأرتنا أن هذا سيكون الله عند أهل الجنة وهنا وصلنا الى مقام الحكمة والعلم . فالكتاب والسنة عندنا أريانا أن النظر لوجه الله أعظم اللذات والنظر يقصد منه العلم فاذا قيل انه بمن يتخلق لنا خلاف هذه فى الآخرة فهى أيضا علم واذا كانت أعيننا فى الدنيا من شبكات العلم فالأمر هناك ظاهر . فكيف تغفل أمة هذا دينها عن عاوم هى النعمة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . أليس من عجب أن يكون فى هذه الأمة من يكفر قارىء هذه العلوم وماهى إلا سعادة الأحياء وبهجة الأموات . انتهى تفسير القسم الثالث

### ( الْقِسْمُ الرَّابِعُ )

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ، فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ \* كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ \* قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ \* وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَبَيْنَهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

بِالْمُفْسِدِينَ \* وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيُونَ مِمَّا أَعْمَلُ ، وَأَنَا  
بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْعُمْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ  
\* وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ  
شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ \* وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ  
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ \* وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ  
الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِينَاكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ \* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ  
فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ  
أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا  
مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْجُرْمُونَ \* أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَاَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ \*  
ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ \* وَيَسْتَبْشِرُونَكَ  
أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ \* وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي  
الْأَرْضِ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
\* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \*  
هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ  
لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ  
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا  
قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ \* وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ \* وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ  
وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا  
يَعُزُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا  
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ \* أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا



يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْفِزَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسَمِّعُونَ \* قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ أَلَمْ يَأْتِ الْفُتَنَ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ \* مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ، ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ \*

### ( التفسير اللفظي )

( قل من يرزقكم من السماء والأرض ) باسباب سماوية كالضوء والمطر ومواد أرضية فيكون منهما النبات والحيوان الخ ( أم من يملك السمع والأبصار ) يستطيع خلقهما وتسويتهما تسوية بدیعة تقدّم شرحها في سورة آل عمران ومن يحميهما من الآفات العارضة ( ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ) أي من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه مثلاً وشرح ذلك مذکور في تفسير سورة الأنعام ( ومن يدبر الأمر ) ومن يلى تدبير أمر العالم كله علويه وسفليه ( فيقولون الله ) فيسجيبونك عن سؤالك أن القادر على هذه هو الله ( قل أفلا تتقون ) الشرك في العبودية إذا اعترفتم بالربوبية ( فذلكم ) أي الذي تولى هذه الأمور المستحق للعبادة ( ربكم الحق ) الثابت ربوبيته فهو الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أمورك وهو المالك لسمعكم وأبصاركم ( فإذا بعد الحق إلا الضلال ) استفهام انكاري أي ليس بعد الحق إلا الضلال ( فأني تصرفون ) عن الحق إلى الضلال أي فكيف تفعلون ذلك . وكما حقت الربوبية لله وأن الحق بعده الضلال ثبتت كلمة الله وحكمه على الذين تمردوا في كفرهم وخرجوا عن جادة الإصلاح وفسدوا لأنهم لا يؤمنون وهذا هو قوله تعالى ( كذلك حقت كلمة ربك ) إلى قوله ( أنهم لا يؤمنون ) ثم أخذ يقيم الحجة عليهم فوق ما تقدم فأخذ يحاورهم بطريق الاستفهام الانكاري في أمرين ( ١ ) خلق هذه العوالم ابتداء منظمة واعادتها ( ٢ ) وإيجاد الأدلة والمعاني والآراء والحجج التي تهدي النفوس إلى مطالبها الحقّة فأجاب عن الأول بأن الله هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجأهم لا يدعهم يعترفون بها وعن الثاني بأن الله هو الذي يهدي للحق لأنه نصب في هذا العالم دلائل وجعل نواميس تبهر العقول وتنتج علوما كثيرة يستخرج منها الناس أمور معاشهم ومعادهم . ثم أخذ يتم الكلام في القيمة الثاني لأنه المهم في مقام الهداية فقال هل الذي ينير المسالك ويوضح المشكلات وينصب الأعلام أولى بالاتباع أم الذي هو كالأعمى العاجز لا يهتدي إلا أن يهديه سواه . فكيف تحكمون أيها الناس بما يقتضيه صريح العقل بطلانه . وكيف تكون الأصنام القائمة العمياء التي لاعلم لها هادية . فأن الله الذي ملأ هذا العالم بالنواميس المنيرة السبل أولى بالاتباع \* يقال هدى للحق وإلى الحق وكلاهما في الآية وقوله ( أقم لا يهتدي إلا أن يهتدي ) أي من لا يهتدي إلا أن يهتدي \* وقرئ - يهتدي - بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وبكسر الهاء وفتح الياء وبكسر الياء والهاء وبسكون الهاء وتشديد الدال أي يهتدي في الجميع وهذا قوله تعالى - قل هل من

شركائكم - الى قوله (فإلکم کیف تحكمون) ثم قال (وما يتبع أكثرهم) فيما يستقدون (إلا ظناً) مستنداً الى الخيال والمراد بالأكثر الكل (إن الظن لا يغني من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيئاً) من الغناء (إن الله عليم بما يفعلون) هذا وعيد لهم على انباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أي افتراء من الخلق (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود بصدقها والنبي ﷺ لم يتعلم علماً ولم يأخذ عن أحد وقد جاء في القرآن قصص وأخبار مطابقة لما في التوراة والإنجيل . فكيف يكون ذلك وهو لم يتعلم ولأنه لم يطابق ما في تلك الكتب لشوا عليه الغارة الشعواء ولأنزله في منزلة هو منها براء . فهذا معنى قوله - ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء - وتفصيل ما حقق وأثبت في العقائد والشرائع (لاريب فيه) منتفياً عنه الريب كأننا (من رب العالمين) فأخبار كان أربعة تصديق . وتفصيل . ولاريب فيه . ومن رب العالمين (أم يقولون) بل أيقولون (افتراه) محمد ﷺ والهمزة للاستفهام الإنكاري (قل فأتوا بسورة مثله) في النظم والبلاغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية بل أنتم أشد نمرتنا وأقرب تمسكنا منها بأساليب النظم والنثر (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا للاستعانة على الاتيان بمثله ما استطعتم من خلقه (إن كنتم صادقين) أنه خلقه (بل كذبوا) سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه كالقصص التي قصها وأخبار البعث والنشور والجنة والنار التي ذكرها فإنهم ينكرونها لجهلهم بها (ولما يأتهم تأويله) ولم تبلغ أذهانهم معانيه ولم يعرفوا بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أصدق أم كذب (كذلك كذب الذين من قبلهم) أنبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فسيعاقبون كما عوقبوا إذا أصروا على العناد - (ومنهم) من المكذبين (من يؤمن به) أي سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لا يؤمن به) فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصيرين (وان كذبوك) ويؤت من اجابتهم (فقل لي عملی) جزاء أعمالي (ولكم أعمالكم) أي جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل) فلا تؤاخذوني به (وأنا بريء مما تعملون) من أعمالكم فلا تؤاخذكم بها وهذا في حال الضعف فإما حان حين القوة تغيرت الحال (ومنهم) أي من هؤلاء (من يستمعون اليك) حين تقرأ القرآن وتعلم الشرائع ولكنهم لا يقبلون كأنهم صم (أفأنت تسمع الصم) أي أقدر على اسماعهم (ولو كانوا لا يعقلون) أي ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم بما أسدل على العقول من الأوهام وما أوحى اليه العادة وما اتخذت له من الأضاليل (ومنهم من) ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة صدقك وأعلام نبوتك ولكنهم لا يصدقون كأنهم عمى لا ينظرون بأبصارهم (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) أي أنحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة فهؤلاء كالصم العمى الذين لا عقول لهم وهؤلاء لا يمكن إيمانهم . وكل ذلك بنظام ثابت وحكمة عالية فان ذهاب البصائر وقلة التفكير والعلم والانهماك في التقليد إنما جاء كإستعداد والاستعداد في النفوس سائر بنظام الخليفة وهذا النظام هو الصالح للوجود فلا ظلم فيه لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) لأنه لا يفعل إلا على مقتضى العلم والعلم متعلق بالحقائق الثابتة التي تقتضيها الحكمة (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن هذه هي حقائقهم التي علمها الله وعلى مقتضاها كان الاستعداد ومن الاستعداد الناقص والتام . وهؤلاء في نقصهم كالخشب يصلح للوقود ولا ظلم في ذلك وغيرهم كالنمر يأكله الإنسان وكلاهما يقتضيه النظام العام . ثم هناك وراء هذا أبحاث لا يجوز ذكرها في مثل هذا التفسير العام وليس ما ذكرناه بمثلج للصدور ولا شاف لما في القلوب فان هذا وراء أسئلة كثيرة توجه على هذا ولكن لا سبيل الى الاجابة عليها فيجب على طالب الحقائق أن يفتح لنفسه باب العلم والعلم واسع بابه والله يعطي من يشاء . والتصريح بالحقائق يريك جلال الله بأوسع معانيه

وأن رحمة واسعة فاطلب هذا منه هو ولا تنههم العامة لئلا يقدحوا عليك في دينك وأنت على علم تام  
ثم قال واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحشر ومعنى الحشر إخراج الجماعة وإزاعجهم من  
مكائهم كأنهم لم يلبثوا في قبورهم أوفى الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وذلك هول ما يرون أي ويوم نحشرهم  
حال كوتهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وحال كونهم (يتعارفون بينهم) وهي حال مقدرة أي يعرف بعضهم  
بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وهذا أول ما ينشرون ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وحال كون الذين  
كذبوا بقاء الله قد خسروا أنفسهم (وما كانوا مهتدين) إلى ما يصلحهم وينجيهم (واما نرينك) نبصرك  
(بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما أراه ذلك يوم بدر والغزوات بعده وفتح مكة كما تقدم في  
سورة التوبة (أوتوفينك) قبل أن نريك (فاليوم مرجعهم) فنريك في الآخرة أي اما نرينك بعض الذي  
نعدهم فيها ونعمت - أوتوفينك فاليوم مرجعهم - فهذه الجلة جواب - توفينك - (ثم الله شهيد على  
ما يفعلون) أي محاز عليه فالشهادة أريد نتيجتها وهي المجازاة (ولكل أمة) من الأمم (رسول) يبعث  
إليهم ليدعوهم إلى الحق (فاذا جاء رسوله) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط)  
بالعدل فأنجينا رسلنا وأهلكنا المكذبين (وهم لا يظلمون) والنجاة والهلاك في الدنيا وهو معلوم وفي الآخرة  
بأن يشهد الرسول عليهم بالكفر والإيمان فيقضى بالعقاب والثواب كما قضى بالهلاك والنصر في الدنيا (ويقولون)  
استبعدا لهذا الوعد واستهزاء به (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يا أيها النبي ويا أيها المؤمنون (قل لا  
أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) فكيف أملك لكم فأستجمل في جلب العذاب اليكم (إلا ما شاء الله) أي ما شاء  
الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) مضروب هلاكهم (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)  
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستجملوا فيجيء وقتكم وينجز وعدكم (قل) يا محمد لأهل مكة (أرايتم) أي  
أخبروني (إن أنا كم عذابه) الذي تستجملون به (بيانا) ليلا (أنهارا) وأتم في طلب معاشكم (ماذا  
يستجمل منه المجرمون) أي أي شيء من العذاب يستجملونه وكله مكروه لا يلائم الاستجمل . وهذه الجلة  
الاستفهامية جواب ان . والجلة الشرطية كلها متعلقة بأرايتم أي أخبروني أي شيء تستجملون من العذاب  
ان نزل بكم وكله مكروه لا يلائم الاستجمل (أ) تستجملون العذاب (ثم إذا ما وقع) عليكم ونزل بكم (آمنتم  
به) أي آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس كما سيأتي في هذه السورة من إيمان فرعون وقد  
أدركه الفرق وقيل لكم (الآن) أي أحيين وقع العذاب تؤمنون (وقد كنتم به تستجملون) تكذبا  
واستهزاء كما قيل لفرعون فيما سيأتي - الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين - فانظر كيف ذكر هذا  
هنا ليطبق عليه قصة فرعون حتى يعتبروا ويصدقوا أن الإيمان يجب أن يكون وقت القوة والامكان لا وقت  
اليأس ثم عطف على قيل المقدرة (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) الدوام (هل تجزون إلا بما  
كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستنجزونك فيقولون انكرا واستهزاء (أحق  
هو) أي ما جئت به من وعد وقرآن ونبوة تقوله بحجة أم باطل تهزأ به (قل أي وربي انه لحق) نعم وربي  
ان العذاب لكائن وإي من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال أي والله ولا يقال أي وحده  
ومنه (ايوه) مختزل أي والله (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) بالشرك  
أو بالتعدي على حقوق الناس أو حقوق الله تعالى (ما في الأرض) من المعادن والأنهار والخزائن (لافتدت به)  
لجعله فدية لها من العذاب فان ما يملكه يقصد به نفع نفسه (وأسرؤا) فعل أسر يستعمل لانفناء الشيء ولاظهاره  
فهو من الأضداد وهو هنا بمعنى أظهروا (الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من  
فضاعة الأمر فلم يقدرُوا على السكتان (وقضى بينهم بالقسط) أي وحكم بالعدل بين المؤمن والكافر والرؤساء  
والمرؤسين والظالمين والمظلومين من الكفار (وهم لا يظلمون) فيخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب



الظالم وقوله - ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض - لو فيه حرف امتناع لامتناع وانما امتنع ذلك لأن الملك لله فمن أين يأخذ الكافر الفداء وهذا قوله (ألا إن لله ما في السموات والأرض) وقوله (ألا إن وعد الله) أي ما وعد الله به على لسان نبيه ﷺ من ثواب وعقاب (حق) وكن أ كثر الناس لا يعلمون) - إلا ظاهراً من الحياة الدنيا - (مؤيحي ويميت) هو القادر على الأحياء والاماتة (والله ترجعون) وإلى حسابه وجزائه مرجعكم فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) الموعظة ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرغبة . وشفاء الصدور خلاصتها من الشكوك وسوء الاعتقاد . فالمعنى إذن قد جاءكم كتاب جمع الحكمة العملية التي تبين محاسن الأخلاق ومقاصدها والحكمة العلمية التي تشفي الصدور من الجهالة والشك ثم قال - وهدى - إلى الحق واليقين - ورحمة للمؤمنين - لأنهم نجوا به من الضلال في الأخلاق وسوء الاعتقاد (قل) يا محمد (بفضل الله وبرحمته فليفرحوا) إن فرحوا بشئ (فبذلك فليفرحوا) والفاء في قوله - فليفرحوا - زائدة نظيرها في قول الشاعر

\* فإذا هلك فتعند ذلك فاجزعي \*

وكرر ذلك للتأكيد أي ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور ونيل اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه وهذا يقرب من قول قتادة ﴿ فضل الله الإسلام ورحمته القرآن ﴾ وقول غيره ﴿ فضل الله القرآن ورحمته السنن ﴾ وقول أبي سعيد الخدري ﴿ فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله ﴾

وهذه الأقوال كلها متقاربة ترجع إلى أن العلوم والمعارف علمية أو عملية خير من الأمور المادية وهذا هو قوله (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها سريعة الزوال . واعلم أن المعارف هي مصادر المال فالعلوم مقدمة على الأعمال . ولذلك قيل ﴿ نية المرء خير من عمله ﴾ والنية من نتائج العلم والعمل نتيجة النية . وقد ظهر في هذا الزمان بأجلى مظهر أن الأمم المتعلمة تتغلب على الجاهلة فاصبح العلم مصدراً للقوة والمال . فالعلم يرقى العقول ويصلح الأحوال ويجلب الأموال . فأما جلب الأموال بالطرق العقيمة فانه يضعف الوقت ولا يرفع النفس إلى معالي الأخلاق . فأما العلم واقتناؤه فان صاحبه يعرف من ضروب الأسباب ما يسعده ويسعد أمته بأدنى عمل كعلم الكهرباء فان استعمالها في انارة البيوت وجرى المركبات أراح الإنسان من عناء المشى والحيوان من تعب السكك . فلهذا درر العلم فانه راحة للجسام وسعادة للقلوب فبالعلم فليفرح العالمون وبالنعم الدنيوية فليفرحوا لا باعتبارها أنفسها بل باعتبار أن الله أنعم بها أي فليفرحوا بفضل الله على العبد لا بنفس النعم فمن أنعم الله عليه بولد أو مال أو ذكر فليكن فرحه بأنه صدر من الله وأن الله تفضل به عليه لا بنفس النعم لأنها زائلة خسيسة واللذات الخسيسة صائرة للزوال . فأما العلوم والمعارف والفضل الإلهي في ذلك وفي النعم المادية فهو الذي يفرح به العبد . وإذا كان القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وبه وبأمثاله من فضل الله ورحمته يفرح المؤمنون فكيف جعلتم مما رزقكم الله حلالاً وحراماً فحرمتم على أنفسكم في الجاهلية شيئاً وحللتهم آخر كما تقدمت في سورة الأنعام إذ قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا إلى آخر ما تقدم شرحه هناك وكتم حريم السائبة والبحيرة والوصيلة والحام فكيف تفعلون ذلك ولا ترجعون في التحريم والتحليل إلى ما نزل في القرآن الذي هو شفاء الخ وهذا قوله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي أي شئ من زرع وضرع خلق الله لكم بأنزال الماء من السماء وضوء الشمس والحاحه على الأرض وانبات النبات وخلق الحيوان وانما هما (فجعلتم منه) أي من ذلك الرزق (حراماً وحلالاً) كما تقدم (قل) يا محمد (آله أذن لكم) أي أخبروني - آله أذن لكم - في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بآذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في



نسبة ذلك اليه وقوله - ما أنزل - ما استفهامية العامل فيها أنزل وكرر - قل - للتأكيد . ولما كان الافتراء على الله عظيماً أردفه بقوله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أي أي شيء ظنهم (يوم القيامة) يحسبون أنهم لا يحازون عليه . ويوم منصوب بالظن أي أي شيء ظن المفتريين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهذا القول وعيد عظيم لأنه أهم أمره والاستفهام للتوبيخ والتفريع لمن يفتري على الله الكذب وليس تفريع الكاذبين وتوبيخهم إلا هدايتهم وانارة السبل لغيرهم اذا لم يهتدوا فعذاب الله وتوبيخه وأمثالهما يقصد بها جميعها هدايتهم وانارة سبلهم وهذا من جملة النعم فلذلك أعقبه بقوله (إن الله ليرى فضل على الناس) ببعثه الرسل وانزال الكتب وتبيان الحلال والحرام وتفريع الكاذبين كما في هذه الآية (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون الهدى . ولما كان عموم الفضل من الله لا يتم إلا وهو عالم بجميع أحوال العباد ظاهرها وباطنها أعقبه بذلك فقال (وما تكون في شأن) أمر مهم ويكون أيضاً معناه القصد فهو على الأول اسم وعلى الثاني مصدر (وما تلاقونه من قرآن) أي وما تلاقون من أجل الشأن قرآناً (ولا تعملون) أيها الناس جميعاً (من عمل) أي عمل (إلا كنا عليكم شهوداً) شاهدين رقباء مطلعين عليه نحصى عليكم (إذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون من أفاض في الأمر اذا اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد عنه ولا يغيب عن علمه \* وأصل العزوب البعد (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة جزاء وهي خفيفة الوزن جداً (في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولا أكبر) يعني منها (إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ ولانافية للجنس وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (ألا إن أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من حقوق مكروه في المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم فلا من المستقبل يخافون ولا على الفات يحزنون ثم بين من هم فقال أعني أوهم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي (لهم البشري في الحياة الدنيا) بالذكر الحسن وثناء الناس عليهم وبمحبته الناس لهم وبيشارة الله في القرآن بالجنة لهم وبالرؤيا الصالحة يراها الرجل أوترى له . وبأن يرى الولي عند النزع مكانه في الجنة . وبنزول الملائكة بالبيشارة من الله عند الموت لهم فهذه البشارات الستة واردة في كتب التفسير وبعضها في الحديث وسيأتي إيضاح هذا المقام (وفي الآخرة) هي الجنة وأن تتلقاهم الملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وهذا بيان لتولييه إياهم (لا تبديل لكلمات الله) أي ولا تغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ومنها ما وعده أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رساله (ذلك) أي كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) أي النجاة الواقعة فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها . وهاتان الجملتان اعتراض لتحقيق المبشرين وليس من شرط الاعتراض أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله . واعلم أن الولي هو الذي اذا روى يذكر الله وهو المؤمن التقى وهو الذي يحب لجلال الله لا لمال ولا لجاه وهو الذي يذكر الله بذكره ويذكر اذا ذكر الله وهو من الولاء وهو القرب والنصرة فهو يتقرب لله بكل ما افترض عليه وهو مشغل القلب بالله مستغرق في معرفة نور جلاله ولا يرى بقلبه غير الله . ولا جرم أن هذه الصفات اتصف بها الأنبياء ومنهم سيدنا محمد ﷺ واذا كان الولي لا يخاف اذا خاف الناس ولا يحزن اذا حزنوا فالأنبياء أولى ولذلك قال (ولا يحزنك قولهم) أي تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدمير هلاكك وابطال أمرك . وكيف تحزن وأنت ولي الله كما في آية أخرى - إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين - واذا كان العبد كذلك فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لو ثوقه برحمة الله في السراء والضراء صريح أو مرض حي أو مات . وكيف يحزن والحياة والموت عنده سيان كما في آية - قل هل تر بصون بنا إلا احدى الحسينين - فجعل النصر والقتل حسينين فالقتل في الجهاد حسنى والنصر حسنى . ولعمري كيف يحزن من يرى النصر والملك يساويان الموت وترك

الدنيا وإذا كان الأمر كذلك فكيف به إذا كان الله وعده بالنصر وله العزة وحده فإن عدم الحزن أخرى  
فلذلك أعقبه بقوله (إن العزة لله جميعا) كأنه يقول كيف تحزن من قولهم فإن الغلبة والقهر والقدرة لله  
جميعا وقد وعدك بالنصر فأنت ستنصر عليهم فعلم الحزن إذن وقوله (هو السميع) أى لأقوالهم (العليم)  
أى بعزائهم فيكافئهم عليها وقوله (ولله من فى السموات والأرض) أى من الملائكة والنقلين . وإذا كان  
هؤلاء ملائكة لا يصلحون للربوبية فغيرهم من باب أولى وهذا استدلال على ما بعده وهو (وما يتبع الذين  
يدعون من دون الله شركاء) وكيف يكونون شركاء وهم ملائكة (إن يتبعون إلا الظن) أى إنما يتبعون  
ظنهم أنهم شركاء (وان هم إلا يخوضون) يكذبون فيما ينسبون إلى الله وقوله (هو الذى جعل لكم الليل  
لتنسكوا فيه والنهار مبصرا) أى مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم \* تقول العرب (أظلم  
الليل وأبصر النهار) أى صار ذا ظلمة وذا ضياء (إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سمع اعتبار وتدبر  
(قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الجاهلة . وكيف يكون له ولد  
والولد إنما يكون (لأمرين) أن ينفع أبويه فى كبرهما وأن يكون بقاء لذكرهما بعد فناءهما والله (هو  
الغنى) وإذا كان الولد لتقوية ضعف الوالد ولغناه من فقره ولتشراف به من ذله فكيف يكون لله ولد وهو  
غنى عن ذلك كله (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا ولا تجتمع النبوة مع الملك . وهاتان الحجتان  
تدحضان أن له ولدا فلا حاجة لكم أيها الناس فى ذلك وهذا قوله (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم  
حجة بهذا القول فإن الولد لمن افتقر إليه ولا فقر عندى والولد لا يكون مملوكا وأنا أملك السموات والأرض  
ومن فيهن فكيف أملك ما ألد والملك والولادة لا يجتمعان فلذلك ونجهم فقال (أقولون على الله مالا تعلمون)  
فهذا توبيخ وتقرير على اختلافهم وجهاتهم ولذلك رتب عليه قوله (قل إن الذين يفترون على الله الكذب)  
باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه (لا يفلحون) لا يفوزون بالجنة ولا ينجون من النار لا فترأئهم (متاع قليل)  
يقيمون به رئاستهم فى الدنيا وهم كفرون (ثم ألينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم  
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم . انتهى التفسير اللفظى لهذا القسم

(غرائب القرآن فى سورة يونس وهود ويوسف بمناسبة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء

والأرض - الى قوله تعالى - ذلكم الله فأنى تؤفكون - )

جل الله وجل العلم والحكمة وعظمت المنة وظهر النور وبهر وتجلت الآلاء باهرة  
يارب هل نامت الأمم الاسلامية هذه القرون عن هذه البدائع القرآنية . يقول الله فى أول سورة  
يونس التى نحن بصدد الكلام عليها مالم يخصه

(١) ان الذى رباكم هو الذى خلق السموات والأرض

(٢) وهو الذى استوى على الملك

(٣) وهو الذى يدبر الأمر

ويقول هنا فى مقابلة الأول - قل من يرزقكم من السماء والأرض - وفى مقابلة الثانى انه يملك أسماعكم  
وأبصاركم ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي - وهذه الأعمال من مقتضى الاسيلاء على الملك  
وفى مقابلة الثالث - ومن يدبر الأمر -

ذكر هذه الأمور فى أول السورة على هيئة الخبر وذكرها هنا على هيئة الاستفهام وذكر فى ختاميهما  
تدبير الأمر فالعناية متوجهة الى تدبير الأمر وهذا كقوله فى سورة الطلاق - الله الذى خلق سبع سموات  
ومن الأرض مثلهن ينزل الأمس بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير \* وأن الله قد أحاط بكل شئ  
علما - . فالعناية موجهة فى هذين المقامين الى التدبير العام والنظام . هذا مقام الشهود

فهذا هو المقام المحمود ومقام الشهود الذي جاء في سورة آل عمران - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم - أنزلت يا الله القرآن وصرفت فيه من كل مثل وقلت في هذه السورة كما قلت في غيرها • يا عبادي ها أنا ذا أدبر الأمر من السماء الى الأرض فانظروا هذه المشاهد وزوروا هذه المعاهد أما أنا فقد عجبت كل العجب من أهم ينزل كتابها موجهها عنايته الى هذا المقام المحمود ومقام الشهود مقام العلم والحكمة مقام الحكماء الذين يقرؤن علوم هذه الدنيا فيها يعيشون وبها يوقنون وبها يرجعون الى العالم القدسي • يا ليت شعري هل يعلم الناس بعدنا • هل يعلمون أن سياسة القرآن وان كانت متوجهة الى الدعوة الى الله قد تضمنت جميع مطالب الدنيا فانه يستحيل علينا أن نشهد هذا التدبير والنظام إلا بعد دراسته ومتى درسناه قام فريق منا فاختص بالمقام المحمود مقام الشهود فخرجت روحه الى المقام الأقدس وهذا كقوله في سورة البقرة - لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - بجميع العلوم الكونية مبدؤها النظام الدنيوي ونهايتها الرقي العقلي وشهود التدبير • وانى أجد الله وأشكره أن هيا الأسباب وأعد العدد لهذا المقام بهذا التفسير فهو ان شاء الله كاف لمن قرأه وأوجله وفهمه يهديه الى مقام الشهود وبه يكون من أولى العلم الذين هم معطوفون على الملائكة الذين يشهدون الوحدة سارية في هذا العلم مع العدل والقيام بالقسط • ولهذا وأمثاله يقول الله تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - هذا مقام العلماء والحكماء والأولياء • هذا مقام الجد ومقام الصديقين وسيكثرون في هذه الأمة عما قريب هذا ما تجلى في نفسى اليوم صباح السبت السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ (أما سورة هود) فلقد تجلى فيها ما استراه هناك من العجب • فستجد هناك من آيات الله الباهرة التي لم تعرف حتى معرفتها إلا في زماننا وستشهد هناك مشهدا يبهرك وتري نور الله مشرقا على الحيوانات وتذكر منها ما لم يكن ليخطر ببال حكيم من أكابر الحكماء فيمن ترى حيوانا أمامك له لون أو شكل فتمر عليه بلا فكير اذا بك أمام مشهد إلهي باهر عجيب • أتدري لم هذا • هذا لأن الله ذكر في أول السورة أنه مامن دابة في الأرض إلا عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها • ثم بعد آيات كثيرة جاءت قصة هود وأعاد السكرتة على مسألة الحيوان فقال - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - إذن يعلم العقلاء أن هنا سرايب التنبيه له • فكما كان السر في سورة يونس تدبير الأمر العام • هكذا كان السر في سورة هود تدبير أهم الأمور في الأرض وهو عالم الحيوان ولعله لذلك سميت السورة بهود لأن أهم ما فيها انما هو الأخذ بناصية الحيوان المذكورة في قصة هود • يرشدنا الله بعنايته بتدبير الأمر واعادة ذكره وبنظام الحيوان وكلامه الى أن القرآن أنزل لمثل هذا أنزل القرآن لأقوام يعقلون هذه النعم ويفكرون في التدبير المحكم العام نارة والخاص أخرى • أفلا تعجب معي يا صاح كيف نام المسلمون وهم يقرؤن القرآن ويدرسون التفسير أين كانت عقول المتأخرين • اللهم إني قد نصحت وأدبت ماعلى • اللهم فاشهد فانه لا عذر للمسلمين بعد ما كتبت في هذا التفسير ولا عذر لمن عرف هذا ولم يصرف حياته في نشر هذه الفكرة في أمم الاسلام

أما سورة يوسف فقد جاء في أولها - تلك آيات الكتاب المبين - ثم أعاد ذكر الآيات قبيل أواخر السورة فقال - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

يقول ليست قصة يوسف ولا غيرها هي كل الآيات • ان أهل الأرض مغمورون في الآيات تحيط بهم من كل جانب ولكنهم عنها معرضون • إذن سورة يوسف عنايتها بالنظام العام • وسورة هود عنايتها بنظام الحيوان وسورة يوسف وجهتها أن التدبير العام والتدبير الخاص كلاهما دلالات على الله وهي كثيرة جدا حتى ذكرها بلفظ - كأين -



## ﴿ مقاصد قصص القرآن ﴾

اعلم أن قصص الأنبياء أشبه بأشجار ذات فروع وأوراق وأزهار . فالجهلة يكتفون منها بظواهرها والحكماء والعلماء ينتفون ثمراتها . فترى صفار العلم يبحثون في الآثار وفي كتب التاريخ يقول أحدهم أين قوم عاد . أين آثار ثمود . وهل نجد في آثار المصريين ذكر يوسف . وهل حقيقة كان يوسف وزير المالية ودبر الأمور . فبينما هؤلاء يضيعون أوقانهم في ذلك عسى أن يعثروا على ضالتهم المنشودة فيؤمنوا إذا بالطائفة الحكيمة تعرض عن هذا وتقول هذه أشجار وأزهار جاءت لمواعظنا نحن آمناء بها والايمن لن يكفيننا فلا بد من اليقين وأين هو اليقين ثم يجدون ذلك اليقين في ثنايا القصص إذ يقول هود ان كل دابة أخذ الله بناصيتها وفي يوسف أن قصته ليست هي كل شيء فالله أعلم آيات فاليقين والرقى في الدنيا والآخرة إنما يكون بالتوجه للمقاصد والثمرات لا للأغصان والزهرات ولذلك ختم سورة يوسف بأن في قصصهم عبرة لأولي الألباب إشارة إلى أن الناس ﴿ قسمان ﴾ قوم أولو الألباب . وقوم أولو قشور . فأولو الألباب يعمدون إلى لب هذه القصص وأهل القشور يرجعون إلى قشور العاوم كعلم الآثار في المتاحف أو في نواويس قدماء الأمم عسى أن يعثروا على تصديق هذه

كل له غرض يسعى ليدركه \* والحرر يجعل ادراك العلا غرضا

## ﴿ للتدبير ثمرتان ثمرة علمية وثمره عملية ﴾

إن تدبير الأمر الذي ذكره الله هنا وفي آيات أخرى قد ظهر لك أيها الدكي ظهورا على قدر الطاقة الإنسانية وقد رجع إلى نظام هذه الدنيا وحسن اتقانها وعجائنها ومن نال هذا الحظ في هذه الدنيا فإنه يختلس له أوقانا يلحظ فيها جمالا لا يعقله الغافلون فينسلخ من هموم هذه الدنيا انسلاخا موقتا . وهذا الانسلاخ يقرب من السعادة ويبعده من شقاوة المادة . وهذا هو المعنى فيما ورد ﴿ إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر ﴾ . ولما نبحت الآن في صحة سند الحديث وإنما معناه صحيح لأن الذين أدركوا معنى هذه الدنيا يتخلصون من ذل الحياة وأسر المادة في بعض أوقاتهم وهذا هو الذي يشير له الحديث ﴿ أرحنا يا بلال بالصلاة ﴾ . واليه الإشارة في قوله تعالى - قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم - فأثقال هموم الحياة فيها آلام قد تصير أشد من ألم النار بل كثيرا ما يحرق الإنسان نفسه في أيماننا هذه تخلصنا من هموم هذه الحياة . إذن هموم حياتنا قد تعادل النار وقد تكون أشد منها . وكما ورد من الأخبار في هذه السنة عن قوم أحرقوا أنفسهم وأنا نفسي أعرف رجلا بعينه في قرية (المرج) بالقرب من القاهرة علمت منذ شهرين أنه تخلص من آلامه المرضية بإيقاد النار في جسمه فمات محترقا بالنار تخلصا من نار المرض الشديد . فإذا جعل الله النار المحسوسة على إبراهيم بردا وسلاما فهو يجعل نار الحياة التي تشبهها أو تزيد عليها بردا وسلاما أيضا وذلك بإتباع النفس بالعلوم العائمة الداخلة في قوله - يدبر الأمر -

﴿ ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستلذاذ بمشاهدة التدبير ﴾

اعلم أن جميع العلماء الذين أغرموا بعلم خاص كالطب والهندسة والعلوم اللغة وكلهم الحيوان . وهكذا يحسون براحة من هموم الحياة في الوقت الذي يحضرون همهم في علمهم ويحسون بلذة . فهناك ﴿ أمران ﴾ نسبان هموم الحياة في لحظة الاشتغال بالعلم ولذة نفس هذا العلم . فإذا كان هذا في علم جزئي فما بالك بمن نظره في هذا النظام العام كما هو مذكور خلال هذا التفسير . لاجرم ان هذه الطائفة لها لذة أعلى من لذات غيرها ثم يعقبها آلام الحياة المعتادة وهكذا . فهذه هي الثمرة العلمية للعلم بالتدبير العام

## ﴿ الثمرة العملية لذلك التدبير ﴾

أما الثمرة العملية فاعلم أن التدبير كلما كان أتم كانت الوحدة أقوى وأكمل وكلما كان التدبير أنقص

كانت الوحدة أضعف . ولعلك تقول هذا لغز فما معنى ضعف الوحدة وما قوتها أقول . اعلم أن الأمم التي فوق هذه الأرض ونهش معها من أمم الشرق والغرب ﴿ قسبان ﴾ أمم تعامت وعقلت فقامت بالعبدل في أمور الحياة واتصفت بصفات الانسانية فهذه يكثر عددها كأمم الألمان والاطليان وهكذا الولايات المتحدة فهذه الأمم عظمت وقويت وحدتها وهذه الوحدة لم تتم لها إلا بنظام وتديير . ولولا حسن التديير والتعقل ما اجتمعوا فالاجتماع نتيجة حسن التديير والنظام . فأما الأمم الجاهلة فهي التي يقل فيها حسن التديير فتتفرق شيئا ويذوق بعضها بأس بعض . فالأعراب في البوادي والأمم الجاهلة نراهم متفرقين يحارب بعضهم بعضا . واعلم أننا في زماننا نرى الأمة العظيمة الواسعة الأكناف الكثيرة العدد تسطو على التي قل عددها وكأن الله بذلك يذكرنا بأنكم أيها الناس مادتم غير عاملين بنظامي غافلين عن حكمتي في تدييري فانكم مغلوبون على أمركم . ألا ترون أنكم لما قل عددكم ساطت عليكم من هم أ كثر جمعاً لأنهم غالباً ما كثر جمعهم إلا لصلات بينهم وحكومات تقضى بالحق في مشكلاتهم . فأما المتغابذون المتشاكسون فاني أسلط عليهم الأقوياء الذين قلدوني في عملي . انني دبرت هذه الدنيا وجعلتها عالماً واحداً ولذلك تراه متصلاً غير منفصل يستمد بعضه من بعض والناس لما عجزوا عن تقليدي في صنعتي عذبتهم على مقدار هذا العجز ولو أنهم قلدوني في تدييري لسكانوا أوفر جمعاً نخاف عدوهم منهم لوحدهم القوية المستعدة من وحدانيتي هذا ما فهمته من قوله تعالى - ومن يدبر الأمر - في هذه الآيات وملخص هذا كله أمران ﴿ الأمر الأول ﴾ أن الناظر في هذا العالم الذي درسه يكون له أوقات يلمح فيها جناب القدس وينال بهجة لا يعرفها سواه ﴿ الأمر الثاني ﴾ أن الأمم التي هي أتم نظاماً تكون أوفر عدداً والعكس بالعكس ويكون العز غالباً لكثرة العدد المنظم أولقوة الجماعة التامة والنل لمن ليس كذلك

﴿ كيف يشهد الناس التديير في هذا النظام ﴾

اعلم أننا مادمننا في هذه الأرض فاننا لانشاهد صانع هذا العالم بحواسنا كالسمع والبصر الخ لأن هذه لا تدرك إلا الأجسام وانما تدرك آثاره في نظامه وتدييره وتتهيج ويكون ذلك سعادة مجهزة في الدنيا وهي أرقى السعادات لأنها خاصة النفس الانسانية . فاذا انسلخنا من هذه الأجسام إما بالموت وإما بالرياضات . فقد نرى فوق ما يراه الناس في الأرض ولكن لانشاهد الله عز وجل قط إلا اذا خلصت أرواحنا من كل ما يلازمها من عوائق الكمال فانها بعد الموت مادامت ملطخة بالآثام فانها تكون أشبه بالمادية ولا تزال ترتقي في الصفاء طبقاً عن طبق حتى تصير روحاً خالصة أشبه بالملائكة فتعابن الله

ولما كان الانسان في هذه الأرض على هذه الحال ذكر في المرتبة الثالثة في قوله - شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم - فأولو العلم في الأرض يشهدون آثار النظام والملائكة يشهدون مشاهد أرقى ولا يعلم الله حق معرفته الا الله تعالى وليس كلامنا في الأنبياء فهذه طبقة لها مقام لسنا من أهلها حتى نخوض فيه . انتهى

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ألا إن أولياء الله الخ - وتحقيق هذا المقام ﴾

اعلم أن قوله تعالى - وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - متصل بقوله تعالى - وما تبع الذين يدعون من دون الله شركاء - فأما ما بينهما وهو قوله تعالى - إن الله لذو فضل على الناس - وما اتصل به من ذكر أن الله مطلع علينا حين نندفع في شؤوننا وحين نتلو القرآن لأجل تلك الشؤون لنعمل بمقتضاه وحين نعمل أي عمل وأن الله عز وجل لا يغيب عنه شيء صغير أو كبير وذكر الأولياء وأنهم لا خوف عليهم الخ وذكر صفاتهم وأمر النبي ﷺ ألا يحزن وتذكيره بأن العزة لله جميعاً وذكر أن لله مافي السموات ومافي الأرض فهذا كله كمقدمات لقوله - وما تبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن - لتأييد قوله

أولا - وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - واعلم أن عادة القرآن أن يدخل في غصونه من المصالح والمعارف والحكم ما يثلج له قلوب المستبصرين فبينما تراه يثبت عدم الشريك وخطأ الكافرين تراه يأتي لك بالعجب العجيب من عموم علمه وانصر أوليائه وكان حكاية الكفار كانت سببا في ادخال هذه الحكمة العجيبة الجليلة

واعلم أن مدار المقال في هذا المقام على عموم علم الله لكل صغيرة وكبيرة وأولياء الله تعالى هم الذين تقدم تعرفهم بأنهم المتحابون في الله كما في حديث مسلم ﴿ يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظاهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ﴾ وفي رواية الترمذي ﴿ لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء ﴾ وفي رواية ﴿ يجعل لهم منابر من لؤلؤ فتقام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون ﴾ وتقدم أيضا تعرفهم أنهم يذكرون بذكر الله ويذكر الله بذكرهم فقد روى أن النبي ﷺ قال ﴿ قال الله تبارك وتعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكرى وأذكرون بذكرهم ﴾ وهذا ذكره بغوى غير سند

فهؤلاء الأولياء لا يخافون ولا يحزنون . واعلم أن في الولاية معنى القرب وليس القرب من الله بالمكان وإنما القرب له بالعلم . فإذا علم العبد أن الله سبحانه هو الذي نظم هذه الكائنات وأحاط بها علما وربط العالم العلوي بالسفلي بحيث جعل ضوء الشمس والقمر والكواكب نافعا لزرعنا ولنا وللحيوان وجعل حركات تلك الأجرام معلمة لنا وهادية بحيث نعرف بها أوقاتنا وسير سفننا في البحر بمواقع النجوم وكان هذا العالم كله جسم واحد فكل حركة وسكون معلومة عنده جعلت لمصلحة حتى أدنى حركة من كوكب وهذه الأرض التي نحن عليها ومن هم فوقها مرتبطون بالعالم الأخرى ارتباطا لا انفكاك له

فإذا عرف العبد هذا وأيقن به ثم زاد ذلك الايقان بما يرى من الأدلة والبراهين الدالة على علم الله تعالى بكل صغيرة وكبيرة فإنه لا يخاف ولا يحزن وقد قال الله تعالى في آية أخرى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير \* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فهذه الآية تشير إلى أن العبد متى أيقن أن الله يعلم كل شيء وقد كتبه في اللوح المحفوظ فإنه لا يحزن ولا يفرح لأنه يعلم أن ذلك لا بد منه وأن الله يفعل لمصلحة العبد ولا يظلم أحدا وأن العبد اذن لا تقصير عنده لأن القدر غالبه فالمدار على ايقان العبد بأن الله يعلم كل شيء وهذا اليقين عزيز الوجود وإنما الذي في القلوب إنما هو الايمان والايمان أقل من اليقين

ولما كان المقام مقام العلم وعمومه لكل شيء أتبعه بذكر الأولياء للإشارة إلى أن ولايتهم إنما جاءت من جهة اقترابهم بالعلم . ومن عجب أن يذكر في الحديث ﴿ الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴾ فعن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى - لهم البشرى في الحياة الدنيا - قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له (أخرجه الترمذي) وفي البخاري أيضا أن رسول الله ﷺ قال ﴿ رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ﴾ وروى مسلم ﴿ وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله . ورؤيا تحزين من الشيطان . ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ﴾

قال العلماء إن ولي الله لاستغراق همه في جلال الله يكون عند النوم مشغول القلب بالله فلا يرى الا صدقا . ويقال إنما كانت جزءا من ستة وأربعين لأن مدة الوحي ٣٣ سنة وكان في ستة منها يؤمر في النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا

أقول إن في ذكر الرؤيا هنا إشارة إلى أمر أعجب وعلم أحكم فإن الناس كما قاله بعضهم لم يصدقوا الأنبياء إلا لما ركز في نفوسهم من أن فيهم من يرى بعض رؤى صادقة تقع كما رؤيت فلذلك جوزوا أن يكون من



الناس من يطلع على المغيبات الدينية كالأنبياء . وأيضاً أن الانسان اذا رأى رؤيا ووقعت كما هي وكان قد رآها قبل وقوعها فان ذلك دليل أن الله تعالى يعلم كل شئ قبل حصوله . واذا كان العبد قد علم ذلك قبلها بزمان يسير فالله يعلمه قبل خلق الانسان فعليه تسكون الرؤيا الصادقة من الدلائل عند الناس أن الله يعلم كل شئ قبل حصوله والايمن لا يكفي لذلك لأن الايمان لا يعطى الناس اليقين وانما الايقان بأحوال أخرى فوق الايمان فاعجب لذكر أولياء الله بعد ذكر علم الله وكيف كانت الولاية هي القربى والقربى انما تسكون بالعلم ومن زاد علمه بهذا العالم ونظامه وأيقن بانتظامه ورأى تناسق العوالم العالوية والسفلية وارتباط بعضها ببعض وأن حركات الكواكب لها اتصال تام بعالمنا ونظامه وهذا النظام أشبه بما في الصلاة من الدعاء بالهداية العامة إذ يقول المصلي - اهدنا الصراط - ولا يقول اهدني وحدي . ويقول إن المحامد لله لأنه ربي العوالم كلها . ويقول إن التعظيمات كلها لله ويلقى نظرة على النبوة العامة وعلى الناس الصالحين كأنهم شخص واحد تصلهم السلامة من الله الذي يسلم عليهم يوم القيامة . أقول فن ينظر للعوالم وهي مرتبطة ارتباطاً محكماً وللائمة كلها وارتباطها في دعاء المسلم وانهم جميعاً متضامنون متحابون يدعوا آخرهم لأولهم ويعلم أولهم آخرهم كما ارتبطت العوالم كلها بعضها ببعض فانه يعتريه الدهش من نظام بديع وثيق ويحار لبه لاسيما اذا لاحظ تألق الأنوار المشعة في نواحي هذا العالم وحسابها الدقيق البديع فانه يختر ساجدا لتلك العظمة ويحب ذلك الجلال ويبحث في العوالم على ضالته المنشودة ويرى أن بغيته أن يقف على ذلك السر المصون وأن العالم كجسم واحد تدبره ذات واحدة لا يعزب عنها صغير ولا كبير من أموره ثم اذا ازداد هذا الرأي عنده فعرف أنه لا يفعل إلا لمصلحة لئلا يخلو نفسه وأن الخير والشر الجارين على كل مخلوق انما جعل لكمال . واذا تأكد عنده أن الله يعلم كل شئ وهو المحرك لكل شئ فانه لا محالة يزول عنه الخوف والحزن فلا يخاف من مستقبل لأنه يرى الله الرحيم هو الذي يتولاه كما تولى كل حيوان ونبات ولا يحزن على ماض لأنه يعلم أنه لا يفعل له فكيف يندم على ما لا قدرة له عليه . واعلم أن الناس وإن كانوا مؤمنين لا يزال يساورهم الوسواس ويقولون لو فعلنا كذا لحصل كذا ويخافون من أحوال آتية في الحياة وبعد الموت وذلك لعدم ثقتهم بأن الله مطلع على الصغيرة والكبيرة ولوعلموا ذلك مع علمهم أنه أرحم من الأم ما هلت قلوبهم ولا جزع نفوسهم ولكنهم إلا قليلاً منهم لا يعلمون ذلك فكانت الرؤيا التي وردت في البخاري ومسلم أنها من المبشرات نافعة أيضاً في ايقان الناس بأن الله يعلم الأشياء قبل حصولها فيستيقظون لتلك العلم ويفتح لهم باب المعرفة فيرون الله مطلعاً على العباد ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيقل الحزن والخوف

واعلم أن الأولياء والأنبياء والعلماء والأكابر والحكماء جميعاً يخافون ويحزنون ولكن الخوف والحزن عندهم جزئى لا كلى لأنهم يعتقدون نهاية كل شئ وأن الله هو الخالق فيفوضون الأمر إليه . وأيضاً اذا جد العبد واجتهد وفعل كل ماوجب عليه ثم نزل المقدر فزنه يكون ضئيلاً بالنسبة لحزن الجهل الذين قصر نظرهم . هذه هي الحال العامة في سائر الأولياء والأنبياء فجميعهم هذه حالهم على سبيل الاجال وهناك حال خاصة ﴿ ذلك ﴾ أن العبد اذا استغرق في معرفة الله بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شئ مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة وصاحبها لا يخاف شيئاً ولا يحزن بسبب شئ . وكيف يعقل ذلك والخوف والحزن لا يحصلان إلا بعد الشعور بالشئ . والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله فيمتنع أن يكون له خوف وحزن وهذه درجة عالية والناس في كل وقت يشاهدون من هو مغرم بمشوقه حتى ينسى ماله وولده . ومن هو مغرم بقتال عدوه فينسى ولده وماله وقت الانهماك في القتال . ومن هو مستغرق في الهوى في شئون أخرى وكلهم على هذا المنوال وهذه حال خاصة ليست دائمة . وكل هذا الذي ذكرناه في الدنيا . أما أحوال الناس في الآخرة فالأولياء والأنبياء هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهذا

## ﴿ حكاية ﴾

عن ابراهيم الخواص أنه كان بالبادية ومعه واحد يصحبه فانفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له جفلس في موضعه وجاءت السباع ووقفت بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا على نفسه منها والشيخ ما كان فزعا من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحال بما قبلها فقال الشيخ انما تحملنا البارحة ماتحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما زال ذلك الوارد فأما أضعف خلق الله . وهذه الحكاية سواء أصبحت أم لم تصبح رمز لحال جميع الناس أنهم ان ورد وارد عليهم أهمهم شغلهم ذلك الوارد فرب رجل تقطعه السيوف في الحرب وقد غاب شعوره من خوف أو ذهول وهنا في حب الله قد يغيب الشعور للحب أو لمشاهدة جلال غالب في النفس . وعلى ذلك تفهم ما يتغنى به كثير من الناس من قول ابن الفارض وبما شئت في هوائك اختبرني \* فاختبرني ما كان فيه رضاك

فان هذا القول نقله صاحب الاحياء الذي كان قبل ابن الفارض بأكثر من قرن عن بعض الصوفية وقال ان قائله أصيب بحصر البول ثلاثة أيام فاضطر أن يجمع الأطفال ويقول لهم قولوا فلان كذاب فلان كذاب ثم عفا الله عنه وشفى . والحاصل أن الناس في الدنيا أقسام (١) منهم من يرى أن العالم مادي لا عقل فيه وكل ما فيه انما هو مصادفات وحق وخرن . وهؤلاء يحزنون ويخافون

(٢) مؤمنون بالله ولكن هؤلاء في أكثر الأوقات غافلون عن أنه مطلع ومقدر لكل شيء فهؤلاء ربما قل الحزن والخوف عند التذكير ولكنهم في أكثر الأحوال مثل غير المتدينين يسرون على مقتضى العادة من الهلع والجزع

(٣) مؤمنون أتقياء صالحون وهؤلاء بتكرار ذكر الله والاعتبار يقل الحزن عندهم ولكن هذا ليس مطردا فيهم . ومنهم من تغلبه الحال فلا يخاف ولا يحزن إذ ذاك فإذا زالت تلك الحال رجع الى عادته (٤) مفكرون عرفوا أن الله مطلع على كل شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وهؤلاء ربما يقل الحزن والخوف عندهم ولكن ذلك يعوزه أن يقف المرء بنفسه على أن الله يعلم كل ذرة ويكون ذلك نصب عينيه ببراهين لا تقبل الشك عنده ويقتنع هو بها وهذا يكون أقرب الى السعادة فلا خوف ولا حزن عنده إلا قليلا وهذا هو المذكور في قوله تعالى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير \* لكيلا تأسوا الخ -

والحق أن الانسان لا يهدأ له بال إلا اذا أيقن وشاهد أن هذا العالم في يد الله وأنه مطلع على صغير الامور وكبيرها وأنه لا يفعل إلا لمصلحة العبد وأن كل ما يفعله العبد أو ينتابه كان مقدرًا في الأزل . متى تم ذلك تمت سعادة المرء في الدنيا قبل الآخرة لأنه أصبح ولا حزن عليه ولا خوف . وكيف يخاف وهو يستقد أن الله رحيم وأن ما أصابه من خير ليس من نفسه وما أصابه من شر ليس من نفسه وأن ذلك بالقضاء والقدر والله لا تبديل لكلماته ومقدراته فانها كلها بقضاء الله ولا تبديل لذلك القضاء وهذه راحة تامة نفسية . فاذا انضم لذلك أن يكون المرء متوكلا على الله حقا أي قائما بكل الواجبات وكل ما يجب عليه وقام في حياته على السنن المرسوم الطبيعي فمثل هذا العبد سعيد اليوم وسعيد غدا فلا حزن اليوم ولا خوف ولا شقاء غدا . واياك أن تظن أن التوكل على هذا النمط غير سائغ فلتعلم أن المتوكل ان لم يقم بكل ما ذكرته فهو مغرور وليس بمتوكل انتهى القسم الرابع

## ( الْقِسْمُ الْخَامِسُ )

قِصَّةُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي  
بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ  
أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ \* فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ  
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ  
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ \* ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا  
إِلَى قَوْمِهِمْ فَبَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى  
قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ \*

## ( التفسير اللفظي )

اعلم أن الله لما ذكر في هذه السورة أمر الكفار وانهم لا يفلحون وأن العزة لله جميعاً وأن لكل أمة أجلاً  
وأن العذاب آت وما أشبه ذلك من الوعيد تصريحاً وتلويحاً ناسب أن يذكر قصة لأن التاريخ أحكم في النفوس  
وأوفق للعقول وأشد وقعاً وأعظم وعظماً فقال (واتل عليهم) يا محمد (نبأ نوح) خبره مع قومه (إذ قال  
لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله تعالى - ولئن خاف مقام  
ربه جنتان - أي خاف ربه أو مقامى أى مكئى بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاماً (وتذكيري) إياكم  
(بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فأجمعوا أمركم) فاعزموا عليه من أجمع الأوصياء إذا نواه وعزم عليه  
(وشركاءكم) الواو بمعنى مع أى اجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم) فى قصدى (عليكم غمة) أى  
لا يكن قصدكم إلى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونى به هـ والغمة السترة من غمه  
إذا ستره (ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى  
الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم (ولا تنظرون) ولا تهملونى (فإن توليتم) فإن أعرضتم عن تذكري  
ونصحتى (فما سألتكم من أجر) من جعل يوجب توليكم عن نصحتى ويستدعى الحزن على ما يفوتنى إذا  
توليتم وإنما أذكركم لوجه الله وذلك أوقع فى النفس (إن أجرى إلا على الله) وهو الثواب الذى يثيبني به  
فى الآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المستسلمين لأوامره ونواهيه (فكذبوه) فداموا على  
تكذيبه (فنجينا) من الفرق (ومن معه فى الفلك) أى السفينة \* يقال انهم كانوا ثمانين (وجعلناهم  
خلائف) أى وجعلنا الذين معه فى الفلك سكان الأرض بعد الهالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)  
بالطوفان وقوله (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) تحذير لمن كفر بالرسول ﷺ وتسليم له وقد تم هذا  
فانهم حل بهم ما حل بقوم نوح فى الغزوات المتتابعة فأولئك أغرقوا وهؤلاء قتل منهم قوم والآخرين  
أساموا كما أسلم ذرية الذين قتلوا وتم الأمر وهو من عجائب القرآن بل هذه أهم معجزة فكيف يقول هذا  
فى مكة ثم يصح الأمر وينتم النصر كما أنذرهم وهذا هو العجب العجيب (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعده) من  
بعد نوح (رسلاً إلى قومهم) كل رسول إلى قومه (فبأوهم بالبينات) المعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما



كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة تمسكهم بالسفر (بما كذبوا به من قبل) أي بسبب تهودهم  
تكذيب الحق وتجرئهم عليه حتى صار كالطبيعة فيهم . ثم قال مثل ذلك الطبع (نطبع) أي نختم (على  
قلوب المعتدين) أي المجاوزين الحد في التكذيب . انتهى تفسير القسم الخامس

### ( القسم السادس )

قِصَّةُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
قَوْمًا مُجْرِمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ \* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ  
لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتِنَا عَمَّامًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ  
أَتُتَوَنَّى بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ \* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقُوا مَا أُنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَلَمَّا  
أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ \*  
وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْجَاحِلُونَ \* فَآمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى  
خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ \*  
وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ \* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ  
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \*  
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوًّا وَاجْعَلُوا لِيُؤْتِكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا  
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا  
يَعْلَمُونَ \* وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا  
أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \*  
الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ  
خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ \* وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَوَّأً  
صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ

## الْقِيَامَةُ فِيهَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ \*

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون رمائه باياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام واجترؤا على تكذيب الرسل لما انطبع في نفوسهم من الذنوب والقسوة . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (فلما جاءهم الحق من عندنا) بتظاهر المعجزات الباهرة (قالوا إن هذا لسحر مبين) فأتق في فنه واضح (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هذا استفهام الإنكارى والمقول محذوف تقديره انه لسحر ثم قال (أسحر هذا) وهو استفهام آخر على سبيل إنكارى يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة هذا بقوله (ولا يفلح الساحرون) يقول لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولكنه لم يضمحل وأبطل سحر السحرة فهو إذن ليس بسحر ولما لم تستقم دعواهم أنه سحر شرعوا يذمون دعوى أخرى إذ (قالوا أجنثنا لتلفتنا) لتصرفنا . واللفت والقتل أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) أى الملك فى أرض مصر وسمى الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون إئتوني بكل ساحر عليم) حاذق فى السحر وذلك لمعارضة المعجزة التى أتى بها موسى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا (إن الله سيبطله) سيمحقه أو سيظهر بطلانه (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبت ولا يقويه لأن السحر تمويه لاحقيقة له . وقد شرحت هذا الموضوع فى سورة البقرة فارجع اليه إن شئت (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) بأوامره وبوعده الصادق لموسى أنه يظهره أو بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة وأن الحق يعمل على الباطل ولو بعد حين (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ أمره (إلا ذرية من قومه) إلا طائفة من ذرى بنى اسرائيل أى الأولاد من أولاد قومه لأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون ولم يجبه إلا طائفة من أبنائهم مع الخوف كما هى العادة أن الشبان أسرع لقبول السعوة الصالحة . أما الشيوخ فقد تصلبت فيهم الآراء القديمة ولبسوا ثوب المذلة ضافيا عليهم ولم يصل لذلك أبنائهم كما هو دأب الأمم كلها . فالشبان أول سابق للوطنية والسياسة وللانقلاب العام فقلوه (على خوف من فرعون وملئهم) أى أشرف آل فرعون (أن يفتنهم) أى أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه . فهذا القول تبيان لحال كل دعوة دينية أو سياسية فى أول أمرها إذ يكون المتبعون من الشبان ومن الضعاف وهم خائفون وجاؤون من رجال السياسة والملوك وإنما أفرد الضمير الفاعل فى قوله . أن يفتنهم - للدلالة على أن الخوف من الملائ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الأرض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية . ولما كان الدعاة دائما يشجعون المدعويين ويثبتونهم على المبادئ الجديدة ورأى موسى شبان بنى اسرائيل خائفين وجلين أخذ يثبتهم ويقوى إيمانهم ويريههم أن الله هو مدبر الامور وأمرهم بالتوكل عليه فامتثلوا أمره وطلبوا من الله ألا يبتليهم بتعذيب الظالمين وأن ينجيهم برحمته من كيد القوم الكافرين ومن شؤم مشاهدتهم وهذا هو قوله (وقال موسى) الى قوله (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقوله (توكلوا) أى ثقوا وقوله (مسلمين) مسلمين لقضاء الله مخلصين له (فقالوا على الله توكلنا) لأنهم كانوا قوما مخلصين فلذلك قبل توكلهم وأجاب دعاءهم إذ قالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة أى عذاب يعذبوننا أولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على الحق ما عذبوا ويظنون أنهم خير منا فيفتنون بذلك (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم

في الأعمال الشاقة . ولما كان من عادة الأنبياء وسائر المصاحين أنهم بعد أن يطهروا قومهم ويسكنوا جاشهم يبعثون فيهم روح النظام ويأمرهم بالاستقامة ونظام المدن وحفظ الحال العامة أردفه بما يفيد أن الله أوحى إلى موسى وهرون أن يجعلوا لقومهما بمصريوتا من بيوتها يرجعون إليها وينوطنون فيها وأمر الجميع أن يجعلوا تلك البيوت مصلى يصلون فيها خيفة من الكفرة من آل فرعون لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان ذلك في أول الاسلام وفي أول كل دين جديد من الأديان وأمرهم بأقامة الصلاة فيها حتى يأمنوا على أنفسهم ثم أمر موسى أن يبشرهم أنهم لا يصل اليهم مكروه وهذا قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت) إلى قوله (وبشر المؤمنين) ولما كان لكل داع من الدعاة نظرة فيمن بلغهم رسالته فتارة يدعو بالهلاك كنوح . وتارة يرجو أن تكون منهم ذرية مؤمنة فيقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . كسيدنا محمد ﷺ وتارة يكون الدعاء بين هاتين الخصلتين كما في هذا المقام دعا سيدنا موسى ربه قائلا ربنا إنك أعطيت فرعون وأشرف قومه ما يزينون به من الملابس والمراكب ونحوها كما هو مشهور في الشرق والغرب من آثار الفراعنة وأنواعا من المال وتكون عاقبة ذلك أنهم يضلون الناس عن سبيلك ويكونون فتنه لمن رآهم من الناس على هذه الحال فيارب اطمس على أموالهم واحرقها بحيث لا ينتفعون بها بأن يدفنها في المقابر والنواويس ويجعلوها حليا للماوك والمملكات في قبورهم فاجعل يا الله كل همهم في ذلك الطمس واشدد على قلوبهم أي قسها واطبع عليها حتى لا تؤمن إلا بدينها القديم ورأيها العتيق من دفن الأموال والتزين بها تحت التراب وتحلية الأموات بها وتبقى البلاد المصرية معرة من الحراس لأن الحراسة يلزمها المال والمال معظمه يكون تحت التراب فلذلك تجد بيوت المصريين القدماء أكثرها من اللبن . أما المقابر فأنها مزينة بالرسوم والتماثيل والذهب والفضة وبجميع الأحجار الثمينة . ولما استمرروا على هذه الحال مدة طويلة وقست قلوبهم دخل البلاد ملك الفرس وأهلك الحرث والنسل وذاقت مصر العذاب الشديد بسبب العقائد الموروثة التي جعلتهم منهمكين في دفن الأموال مع الأموات وجعلتهم يعبدون الحيوانات كالهرة ولما دخل (قمير) مصر في مدة الأسرة السادسة والعشرين التي هي الأسرة الثامنة بعد خروج بني اسرائيل من مصر لم يساعده على اهلاك البلاد إلا عبادة الهرة فإنه أمر بإيقاف صف من القطط بين الجيشين فتحامي المسكر المصريون أن يضربوا آلهتهم وهي القطط وانقض عسكر الفرس على مصر بسبب أن قست قلوبهم على عبادة الحيوانات كما قست بدفن الأموال في القبور فذهبت مصر سدى ولم يؤمن المصريون إيماننا صحيحا إلا بالدين المسيحي بعد ذلك والبالدين الاسلامي آخر الزمان . فهذه هي القساوة وانك لترى آثار المصريين الآن في القبور وأهل الشرق وأهل الغرب ينقبون عليها وتعجب من القرآن وحكمه وتعجب كيف ذكر الله هذا وكيف قال اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم وكيف ظهر الأمران . فالأموال ملأت متاحفنا المصرية ومتاحف فرنسا وأمريكا وانك ترا وسائر متاحف أوروبا وطمس القلوب ظهر أثره في بقائهم على جهالتهم حتى تنصروا لما كانت النصرانية في أول أمرها ثم أساموا إلى الآن

أليس هذا من العجب . أليس من العجب أن الله لم يذكر طمس الأموال فيما أذكر ولم يذكر نجاة الأجسام كما سيأتي إلا في الفراعنة . أليس هذا من عجائب القرآن . وكيف يذكر طمس الأموال وقد ظهرت ونجاة الأبدان بغير أرواحها وهذا أمر مشاهد كما سأوضحه قريبا . وكل هذا وذاك في الأرض المصرية الآن واضح . إن هذا العجب عجاب وهذا هو قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون) إلى قوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فقوله (ليضلوا عن سبيلك) أي ليضلوا الناس عن طاعتك وهو متعلق بآيت و ربنا تكرر للأول للإلحاح في التضرع وهذا كقوله - انما نلهم ليزدادوا إيمانا - والطمس على الأموال هنا معناه دفنها وعدم ظهورها والانتفاع بها وهو المعروف الآن . وليس ما قيل في



بعض التفاسير أنها مسخت حجارة بحق لأنه ظهر خطؤه الآن والقرآن معجزة باقية الى آخر الزمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) جواب للدعاء والمراد بالعذاب الأليم ما أحاط بالأمّة المصرية من العذاب الذي حلّ بها من العقائد المنحرفة عن سنن دينهم الأصلي الذي كانت فيه العبادة على وجهها فطمسوا على الأموال وعبدوا الأشجار والحيوانات فكان ذلك سببا لدخول الأمم بلادهم كما تقدّم وهذا هو العذاب العام ولم يؤمنوا بدين خال من الوثنية حتى جاء المسيح فاتبعوا دينه قبل أن ينسخ ثم جاء الاسلام فاتبعه أكثرهم ولم يكن ذلك إلا بعد أن ذاقوا العذاب الأليم من الأمم المحتلة من الفرس واليونان والبطالسة والرومان فهذا هو العذاب الأليم العام وهناك عذاب أليم خاص وهو ما حصل لفرعون وجنوده لما غرقوا في اليم ولم يؤمن فرعون حتى رأى العذاب الأليم بالغرق ولم ينفعه إيمانه كما ستره قريبا . ولما كان هذا الدعاء واردا من موسى موافقا لما في علم الله وأمره المطرد في الأمم من أنها تسير على نوااميس ثلاثها وتوافقها ومن نوااميس المصريين ملازمة التفنن في عبادة الأوثان ودفن النقوش والرسوم والأشجار الثمينة والذهب والفضة أردفه بما يفيد الاجابة (قال قد أجييت دعوتكما) يعني موسى وهرون (فاستقيما) فاثبتنا على ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كأثن ولكن له وقتا معلوما \* ويقال انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي طريق الجهالة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعده الله تعالى فليس في الأرض من داع لأمر عظيم إلا اذا كان واثقا بنجاح دعوته وظهور أمره . فأما الذي لا ثقة له بمستقبل أمره فانه لانجاح له في عمله ولا ثبات له في دعوته . ثم أخذ يشرح العذاب الأليم الخاص المتقدم فقال (وجاوزنا بني اسرائيل البحر الأحمر وجوزناهم فيه حتى بلغوا الشط حافظين لهم \* وقرئ - جاوزنا - كضعف وضاعف (فاتبعهم فرعون وجنوده) أي لحقهم وأدركهم (بغيا وعدوا) أي ظاهرا وعدوانا أي باغين وعادين أولبغى والعدو (حتى اذا أدركه الغرق) لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) في وقتها \* قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل والإيمان والتوبة عندهما عينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وفي آية أخرى - فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا - وفرعون ذكر الإيمان والاسلام واعترف بهما ولم ينفعه (آلان) أي قال الله أو الملائكة آلان تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وتكبرت عنها وآثرت دنيائك الفانية (وقد عصيت قبل) كفرت بالله (وكننت من المفسدين) في أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء لغير الله وعبادة العجل المسمى ﴿عجل أبيس﴾ وبعض الطيور (فاليوم ننجيك ببدنك) نبعدك عما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك على نجوة من الأرض ليراك بنو اسرائيل وغيرهم (ببدنك) في موضع الحال أي كاملا سويا (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من بني اسرائيل وغيرهم من أمم الشرق والغرب - آية - أي عبرة وموعظة ليعرف الناس أن أعظم الملوكة قدرا وأبعدهم صيتا وأعظمهم ذكرا وأرقاهم منزلة وأسماهم مقاما وأرفعهم مجدا قد تحطفته المنون ونزل به الهون . وهاهوذا في المحدث مدفون وفي الصندوق مقفلا عليه . وأيضا يعتبر الناس بالقرون الخالية والأمم الماضية فيعرفون صناعاتهم وعالومهم ومعارفهم . ومن عجب أن القرآن لم يذكر هذا القول في أمة من الأمم ولا في جيل من الأجيال إلا في قدماء المصريين فانهم هم الذين سخرهم الله بعقائدهم التي أودعها في نفوسهم وربطها رباطا وثيقا في قلوبهم أن يحفظوا أمواتهم في صناديق مقفلة . وليس يعرف أحد من المسلمين معنى قوله تعالى - فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية - إلا اذا حضر الى بلادنا المصرية وشاهد جثث الملوكة في صناديق عجيبه الشكل بديعة الصنع وهي محنطة منذ ثلاثة آلاف وأربعة آلاف وخمسة آلاف أوستة آلاف سنة وعليها أ كفافها لم يبل منها ثوب ولم يتفتت عضو من الأعضاء فيها ولم يكن رميا . فهذه الجثث الباقية التي نشاهدها في متاحفنا

المصرية لاسما ما يتجدد حديثا كمقبرة ﴿توت عنخ أمون﴾ التي أشرنا إليها في سورة البقرة عند قوله تعالى - يحبونهم تحب الله - شواهد ناطقة وحجج قائمة على جمال الله عز وجل ونعمه التي أغدقها على الأمم السالفة والأجيال البائدة . وكيف أعطاهم هندسة وعلمها ونظاما عجيبا غفل عنه المحدثون . وكيف نطقت آثارهم بما لله من مجد وفضل ونحن على الأمم القديمة . وكيف عجز اللاحقون عما أنشأه السابقون . وكيف ألهم الله قدماء المصريين أن يبقوا هذه الجثث ذخيرة لنا وآية قائمة على جلال الله وجلاله . وكيف كان ذلك منفعة للأمم الحديثة ودرسا لعلمائها أنهم مسبقون بأهم أعظم قدرا منهم . إن هذه الآية من بدائع القرآن وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها أن يدرسوا علوم قدماء المصريين . أليس من العيب عليكم أيها المسلمون . أوليس من العار الخجل . أليس من أكبر المصائب التي حلت بأمة الاسلام أن الفرنجة هم الذين يتسابقون الى تعلم لغة القوم ويمنون علينا أنهم أعلم منا بها . أوليس من المحزن المبكى أن أمة الاسلام هي التي تجهل قدماء المصريين الذين قال الله فيهم - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

فيا ليت شعري لم ذكر هذه الجلة هنا . وكيف أوردها في هذا المقام . وكيف يقول ان كثيرا من الناس غافلون عن آياتنا لا يفكرون ولا يعتبرون بعد ما تقدم . أليس ذلك لعظم الأمر وأن قدماء المصريين سيكون لهم شأن وأنه بهذه الآية نبه المسلمين الى ذلك . وأنا أقول . أيها المسلمون . أما أن لكم أن تدرسوا الأمم القديمة . أما أن لكم أن تدرسوا علوم الأمم القديمة والحديثة . أما أن لكم أن تدركوا مجدكم وشرفكم . وكيف يسبقنا الى علمهم أهل أمريكا وأهل ألمانيا وغيرهم . إن ذلك هو الضلال الكبير والخزي العظيم والمصاب الجلل

يا أمة الاسلام . قد شبعتم نوما فاستيقظوا . قد أدرككم الغرق فأفيقوا . قد طحنكم الدهر بكلكله فانتهبوا . فها هو ذا كلام الله وهذه حوادث أيامه قد أحاطت بكم ولله عاقبة الامور واعلم أن كل أمة لها مبدأ وجهاد للكمال . ثم تناقص واختلال . فهكذا بنو اسرائيل جاءهم موسى جاهدوا حتى خرجوا من أرض مصر ونجوا وتم أمرهم واستقام مثات من السنين ثم اختلفوا في دينهم وهذا قوله تعالى (ولقد بؤأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل ميثاقا صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو ﴿الشام والقدس والأردن﴾ لأنها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أى تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله بها (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا أحكامها (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل بالانجاء والهلاك

﴿ لطيفة في موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية ﴾

اعلم أن هذه الآيات أفادت ما يأتي

- (١) انكار قوم فرعون لدعوة موسى وادعائهم أنها سحر
- (٢) احتجاجهم أن هذا فيه هدم المجد القديم وهو مجد الآباء فمخالفتهم ذهاب لفضلهم وانحراف عن سنتهم
- (٣) انكم تريدون أنه يكون لكم الملك في البلاد
- (٤) احضار السحرة ومعارضة معجزة موسى سحر السحرة
- (٥) ذكر ايمان طائفة من أولاد بنى اسرائيل
- (٦) أن هؤلاء خائفون من فرعون وقومه أن يعذبوهم
- (٧) وعظ موسى لبنى اسرائيل أن يتوكلوا على الله

- (٨) موافقتهم له وطاعتهم وتوجههم الى الله بالدعاء  
 (٩) أمر الله لموسى أن يحض قومه على اتخاذ المساكن وجعلها مصلى  
 (١٠) تبشيره للمسلمين  
 (١١) دعاء موسى على بنى اسرائيل بطمس أموالهم وبقائهم كافرين  
 (١٢) استجابة الدعاء  
 (١٣) عبور بنى اسرائيل البحر  
 (١٤) اتباع فرعون لهم وغرقه هو وجنوده  
 (١٥) نجاته ببدنه وحكمة ذلك  
 (١٦) استحكام أمر بنى اسرائيل ورفيقهم  
 (١٧) وقوع الاختلاف فيما بينهم  
 واعلم أن هذه الصفات التي لحقت بنى اسرائيل هي بعينها التي لحقت بأمة الاسلام ونبينا ﷺ  
 (١) فقد دعا الله فكذبوه  
 (٢ و ٣) وظنوا أنه يريد الملك فعرضوا عليه أن يملك أمرهم ويترك ذم آلهم وأيضا أنه يريد هدم ما كان عليه آبائهم  
 (٤) آذوه كثيرا وكادوا له كيدا عظيما  
 (٥) ما آمن به أولا إلا الضعفاء  
 (٦) كانوا خائفين من أهل مكة كصهيب و بلال وغيرهما حتى هاجروا الى الحبشة وهاجروا جميعا الى المدينة  
 (٧) وعظ النبي ﷺ المؤمنين بالتوكل  
 (٨) موافقتهم له وطاعتهم  
 (٩) بنى النبي ﷺ مسجدا في المدينة واتخذ المسلمون مساجد كثيرة وسكنوا بيوتهم وصاوا فيها وفي مساجدهم  
 (١٠) في أكثر القرآن بشار للمؤمنين  
 (١١) دعا النبي ﷺ لقومه فقال ﴿ رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ﴾  
 (١٢) استجاب الله دعاءه ففتح مكة وأسلم قومه وذريتهم للآن  
 (١٣) نصر المسلمين في زمن النبوة وبعده  
 (١٤) هلاك الكافرين في كل وقعة  
 (١٥) نجاة المسلمين في كثير من الوقائع  
 (١٦) استحكام أمر المسلمين وعظمتهم في القرون الأولى ورفيقهم  
 (١٧) اختلاف المسلمين وتنازعهم منذ (٨) قرون فهم في اضطراب سياسى عظيم  
 فهذا التاريخ يضارع تاريخ الاسلام وقد ذكر هنا ليكون عبرة للمسلمين ودرسا لهم ليتعظوا اه  
 ﴿ لطيفة في قوله تعالى - وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - ﴾  
 تقدمت أنى قررت في هذه الآية أنها للحض على فهم علوم المصريين والبحث في أطوارهم وأن الله لم يذكر أمة بأن أبدانها عبرة لمن بعدهم وأنبعها بجملة كهذه إلا المصريين . فاندكر من آيات الله التي ألهمها للمصريين القدماء ليكون ذلك ذكرى للمسلمين وعبرة وليجدوا في البحث عما دفنه الله في الأرض وما أظهره في الأمم حتى يعرف المسلمون كل شئ بحيث تختص كل طائفة بمباحث خاصة يتقدمون في معرفتها



وهذه العلوم كلها فرض كفاية . فلا تقل لك ﴿ أربع نبذ ﴾ من علومهم

﴿ النبذة الأولى . محاوره فلسفية بين مصرى وروحه ﴾

وجدت في قرطاس محفوظ في متحف (برلين) واليك تعريفا من كتاب الحضارة القديمة

(١) قالت الروح اصاحبها ليس في الموت فزع للانسان

(٢) أقول لنفسي كل يوم انه كرجوع الصحة الى المريض حين يخرج ويذهب الى الساحة بعد تأله

هكذا حال الموت

(٣) أقول لنفسي كل يوم كأنه استنشاق شذا العطر أو كالجلسة في بلد السكر . هكذا حال الموت

(٤) أقول لنفسي انه كمجرى تمر به مياه النيل الفائض

(٥) أو كرجل دخل الجندية ولم يثبت أحد أمامه . هكذا حال الموت

(٦) أقول لنفسي انه كرجل ذهب في ضياء القمر ليصيد الطير بالشبكة فوجد نفسه في اقليم لا يعرفه .

هكذا حال الموت اه

### ﴿ النبذة الثانية ﴾

اعلم أن من أعجب معجزات القرآن هذه الآية التي نحن بصدها ولم يكن المتقدمون من أممتنا الاسلامية ولا قدماء العرب ولا المعاصرون للنبي ﷺ يعلمون شيئا عن الجثث المصرية ولا عجائب علومهم . ولذلك تجد المفسرين يذكرون أن أموالهم مسخت بحجارة . أفلا تجب للقرآن كيف ظهر في هذا العصر العجب العجيب من الجثث المخططة والعلوم الخبأة والحكم المنظمة التي أشار لها القرآن بقوله - لتكون لمن خلفك آية - وأفاد أن أكثر الناس غافلون عن العجائب . فانظر كيف ظهر في هذا الزمان أيام كتابة هذا التفسير أعظم الكنوز المصرية وهو كنز ﴿ توت عنخ أمون ﴾ وقد كشفه رجل يقال له (هوارد كارت) بعد أن بحث ٣٣ سنة في البلاد المصرية مجدا في ذلك وقد أحدث ظهوره دهشة اعجاب في العالم كله . وفي يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ فتح الباب المختوم بنحتم الملك لبعض الغرف ووجد بالغرفة الثالثة صندوق بديع داخله جثة الملك وجواهره الثمينة وهو مذهب ومزخرف ومرصع بالحجارة الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ووجدت الغرفة الرابعة مملوءة بأثاث من أنف المفاخر مرتبة ترتيبا حسنا يفوق منظرها في بهائها وعظمتها ما وجد في الغرفتين الخارجيتين . وتوافد عشرات الألوف من أوروبا وأمريكا على القطر المصري للتمتع بمشاهدة هذه الآثار الثمينة . وفوق ذلك قد اهتمت دور الصناعة في أوروبا وأمريكا للحصول على نماذج للأزياء المصرية الأثرية لللباس وأثاث المنازل والأواني ليصنعوا نظيرها وهم يضحون عشرات الألوف من الجنيهات في سبيل الحصول على هذه النماذج وبدأت السيدة الغربية في مدن أوروبا وأمريكا متجلمة بلبس ملابس قدماء المصريين في عهد (توت عنخ أمون) وفي صباح ٨ مارس سنة ١٩٢٣ أبصر المارة في شارع (ففت أفنيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسرن معا وقد لبسن من قبة الرأس الى أخمص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكانن بثيابهن هذه موضع اعجاب وقبلة أنظار الجميع وهكذا في انكلترا وغيرها . وقد اشتد الاقبال في أوروبا وأمريكا على درس تاريخ مصر وحضارتها القديمة ومشاهدة آثارها الكثيرة المنتشرة في المتاحف فالناس يقبلون زرافات على المتاحف التي فيها آثار مصرية . وقد أغلق المدفن يوم الاثنين ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٣ على أن يفتح ثانيا في الخريف المقبل . وهذه الليلة التي أكتب فيها هذا المقال ٢٧ من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ لم يفتح القبر الى الآن وسيظهر بعد فتحه العجب العجيب

أفليس هذا من سرّ قوله تعالى على سبيل الإشارة والتلميح ... لتكون ابن خالفك آية - فهذه آيات الله التي ظهرت لعباده آيات الصناعة والتطريز والزخرفة والنقش والهندسة والبناء وكذلك الاعتبار والاتعاظ وتذكّر الموت والبلى . كل ذلك ظاهر اليوم لجميع الأمم . فعلى المسلمين أن ينظروا جمال الله في كل شيء سبحانه وتعالى جلّ جلالا وعزّ كمالا

### ﴿ النبعة الثالثة ﴾

أقدم كتاب في العالم نصائح الحكيم المصري القديم ﴿ آتني ﴾ لتلميذه ﴿ خونسو هتب ﴾ في عصر مصر الذهبي في عهد الملك العظيم ﴿ توت عنخ آمون ﴾ أي منذ ٣٣٠٠ سنة تقريبا وهي ٤٨ نصيحة نقلت عن ورقة بولاق البردية التي عثر عليها (ماريت باشا) مؤسس مصلحة الآثار المصرية في أحد مقابر الدير البحري بطيبة بالأقصر سنة ١٨٧٠ م وترجمت الى الفرنسية والألمانية والانكليزية وسميت (ورقة بولاق) لأنها حفظت بالمتحف المصري في وقت أن كان في بولاق . ولأذكرك لك بعض هذه الحكم تيمنا بالقرآن القائل - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - ولأذكرك لك ما اخترته منها اختصارا للقول

(١) أخلص لله في أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلاحظك عنايته فانه يهمل من توانى في خدمته

(٧) من اتهم زورا فليرفع مظلته الى الله تعالى فانه كفيل باظهار الحق وازهاق الباطل

(٨) اجعل لك مبدءا صالحا وضع نصب عينيك في جميع أحوالك غاية شريفة تسعى اليها لتصل الى شيخوخة جيدة وتتهيء لك مكانا في الآخرة فان الأبرار لا تزعمهم سكرات الموت

(٩) صن لسانك عن مساوىء الناس فان اللسان سبب كل الشرور وتحرق محاسن الكلام واجتنب قبائحك فانك ستسأل يوم القيامة عن كل لفظة

(١١) لاتهمل الترحم على والديك ومتى قت بذلك قام به لك ولدك

(١٢) اعتن بأبنائك كما اعتنت بك أمك ولا تغضبها لئلا ترفع يديها الى الله فيستجيب دعاءها عليك

(١٥) اذا كنت قوى الارادة فلا تدع المرأة تتسلط عليك

(٢٠) النظام في البيت يكسبه حياة حقيقية

(٢٥) اذا فاتتك فرصة فترقب غيرها

(٢٨) لاتجرح بكلامك شعور الناس فيستهان بك

(٣٤) ليست السعادة بالثروة وحيارة الأموال . انما هي في استنارة العقول بالفضيلة والتخلق بالقناعة

والرضا والكفاف

(٣٨) لاتستسلم لليأس والقنوط مهما قام في سبيلك من العقبات والشدائد

(٤١) لاتثق بالناس المجهولة مبادئهم ولو خدعوك بتقديم أنفسهم لخدمتك متظاهرين بالاخلاص فانهم

يجرونك الى الخراب العاجل

(٤٦) تلطف مع ضيفك وحادثه ببشاشة ولا تسمح له بالتطرف في الحرية حتى يخرج عن حدود الاحتشام

(٤٨) لاتكن شرها فان الانسان لم يخلق ليا كل بل يأكل ليحيا حياة طيبة يجعلها طريقا للحياة

الأبدية . انتهى

هذا هو الذي اخترته من حكمه . وهناك نصائح أخرى لرجل يقال له (قافنه) وآخر يقال له (بتاح

حطب) وهذا الأخير قد وجدت له (٤٤) لوحة قد نقشت عليها حكمه . ولأذكرك لك منه ثلاثة ألواح

﴿ لوحة ١٠ ﴾ اذا تواضعت امتثالا لرئيس فليكن سيرك مع الله حسنا جدّا فالسعد لا يأتي إلا عن ارادته

وليس هناك أحكام سوى مشيئته

ومما جاء في اللوحة الرابعة عشرة ﴿ تمسك برأيك متى كان الحق بيدك ٠ ان الذي يملك نفسه خير من غمزه الله بهطايه لأن الرجل الذي يتقاد لهواه يكون تحت سلطان امرأته ٠ بين منهاج سلوكك من غير كلام ﴾

وجاء في اللوحة (٤٣) ليكن وجهك باشا ماعشت

#### ﴿ النبذة الرابعة ﴾

كان قدماء المصريين يعتقدون بقاء النفس وكانوا يرون أن الانسان يكون أمام محكمة مكوّنة أمام الاله أوزيريس و٢٠ قاضيا ويتولى الرئيس عملية وزن القلب ووضعه في كفة الميزان والعدل في الكفة الأخرى فاذا رجحت الكفة الأولى أوساوت قبل المتوفى في مملكة أوزيريس ٠ وأهم هذه المملكة عندهم الزراعة فتقوم الأرواح بحرق الأرض وبذر الحب وجنى محصول الذرة السماوى وهى أحسن وأجل من ذرة الأرض وفى تلك المملكة تكون الأرواح فى المجارى السماوية وتجلس تحت وارف ظلال الأشجار الباسقة وتلب الألباب التى تهواها ٠ والانسان يكون له جسم روحى يبدأ فى الوجود من وقت أن يوضع فى القبر ويأكل المتوفى خبزا لا يتعفن ويشرب خرا لا يفسد وملابسه أردية بيضاء ويجلس على عرش وسط الملائكة الذين يجلسون حول شجرة الحياة ويلبس التاج الذى يعطيه له الاله ويعيش مع الاله (رع) الى الأبد وعملية التحنيط المعروفة عند قدماء المصريين التى أشار لها القرآن بقوله - فاليوم ننحيك ببدنك - محفوظة كسائر قدماء المصريين انما اخترعوها سنة ٥٥٠٠ قبل الميلاد وبقى الى سنة ٥٥٠ بعد الميلاد لاعتقادهم أن النفس بعد أن تمرّ فى أدوار كثيرة تعود فتحل فى الجسم فلهذا كان التحنيط ٠ ولهم قصة خرافية وهى أن (أوزوريس) كان يحبّ أمته المصرية فعلمها وفتح البلاد الأخرى بغير حرب ومعه (نوت) ولكن اخوه (سيت) غار منه فصنع له صندوقا وأهداه له على شرط أن يكون على مقدار جسمه فلما دخله أقفله عليه وهو متحد مع الضباط وألقاه فى النيل فبحثت عنه زوجته (إيزيس) وعثرت عليه فى البحر وخبأته فى غابة كانت أشجارها متكاثفة وذهبت تبحث عن ابنها (حوريس) فى مدينة (بونو) جنوب البرلس فى الدلتا ٠ ثم ان (سيت) عثر على الصندوق وهو يصطاد فى ضوء القمر فقطعه ١٤ قطعة وبعثها فبحثت عنها (إيزيس) وجعلتها إلا قطعة واحدة وركبتها فى مواضعها من البدن وحنطت الملائكة جسمه وصنعوا له تماّم ولفائف ٠ فبهذا انتقل من القبر الى السماء وله فيه قصر عظيم وأصبح ملك (أوزوريس) هو الذى يصعد اليه الأرواح الطاهرة بعد الموت ٠ ولا بدّ من التحنيط وعمل السحر والطلاسم ٠ هذا هو السبب فى التحنيط عندهم اه

فسبحان من جعل الخرافات سببا فى العلوم النافعة للانسان وحفظها على مدى الزمان والحمد لله أولا وآخرا \* ويقال ان فرعون موسى عثر عليه منذ سنين فى جهات الوجه البحرى فى مديرية الشرقية ٠ وعسى أن أعثر على هذا النص فأحققه بهذا الكتاب والله المسقعان

﴿ فرعون موسى قد وجد بدنه وهو بالمتحف المصرى ﴾

وبعد كتابة ماتقدم بيومين اطلعت على ما كتبه أستاذنا فى علم الآثار المصرية الاستاذ أحمد بك نجيب أمين ومفتش الآثار المصرية فى الموسوعات ﴿ فى أعداد مختلفة فلا تلخص ما كتبه بغاية الاختصار قال ان رمسيس الثانى (سيزوستريس) هو الذى ربي موسى عليه السلام وأن ابنه (ريان با) وهو المعروف باسم (منفطه) هو الذى غرق فى البحر وهما معا من الأسرة التاسعة عشرة ٠ قال وقد أجمع العلماء أن فرعون (منفطه أوريان با) هو الفريق والحمد لله على وجود جثته الآن ٠ وأما العبرانيون فانهم دخلوا



مصر أيام احتلال العمالقة لها وأقاموا في وادي غسان المعروف الآن برأس الوادي بمديرية الشرقية ولفظة (فرعون) كانت اسما عاما للملوك مصر كلفظة (قيصر) علم على كل من ولى الروم و (كسرى) لكل من ولى العجم و (نجاشي) لكل من ولى الحبشة و (أمبراطور) لكل من ولى رومه . وفرعون أصله (إبرعا) أو (فرعا) معناه (الدار العظيمة) لأن (فر) معناها الدار و (عا) معناه العالية أو الجلييلة أو العظيمة كما يقال الآن (الباب العالي) أو (الباب الهمايوني) . قال وبعد رمسيس الثاني الذي ربي موسى و (منفطه) أو (ريان با) الذي غرق في اليم لم يذكر في الآثار شيء عن العبرانيين . قال واني في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٩٠٠ فتحت تابوت (فرعون) بمشهد من علماء الآثار وقسته فكان طوله من قمة رأسه الى قدمه مترا واحدا واثني وسبعين سنتيا وعرضه عند الأكتاف أربعة وسبعين سنتيا ومن قمة رأسه الى الكتبة التي على صدره ٤٥ سنتيا . قال ولم أر وجهه لأنه مسجى بأ كفان من قاش السكتان يضرب لونه الى الصفرة الداكنة من تأثير الحنط عليه وتابوته مصنوع من قاش كالورق القوي خال من الكتبة وهو لاشك أنه ليس تابوته الأصلي ومعنى (ريان با) شمس العلم أرواح الشمس . وقال أستاذنا أيضا ان رمسيس الثاني استعمل العبرانيين في بناء قلاع كبيرة وعمل طريق يمر بوسطها يخرج من مدينة رمسيس ويسلك الى الشرق مع الجنوب حتى يدخل قسم آسيا . وهناك قلعة باسم فرعون موسى نفسه بن رمسيس الثاني وهي مذكورة في ورقة من البردي أرسلها أحد العمال الى رئيسه يعامه بما فعله وهاك نصها ﴿ مما أسر به خاطر سيدى هو أنى أخبره أننا أعطينا الحرية التامة الى قبائل الاعراب الآتية من اقليم (ايدوم) لتمر بغاية الحرية من قلعة (خاتوم) للملك (منفطه) وهو فرعون موسى كما تقدم . وهناك حجر محفوظ بالمتحف المصرى مكتوب في السنة الخامسة من حكم هذا الملك عليه لفظة (اسرائيلو) أى الاسرائيليون وهاك ترجمة بعض عباراته ﴿ وقبيلة خاتى سلمت فسامت . وقبيلة كنعان قد سجنتم على أقبح كيفية . وأهل عسقلان أحضروا أدلاء . وأهل غزّة وما حولها جاؤا أسارى . وقبيلة (أيانواميم) انعدمت وأمة (اسرائيليو) هلكت وما عاد لديها حبوب للأكل . وقبيلة خارو صارت كأرملة حقيرة بمصر ﴾ اه

وقال رحمه الله في سبب ادعاء الملك (منفطه) الالهية ان هذه عادة هؤلاء الفراعنة جميعا ضعافا كانوا أم أقوياء . قال وانظر الى مسألة المطرية تجد عليها مآصورتها ﴿ الجليل حياة كل مولود ملك الصعيد والبحيرة دام بقاءه صاحب التاج معطى الحياة لكل موجود الاله العظيم ابن الشمس الخ ﴾ وهذا الممدوح هو الملك (أوزرتسن الأول) فى العائلة الثانية عشرة وهو صاحب هذه المسألة . قال ولقد كان (رمسيس الثانى) والد فرعون مصر أول من سخر العبرانيين فى الأعمال فبنوا له مدينة رمسيس ومدينة بيتوم وهاك نص ورقة بردية محفوظة فى بلاد الانجليز بقلم رجل مصرى يسمى (كانيزاك) أرسلها الى رئيسه المدعو (بى كانبناح) يعامه أنه أنفذ أمر الملك سيده وصورتها (قد أطعت أمر سيدى رمسيس وفعلت ما أمرنى به حيث قال لى اعط قححا الى العساكر الخفراء وإلى العبرانيين الذين ينقلون الحجارة لبناء الحصن العظيم بمدينة رمسيس الذين هم تحت رئاسة (أمنان) رئيس فرقة المحافظين على العمال فكنت أعطيهم قححا فى كل شهر حسب الارادة السنية التى أمرنى بها سيدى) وعلى ظهرها مكتوب (هذا حساب البنائين الذين أدّوا الأعمال المفروضة يوما فيوما بدون انقطاع عن العمل ماعدا الرجال الذين يصنعون الطوب . ومدينة رمسيس اختلف العلماء فى مقرّها فقيل انها مدينة (صان الحجر) بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . وقال أستاذنا بدار العلوم المفتش المذكور انها فى مكان أطلال (المسخوطة) بالشرقية . فالمسخوطة المذكورة هى رمسيس وقد وجد اسم رمسيس على لبنها (طوبها) وهذه المدينة أجمل المدن المصرية وقد وجدت ورقة من البردي محفوظة فى بلاد الانجليز فيها قصيدة لشاعر مصرى اسمه (بنبتا) يخبر أحد الأمراء المسمى (أمن ايت) وكان الملك رمسيس

دعاه لوليمة يوم الفراغ من بنائها . قال ( لما دخلت مدينة رمسيس وجدتها في أحسن حال ماها مثل في عمارات (طيبة) ولا عمارات (جبل السلسلة) فهي مدينة النعيم وحقوقها مملوءة بالأشياء اللذيذة والمأكولات الفاخرة وحيضانها مملوءة بالسماك والطيور المائية تدرج على غدرانها وصروحها خضرة وسفن البحر تأتي الى ثغرها وتكثر فيها الخيرات طول السنة وينشرح صدر من يقيم فيها إذ ليس بها من يعارض ولا من ينازع والصغار والكبار فيها سيان وترى فيها الجوارى الحسان جوارى الملك قائمات على أبوابها والفرح عاما في جميع أرجائها . عشت يارمسيس في صحة وعافية

وقال بروكش باشا ان موسى عليه السلام تربى فيها حيث كانت محل إقامة الملك . أما تخت مصر فكان في مدينة (طيبة) أو (طيوة) ومكانها الآن الأقصر أو الكرنك والقرنة ومدينة أبو بديرية قنا اه وذكر أستاذنا أيضا في تلك المقالات ما وجد منقوشا باللغة البربائية على جدار معبد الكرنك مما يختص بقعذيب الأسرى . قال (سطر ٥) لما كان الملك (منفطه) هو الذي يعطى الحياة الى قومه حضهم على ترك الخول (سطر ١٣) أتى (مرمايو) ملك الليبيين بن ديد بجنوده المؤلفة من المشاوشيين والكحاكين والسرديانيين والشكلانيين وهجم على مصر (سطر ١٦) وجع ملك مصر رؤساء عساكره وقال لهم اسمعوا أنا الملك (منفطه) الحارس أنا رب مصالحكم أنا أبوكم هل فيكم من يماننى ويحيى أولاده مثلى ها أنتم ترتعشون كالوز أمانى (سطر ١٩) ها هو العدو دخل بلادنا هل يستطيع النيل أن يرده عنا . كلا ثم كلا (سطر ٢٢) مرادى الآن قتل الأعداء وسحبهم على بطونهم كالسمك ولا عبدة برئيسهم الذى صورته كصورة الكاب (٢٥) أنا الذى بيدى الاعطاء والمنع والدنيا تحت حكمى . أنا (منفطه) القاهر ملك مصر (سطر ٣٣) واندفعت عساكر المشاة مع عساكر العربات على العدو فأغرقوه فى بحر الدم (سطر ٤٦) أما عساكر مصر وشبانها فعادوا يسوقون حيرا تحمل الغنائم والأحالييل المقطوعة من العدو مصنوعة حوما وموضوعة فى جلود (سطر ٥٢) ٦٣٥٩ لبيون مقتولون وأحضرت أحاليهم (سطر ٥٦) ٦١١١ رجلا من الأعداء قطعت أحاليهم بحضرة الملك (أنظر لهذا التوحش) . (سطر ٥٧) ٢٣٧٠ أيد مقطوعة أحضرت لدى الملك . (سطر ٥٩) ٩٣٧٦ أسرى

ورجع الملك الى طيبة فى موكب حافل وقد وجد مكتوبا فى ورقة محفوظة ماضه (ما أعظم عودتك أيها الملك الى (طيبة) تظلك سحابة النصر وعربتك تسحبها الرجال . أما الرؤساء المغلوبون فيمشون أمامك القهقري وأنت تسوقهم الى حتفهم اه

وانما نقلت لك هذا لتعرف كيف كان فرعون موسى يعذب الأمم المغلوبة . وكيف سخر بنى اسرائيل كما سخرهم أبوه . وكيف كان يفهم قومه أنه معطى الحياة وفى يده كل شئ وهذا هو ماجاء فى القرآن من قوله - أنا ربكم الأعلى - وغيره . وهكذا تعذيب بنى اسرائيل المتكرر فى القرآن اه

#### ﴿ نبرة خامسة رد اعتراض ﴾

لعلك أيها الذكى المطلع على هذا الكتاب تقول كيف أطلت فى هذا المقام . ولماذا تذكر حكم القوم تارة ومظالمهم تارة أخرى . ولماذا تكرر هذا القول . أتريد أن تعلمنا علمهم . أوليس القرآن بكاف . أوليس ديننا يغنيا . أقول على رسلك ولا تلم . اعلم أن من يظن أن قراءة القرآن وفهم معانيه القربية والافتصار عليها يكفى المساميين مخطئ كل الخطأ بل جاهل كل الجهل . فقل لى بربك اذا سمعت الله يقول - والله على الناس حج البيت - أفلا تسعى الى الحج أم تكفى بفهم الآية فلا اخالك إلا قائلا لابد من الحج أقول . هكذا يقول الله هنا - فالיום ننحيك - يامنفته (ريان با) ونحفظك فى أماكن بالبلاد المصرية ونأمر بتحنيطك وبقائك للساحين والغادين والرائحين - لتكون - أنت وأمثالك من الفراعنة

لمن خلفك آية - ترشدكم الى العالوم والمعارف والاتعاظ بذهاب القرون ويقف على صنائع قومك وعلومهم  
 أهل أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا . والمسلمون أيضا متى فقهوا وعقلوا - وان كثيرا من الناس - في  
 الشرق والغرب - عن آياتنا - في بلادك وقومك وعلومكم ومعارفكم وسيركم وغيرها مما خلقنا في السموات  
 والأرض - لغافلون - والغفلة موجبة الحرمان كما سيأتى في قوله تعالى - ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون -  
 فأما اذا لم يغفل الناس واطلعوا على علوم الأوائل كقدماء المصريين وشاهدوا في الحكم السابقة وغ-يرها أن  
 الله قد أنزل عليهم منذ سبعة آلاف سنة أنه يزن الأعمال وانها اذا ثقلت نجح صاحبها واذا خفت لم ينجح .  
 وأن الرجل المظلوم اذا دعا الله ينجيه . وأن قوى الارادة لا يغلبه النساء . وأن المخلص لله تلاحظه عنايته  
 ومن توائى في خدمته يهيئه . وأن من اتهم زورا ورفع مظلمته الى الله فالله يظهر حقه . وأن السعادة  
 ليست في المال وحده بل في الفضيلة والقناعة . وهكذا من الحكم الشريفة العالية . اذا فعل الناس ذلك  
 ولم يغفلوا عرفوا أن شرائع الله القديمة كانت كالحدیثة وانها متتالية متتابعة متحدة في الاصول ويحصل للمرء  
 اقتناس واطمئنان . أوليس الله يأمرنا أن ننظر في السموات والأرض . فاذن آيات القرآن تشي-ر الى  
 آيات السموات والأرض وما أنتجه عقل الانسان قديما وحديثا . فآيات القرآن أشبه بالمنظار المعظم ترى  
 به الأشياء القريبة والبعيدة . فمن ظن أن المنظار متصود لذاته فهو جاهل كمن يرى أن القرآن وحده  
 كاف فهو مخاطئ . انما القرآن نزل ليعمل به ولاعمل به إلا بأن نبعث فيما خلق الله في السموات والأرض  
 من المعجائب ونقرأ العالوم وندرس علوم الأمم أى أن يكون في الأمة طوائف اكمل علم طائفة تقوم بعلم أو  
 صناعة ولو كانت تعد بالمئات . انتهى الكلام على حسنات المصريين وسيا-تهم العملية

﴿ الكلام على محاسنهم العلمية . نظام السموات عند قدماء المصريين ﴾

جاء في أوائل السورة - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل - وقال - إن في ذلك  
 لآيات الخ - وكرر لفظ الآيات ثلاث مرات وهكذا ذكر الآيات وضم الاعراض عنها في الكلام على فرعون  
 فياليت شعري يمر هذا القول مرورنا علينا ولانعطيه حقه . ذم الله الغفلة عن الآيات عند ذكر الشمس  
 والقمر وضمها عند الاشارة للفراغنة فما هذه الموافقة في سورة واحدة . ولماذا تدم الغفلة عن الآيات في  
 سورة واحدة . إن في ذلك سرا عجيبا فاستمع لما سيأتى

﴿ علم الفلك وقدماء المصريين ﴾

( جمال الصور السماوية يسحر العقول - احتجب عن جميع الناس وهم ينظرونه - محاولة قدماء  
 المصريين قبل غيرهم كشف هذا الحجاب - رسمهم الصور السماوية التي يقرؤها الناس في أوروبا  
 والشرق الآن - وجوب معرفة نتائج العقول في الشرق والغرب لأن العقل البشرى صنع الله كما  
 أن عقول الملائكة من صنعه فالعالم كله مصنوعاته وعلى المسلمين أن يعرفوها )

اعلم أننا خلقنا في جو من الجبال والبهجة والحسن والاتقان والكمال والسعادة والخبور . ولو أننا  
 أدركنا ما نحن فيه من الجبال لذهلت عقولنا وأصبحنا فاقدى الشعور والاحساس لانعقل  
 أقول هذا لك أيها اللئى وأنا موقن به . ان الله وضع أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية تلك الأجسام  
 التي وضعت بحكمة ودقة وأحاطت بها الأنوار من الشمس والقمر والكواكب والجبال . الشمس تقسم  
 الزمن أياما . والقمر يقسمه شهورا كما تقدم موضحا والشهر الواحد يجعله أربعة أقسام فمن الحاق الى التري-ع  
 أسبوع ومن التري-ع الأوّل الى ليلة البدر أسبوع ومن ليلة البدر الى التري-ع الثانى أسبوع ومن التري-ع الثانى  
 الى الحاق أسبوع

فالشمس والقمر قد فصلا الزمن تفصيلا . فالأيام والسنين الشمسية عرفت بسير الشمس كما تقدم



والأسابيع والشهور القمرية والسنين القمرية عرفت بالقمر . إذن الشمس والقمر تسكفلا بتقسيم الزمن أياما وأسابيع وشهورا قمرية وشمسية وسنين كذلك ولولا ذلك لم نعرف الأيام وما بهمدها ونجد القمر والشمس والكواكب لا تخطئ في سيرها والأنوار الفائضة منها على الأرض جميلة بهجة تتلَوْن كما تتلَوْن في أثوابها الغول فأنوار الكواكب ليلا مختلفة في الظلام الخالك والقمر يقسم الليل تقسيما بأضوائه ويظهر ويختفي على أشكال مختلفة . وهكذا أنوار الشمس تختلف في أثناء النهار . فبينما نرى ضوء أدنى كوكب بالنسبة إلى الشمس أقل من مليون مليون وضوء غيره من الكواكب أقل من جزء من مليون من ضوء الشمس وضوء البدر أقل من جزء من ثمانمائة ألف جزء من ضوء الشمس نراها أيضا والقمر يتلَوْنان ألوانا محسوبة منظمة جميلة لا يستقران في هبئتهما على حال . الحيوان حولنا والنبات وعجائبها لا تنهاى . في أرضنا عجائب كثيرة . أجسامنا مصنوعة من الحكمة بل هي حكمة مدججة . لو أن أرواحنا خلقت في هذه الأرض مجردة عن المادة لدهلنا من الجلال الذي غرقنا فيه . ولكن من لطف الله أنه أجاعنا وأعرانا وسلط الحر والبرد علينا وجعل الأرض لنا دار عمل ونصب وشقاء . لماذا . ليحببنا عن هذا الجلال . ولماذا لأجل أن يحفظ عقولنا فيريها فلا يطمئنها هذا الجلال إلا بمقدار شيئا فشيئا بالتدريج وهذا التدريج يكون بالتعليم

﴿ فصل في أن أول من تفتن لرفع الحجاب عن جمال السماء هم قدماء المصريين ﴾

قد قلت لك أيها الذكي أن الناس خلقوا في الجلال وحجبوا عنه وهم بالتعلم يعرفونه شيئا فشيئا . وها أنا ذا أذكر هنا أن أول من ابتدأ معرفة هذه العوالم هم قدماء المصريين على خلاف في ذلك وإنما أردت ذلك ليظهر سر القرآن ولماذا يذكر الغفلة عن الآيات ويذمها في السموات والأرض وفي معرض ذكر أبدان الفراعنة وسوى بينهما في ذم الغفلة . إن هذا الزمان هو زمان ظهور النور الاسلامي . أنظر ماذا ترى . ترى أن الأمم ما عدا المصريين كانوا في غفلة ساهون قبل العصر المكدوني فقد كان العبريون لا يعرفون سوى بلادهم وماجاورها من الممالك وكان اليونان في أيام هوميروس الشاعر المشهور أي قبل المسيح بسبعمائة سنة يظنون أن بلادهم وآسيا الصغرى في وسط المسكونة بحيث جعلوها شأغلتي جزأ عظيم من سطح الأرض وقالوا إن حولهما جزائر البحر المتوسط وأن مصر وسوريا وإيطاليا حول ذلك البحر المحيط . وتنبه بعد ذلك (بطليموس) في عهد الرومان سنة ١٣٠ إلى شيء من ذلك . وهكذا أخذ العلم ينفوس شيئا فشيئا . أما الأمة المصرية فانها كانت قد سبقت هذه الأمم إلى معرفة نظام السموات وصور نجومها وبروجها

﴿ هيئة السماء في صندوق حتريطيه وهيئة البروج فيه ﴾

وما صاحب هذا الصندوق إلا من الفراعنة الذين نجاهم الله بيدهم فكان لمن خلفه آية للشرقيين والاوروبيين فهو مصداق للقرآن وذلك من آيات الله في القرن العشرين . واعلم أني قد قدمت لك في سورة الأنعام نبذا من الصور السماوية عند قوله تعالى - واذا قال إبراهيم لأبيه آزر - وأن تلك الصور ثلاث أقسام ﴿ الصور الشمالية والصور الجنوبية والبروج التي هي داخل منطقة فلك البروج . وذكرنا هناك أن الصور كلها نحو ٤٨ صورة وهي مسماة بأسماء أشياء أرضية من الحيوانات وغيرها . ثم أقول الآن إن الناظر إلى السماء لا يرى فيها رسم حيوان ولا إنسان ولا شيئا من ذلك . فإذا سمعهم يقولون الثور وهو أحد البروج أو الميزان أو الجدى أو السنبلة أو الحوت فاعلم أنه لا حوت ولا سنبلة ولا ثور ولا شيء من ذلك . وإنما هي صور خيالية تخيلوها وسموها . وتجد أم الأرض قد اتفقوا جميعا على تسمية مجموعات النجوم بأسماء ولكنهم لم يتفقوا على تلك الأسماء . ولا في واحد منها . فالصينيون أكثروا من أسماء المجاميع حتى بلغت ثلثمائة اسم وسموا بعضها بأسماء عظمائهم والعرب سموا المجاميع بأسماء حيوانات وغيرها كالدب الأصفر والدب الأكبر وبنات نعش الصغرى وبنات نعش الكبرى . والآريون سكان الهند صوروا السماء بصور أخرى في

كترهم التي أتموها قبل المسيح بنحو تسعة قرون فرسموا فيها بجمعة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجي ضخمة الجثة . والصور اليونانية التي ذكرها بطليموس في المجسطي يظهر كما قال بعضهم انها عملت في بلاد العرب أيام الجاهلية وأهل (أسكندينا فيا) سموها بالكلب والمركبة والمغزل و (الاسكيمو) وضعوا بينها صورة حيوان بحري في بلادهم . وترى الثريا في العربية مشتقة من الثراء أي الغنى . وفي اللسان المصري اسمها السكثرة السكثرة نجومها . وفي الهندية الدجاجة وفراخها . وهنود أمريكا يسمونها بما معناه الرجال والنساء أو الراقصات . والمصريون القدماء كان عندهم كرات مصورة من قديم الزمان ولم تزل آثارها في قبر الملك (سيتي الأول) في بيبان الملوك وكذلك في قبر الملك رعمسيس الرابع في مدينة (أبو) ففيها صور بعض مجاميع النجوم مثل النهر والسهم والسكر كدن ومغن

ها أنا ذا الآن أكتب هذا وبين يدي الصور المنقولة من كتاب أبي الحسن الصوفي الذي ألفه في أواسط القرن الرابع للهجرة نسخت لاسلطان (أولغ بك كوركان) والصور المنقول عنها كانت ملونة وهي لسائر الصور السماوية وقد أجاد المصور رسمها وتزيينها وأفرغ فيها دقيق الصنعة ورسم الكواكب فيها بالذهب . وها أنا ذا أشاهد في الكتاب أمانى الآن صورة التين من رسم العلامة المذكور ولكن ليست هذه الصورة ملونة كالمنقول عنها . وهذا ما أردت أن أقدمه في هذا الموضوع قبل الدخول في المقصود وهو الكلام على صور قدماء المصريين التي صوروها ووجدت الآن في مقابرها مصورة على صناديقهم مصداقا للآية إذ يقول الله - فاليوم نتجيك بيسدك لتكون لمن خلفك آية - . ها نحن أولاء نقرأ آيات الله المرسومة في مقابر قدماء المصريين

أكتب هذا وأمانى هيئة البروج الاثني عشر وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . وها هو ذا صندوق حترالدى وجدوه بطيبة وفيه رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها ويسترها ثوب طويل وفي رجليها إعلان وعلى رأسها عصا وقد رسمت فوقها الشمس وعلى جانبي المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس وستة على اليسار وهي من الجدي الى الجوزاء . وترى هذه الصور واضحة جليلة فترى صورة السرطان على يمين المرأة الخ

وهكذا بقية البروج فترى الجوزاء بهيئة امرأتين متقابلتين قد مدت أحدهما يدها الى الأخرى للسلام عليها وأمسكت كل منهما بيد الأخرى ورجل كل منهما تخطو الى الأخرى والثور واقف قبل تلك الصورة والدلو عبارة عن رجل واقف يصب الماء من إناء بين يديه والجدي نصفه معزى ونصفه الآخر على هيئة السمك

صورة منطقة فلك البروج التي وجدت في هيكل (دندرة) في عصر القياصرة الأول (ها أنا ذا أرى شكلها أمانى في كتاب (الحضارة القديمة في مصر والشرق . الجغرافيا الرياضية) أو (علم الهيئة عند قدماء المصريين) لصديقنا المرحوم الاستاذ الجليل أحمد بك كمال . ها أنا ذا أيها الذكي أبنت لك كيف تصور الناس هذه النجوم قديما . وكيف جعلوها مجاميع . وكيف صوروها بما يعرفون . وكيف كان قدماء المصريين قد رسموها وجعلوها في مقابر عظمائهم وكبرائهم . وكيف صوروا البروج التي نعرفها نحن بنفس الصور التي نقرأها كالثور والسنبلة والحمل والحوت الخ . وكيف كان هذا العمل من النوع الانساني كله قديما وحديثا وعند علماء الاسلام وأوروبا ليكشف الناس الحجاب الذي حجب عقولهم عن ذلك الجمال الذي ستره عنهم الشهوات والحروب والنوائب وحدثان الدهر وتقلباته فهم بهذا الدرس يحتلون ليدركوا جمال هذا العالم الذي نعيش فيه . وكيف حدث الله على النظر في هذه السورة وذكر الشمس والقمر والضياء والنور . وكيف نذم المعرضين عن ذلك الجمال في الآيات كما نذم المعرضين عن الآيات في مقام ذكر

نجاة فرعون ببذنه ليكون لمن خلفه آية . وكيف كانت الفراعنة قد رسم على صناديقهم تلك الصور السماوية وأودع في مقابرهم وآثارهم حكمة الله عز وجل في السماء والأرض

﴿ القرآن يأمر بالنظر لكل ما هو محكم الصنع ﴾

إن الله يأمرنا بالنظر في مصنوعاته كلها كالشمس والقمر والأرض . وبالنظر في مصنوعات الحيوان كالعنكبوت والنمل والنحل وفي النبات الذي هو تحت تدبير الملائكة . وهكذا كل حيوان وإنسان وغيرهما إن الملائكة بالنسبة لله تعالى - ولله المثل الأعلى - كالعين والأذن واليد والرجل للإنسان . فكما أن أحدنا يقول رأيت عيني أورايت أنا ويقول سمعت أذني وسمعت أنا . فالسامع والرأى إنما هو نفس الإنسان إذ الأذن والعين إنما هما له . فهكذا يقول الله تعالى - الله يتوفى الأنفس حين موتها - ويقول - قل يتوفاكم ملك الموت - فعمل الملك هو عمل الله وما الملك إلا نوره سبحانه وتعالى وشأن من شأنه . وما عمل العقلاء من نوع الإنسان من هندسة وتصوير وعلم وحكمة إلا أثر من آثار الملائكة إذ الثابت في ديننا أن كل عمل إنما يكون من إلهام ملك إن كان خيرا ومن وسوسة شيطان إن كان شرا . إذن علوم قدماء المصريين المرسومة في الهيكل وكذا كل العلوم التي ألقاها الملائكة على قلوب العلماء في الهند والصين وعلماء الاسلام وعلماء ألمانيا والنمسا والمجر واليابان وغيرها . كل هذه يجب علينا النظر فيها وجوبا كفايا . وإذا قصرنا فيها عاقبنا الله بما نحن فيه الآن وزادنا منه . أما أنا فاني أدت ما قدرت عليه ونصحت أمتي

إن الله ذمّ المعرضين عن آياته في هذه السورة بعد ذكر الشمس والقمر كما ذمّ المعرض عن آياته بعد ذكر فرعون الذي نجا ببذنه وجعله آية . فثبت بهذا أن مصنوعات الله ومصنوعات الحيوان ومصنوعات العلماء والعقلاء من بني آدم كلها مصنوعات وآياته . وإذا كنا مأمورين أن ننظر في النبات وجماله وفي نظام النحل وأفعاله والعنكبوت ونسجه . فبالأولى نؤمر بأن ننظر في فعل من هو أرقى وهو الإنسان ونأخذ بالأحسن والأفضل منه . اللهم إني قد أدت الأمانة لامتتنا الاسلامية وأنت أيها الذكي القاريء لهذا التفسير مسؤل مثلي فعلم أمتك وأدركها وأخرجها من سجن الجهالة وأفهمها كتاب الله والله لا يضيع أجر المحسنين اه

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أنني كتبت ما تقدم ولم يكن ليخيل لي أنني أرسم هاتين الصورتين الفلكيتين المصريتين لما فيهما من صور بعض الحيوانات فاتفق أن وقع نظري على كتاب مؤلف حديثا فيه صور بعض الحيوانات وقد صدر بمقدمة فيها أحاديث وردت يؤخذ منها جواز صور الحيوان إذا كانت لا تظلم لها . ففجئت كيف اطلعت على هذا اليوم ففكرت في الأمر ونظرت نظرا علميا ففتحت لي باب لن يقفل على المسلمين بعد الآن ﴿ ذلك ﴾ أنه ظهر لي أن الصور الشمسية ما هي إلا أضواء شمسية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ظلالها والظلال إذا حرمها امرؤ فقد انسلخ من عقله ودينه . وكل امرئ يباح له النظر الى صورته في المرآة فإذا دام النظر وتكرر لم يحرم وما الصور الشمسية إلا كالصور في المرآة الخ ماسياتي فاعتقدت الاباحة والأحاديث الواردة في الجواز لما يرسمه الناس بأيديهم لا يرسم الشمس الى آخر ما سيأتي شرحه

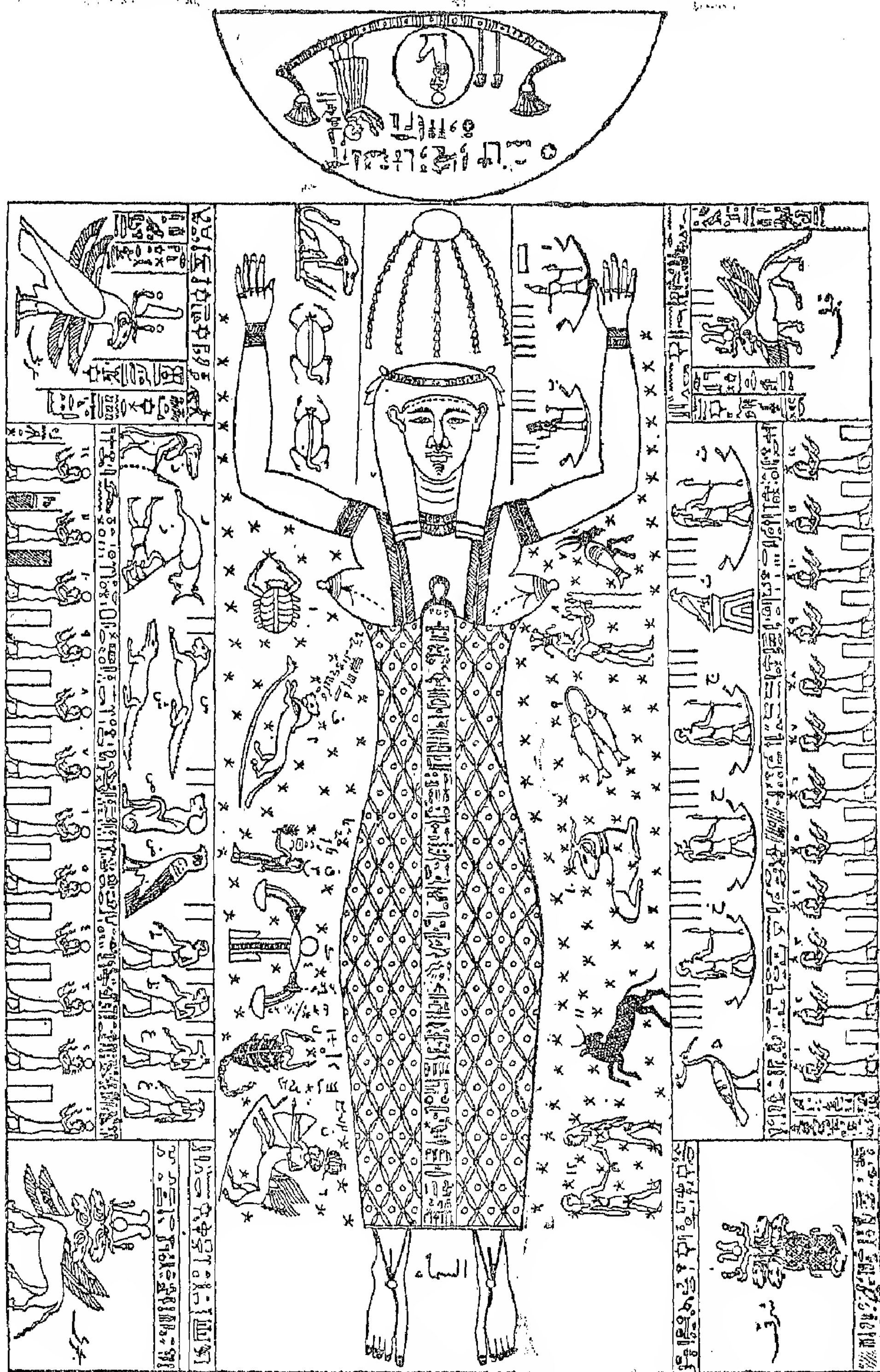
فها أنا ذا الآن أذكر ثلاثة فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في رسم الصورتين الفلكيتين المنقولتين عن قدماء المصريين مع شرح العلامة أحمد بك كمال ﴿ الفصل الثاني ﴾ في الكلام على ما يجوز من الصور وما يمنع وما يجب ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الكلام على بناء الاهرام بمصر لأن ذلك البناء من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة القدماء

﴿ الفصل الأول في رسم الصورتين المذكورتين وشرحهما ﴾

قال العلامة الأثرى الكبير أحمد بك كمال في كتابه ﴿ الحضارة القديمة ﴾ مانصه



إن قدماء المصريين في عصر اليونان أو الرومان حسبوا هيئة السماء بالكيفية التي وجدت على صندوق  
 حتر بطيبة (شكل ١١) وفيها رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها و يسترها ثوب طويل مثبت على  
 الأكتاف بحمالات وفي رجلها نعلان وعلى رأسها عصاة وفوق رأسها إشارة هيروغليفية يشار بها إلى الشمس  
 ذات الأشعة وعلى جانبي هذه المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة  
 والميزان والعقرب والقوس وستة عن اليسار وهي الجدى والثور والحوت والجل والثور والجوزاء وأجل شيء يستحق  
 الالتفات إليه الكواكب السيارة الخمسة البادية المذكورة هي بين النجوم المنتشرة عن يمين المرأة (نوت) منها  
 اثنان فوق برج الأسد وهما كوكب المشتري وكوكب زحل أشير إليهما بحرف (ف) كما أشير بحرف (ق)  
 إلى كوكب المريخ الموضوع بجانب برج السنبلة وفوق هذا البرج اسمه وهو (نتر - سب تاحم) وبين الميزان  
 والعقرب عند حرف (ك) كوكب عطارد ويسمى (سبك) وتحت ذلك نقوش صعبة الحل مرموز لها بحرف  
 (ل) وهي تدل على برج الميزان وبين العقرب والقوس في المكان المرموز له بحرف (م) كوكب الشعرى  
 اليمانية (نتر - دوا) والكتابة التي فوق العقرب صعبة الحل أيضا وهي اسم برج العقرب ويرى فوق  
 القوس اسمه (بشت) وقد وضع فوقه حرف (ن) للدلالة عليه . أما الصور المرموز لها بحروف  
 (ت ث ج ح خ د) فأنها تدل على كواكب عرفت مدة الفراعنة لأنها وجدت مرسومة على بعض آثار الأسرة  
 التاسعة عشرة والعشرين . وقد عرف قدماء المصريين نجوما غير ماذكر كالمرسومة بين ذراعي (نوت)  
 وكالجوزاء المشار إليها بحرف (ا) والشعرى اليمانية والنجم المسمى (حس - مون) أو (رتز) أي النسر  
 الواقع والدب الأكبر المرسوم على هيئة نفث الثور يسمى (ضبس) والنجم (آن) والأسد (س) والتمساح  
 (ش) والصور الأربعة المشار إليها بحروف (ط ظ ع غ) يرمز بها للملائكة الأربعة المختصة بحفظ أحشاء  
 الأموات وهي (أمست) و (حج) و (دواموتف) و (قبح سنوف) وقد جعلت هنا رمزا للنجوم أما  
 الأربعة والعشرون صورة التي عن يمين ويسار المرأة الدالة على السماء فهي رموز للأربع وعشرين ساعة  
 فساعات النهار جعلت على هيئة نساء فوق رؤسهن قرص الشمس إشارة إلى النهار وساعات الليل رسمت أيضا  
 كنساء فوق رؤسهن نجمة إشارة إلى الليل وبجانب ساعات النهار كتابة معناها  $\text{☪}$  السلام عليك أيها المتوفى  
 حتر بن المرحومة بحر الخ  $\text{☪}$



( شكل ١١ )

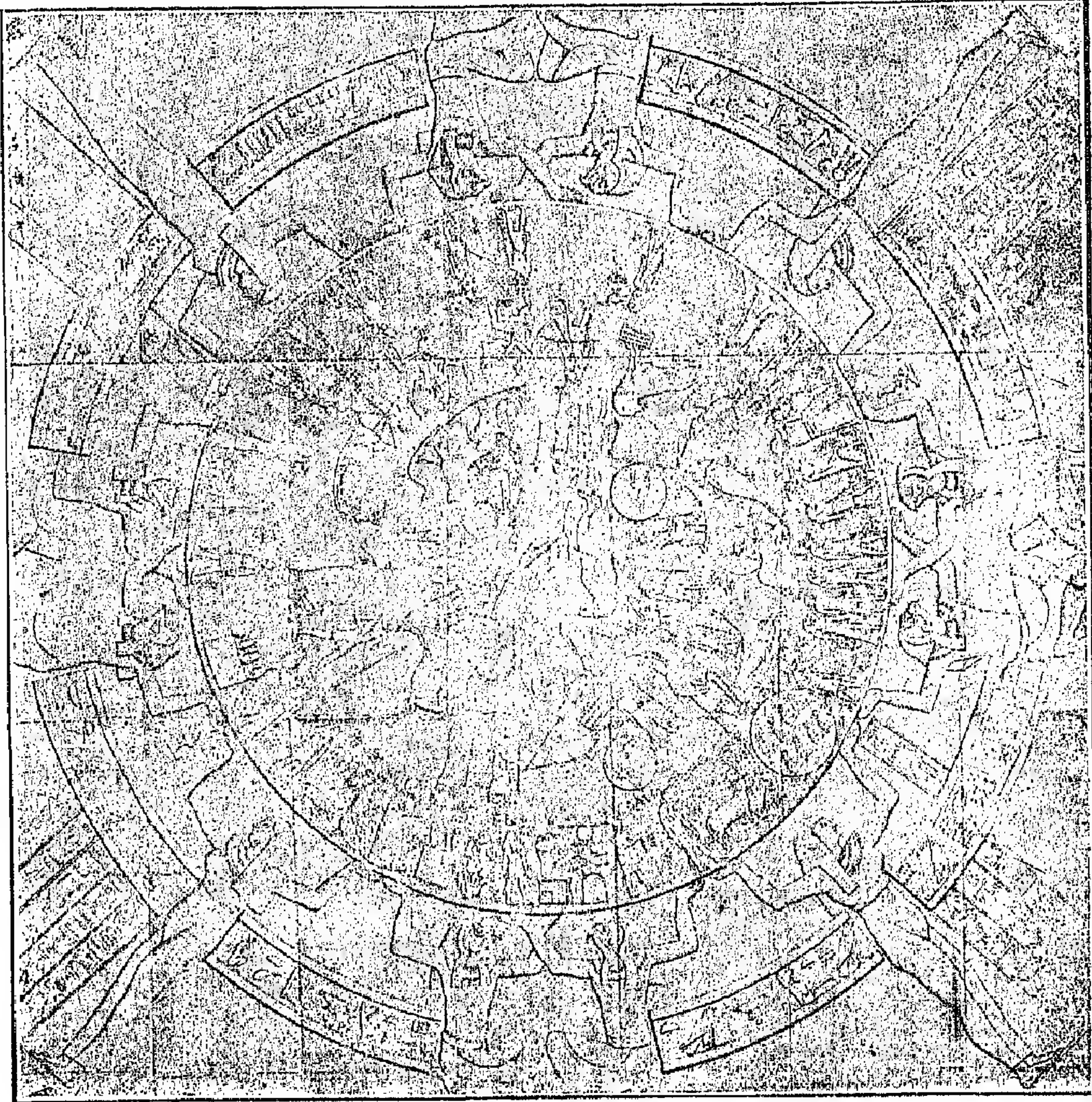
فالساعة الأولى هي ساعة الفجر والأخيرة هي ساعة المساء وقدر من النقط الأربع الأصلية في أركان شكل (١١) أيضا بحيوانات فالجهة البحرية سبع له أربعة أجنحة ورأس كبش فوقه قرنان وبينهما قرص الشمس تعلوه ريشتان وبجانبه ثعبانان وأشاروا للجهة الشرقية بمجل له أربعة رؤس كباش وللجهة الغربية بباشق له أجنحة ورأس كبش عليه ريشة وقرنان فوقهما ثعبانان وللجهة القبلية بسبع له أربعة أجنحة وأربع رؤس كباش ويشاهد في الرسم النسي فوق رأس المرأة (نوت) الدالة على السماء مركب الشمس وفيها صورة



المتوفى (حتر) انتهى الكلام على الشكل الحادى عشر

﴿ الكلام على الشكل الثانى عشر ﴾

هو الذى وجد فى هيكل (دندره) وهو رسم لمنطقة فلك البروج صنع فى عصر القياصرة الأول وهو وان كان متأخرا لا يخلو من الفائدة واليك رسمه



( شكل ١٢ )

هذه الدائرة وجدت فى هيكل (دندره) الذى بنى فى القرن الأول وهدم فى آخر أيام البطالسة وتم بناؤه فى عهد القيصر أغسطس وذلك فوق معبد قديم من الطبقة الأولى اهتمت به ملوك الأسرة الثانية عشرة وأعظم ملوك الطبقة الوسطى مثل (تخوتمس الثالث) و (رمسيس الثانى والثالث) وكانت المنطقة مرسومة فى سقف الرواق الثانى من جهة الجنوب وقد أخذها الفرنسيون بأمر المرحوم محمد على باشا سنة ١٨٢١ وجالوها الى مدينة باريس . فترى فى هذه المنطقة (١) أربعة من صور النساء واقفات جعلت للدلالة على الشرق والغرب والجنوب والشمال وهى تحمل السماء ويساعدهن فى ذلك ثمانية من صور (حوريس) جاثيات رؤسها على شكل الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه المنطقة المحمولة على أيدي هذه الصور الاثنى عشر تنقسم الى (٣٦) قسما وكل قسم الى عشرة أقسام فيكون مجموع الأقسام (٣٦٠) قسما والقسم يوم وكانت هذه الصور الاثنا عشر التى ترمز الى الملائكة ترأس منطقة فلك البروج القديمة المصرية فى أقسامها كافة . ثم لما جاء اليونان بمصر ونشروا منطقتهم الفلكية جعلوا كل ثلاثة من هذه الصور لقسم من الدائرة



وبهذه التجزئة بقيت المنطقة معتمدة للآن لدى علماء الفلك و يشاهد في نفس المنطقة وفي أقسامها بعض نجوم رصدها المصريون قديما كالدائرة المشتعلة على ثمانية من المذنبين المغولي الأيدي الجائين على الركب وعلى الثعبان الكبير المتوج بالتاج (اتف) وتبتدى المنطقة في أعلى هؤلاء المذنبين ببرج الأسد ثم بواسطة البرج الأخير وهو السرطان تدخل في الدائرة الموضوعة فوق الأسد بحيث يتكوّن من الجميع شكل حلزوني ويرى في داخل الدائرة أن الكواكب قد رسمت كل خمسة معا في هيئة رجال تسير الهوينا

قال (شامبليون فيجاك) من تأمل هذه الدائرة وجدها مبتدئة في وسطها ببرج الأسد المرسوم كالسبع السائر فوق ثعبان ومن خلفه امرأة . ثم ببرج السنبلة وهي امرأة في يدها اليسرى سفيلة قحج ثم يلي ذلك من اليمين الى اليسار برج الميزان بكفتيه ثم برج العقرب ثم القوس نصفه انسان ونصفه الآخر ثور وله أجنحة ثم يليه الجدى نصفه ماعزى ونصفه الآخر سمكى ومن بعده الدلو وهو كرجل يصب الماء من إناء بين يديه ثم الحوت وهو أسماك مجتمعة في مثلث محصنة بإشارة الماء ثم الحمل وهو أول البروج اليوم عند علماء الفلك وبعده الثور وكلاهما مرسوم فوق صورة انسان سائر وبينهما الجوزاء ثم السرطان . هذه هي البروج الاثنا عشر المرسومة داخل المنطقة ولأجل الوصول الى معرفة ترتيبها والوقوف على أول بروجها نكتفي بالتأمل الى السرطان إذ هو الموضوع مباشرة فوق رأس الأسد . وعليه فالاثنا عشر برجا موضوعة على شكل حلزوني وتعرف الككل بسهولة لأن مبدأها الأسد كما تقدّم . أما غيره من البروج فيتبعه مرتبة حسب ترتيبه الوارد في المنطقة . وأما بقى الصور المنتشرة في دائرة المنطقة فهي نجوم أشهرها الشعرى اليمانية وهي المرسومة كالبقرة فتراها نائمة في سفينة وعلى رأسها نجمة وفي جيدها هذه العلامة ( ٣ ) الدالة على الحياة وهذا النجم يعرف عندهم باسم (أسيس) ويتبع هذا الفصل ﴿جوهريتان﴾ الجوهرة الأولى في عجائب هذه الصور الفلكية المصرية . الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للمسلمين

#### ﴿ الجوهرة الأولى ﴾

أنظر أيها النكبي في هاتين الصورتين . لقد تبين فيهما ما في علم الفلك من ثوابت وسيارات وما عرف الناس من البروج الاثني عشر . وانظر كيف تجلى ذلك في الصورة الأولى التي وجدت في قبر حتر مرسومة على صندوقه بهيئة صفيين عن يمين وشمال وفي صورة معبد (دندره) بهيئة شكل حلزوني عجيب وكيف أمكن القوم أن يبينوا في صورة على مقدار راحة اليدين الجهات الأربعة وأيام السنة وفصولها وشهورها وبروجها وقد رسموا ذلك بصور آية في الحكمة وآية في الصنعة وغرائب الابداع . ههنا تجلى معنى القرآن ههنا تجلت بدائع الفرقان . ذكر الله في أول السورة الشمس والقمر ونورهما وحسابهما وذمّ المعرضين عن ذلك . وههنا أبان أن للانسان صنعا في ذلك وذمّ المعرضين عنه . إذن الله يذمّ المعرضين عن صنعه والمعرضين عن صنع عباده . ألا ترى رعاك الله أن صنعه قد تجلى في الصور المرسومة في أول السورة مثل صور أوجه القمر وصور سديم المرأة المسلسلة وسديم الأسد وصورة المجرة . هذه هي الصور التي لم تمسها يد البشر وانما وضعت في السماء بيد خالقها ورسمت على قرطيسنا بضوء شمس . ثم انك ترى هنا صورة أخرى رسمت بيد العباد من آلاف السنين لتجمع أشات الصور السماوية وتبين للناس مناظر السماء وبروجها موفقة بأشكالها حتى تكون أسهل مأخذا وأوضح تصوّرا وأقرب فهما . جلّ الله وجلت الحكمة . ههنا ﴿رسمان﴾ للصور السماوية رسم في أول السورة بيد الله ورسم هنا بيد العلماء . ذمّ الله المعرضين على الصورتين ولم يفرق في الذم بين من أعرض عن الآخرة ومن أعرض عن الأولى بل ان صور قدماء المصريين الصناعية أقرب الى الفهم لأنها صور معدة للدراسة وأقرب الى الأذهان ألا انها هي أشبه بكتلة المنح الانساني ترسم عليه صور شتى فيحفظها . هكذا الصور الفلكية لقدماء المصريين جمعت شتات علم الملك فصارت

كرآة المنجم وهي صغيرة تريه كل عامرة وقفر . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى  
﴿ الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للمسلمين ﴾

رب مطلع على هذا يقول كيف ساغ لك أن تحرّض على قراءة علوم القدماء وهم قوم عباد أوثان .  
أليس القرآن يغنيننا . أقول هذه شبهة قد نشرها إبليس بين المسلمين ليعمدهم عن ربهم ويذهب خلقه .  
لم يقل أحد من علمائنا أن هؤلاء قوم محكوم عليهم بحجهم بل أجمعوا أن أهل الفترة ناجون وإن غيروا  
وبدلوا وعبدوا الأوثان . فالأهم التي لم تبلغها دعوة نبيّ تحاسب على مقتضى عقائدها وليس محكوما عليها  
بالهلاك . فهذه شبهة ضالة خاطئة . وأيضا هب أنهم ضالون فهل ضلال قوم يمنعنا عن أخذ مآلهم من  
المنافع . اللهم إن كل قوم يحرمون ذلك فهم قوم ضالون . وكيف يحرم الناس ذلك وقد قال الله - أفلم  
يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى  
القلوب التي في الصدور - يقول - لهم قلوب يعقلون بها - ولم يبين أي معقول يعقلون أعلى يد كافر هو أم  
على يد مسلم . وإذا كان ابن آدم يقول في سورة المائدة كما مرّ هناك - ياويلتي أعجزت أن أكون مثل  
هذا الغراب فأواري سوءة أخي - أي أن الانسان يتلقى العلم عن الغراب ويأخذ الحكمة عنه اذا وجد نفسه  
مقصرا عنه في فضيلة أو عمل ما . فاذا رأى الغراب يدفن أخاه يكون من النقص أن لا يدفن أخاه . فكما  
تحسر ابن آدم على نقصه بالنسبة للغراب . فكذلك يتحسر المسلم على كل ما يمكنه علمه مشتق من علم الطيور  
وبالأولى ما كان من علم الانسان . والمتحسر على نقصه عن الغراب يكون أكثر تحسرا على نقصه عن  
الانسان الذي هو أقرب اليه وهو من جنسه . وهذا هو المقصود في هذه الجوهرة يعني اننا نكون في  
حسرة ونقص شديدين اذا سبقنا أوروبا التي هي في زماننا . واذا سبقنا قدماء المصريين ولم نعلم ما علموا  
فن تحسر على معرفة الغراب في دفن أخيه الغراب فما أحراه أن يتحسر على علوم مكتوبة له مرسومة  
على ألواح مرصودة في المقابر مهيتة له ثم هو يولي معرضا عنها فحقّ عليه قول الله - يا حسرة على العباد الخ -  
﴿ حكاية النملة وسيدنا سليمان عليه السلام ﴾

ويا ليت شعري اذا كان نبيّ الله سليمان عليه السلام يقول - يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا  
من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين - ثم أخذ يذكر قصة النملة التي سمعها في وادي النمل تقول - يا أيها  
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - . سمع النملة سليمان . فماذا فعل  
(١) تبسم ضاحكا من قولها (٢) - وقال ربّ أوزعني - أي ألهمني - أن أشكر نعمتك التي أنعمت  
عليّ - (٣) - وأن أعمل صالحا ترضاه - (٤) - وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين - .

تبسم سليمان فرحا بأنه عرف ما تقوله النملة واعترف بنعمة الله عليه وعلى والديه وطلب من الله أن يعمل  
صالحا الخ . فيقول سليمان انه علم منطق الطير وأوتي من كل شيء . ويقول إن هذا فضل مبين . فاذا  
كان منطق الطير مع ما عطف عليه فضلامينا فما بالك بمنطق الحكماء والعلماء من نوع الانسان . إن  
الانسان اذا عرف مناطق به الحكماء وما دونوه في الألواح والكتب والطوامير يكون أولى بالشكر والاقرار  
لله بالفضل . إن العلم المودع في الانسان أعلى من العلم المودع في الحيوان . فاعلان النبي سليمان شكره  
لله على علمه بمنطق الطير حضّ لذوى العقول أن يعرفوا نعم الله فيما نالوه من حكمة الحكماء وعلم العلماء .  
لهم لم يبق بعد هذا البيان عذر لأهم الاسلام بعدنا . اللهم قد أبنت بفضلك لهم ما يجب عليهم من العلوم  
ونقل الحكمة . إن المسلمين بعدنا هم الذين يعرفون ما قرأته جميع الأمم وما ظهر من عجائب هذه الدنيا

مرّت على المسلمين قرون وقرون وهم نائمون بعد العصر الأوّل أنامهم شيوخهم المغرورون فقلّ أولو  
الألباب وذات الأعقاب وهذا أوان استيقاظهم فليكونوا فيما مضى أشبه بحيوان عاش في بيضة فصار دودة

ثم فيلججة كدودة القز . وهاهوذا قد جاء أوان استيقاظهم وبناء مجدهم فيكونون أشبه بذلك الحيوان وقد حلّ وثاقه وصار في حرية يتمتع بالنسج والشجر وأعمال الأزهار اه  
فهذا هو قوله تعالى - فالיום ننجيكم ببسدتك لتسكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى

﴿ ذكرى أيام الشباب وشكر الله تعالى على نعمة العلم والعرفان ﴾

قد ذكرت في سورة الأنعام أن عويل نساء قريتنا على عظمائها كان ذلك يورثني حزنا على جهلي . وأوضح الآن أكثر أيضا فأقول . لقد كانت هذه حالي أيام الشباب فكنت اذا سمعت الناديات يندبن بهيئة منظمة موسيقية تحدث في قاي رقة وآلما على جهلي بعلم النلك لأني كنت أنظر إذ ذاك الى النجوم في الليالي المظلمة وهي تلمع خلال النخيل المحيط بالقرية فكان يخيل لي أن أصواتهن ترتفع في طبقات الجو صاعدة وأنا أصعد الأنفاس حزنا على جهلي بعلم هذه النجوم . وتارة كانت تحدث هذه حزنا في نفسي على الآثار التي خلفها الأولون وأتخسر وأحزن على ما أودع فيها من عجائب . ولست أدري سبب اقتران بكاء النساء بهذا ولا بذلك ولكن هذه كانت حالي وقد كنت أيام الصبا قبل المراهقة أبيت في الحقل مع أقاربي فأسمع طنين الناموس في الحقول فأحس في نفسي بحزن عميق على جهلي بهذه الدنيا وهذا الوجود وكأن ذلك الطنين أرسل اليّ ليذكرني بالجهل الطويل الممتد كامتداد هذه الدنيا فلا أدري أوائلها وأواخرها . هذه كانت حالي أيام الصبا وحالي أيام الشباب . أفلا يحق لي الآن بل أفلا يجب عليّ أن أشكر الله وأعلن فضله عليّ إذ جمعت من عجائب وغرائب النجوم والأفلاك صورا جيلة وبدت بهيئة ظريفة قدزينت للناظرين وبعض هذه الصور إلهية وبعضها بأيدي بشرية مدفونة تحت أطباق الثرى كما كنت أجد في نفسي أن في السماء عبدا وفي الأرض وآثارها المدفونة خبرا . اللهم اني قد علمت من ذلك على قدر الطاقة البشرية وأدركت بعض نظام هذه الدنيا . فأنا اليوم أحمده وأشكرك على فضلك العظيم ومنتك الكبري إذ أريتني من عجائب كواكبك ومن غرائب خزائن الآثار التي رسمها القدماء وقد انقلب حزني في الشباب على الجهل سرورا في المشيب على العلم والحكمة والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ الفصل الثاني فيما يجوز من الصور وما يمتنع ﴾

ولما أردت أن أصنع صورة البروج المستخرجة من قداماء المصريين المذكورة حضر صديق لي من قراء هذا التفسير وهو من أهل العلم الصالحين المطلعين ومن قرأني وهو الشيخ محمد السيد دياب فقال كيف تضع صورا في التفسير والتصوير حرام . فقلت إن الصور على ﴿ نوعين ﴾ نوع ورد ذكره في الأحاديث وكلام العلماء ونوع لم يرد . أما الذي ورد ذكره في الأحاديث وكلام العلماء فهو ﴿ قسمان ﴾ التصوير الذي له ظل والذي لا ظل له والأول منهما محرّم بالسنة وقد شرط له العلماء أن يكون على هيئة يعيش بها الخ . القسم الثاني مباح لما روى عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن أبا طلحة حدثه أن النبي ﷺ قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة قال بسر فرض زيد بن خالد فعبدناه فإذا نحن في بيته بستر فيه تصاوير فقلت لعبد الله الخولاني ألم يحدثنا في التصاوير فقال إنه قال ألقا في ثوب ألا سمعته قال لا قال بلى فذكره \* وروى الترمذي بسنده أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعود فوجد عنده سهل بن حنيف فقال فدعا أبو طلحة انسانا ينزع نمطا تحته فقال سهل لم تنزعه قال لأن فيه تصاوير وقد قال النبي ﷺ ما علمتم قال أولم يقل إلا ما كان رقيا في ثوب فقال بلى ولكنه أطيب لنفسى وقال الترمذي حسن صحيح \* وروى أن عائشة رضي الله عنها كان لها قرام (ستر) سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي اه وجاء في صحيح مسلم وأبي داود والنسائي والترمذي عن أبي هريرة أن جبريل أمر النبي ﷺ أن يأمر



بالستر الذي فيه تماثيل فيجعل منه وسادتان توطآن . فهذا يدل على أن تلك الصور ترجع الى المقصود منها وهي مباحة

أما النوع الذي لم يرد ذكره في الأحاديث ولا كلام العلماء فهو التصوير الشمسي وما هو إلا صور رسمها الله بشمسه فاحتال الناس على سكونها فسكنت كما يرى الانسان صورته في المرآة فهل يباح لنا أن نراها فيها ولا يباح بقاءها انما من نوع الظلال الشمسية ومن حرم الظلال الشمسية تحت جبل أو حائط أو جمل فقد انخلع من عقله ودينه معا . فالصورة الشمسية لم ترسم بأيدينا والنظر اليها كالنظر الى الظلال المعروفة على أن هذه كالمعجزات القرآنية في هذا الزمان . يقول الله سبحانه - ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - فهاهوذا سكونه المرموز له في الآية . فقال الشيخ محمد السيد إذن هذا مباح . قلت بل هو واجب . فقال أين الدليل . قلت هو هنا للتعليم والتعلیم واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما يقول الشافعي رضى الله عنه في غسل المرفق مع غسل الذراع . قال وهل هذه تعاليم اسلامية . قلت بل هي لب الاسلام وقلبه . انها صور البروج والبروج تشمل المنازل المذكورة في هذه السورة في قوله تعالى - وقدره منازل - فكيف يعرف الناس المنازل إلا برسمها فهي تفسير للقرآن وهي توحيد لله تعالى وهي شكر له . إن التوحيد هو العلم بما هو في هذا الوجود وهذا الوجود لا يعرف إلا بأمثال ما ذكرناه وهو من ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله ابراهيم الخليل فقال تعالى - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فهذا يكون الايقان الذي هو أرقى من الايمان . ومعلوم أن الشكر علم وعمل وهذا لب العلم وهو الذي حضّ النبي ﷺ على تعلمه فقال ﴿ نحن أحق بالشك من ابراهيم ﴾ ومعنى هذا أن علينا أن نبحث ونجد حتى نوقن ولا معنى للبحث والجد إلا في علوم هذه الكائنات التي يكون بها اليقين تشبها بالخليل عليه السلام الذي نظر فيها وأيقن وإن كنا لانصل الى مقامه . فقال ذلك الصالح ولم خصصت الرسم بما نقل عن قدماء المصريين . فقلت أولا إن هذه أرقى وأكمل من غيرها في التعليم (ثانيا) أن الله سبحانه ذكر المنازل في هذه السورة ثم جاء في نفس السورة فذكر فرعون وهو من قدماء المصريين وقد جعل بقاء جسمه آية فنحن نرى للناس بعض هذه الآية التي وجدت في مقابرهم لنخلص من الغفلة عن الآيات في قوله - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - فهاهنا استبان أن الغفلة عن آيات الله (ومنها الآيات التي خباها الله في قبور الفراعنة) مذمومة منهي عنها وهذه الأسرار لم تظهر إلا في هذا الزمان فوجب علينا أن نظهر للناس أن القرآن قد أشار الى علوم قدماء المصريين وهذا منها لاسيما أنه هو المذكور في نفس السورة وهي صور البروج والمنازل . فهذه العلوم من جهة فرض عين على كل قادر على الازدياد من التوحيد ومن الشكر وفرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يعرفونه مثل جميع العاوم والصناعات

﴿ ما يخص ما تقدم ﴾

إن هذه الصور وضعت فيما هو فرض عين على كل قادر من ﴿ وجهين ﴾ وجه التوحيد ووجه الشكر وفرض كفاية على الأمة بحيث تخصص له جماعة يقومون به من وجهين أيضا وجه أنه علم الفلك ووجه أنه علم قدماء المصريين فيكون ثوابه هنا مضاعفا والقائم به قائم بغرضين معا لكفاية الأمة . ثم قلت له أيها القاضل لنفرض أن أحاديث الجواز وإباحة الصور لم ترد وأن حديث أبي طلحة وهو قوله ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة لم يذكر فيه ما بعده وهو إباحة التصوير إذا كان رقيا في ثوب . وبالأجمال لنفرض أنه لم يرد شيء من الحل ولم يرد إلا النهي فهل نمنع رسم الصور . قال نعم . قلت له قد ورد في رواية من نفس هذا الحديث ﴿ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة ﴾ قال أذكر ذلك . قلت إذن سوى الحديث بين الكلب والصورة . قال نعم . قلت فهل هناك نهى عن كلب الصيد أو حراسة الغنم . قال لا . قلت

لماذا . قال لأن كلب الحراسة ينفعنا لحفظ غنمنا . قلت ثم ماذا . قال وأيضا كلب الصيد يفيدنا في حياتنا  
 فأكل مما يصطاد لنا . قلت إن الصور في عصرنا الحاضر أنفع لنا من كلب الصيد و كلب الحراسة لأنها تحرسنا  
 وتفيدنا . قال هذا لا أعقله . قلت أنت تعقله ولستك تريد أن تعلم الناس قال حقا . فقلت له اعلم أن  
 الناس اليوم في أوروبا وأمريكا واليابان و بلاد الترك قد عرفوا من العلم ما يجعله كثير من الناس . ذلك أن  
 الحيوانات على (قسمين) قسم نراه وقسم لا نراه والذي نراه بالنسبة لما لا نراه قليل جدا . إن جميع ما على  
 الأرض من الانعام والبهائم والحشرات والطيور لا تساوى في تعدادها ما في جسم رجل أصابه طاعون أو حى  
 أو مرض الجدري أو الحصبة أو حى التيفوس أو حى التيفود . فهؤلاء جميعا لا يمرضون ولا يموتون إلا بحيوانات  
 دقيقة تحدث ذلك . وقد احتال علماء هذه الأمم فصوروا تلك الحيوانات وعرضوها على الناس وهى مكبرة  
 ألف مرة وعشرة آلاف ومائة ألف فظهرت خراطيمها مع أجسامها فعرفها الناس فاحترسوا منها بأن أتوا بما  
 يضادها فأهلكوها فأنجوا كثيرا من الناس بذلك ولولا ما فعلوه ما بلغ قطرنا المصرى اليوم (١٤) مليون  
 بعد أن كانوا (٣) ملايين أيام المرحوم محمد على باشا تقريبا . وهكذا جميع الأمم . وأيضا هذه الحيوانات  
 وغيرها لما رسمت في الكتب وظهرت صورها عرف الناس جمال ربهم وحكمته واتقائه وابداعه فآمنوا به  
 ألا ترى الى ما ذكرته لك في سورة الأعراف عند قوله تعالى - ورحمى وسعت كل شئ - فقد قلت لك  
 هناك ان علماء القرن العشرين من المعاصرين لنا في أوروبا أدهشهم نظام ربهم في حيوانه فقالوا إن علماء  
 القرن التاسع عشر آراؤهم في العالم كآراء المجانز وهو أقرب الى الخرافة إذ يظنون أن هذا العالم جاء  
 بالمصادفة والانتخاب الطبيعى الخ . فاذا كان هذا شأن الصور الحيوانية المكبرة اذا فرضنا أنها مرسومة  
 بأيدينا . أفلا تساوى تلك الصور كلاب الصيد و كلاب الحراسة . واذا جاز لنا أن نحرس غنمنا  
 بكلبنا ونصطاد الغزالة به والصيد واقتناء الغنم مباحان وقد خرجنا بذلك عن كراهة اقتناء الكلاب أفلا نخرج  
 عن كراهة الصور أو تحريمها اذا كانت مرسومة في الورق . قال أما هذا القول فهو حسن . قلت ماذا تريد  
 بحسنه . قال انه ثبت الجواز ان لم يرد في الحديث جوازه مع أن الأحاديث نطقت بجوازه . قلت ليس  
 هذا جوازا انما هو وجوب وكيف لا يكون وجوبا ونحن لو تركنا معرفة هذه الحيوانات وحرمنا رسمها على  
 أطبائنا لجهلوا أمراضنا ولفتكت بنا تلك المخلوقات أفلا يكون ترك ذلك حراما . قال بلى . قلت إذن  
 حراسة الانسان والحيوان من الطاعون والموت أفضل آلاف المرات من حراسة غنمات في البادية لاعرابى .  
 قال نعم . قلت إذن رسم الصور وتكبيرها يكون واجبا (لأمرين) معرفة الله وشكره . وحفظ الأمم  
 الاسلامية من الهلاك . فقال يا للعجب إن هذا القول جيل وان من البيان لسحرا وأود أن ينشر هذا  
 القول بين المسلمين لأن هذه الأمة قد رسخت فيها هذه العقيدة وأكثرت الناس لا يفرقون بين صورة وصورة  
 ولا بين حالة وحالة بل الناس غافلون نائمون يسمعون تحريم الصور فيأخذونها على عسلاتها والعامة يتبعون  
 صغار العلماء وصغار العلماء أعينهم في غطاء عن ذكر الله ومن الغطاء عن ذكر الله أن تخفى صور الحيوانات  
 العجيبة فلا يفتنون لها . فالمسلمون اليوم وقعوا في برائن أسدين مفترسين أسد جاء من الخارج وهى الأمم  
 الراقية يذلونهم ويفترسونهم للجهل الخيم عليهم . وأسد من الداخل وهم صغار الفقهاء في الدين الذين  
 تصدروا للفتيا واتبعهم الناس وأعينهم في غطاء عن ذكر ربهم فضاعت الأمة فريسة للأسدين أسد الأعداء  
 الخارجين وأسد الأعداء الداخلين بجهلهم وهم الأعداء حقيقة \* وفي المثل (عدو عاقل خير من صديق جاهل)  
 فهؤلاء أصدقاء جاهلون يحفظون كلمات ولا يفقهون معناها فانا لله وانا اليه راجعون \* وقد قال الامام  
 الغزالي رحمه الله تعالى (إن من ينصر الدين بطريق الجهل أضرم عليه من أعدائه وناصر الاسلام أكثرهم  
 جاهلون) . قلت له لا تأسف ولتعلم أن الله أذن للمسلمين اليوم بالارتقاء وهذا التفسير من مقدمات تلك النهضة

فلا يكن في صدرك حرج مما ابتلى به المسامون من الجهل والله على كل شيء وكيل . فقال أنا كما قدمت موقن بهذا الموضوع ولكن هذا البيان أفرح ليطلع عليه المسامون واني قد اطلعت في تفسير الفاتحة الذي نشر حديثا في كتاب خاص أنك ستكتب في النحل وفي العنكبوت وغيرها عجائب لا تحصى فأنا أود كما يود أهل العلم جميعا أن ترسم تلك الحيوانات بالتصوير الشمسي لنرى بأعيننا تلك الحيوانات مكبرة فنرى أرجل النملة والنحلة الست ونرى أرجل العنكبوت الثمان وهكذا وإذا كانت محاورتي معك قصدت منها أن يطلع المسامون في بلاد الاسلام وأنا قبل ذلك مقتنع بحديث مسلم وغيره فاني أود أن أقابل أكابر علماء الحنفية والشافعية والمالكية وآتي بأرائهم ليوضع هنا حتى يكون رسم الصور اجماعيا من يعتد بهم . فلما أطلعني على ما كتبه جماعة من هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر من المذاهب كلها رأيت انهم اتفقت آراؤهم واختلفت عباراتهم ورجعوا جميعا في المعنى الى أمر واحد وهو جواز التصوير الشمسي كالذي يصور في هذا التفسير وهذا نص ما قاله شيخى وأستاذى بالجامع الأزهر شيخ السادة الشافعية ومن هيئة كبار العلماء بنصه قال ﴿ التصوير المحرم انشاء صورة تشبه صورة الحيوان بخلاف حبس صورة حيوان بنحو زجاج فليس بتصوير وحينئذ لا حرمة بل هو مثل حبس الصورة بالمرآة وهذا الحبس ليس بحرام ﴾ ونحانحوه صديقنا الشيخ يوسف الدجوى من كبار علماء المالكية وهكذا غيره . فلما قرأت ما ذكرى قلت له الجواز لا يكفي بل هنا يكون الوجوب لأن العلم لا تظهر حقائقه في هذا الزمان الذى اتسعت فيه دوائره إلا برسم صور المخوقات الحية وغير الحية كما تقدم

وإذا سمعناه عليه السلام يقول لعائشة أميضى عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي فانا نفهم منه أنه لم يمنعه من ظهوره أمامه في الصلاة إلا أنه شغله عنها . إذن التصاوير شغلته في الصلاة فأمر باماطتها . إذن إذا كانت التصاوير تعرفنا جمال الله وحكمته في كتبنا التى ندرسها فانا لا نعطىها ولا نبعدها لأنها مذكرة بالله وبجماله . إن العلماء استنتجوا من وجودها عندهم وأمرهم بالاماطة في تلك الحال أن الصور التى لا ظل لها مباحة . فكيف بنا إذا رأينا صور الكتب التى ترشدنا الى جلال ربنا ونظام حياتنا . فهل هذه نعطىها كلا والله . ثم كلا بل المفهوم من الحديث أننا نبقىها وجوبا أو ندبا

### ﴿ تذكرة ﴾

بعد أن كتبت هذا زارنى أحد الفضلاء فاطلع عليه فقال . إن ما أبديته من الأدلة كاف في جواز بل وجوب الصور الشمسية لظهارها الخفايا والدقائق كى يحيط الانسان علما بما في هذه الحيوانات من العجائب ولكن هذا ليس ينتفع به جميع المسلمين وهذا التفسير عام لا يختص بأهل سنة ولا بشيعة ولا بامامية ولا زيدية بل هو كتاب عام . وفي هذه الطوائف من لا تقنعه البراهين العقلية ولا تكفيه الأدلة الحسكية . وانما يقول على نصوص القرآن والحديث وما عدا ذلك يضربون به عرض الحائط . فهل لك أن تذكر ما يناسب الصور الشمسية من الآيات القرآنية ولا تقف عند ما ذكرت من قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وأن هذه الصور انما هى من أشعة الشمس واحتمال الناس عليها فأسكنوها فان مثل هذا لا يجترى به ذلك الفريق من المسلمين . فقلت إن تصغير الكبير وتكبير الصغير قد جاء معا في غزوة بدر . ألم تر أن الله يقول - وإذ يركمواهم إذا التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللهم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا - ويقول - إذ يركمهم الله فى منامك قليلا ولو أراهم كثيرا لفشتهم وانتازعتم فى الأمر - فههنا صغر الله الكبير كما رسمت صور السماء فى هذه السورة مصغرة . وهكذا صور المجرة وأنواع السديم فهذه قد رسمت لنا مصغرة لكي تكون أمامنا . أما هى فلا حصر لعظمتها فهناك صغر الله المسلمين فى أعين الكفار وصغر الكفار فى أعين المسلمين عند اللقاء وصغرهم فى عين رسول الله ﷺ فى المنام . كل ذلك ليقدموا على الحرب . وههنا صغرت صور المجرات وأنواع السديم ليدفعنا هذا لراستها . فهناك التصغير



لايقاع الحرب لينتشر الاسلام والعلم . وهنا وضعت أمامنا صور الكواكب والأرض وغيرها في العلوم جميعها كالجغرافيا والنبات والحيوان والفلك وعلم طبقات الأرض لتعقلها وتعلمها . فالتصغير هناك للحرب والحرب لنشر العلم وهو دين الاسلام . والتصغير هنا لنجتهد في البحث فنعلم فكلاهما للعلم صغر جيش الكفار في رؤيا النبي ﷺ وفي أعين الصحابة عند التقاء الجيشين لنشر العلم . وهكذا هنا صغرت هذه المواقف بالتصوير الشمسي لنشر العلم . فقال صاحبي هذا والله أعجب العجب . إن هذه أمور لا تخطر بالبال واستنتاج غامض ولكنه حق . ولكنه لا يزال ناقصا أنت الآن عرفتنا تصغير الكبير ولكنك لم تأت بما يدل على تكبير الصغير ولا يكفينا قوله تعالى - ولوأراكم كشيء لفشلتم ولتنزعتم في الأمر - لأن - لو - تدل على الامتناع فهنا أطلب منك أمرين ﴿ الأمر الأول ﴾ ما المناسبة بين رؤيا النبي ﷺ ورؤية الصحابة جمع الكثرة من أعدائهم جمع قلة وبين التصوير الشمسي ﴿ الأمر الثاني ﴾ أين تكثير القليل . فقلت له الرؤيا عبارة عن انطباع صور في الخيال الذي اصطاحوا على أنه في مقدم الدماغ . فإذا رأى الانسان شيئا في المنام فعناه أنه انطبع في مخيلته لا أقل ولا أكثر . فالنبي ﷺ لما رأى الأعداء قليلا انطبعوا في الخيلة قليلا وهكذا لما رأى الصحابة رضى الله عنهم أعداءهم طبعوا في الخيلة عند كل واحد منهم قليلا بعارض سماوى لانعامه وحصل لهم في اليقظة ما حصل للنبي ﷺ في المنام وهذا أمر سهل والصورة الشمسية ماهي إلا ما طبع على جرم من الأجرام بأشعة الشمس وهذا المطبوع ينتقل بنظر العين الى الحس المشترك والحس المشترك يوصله الى الخيال فرجع الأمران الى التصوير الشمسي ورؤية الصحابة ورؤيا النبي ﷺ الى النتيجة وهي وجود صور في الخيلة لا أقل ولا أكثر وبهذه الصور تكون نتائج على مقتضاها فيكون الاقدام على الحرب هناك والاقدام على التفكير والعلم هنا . أما ﴿ الأمر الثاني ﴾ وهو تكثير القليل فهو المذكور في غزوة بدر أيضا . ألم يقل الله تعالى في سورة آل عمران - لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء - فانظر كيف أيدهم بالنصر إذ جعلهم في أعين العدو ضعفى عدده وعدد العدو كان نحو ألف . إذن يكون جيش الصحابة صار مقدار نفسه نحو ست مرات ومقدار جيش العدو مرتين لأن جيش الصحابة نحو ثلث جيش الأعداء . فهنا لما التقى الجيشان وكان كل منهما يرى الآخر صغيرا صار أصغرهما أكبر من أكبرهما لما أراد الله نصر ذلك الأصغر فأراهم للآخرين ضعفى عددهم . فهذه الارادة قد جعلها الله لنصرهم على عدوهم . هكذا هنا اذا نحن كبرنا صور الحيوانات الصغيرة كالنمل والنحل والعنكبوت والحيوانات النورية التي تكون سببا في الحى والجدرى وأمثالها ننال علما . وذلك أننا نزيد بالله علما فنوحده ونشكره وبطباع الحيوان فهما فتتجاشاه وتتركه وتكثر جموعنا وتقل أمراضنا . ثم قلت إذن التكثير والتقليل قد جاء في القرآن والله عز وجل أنزل ذلك في القرآن ليعلم المسلمين أنهم سادات هذا العالم . فليصغروا الكبير لهذه الرسوم الكوكبية والجغرافية وغيرها حتى يستطيعوا دراستها . وليكبروا الصغير حتى يتمكنوا من فهمه وتعقله . فلما سمع ذلك صاحبي قال الآن عرفت أن هذا القرآن لا يزال بكرا وأن آياته لم تزل محجوبة عن الناس . ها نحن أولاء نقرأ هذه السور صباحا ومساء ونكرر تقليل الكثير وتكثير القليل والناس حوانا قد انتهوا من ينابيع العلم وكرعوا من أنهر الحكمة والمسلمون هم الساهون اللاهون . تصغروا الصور السماوية والمناطق الأرضية وتكبر الحيوانات الصغيرة وذرات طلع الأزهار في الأشجار وتعرف مستقر كل شئ ومستودعه والمسلمون لا يعتبرون بما في القرآن ولا يفكرون . أن الصور التي رسمها الناس كلها ترجع لذين تصغير كبير لتقريبه وتكبير صغير لا مكان فهمه . هذا هو أول العلم وهذا آخره والقرآن ذكر الأمرين معا في نفس القرآن فجعل التصغير للاقدام على الحرب والتكبير لفصل الخطاب وإيقاع الهزيمة ونصر من يشاء . فقلت له إن في

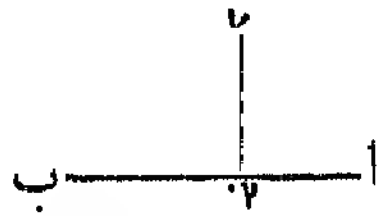
قوله تعالى - إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار - إشارة الى ما ذكره الآن . فالعبرة في الآية ترجع الى نصر جند الله مع قتلهم ونخلان الكفار مع كثرتهم وهذا الاعتبار قد سار شوطا بعيدا باجتهد الأئمة كالشافعي إذ جعل القياس مأخوذا من هذا الاعتبار ونحن نقول ويقاس على تكبير الصغير هناك وتصغير الكبير ما ذكرناه هنا ويكون ذلك اعتبارا لأولى الأبصار والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اه  
فقال صاحبي أرجو أن تفصل فوائد المسلمين في تصغير الكبير وتكبير الصغير . فقلت سيقوم المسلمون قومة رجل واحد على عاوم السموات وعاوم الأرض من القارات والمعادن والنبات والحيوان والانسان ويرسموها ليفهموها مصغرة ثم يرسمون أيضا الحيوانات الذرية الصغيرة فيكبرونها وينتفعون بكل موجود صغيرا أو كبيرا لأنهم بهذا يقدررون على فهمه . واعلم أن المسلمين أقدموا على ذلك ولكن باعتبار أنه لا علاقة له بالدين . أما اليوم فانهم سيقدمون عليه باعتبار أنه من الدين . وسترى في هذا التفسير ان شاء الله تعالى عجائب الحيوانات وغيرها مكبرة . وترى رسوما مذهشة كما ترى في سورة النمل فهناك صور مسا كنهه مكبرة ومزارعه التي يزرعها ويحصدنها ويخزنها . وترى فيها طرقا زراعية جسيمة يقرأها أهل أوروبا لا يفتهم ويفرحون بعمل ربهم والمسلمون محرومون من جمال ربهم وقد آن أوان ارتقايتهم - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز - والحمد لله رب العالمين اه

﴿ الفصل الثالث في الكلام على بناء الاهرام لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة ﴾  
ظهر جمال الله للأمم قديما وتجلي لهم بنجومه الباهرة وأنواره الظاهرة . يا الله أنت سلبت العقول وسخرت النفوس وأخذت الأفضدة وأذعت حبك في البرية وأثرت نفوسا في أرضنا وهي محبوسة في هذا الهيكل المنصوب . يا الله نثرت كواكبك الدرية في سمواتك العلية وقسمتها مناطق وبروجا وخالفت بين أماكنها وأقذارها وأبعادها وأضوائها وقلت في القرآن - وأشرق الأرض بنور ربها -  
يا الله أنت أبهجت العقول وأثرت النفوس بنور هذه الكواكب تلك الراقصات في الدياجي الساحرات الطرف الناعسات العوانس . انك يا الله خلقت في هذه الأرض نفوسا أمكنتها في هذه الأجسام ثم شرحت صدورها لهذا الجبال وزينته عندها وصرفت أكثر الناس عنه وهم غافلون . وهؤلاء الذين أدركوا هذا الجلال جعلتهم للناس قادة وجملت وجوههم وقلوبهم وأقوالهم وشرفتهم على عبادك وعلمتهم من لدنك علما وأكسبتهم حكمة وجعلتهم للعلم وارثين . كلما نظروا نجما يتلأأ أو قرا يضيء أو شمسا تشرق رأوا في ذلك سناءك وجمالك وأنت تقول في القرآن - وهو الله في السموات وفي الأرض -  
من هذه الأهم الأمة المصرية . أولئك الذين بهرهم جلالك وشغف قلوبهم باهر نور نجومك فأولعوا بك مغرمين وهاموا في جمالك متيمين . وأرسلت لهم نبيك ادريس الذي يسمونه (هرمس الهرامسة) وأيضا (هرمس المثلث) وأيضا (اخنوخ) وينطق به في هذه الأيام \* وقد يقال له (سيزوستريس)  
هذه أسماء المسمى واحد عندهم . ويسمى بهذا الاسم النجم المسمى (الشعري اليمانية) أو (كلب الجبار) وهذا الكوكب أيضا يسمى (توت) فانغرامهم بجمال النجوم الباهرات اختلط عليهم نور العلم الذي أفضته على رسولك ادريس بالنور الظاهري الذي أفضته على هذا الكوكب فأشركوهما معا في هذا الاسم فكلاهما يسمى بالأسماء المتقدمة ماعدا لفظ (توت) فيظهر أنه خاص بالكوكب المذكور . وقد نسبوا الى من يسمى بهرمس المذكور أنه كان حاكما في الأرض ووضع بها كثيرا من العلوم وألف مئات من الكتب . ثم إن الكوكب المذكور يظهر مدة الفيض ويختفي في آخر تلك المدة فسموه باسمه وقالوا شهر (توت) أي الشهر الذي يظهر فيه المعبود (توت) وهو خفي السماء وملك الكواكب ويبقى الشمس من الوقوع في الهاوية المهلكة وهو الموكل بكتابة أعمال الأموات يوم الحساب ويبيده الميزان وكانوا يصورونه

قابضا على رقعة يكتب فيها موازين الناس . هذا ما كان عند قدماء المصريين في هذا الكوكب  
﴿ هذا الكوكب هو قبلة المصريين القدماء ﴾

فما فتئهم جالك وأنسهم أنوار وجهك واتجه حكماءهم إلى مقامك الكريم بنوا مقابرهم بحيث تكون  
أنوار هذا الكوكب ساقطة عليها عمودية لا مائلة ليكون الشعاع أمكن منها وأكثر اشراقا عليها لتتوالى  
الرحمات على ما وصل اليهم في دينهم القديم . ومن هذه المقابر الاهرامات الثلاثة الظاهرة بناحية الجيزة التي  
تبعد عن النيل ثمانية كيلومترات وثلاثمائة متر وهي منسوبة إلى (خفو) و (خفرع) و (منقرع) وهؤلاء  
الملوك من الأسرة الرابعة بمدينة (منف) بالقرب من الجيزة والهرم الأول منها للأول من الأسماء وهو (١٧)  
فدانا والباقيان للأخيرين . والحجارة التي بنى بها الأول تكفي سورا يحيط بأرض مصر ارتفاعه ثمانية أمتار  
وعرضه متران ويبتدىء من الاسكندرية إلى اسوان إلى البحر الأحمر ومن السويس إلى العريش

وهذه الاهرام الثلاثة التي هي من عجائب الدنيا دعا إلى بنائها الاعتقاد الديني إذ ذاك ونحن ليس لنا في  
هذا مدخل لأن ديننا جاء بعد ذلك الدين فهم أمم قبلنا لانحكم عليهم بل يحكم عليهم النبي المرسل لهم وهو  
سيدنا ادريس عليه السلام وقد قال الله فيه - ورفعناه مكانا عليا - وألهم المصريين أن يجعلوا نور ذلك  
الكوكب الجليل ذا وضع عمودي على الهرم كما تقم . حينئذ سألني ذلك الصالح فقال لي . قل لي نورك  
الله بالعلم مامعنى كون الوضع عموديا . قلت معناه أن هذا الكوكب الذي يطلع جهة الجنوب أيام الفيضان  
يسقط نوره على حائط الهرم متجها اتجاهها مستقيما كقطرات المطر تنزل على الأرض فلا تنحرف يمنة ولا يسرة  
قال أوضح هذا المقال . قلت إن أستاذي المرحوم أحمد أفندي نجيب مفتش وأمين عموم الآثار المصرية  
نقل في كتابه عن المرحوم محمود باشا الفلكي أن بناء الاهرام كان قبل الميلاد بنحو (٣٣٠٠) معتمدا في  
ذلك على أن القدماء لما بنوها جعلوا أشعة الكوكب النورية تقع عمودية عليها من جهة الجنوب ليتبرك  
بها الأموات من داخل الهرم كما أننا نجعل رؤس أمواتنا متجهة دائما نحو القبلة تبركا بالكعبة المطهرة .  
وقال وقد علم من رصد هذا الكوكب أنه ينحرف في كل سنة عن وجه الهرم بقدر ثانية وثلاثي ثانية . وكان  
قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة يوازي في مسيره لمدار الشمس متى كانت في نهاية منطقة البروج أو المنقلب الشتائي  
فقال صاحبي هذا قول لا يفقهه أكثر الناس . فقلت سل . فقال مامعنى كون الضوء يميل ثانية وثلاثي ثانية  
فقلت أنظر هذا الشكل



فالخط (ج د) عمود على (ا ب) فالضوء كان يأتي أيام البناء مستقيما كالخط (ج د)  
والفراغ الذي بين (ج د) وبين الناحيتين من الخط (ا ب) يقال لها زاوية وهما زاويتان (ا ج د)  
(د ج ب) فهاتان الزاويتان تقسم كل منهما (٩٠) جزأكل منها يسمى درجة والدرجة (٩٠) دقيقة  
والدقيقة ستون ثانية الخ فهذا الضوء كان يسقط عموديا يعني ليس مائلا إلى إحدى الجهتين . وكلما مرت  
سنة مال ميلا يسيرا جدا وهو ثانية وثلاثي ثانية . والثانية تتكوّن من تعدادها الدقيقة والدقائق تكون  
منها الدرجات . قال فهمت الآن ولكن بقي أمر واحد وهو كيف يتبركون بهذا النور . قلت هذه  
كانت عقيدة القوم سواء أكانت عن نفس النبي ادريس أم كانت من تغيير وضع الدين . انما الذي يظهر  
أن أصل هذا الدين كان شريفا ذا جمال وكمال لأنه جذب نفوس القوم إلى المعالي والحكمة والجمال الإلهي  
الذي يكون الأحق به أمة الاسلام . فقال وأي دخل لأمة الاسلام في هذا المقام . قلت حيالك الله قل لي  
أليس ادريس رفعه الله مكانا عليا . قال بلى . قلت أليس نبينا ﷺ قد أمر أن يتبع الأنبياء ويقتدى



هم . قال بلى . قلت هؤلاء القوم أغرموا بالكواكب وجمالها وحسبوها ويقول الله - والشمس وضحاها \* والقمر اذا تلاها - ويقول - فلا أقسم بمواقع النجوم \* وانه لقسم لو تعلمون عظيم - ويقول - والنجم اذا هوى - ويقول - رب المشرق والمغرب - ويقول - رب المشارق والمغرب - وأخيرا يقول - رب الشعري - شوق المسلم للنجوم وجمالها ونص على أنه - هورب الشعري - والشعري هي (توت) وتوت هذا معبود المصريين وقد دخل في أسماء ملوكهم فليل (توت عنخ أمون) مثلا وهؤلاء الملوك المغرمون بهذا الكوكب جذبوا الى مصر في زماننا أعظم العلماء والحكماء من أوروبا وأمريكا وغيرها . كل ذلك ليأشاهدوا تلك العلوم وتلك المعارف التي ذم الله من أعرض عنها فقال - فاليوم ننجيكم ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

الحمد لله المنعم المتفضل وقد أراني الله في زماننا سر القرآن قد ظهر للعيان وقد كشف الله بعض آيات العلوم التي تركها قدماء المصريين وأبرز الهرم وعجائب الهرم وما الهرم إلا مقبرة جعلت لتضم عظام بعض الموتى من ملوك القدماء والناس يتقاطرون لينظروا آياته في ذلك مصداقا للقرآن

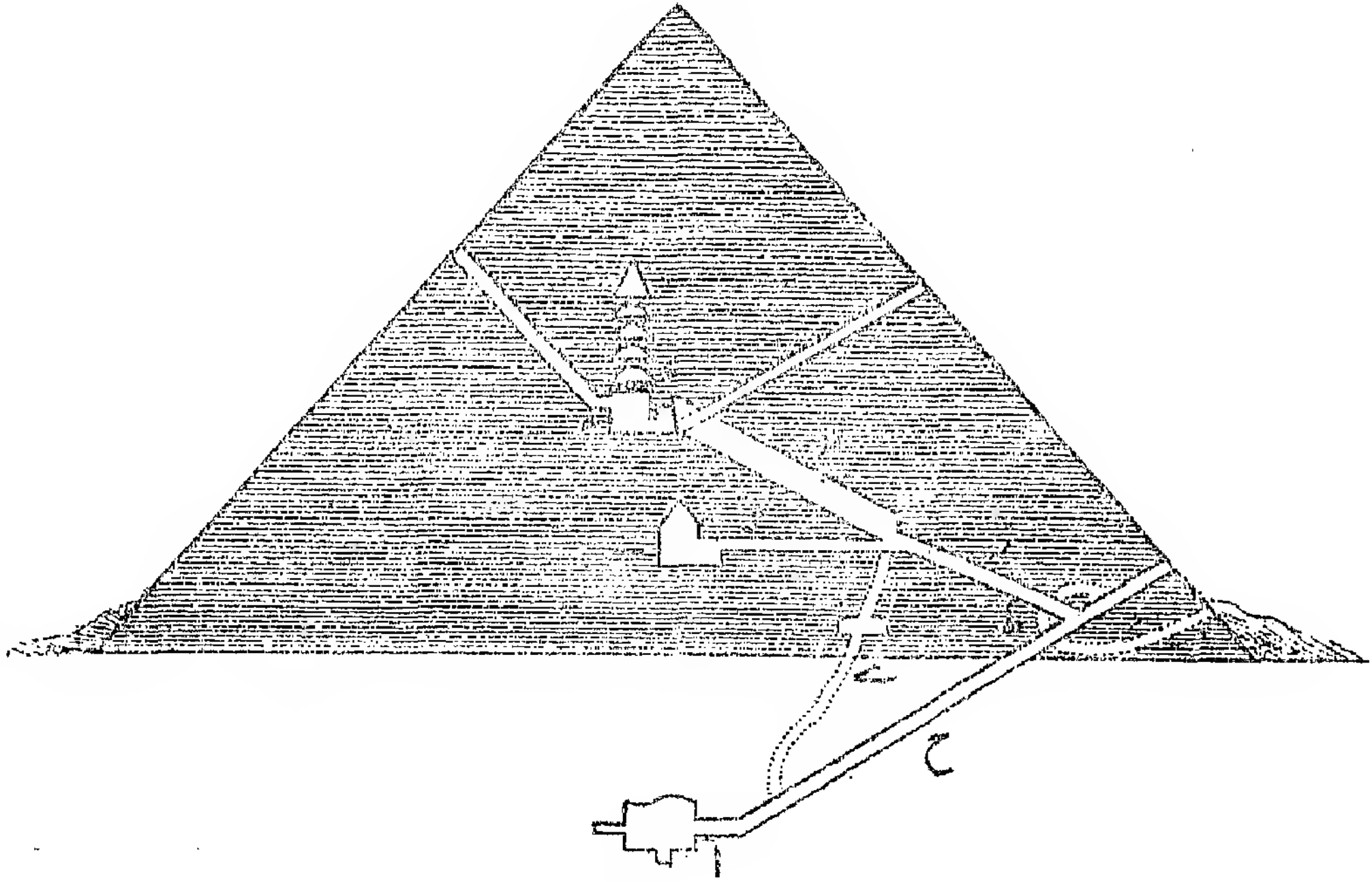
### ﴿ الكعبة وكوكب الشعري ﴾

فقال ذلك الصالح . يا عجا اذا كانت الشعري وغيرها من الكواكب قد جذبت نفوس القوم وصرفت همهم الى جبال العلوم فلماذا لم تكن لنا احدى تلك الكواكب قبلة بدل الكعبة التي بناها الناس بأنفسهم مع أن الكواكب أجل وأبهى . فقلت اعلم أن الله عز وجل جعل أمة الاسلام آخر الأمم لتقتبس سائر علومها وقصص الأمم لذلك . ولما كان القدماء المغرمون بالكواكب اذا طال عليهم الأمد قست قلوبهم وجدوا على ذلك الكوكب الذي هو قبلتهم وعبدوه ونسوا رب الكوكب . صرف المسلمون عن ذلك وجعل لهم الكعبة قبلة وفتح عقولهم لسائر العلوم وحرضهم على النظر في كل جميل من كوكب وجبل وشجر وخص الشعري بالذكر فقال - وأنه هورب الشعري - فالشعري التي عبدها قدماء المصريين وبعض العرب كما سيأتي في سورة النجم ليست لها بل هي من آيات الله تعالى وهو ربها كما هوربكم . فالمسلم يستقبل الكعبة ويعبد الله بالنظر في عجائب الشعري وغير الشعري وسيرت علوم الأمم ويقرأ ما قرأه قدماء المصريين من عجائب هذا الكوكب وغيره ولما كان النظر في العالم العلوي أعلى ما يطلبه الذين قال الله في ادريس - ورفعناه مكانا عليا - فليكن هذا العلو لادريس نورا للمسلمين الذين لا يعتقدون ألوهية في الشعري ولا في غيرها ولا يفتنون بكوكب ولا بغيره بل يؤمنون الكعبة التي لا يتخيل فيها ألوهية كما تخيل القدماء ألوهية الشعري لأنها تطلع عند الفيضان فتصبح القبلة كأنها إله لا أنها قبلة . بهذا أصبح المسلم بعيدا عن مظان الكفر بما هو قبلته وفي الوقت نفسه مجذوب الى النظر في جمال هذه النجوم . فقال صاحبي عجا لهذا المقام اني لم أر أحدا من المفسرين ذكر هذا . فقلت إن هذه العلوم لم تظهر إلا في زماننا . وللقرآن عجائب وبدائع يظهرها الله حيناً بعد حين والنبي ﷺ لما توفي جعل الله في القرآن أسراراً تظهر وقتاً بعد وقت كأن النبي ﷺ لا يزال حياً وهذه معجزاته تتوالى ليظهر للناس ويوقنوا برهم ويزيدوا علماً كما قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فالمسلم يزيد علماً والمسلم يقرأ جميع العلوم والعلوم فروض كفايات والمسلم ما دام قادراً على النظر والفكر فهو مأور به شكراً لربه وزيادة معرفة

إن المسلمين في مستقبل الزمان سيكونون أرقى علماً من غيرهم . ولهذا التفسير ان شاء الله دخل في تشويقهم الى كل علم وكل حكمة وكل جبال في الأرض وفي السماء لأنه مصداق لقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فهذا التفسير فيه بعض الآيات التي أراها الله للناس في زماننا

( معجزة القرآن في هذا الزمان )

ومنها هذا الهرم الذي أفضنا في الكلام عليه الداخل في قوله تعالى - فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى



( رسم الهرم • شكل ١٣ )

( بيان قوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - )

اعلم أن صورة الهرم المرسومة أمامك فيها تعاريج يقصد منها اضلال من يريد دخول الهرم معجزة لقوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - وذلك أنه لن يكون آية من قدماء المصريين إلا من بقيت جثته محفوظة وكيف تبقى محفوظة إلا ببناء يكنها وضلال الذي أراد سرقتها واجاع أمم أوروبا وأمريكا على حفظها • هذا هو المعجزة القرآنية • أنظر الى نقطة (أ) التي هي رواق تحت الأرض فذلك لا يمكن الوصول إليه الآن لأن طريقه مسدود • ثانيها نقطة (ب) وهي الرواق المعروف الآن باسم رواق الملكة وتلك التسمية لم يبق دليل عليها الآن • ثالثها نقطة (ج) وتعرف باسم رواق الملك • رابعها نقطة (د) وهي بسطة يخرج منها مجريان للهواء انزلق منهما سحبران كبيران فأغلقا منفذ رواق الملك غلقا محكما بعد وضع جثته فيه داخل تابوته • خامسها نقطة كل من (هـ و ز ح) وهي سراديب معدة لتوصيل الأماكن لبعضها • سادسها نقطة (ط) وهي بسطة يخرج منها السرداب الذي فتحه المأمون • سابعها نقطة (ي) وهي البئر التي تحير فيها عقول أولى النهى • والقصد من ذلك كله أن يضل السائر فلا يهتدى إلى السبيل • ونقل أستاذنا في الأثر الجليل مانصه ( قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم في كتابه (تحفة الألباب) فتح المأمون الهرم الكبير وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة في وسطها بئر وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من تربع البئر بابا يفضي الى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكتاف كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد وقد بليت لطول الزمان واسودت أجسامهم وهشم مثلنا ليسوا طوالا ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شيء وأجسامهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغشاء لطول الزمان • انتهى

ونقل عن غيره أنهم بعد اللثام والتي والجهد الطويل والمشقة وجسدوا في أعلاها بيتا مكعبا وفي وسطه

حوض من الرخام مطبق فلما كشفوا غطاءه لم يجدوا فيه غير رمة بالية فعند ذلك كف المأمون عن ثقب  
ماسواه . انتهى

﴿ شكر الله على الحكمة والعلم وأن الاسلام أعتق الانسانية من الخرافات ﴾  
انى أجد الله على نعمة العلم والحكمة . اليك اللهم الشكر على ما تفضلت بالحكمة وألهمت من العلم  
أذكر أيامك معي وأذكر أيام أن كنت محاورا بالجامع الأزهر حوالى سنن العشرين ثم أرجع الى بلادى فى  
القرى ببلاد الشرقية ثم أخرج من بين البيوت لعلنى \* أحدث عنك النفس بالليل خاليا \*  
وكنتم أنشد قول مجنون ليلى

وأخرج من بين البيوت لعلنى \* أحدث عنك النفس بالليل خاليا  
وكنتم أسامر النجوم الراقصات فى دياجى الظلمات وأفكر فى أمرها وأمر هذا العالم وأمر آثار قدماء  
المصريين وأمر الأمم التى فى الأرض التى مدت فى بلادنا السكك الحديدية وقطارها . ولطالما كنت أقول  
يالىت شعري ما هذه الأطلال القديمة وما علوم أهلها وماذا تصنع الأمم اليوم فى علومها وصناعاتها ولماذا لا  
أرى للمسلمين حركة فسكرية مثلهم ولماذا أرى شيوخ الدين لا يفكرون فيما حولهم الى آخر ما فى كتاب  
( التاج المرصع ) فى أوله . كل ذلك كان ديدنى . وأذكر أنى كنت عاهدتك أننى اذا اهتديت لحل المعنى  
من هذا الوجود وعرفت بعضه فأنى أنشره لمن بهدى حتى لا يضل شبان بعد ضلالى ولا ينالهم نصب كما نالنى  
بل أنا أجعل ما أعلمه لهم شرابا خالصا سائغا للشاربين . هذا كان مايجول بخاطرى . فها أنا ذا اليوم  
أتحدث بنعمتك على وأقول . لقد من الله على بعد طول الزمان واليأس والنصب بالحكمة والعلم وألهمنى  
أن أولف هذا التفسير الذى أرجو أن يكون ذخيرة ونورا للأذكياء بعدى . إن أكثر ما أكتبه فى هذا  
التفسير يجول بنفسى الآن ويكون قوى الهجوم على النفس بحيث لا يفارقنى فى غدى ورواحى وخلقى  
وجاوتى وسمرى مع الأصحاب وصحتى ونومى ويقظتى فلما لجأت الى من هذه الخواطر إلا بكتابتها ومتى سطرتها  
هدأت النفس واستراحت واستقبلت غيرها . ذلك شأنى فى هذا التفسير . وهذا الذى أكتبه فى هذا  
المقام قد كان خاطره قويا . فكما كنت أتخيل هذه الامور فى الصغر متحسرا أشد الحسرة على جهلى بها  
هكذا أنا اليوم أجد فى النفس ميلا قويا الى كتابتها ونشرها وأحس بأنى بلغت أسمى من هذه الحياة بذلك  
﴿ ولله فى خلقه شؤون ﴾ ويخطر لى أن هذا سيكون سائقا وشائقا لأولى الذكاء الى حوز العلم والحكمة  
وانى كثيرا ما يقع فى قلبى اننى لو لم أكتب ما بهجم على نفسى من الخواطر الجيلة الهلجنة على فان الله  
يجعل العقوبة لى فى هذه الحياة . ولقد من الله على بنشره . لقد من الله على بذلك وشرح صدرى وقد  
كتبت ما أجده فيها والله هو الولي الجيد

﴿ تفصيل أنتم لقوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - ﴾  
( وكيف أعتق الاسلام الأمم من الخرافات )

اعلم أن الديانات القديمة كلها كانت أشبه بهذا العالم الذى نعيش فيه . ألا ترى رعاك الله أن الشوك  
يصحب الورد والغذاء الذى تأكله تصحبه فضلات والثر لا يكون إلا معه الورق والحب لا يكون إلا مع  
العصف . هكذا كانت الديانات . فاذا نزل ادريس على المصريين بدين سماوى فها هو ذا قد تغير الدين  
وصار ممزوجا بخرافات حتى انك لترى أنهم وجدوا كثيرا من الأشجار المنحوتة على هيئة الاهرام والمسلات  
موضوعة فى المقابر بجوار الأموات . وهكذا وجدوا أختارا رسمت عليها صورة الاهرام وبازائها علامة  
السكرى المتقدم . وكل ذلك للتبرك فكانت الاهرام رمزا لهذا المعبود الذى كانوا يصورونه فى معابدهم  
فى هيئة جسم انسان له رأس طائر ( أيبس ) وهو أبو قردان وكانوا يعبدونه أيضا . إن فى نظر ذلك لعبرة



للعقلاء . فانظر الى قبلتهم وهو الهرم كيف جعلوه مع كوكب الشعرى مناط الالهية . ثم انظر في مسألة السماء كيف كانوا يقولون ان جميع الأجرام السماوية تحت رئاسة الشمس وتارة كانوا يرسمون السماء على شكل وادى مصر تشقه المجرة وقد مثاوها بالنيل رحصروها مثله بين سطحين ممتدّين من الجنوب الى الشمال وقسموا السماء الى أقسام كأقسام مصر والشمس تطوف عليها كل يوم في مسيرها من المشرق الى المغرب وتدخل في المساء في فتحة جبل مثاوه (بجبل العرابة المدفونة) أو (الخرابة المدفونة) التي بمديرية جرجا بالصعيد ثم تغور في سراديب وتقاسى آلاما ونضىء على قوم آخرين ثم ترجع لناكرة أخرى بعد المشقة والآلام وقالوا أيضا في الروح ان الروح الشقية تحول دعواتها وصلواتها الى عبث وهزؤ فتجلد وتلعن وتبحث عن جسم انسان لتسكنه وتكون في مرض وذل أوجنون . أو عن جسم حيوان وتدوم على ذلك قرونا الى أن تستوفي العذاب ثم تموت وذلك بشهادة القلب . قال أستاذنا المذكور . وقد وجد على أحد أوراق البردى ماصورته ﴿ أيها القلب الذى خلقت لى وأنا فى بطن أمى وأتيت معى الى الدنيا لاتنازعنى ولا تشهد علىّ بين يدى الله ﴾ أما الروح الراضية المرضية فانها بعد الحساب يأخذ بيدها الرجاء الصالح وتحفها الشياطين ولكن تلاوة العزائم تمنعهم ثم تتحد الروح بأوزيريس وتصير مثله أى تدخل فى العنصر الذى خرجت منه وتقطع المساكن السماوية وتزور جسمها متى شاءت ولذلك يحفظون الأجسام

هذه آراؤهم فى السموات وآراؤهم فى الأرواح وآراؤهم فى الدين . فانظر أيها المسلم الى دين الاسلام ان الديانات القديمة فيها الفث والسمين واختلط فيها الكذب بالصدق كما هو شأن الناس فى أقوالهم وأفعالهم وكما هو شأن ماكلهم ومشاربهم ولكن الله يريد رقى الانسانية . فإذا فعل . أنزل الدين المسيحى . فإذا حصل . لم يرض بالأصنام وجعل الاله واحدا ولكن أتباعه جعلوه ثلاثة فجاء الاسلام وقال كلا الاله واحد . هنالك زلزلت الأرض زلزالها . زالت الأصنام تماما . وفات الزمان الذى تقدّس فيه الشمس والكواكب ونزل قوله تعالى - وأنه هورب الشعرى - فليست الشعرى التى ترسم على أحجار المصريين مع هرمهم هى الله بل هوربها . وأيضا ليست الشمس هى الاله و بعد ذلك انطلقت العقول وقام المسلمون بحركة العلم فى العالم من القرن السادس الميلادى الى القرن الحادى عشر . وهنالك تعلمت أوروبا من المسلمين كما وضع بعضه فى آخر سورة التوبة ويقضح باقية فى قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - فى سورة ابراهيم عليه السلام وصار المسلم بل كل عاقل فى الأرض فك عقال عقله المسلمون يقرأ كل علم وكل فنّ ويقرأ المسلم - وقل رب زدنى علما - ويقرأ قوله تعالى - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - فآيات الله فى كل بناء وشجر وحجر وكوكب . فالهرم آياته والنجم آياته . وتدرّج الأمم من الجود فى القرون الأولى الى الحرية العلمية اليوم فى عصرنا آياته . وتنوير المسلمين الأوّلين للعالم الانسانى من آياته . وسترى فى سورة ابراهيم تصميم العلامة (سديو) الفرنسى وجزمه أن العرب وسائر الأمة المحمدية هم نور العالم ولولاهم لم يكن لهذه الدنيا رقى وأنى فيه بمئات الأدلة القطعية كما رأيت وسترى بعضه . ولذلك ترى الأمم اليوم عرفت أن الشمس التى هى سيدة الكواكب عند قدماء المصريين والبابليين صارت فى أخريات الشموس كما أطلعتك عليه فى سورة البقرة وآل عمران والأنعام وغيرها حتى أن بعض تلك الشموس ضوءها مقدار ضوء شمسنا (٨٠٠٠) ثمانية آلاف مرة بل أكثر من ذلك وأن الشموس لاحد لعظمتها وعددها وانها تبلغ مئات الملايين ولايزال الكشف يزيدنا بيانا . إذن علم قدماء المصريين من العلم الذى حدث وانتشر بسبب ظهور الاسلام الذى حرّك أوروبا والعالم للبحث . إن دين الاسلام جاء لمحو الخرافات وللاعتقاد على العقل ونبت كل ما ليس معقولا . هذا هو سرّ قوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - فالآية هنا واسعة النطاق من علوم وصناعات بلا اعتقاد وبالقرآن يحصر الفكر عندنا فك عقال العقول حتى اقتنصت شوارد العلم فى الأرض وفى السماء . إن الانسان

اليوم غيره بالأمس فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

### ﴿ لطيفة وذكرى ﴾

قد كنت وأنا مرأى رأيت أهل قريتنا قد عثروا على رجل مدفون في قاع بركة أمام قريتنا ولم يجدوا إلا عظامه وقد وجه وجهه الى جهة الجنوب وقد بنى عليه قبر بكتل من الأرض المصرية الخصيب الجافة المعروفة في بلادنا (بالشرقي) وقد حفظ ذلك القبر جثته آلاف السنين وهو تحت وجه الأرض بنحو ثلاثة أمتار . فها أنا ذا أحمده الله عز وجل اليوم إذ عرفت سر هذا الدفن وأنه قصد به التوجه للهرم المشمول بعناية كوكب الشعرى وعرفت اليوم أن هذه خرافات وأن الاسلام محاذ ذلك وجعل قبلتنا الكعبة ودأبنا النظر في كل كوكب وجمال كل شمس ووجهنا وجهها لله لا للكوكب ولكن ندرس كل كوكب وكل شمس وقد فتح الله للناس أبواب السماء فدرسوها وهاشم أولاء يدرسون علم الأرواح كما اطلعت عليه في سورة آل عمران والبقرة . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وفي اعتقادي أن هذا التفسير وأمثاله سيفتح مجالا للأهم الاسلامية وستقوم أهم بعدنا من المسامين يرقون رقا عاليا ويحدثون في الأرض قوة كما أحدث أجدادنا أصول هذه النهضة والحمد لله رب العالمين اهـ

### ﴿ وجدان المؤلف أيام الشباب والمشيبي وكتاب الله تعالى وأهم الاسلام ﴾

ها أنا أحدثك أيها الذكي عن أيام شبابي ومشيبى بأوسع مما تقدم فأقول . ذكرت لك آنفا شوقى الى العلوم أيام الشباب . وها أنا ذا أوضحه فأقول

قد كان يطربنى مرّ النسمات على الأعشاب فيسرنى تغريدها ويطربنى تمايل الأغصان وحفيف الأوراق وتفننى الحشرات وعصف الرياح . والليل اذا عسعس \* والصبح اذا تنفس . واذا غربت الشمس وظهرت النجوم أجلس على بساط من الحشائش وأخذ أستمع لما فى الحقول من نغمات وأنظر لما فى السماء من نجوم باهرات . وكنت كأنى فى محفل جمع بين ﴿ بهجتين ﴾ بهجة النظر للراقصات الحسان القاصرات الطرف الناضرات البهجات وهى النجوم . وبهجة الموسيقى تشنف الآذان ببدايع الألحان . فالمنظر سماوية والنغمات أرضية . هذه الصور الجلية عندى طبعته فى الخيلة يوما فيوما وليلة فليلة . دام ذلك سنين وسنين وقد كان نلوا الجوف بالصوم وللقيام بعض الليالى أثر فى ذلك الجمال والبهجة والشوق . ذلك الجمال الخيالى دعا العقل الى الجمال العلمى . ظواهر المحاسن فى الطبيعة التى ارتسمت فى خيالى لاتفارقة ألجأت القوة العاقلة أن تتجمل بالمحاسن كجمال الخيال ولا محاسن للعقل إلا صور معنوية هى الحكمة والنظر فى مختلف العلوم الجمال مغناطيس العلوم يجذب اليه كل ما هو جميل معنوى . جمال الوجوه فى الخى يجذب العاشقين وانطباع الخيال بالجمال يجذب العلوم والحقائق لتسكن فى العقول . جلّ الله وجلّ العلم ان شبهه الشئ منجذب اليه وللمجاورة حكمها . جاور الخيال العقل فى الدماغ فلما رجع الأول بالسر الحسنان من السكواكب والنغمات حقّ الثانى الى حقائق الموجودات ليتحلى بالحكمة ويزدان بالعلوم . النفس واحدة والعالم واحد العالم الذى نعيش فيه واحد ونفوسنا ننظر له أيام السفر واحدا فجميع العلوم عندها علم واحد لا علوم كما أن العالم أشبه بجسم واحد . هكذا العلوم المختلفة كأنها واحد . العلوم كشجرة واحدة لها فروع وأغصان ضعف الانسان فوق الأرض فلم يطق الفرد الواحد أن يعرف هذا الوجود فتقسم أوصافه الى أقسامسمى كل قسم منها عاما مع انها كلها أوصاف شئ واحد هو هذا العالم . لهذا نرى العلوم قسمت على الأفراد كما وزع الاحساس فى الجسم على الحواس . فالسمع غير ما للبصر . هكذا العلوم قسمت على الناس فيحسن زيد ما لا يحسن عمرو ذلك لضعفهما كما ضعفت العين أن تضم السمع الى البصر وضعفت الأذن أن تضم البصر الى السمع . وربك يخلق ما يشاء ويختار . لا معقب لحكمه وهذا قوله تعالى . وخلق الانسان ضعيفا .

فلولا هذا الضعف لكانت جميع العلوم عنده عالما واحدا . كنت أنظر للأشياء جميعها بلافاصلة بين علم وعلم أنظر للأشجار والأطلال والأشجار والأخبار وتاريخ الأمم والصناعات وأمم الفرنجة وأمم الاسلام ودين النصارى ودين الاسلام . ذلك هو الذى حركنى الى سائر العلوم التى اطلعت على كثير منها بمدرسة دار العلوم وعلى باقىها بالاطلاع على علوم شرقية وغربية . ها أنا ذا الآن فى العقد السابع من حياتى أنظر فى أمرى نفسى فأجد الغرام القديم والحب والشوق قد تجلت لها مع طرب وسرور كما قال مجنون ليلى  
 فشاب بنوليلى وشب بنواينها \* وإعلاق ليلى فى الفؤاد كما هيا  
 فنفسى فى شبيبها مغرمة كما كانت أيام شبابها بل هى أشد غراما والغرام اليوم بالنشر والتعليم والغرام إذ ذاك بالحصيل وفى النشر ازدياد للعلم وابتهاج بالتحقيق

﴿ كتاب الله تعالى ﴾

لقد كنت أيام الشباب لا أرى فى هذا القرآن معانى لأنى حفظته بلا عقل ولا فكر وكنت أسىء الظن بمن يقولون انه يدعو الى العلوم وكنت أقول إن هؤلاء مراؤون كاذبون . فلما درست ونظرت أيقنت بأن هذا القرآن يدعو الناس الى مختلف العلوم ويشوقهم لها كما كنت اشتاق لها زمن الشباب . فكأن هذا القرآن يدعو النفوس الى فطرتها . وإذا قال الله - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ففيه تلميح الى ما قررنا فنفسنا نطلب كل العلوم وهذا القرآن يشوق لها - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - وما ذكرته الآن سيظهر أثره فى أعم الاسلام

﴿ أعم الاسلام ﴾

إن أعم الاسلامية تطلع اليوم على أمثال هذا الكتاب وهناك نفوس خلقت مقصورة على النظر مجبولة على التفكير فستقابلها الحيرة والحسرة كما قابلتاني أيام شبانى واسكن الله أذن بآراز هذا التفسير ليكون مفتاحا يفتح للعقول مجال النظر فيفرون من سجون الجهالة العامة فى البلاد الاسلامية وينطلقون من حبس العقول الى ساحات الجبال وباحات العلوم وحدائق الحكمة ويشمون أزهارها ويقتطفون ثمارها . هذا الكتاب تبصرة لمستزيد ومنهج لمريد وبلغسة لقاصد وزاد لمسافر وفك عقال معتقل وفتح باب وهدى وذكري لأولى الأبواب . انتهى

﴿ تحفة مهداة للمستبصرين فى الاسلام والنظر فى كتب الفرنج وجمال الصور الموجودات فى الأرض والسموات ﴾  
 تبين من هذا أن سبب هذا التفسير ومبدأه النظر فى جمال هذه الدنيا صغرا وتحصيل العلم وحب النشر فى الكبر . ذلك كله مبدؤه النظر فى جمال الأرض وجمال السماء . ولقد اطلعت على كتب الفرنجة للمبتدئين فرأيتها محلاة بالصور الجميلة الحسنة من شجر وزرع وثمر وكوكب وقر بحيث يشاهد الطفل فى مدرسته صورما كنت أشاهده فى الحقول فتبارك الله الذى ألهم الناس أن يحاكيوا الطبيعة ويشاكلوا صور الموجودات وجمالها . هكذا فلتفعلاوا أيها المسامحون . لتقم طوائف منكم وليدرسوا نظم التعليم ونظم الكتب والصور التى فيها والحكايات التى تدرس للأطفال والتحف العلمية اللذيذة . ولتتخذوا لكم أحسن المشل وأجمل الطرق . ولتعلموا أبناءكم حب هذا الجمال كما أحبيناه . فكل هذا الوجود آيات الله وكلمة نور الله وكلمة دين الاسلام والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير القسم السادس من سورة يونس

( القسم السابع )

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ \* وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ



اللَّهُ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ \* وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ \* قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ \* فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلِ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ \* ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ \* قُلِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* قُلِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اقْدِرْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَهِنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ \* وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ \*

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب السابقة وأن القرآن مصدق لما فيها والخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمقصود أمته ولذلك قال ﷺ لا أشك ولا أسأل (فلا تكونون من الممترين) أي الشاكين بالترزل عما أنت عليه من الجزم واليقين وقوله (ولا تكونون من الذين كذبوا) إلى قوله (من الخاسرين) من باب التهميج والتثنية وقطع الاطماع عنه كقوله - فلا تكونون ظهيرا للكافرين - (حققت عليهم كلمة ربك) أي وجبت عليهم لأن استعدادهم يمنعهم من قبول الايمان (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) فيثبت لا ينفهم الايمان كما حصل لفرعون الذي قال - آمنت - بعد فوات الفرصة كما في قوله - أتم اذا ما وقع آمنت به الآن وقد كنتم به تستعجلون - فانظر كيف ذكر فرعون وغرقه لمناسبة ما مضى في هذه السورة لتكون تلك القصة تطبقا على هذا القول فقوله في مسأله فرعون - الآن وقد عصيت قبل - هو كالقول المتقدم آنفا - أتم اذا ما وقع آمنت به - وهو بمعنى ما جاء في سورة الأنعام - يوم يأتي بعض آيات

ربك لا ينفع نفسا إيمانها - وقد أوضحت المقام هناك بما لا مزيد عليه . وههنا يقول الله في هذا المعنى - إن الذين حقت عليهم - إلى قوله - حتى يروا العذاب الأليم - ثم أتبعه سبحانه بما يفيد فتح باب التوبة وقت القدرة فقال (فلولا كانت قرية آمنت) أي فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكتها آمنت قبل معاناة العذاب ولم تؤخر الإيمان كما أخره فرعون (فنفعها إيمانها) بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (إلا قوم يونس) لكن قوم يونس وهو استثناء منقطع (لما آمنوا) أول ما رأوا أمارات العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) أي إلى انتهاء آجالهم \* يروى أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا على تكذيبه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث . فاما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبياهم ودوابهم وفرقوا بين كل والد وولدها حتى بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والحجيج وأظهروا الإيمان وأخلصوا التوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم الضر \* ويقال انه كان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) بحيث لا يشذ منهم أحد وانما لم يجتمعوا على الإيمان بل منهم من لم يقبله للنظام الذي اختاره الله بحيث يختلف الناس باختلاف الأمزجة والأحوال والأخلاق وأن الاستعداد هو الذي عليه مدار الارتقاء والانحطاط ولن يكون القضاء إلا على مقتضى الحقائق الثابتة وهؤلاء هذه حقيقتهم وهل يشاء الله إلا ما هو حق (أفأنت تكرر الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) بخلاف المشيئة مستحيل . وقد كان ﷺ حريصا على إيمان قومه شديد الاهتمام به . ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) أي بإرادته وأطافه وتوفيقه (ويجعل الرجس) أي العذاب (على الذين لا يعقلون) لا ينتفعون بعقولهم فلا ينظرون الحجب والآيات ولا يفكرون فيها فيكونون غافلين عما حل بالأمم السالفة وما أصابها من خير أو شر وعقل وفكر وجهل وغباوة كما جاء آنفا - لتكون لمن خلفك آية - ونبي على الناس غفلتهم عن ذلك وعما أعقبه من ذكر السموات والأرض وعجائبهما فقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) من عجائب صنعه والآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ما لا يتناهى من حكم بارعات وآيات بينات وغرائب مدهشات كما أمرهم بالنظر في عجائب الأمم وأبدانها الباليات وآياتها الباهرات . فنقرأ العلوم الفلكية والعلوم الرياضية والطبيعية فهو من الموحدين توحيدا حقيقيا أرقى من علم التوحيد المشهور إذا وجه نظره إلى نظام العالم العام وتجب من جمال صنعه . أما إذا قرأه قراءة الغافلين كأكثر من يتعاصون بالمدارس اليوم فأولئك عن ذلك مبعدون وهم عن الله غافلون وهكذا من قرأ علوم المصريين والبابليين والآشوريين والاوروبيين في تاريخهم وأحوالهم الحجيبة يكون ذلك منه امتثالا للدين وترقية للعقل وله ثواب عظيم منادام يرمى لغرض شريف . ولما كان ذلك لا ينتفع به إلا ذوو الاستعداد العقلي أردفه بقوله (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) بحسب ما سبق به العلم وما نافية (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم كما يقال ﴿أيام العرب لوقائعها﴾ (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) أي فانتظروا هلاك إني معكم من المنتظرين هلاككم . ولقد جرت عادتنا فيما مضى أنا نهلك الأمم الذين كذبوا (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) من تلك الأمم انجاء كذلك الانجاء ننجي حمدا ﷺ وصحبه حين نهلك المشركين حق ذلك - حقا علينا - وهذا هو تقدير قوله تعالى (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين \* قل يا أيها الناس) خطاب لأهل مكة (إن كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الأصنام (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يميتهكم وانما وصفه بذلك ليريههم أنه هو الذي يتق ويخاف بخلاف

ما يعبدون وهو ما لا يقدر على شيء فكيف يخاف (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بأن أكون أى  
 إن الله أمرني بذلك بما ركب من العقل وبما أوحى إلى في كتابه (وأن أقم وجهك للدين) أى وأمرت  
 بالاستقامة في الدين بأداء الفرائض والانتهاز عن القبائح أوفى الصلاة باستقبال القبلة فهذا عطف على أن أكون  
 (حنيفاً) حال من الدين أو الوجه أى مستقيماً عليه غير معوج عنه إلى دين آخر (ولا تكونن من المشركين)  
 مع المشركين على دينهم (ولا تدع) لا تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) في الدنيا والآخرة إن عبدته (ولا  
 يضرك) إن لم تعبد (فان فعلت) عبت (فانك إذا من الظالمين) من الضارين لنفسك (وان يمسك)  
 يضبك (الله بضر) بشدة وأمر تكبره (فلا كشف له) فلا رافع للضر (إلا هو وان يردك بخير) بنعمة  
 وأمر تسرب به (فلا راداً لفضله) لآمانع لعطيته (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)  
 فتعوضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الرسول  
 أو القرآن وليس لكم بعده عذر (فمن اهتدى) بالإيمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لأن نفعه لها  
 (ومن ضل) بالكفر (فانما يضل عليها) لأن وبال الضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكل  
 إلى أمركم وانما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى إليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل  
 أذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصر واطهار دينك (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يمكن الخطأ في حكمه لأنه مطاع  
 على السرائر كاطلاعه على الظواهر بخلاف حكام الناس فليس لهم إلا الظواهر

﴿ خاتمة في عجائب هذه السورة وما تقدمها من السور ﴾

أنظر إلى عجائب هذه السورة وما تقدمها • أنظر كيف ذكر في أوائلها بدء الخلق وهو يعيده • وكيف  
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا • وكيف قدر المنازل وعلم عدد السنين والحساب • وذكر اختلاف الليل  
 والنهار وأخذ يذم الدين هم عن آياته غافلون وجعل لهم النار بما كانوا يكسبون • وانظر كيف ذكر في  
 خواتيمها كما ذكر في أوائلها • ذكر أنه جعل جنة فرعون الموضوعة في نجوة أى مكان مرتفع من الأرض  
 آية وذم المعرضين عنها كما ذم المعرضين عن آيات السموات والأرض • فهناك يقول - إن الذين لا يرجون  
 لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون \* أولئك مأواهم النار - وهنا يقول  
 - وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - فجعل الغافلين عن آيات الله في الأمم كالفالين عن آيات الله في  
 السموات والأرض • عجب عجب للقرآن وحكمه العجيبة • وهنا أمر بالنظر في السموات والأرض وأوعد  
 الذين لا يعقلون فقال - ويجعل الرجس - أى العذاب والخذلان على الذين لا يعقلون أى لا يستعملون عقولهم  
 فانظر كيف كانت أوائل السورة نخواتيمها • نظر وفكر وتعقل • وذم للغافلين • وانظر كيف  
 سوى بين الجاهل بالعالم العلوية والسفلية والجهل بأحوال الأمم كأمة المصريين • فهذه من القرآن دلائل  
 واضحات • إن علوم قدماء المصريين وغيرها كعلوم الفلك والطبيعة من تركها من الأمم أصبحوا في أسفل  
 سافلين ولهم جهنم في الآخرة وهم في الدنيا أيضا معذبون لأنهم جهلاء - ومن كان في هذه أعمى - لا يعرف  
 العلوم السكونية والنظامية والسياسية - فهو في الآخرة أعمى - لا يرى طريق النجاة والمقصود أن تكون  
 هذه العلوم قائما بها طوائف من الأمة لكل علم جماعة • فنقرأ تاريخ المصريين فهو قارئ لآيات الله  
 ومن قرأ علومهم فهو مطالع لآيات الله وكذلك الآشوريون والبابليون وجميع الأمم • ومن درس ما عرفه  
 الألمان والانجليز والأمريكان من علوم الفلاحة والسياسة والتجارة والنجارة والحداثة والديباجة وما شاكل ذلك  
 كان مطلعاً على آيات الله بدرسه للعلوم التي يرضاها والحكمة التي للعباد أهداها • فويل للمسلمين الغافلين  
 وويل ثم ويل لهم إذا غفلوا بعد ما بيناه وهاك لهم إذا ناموا بعد ما بسطنا

فياليت شعري ماذا يريد المسافون أولم يكفهم أن الله سلط عليهم أوروبا فلست بلادهم شرقا وغربا



وهم نائمون . أولم يكفهم أنه ألهم طائفة من المسلمين الآن فنبهوا المسلمين أن جميع العلوم والصناعات واجبة فرض كفاية وهم غافلون . أو ما علموا أن العذاب حل بهم وهم لا يشعرون . وسلام ثم سلام على من يفهمون المسلمين في الأقطار الإسلامية واجباتهم وعلومهم التي حرموا منها وهم لا يعلمون . وكما فعل ذلك في هذه السورة ففعل في سورة الأعراف فجعل في أوائلها ذكر الرياح والسحاب والمطر والماء والثمار وفي أواخرها النظر في ملكوت السموات والأرض وحذرهم من اقتراب آجالهم . وهكذا فعل في الأنعام فجعل في أولها خلق السموات والأرض والظلمات والنور . وفي أواخرها أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه رب كل شيء . وفي المائدة ذكر في أوائلها حل الأنعام رحمتها وقصة ابني آدم المشتملة على أن الإنسان يتعلم من الحيوان . وذكر في أواخرها أنه له ملك السموات والأرض . وفي سورة النساء ابتداء بذكر خلق الإنسان وأنهم من نفس واحدة . وجعل في أواخرها ذكر السموات والأرض مكررة وهكذا سورة آل عمران ابتدأها بوصف الله بأنه الحي القيوم وكيف خلق الجنين في بطن أمه وصوره وجاء في أواخرها - إن في خلق السموات والأرض الخ -

وهكذا البقرة جاء في أوائلها - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ - وفي أواخرها - لله ما في السموات وما في الأرض الخ - فهذه السور من ابتداء البقرة إلى هذه السورة هذه كانت مبادئها وهذه كانت خواتمها كلها حاضرة في أوائلها وأواخرها على النظر في علوم السموات والأرض . فأما هذه السورة فقد أبانت أن الغافلين عن علوم الأمم السالفة ماومون غافلون والغافلون معذبون في جهنم والعذاب هنا في ترك فرض الكفاية . اللهم ألهم أمتنا الإسلامية عقولا راقية ونفوسا كبيرة . فوالله لئن لم يفته علماء الإسلام عن هذا التقصير لتكونن هذه الأمة في الهاكين ويستبدل الله بها غيرها - إن يشأ يذهبكم ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

فيا عجباً لأمة الإسلام . كيف ينامون . كيف يغفلون . وهذا القرآن بين أيديهم يقرؤنه صباحا ومساء . ولتعلم أيها النكي المطلع على هذا الكتاب أنك مسؤول عن هذه الأمة وإياك أن تقول من أنا فانك متى كنت مغرماً بقراءة أمثال هذا الكتاب فلا جرم تكون نفسك من ذوى الجدد والعلم الذين يعرفون قيمة أنفسهم وهم مصلحون فلتكن مصلحا وترشد الناس بقلمك ولسانك وحديثك ولتحرّض الأمة على حوز العلوم . فلعمرى لقد قابلت طوائف هذه الأمة المسكينة من أهل جاوه وسومطرة وبلاد الملايو وبلاد سيام وبلاد الغرب وغيرهم من الأمم والممالك ومن بلاد الصين فوجدتهم جميعا خاملين خامدين نائمون لم يفتنوا وذلك لما رسخ في عقول الذين أن الدين بعيد عن العمران . بعيد عن الأوطان . بعيد عن العلوم . بعيد عن الصناعات فضلوا بذلك وأضلوا وهم لا يعقلون فلتنقذ الأمة من ضلالها ولتنشلها من هذبتها ولتطهرها على دينها الصحيح في نحو ماسطرنا وفي مثل ما كتبناه والله هو الهادي إلى سواء الصراط . تم تفسير سورة يونس عليه السلام

## ﴿ سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ وهي أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في المقصود من الرسالة من أولها الى قوله - ليبلوكم أيكم أحسن عملا -  
 ﴿ القسم الثاني ﴾ تأنيبهم على استبعادهم البعث والامناع الى نقص الانسان ومقاصد أخرى من قوله  
 - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون -  
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بشس الرفسد المرفود - في  
 قصص الأمم والأنبياء  
 ﴿ القسم الرابع ﴾ في طريق هداية الأمم الى الفلاح من قوله - ذلك من أنباء القرى نقصه عليك -  
 الى آخر السورة

هذه أقسام السورة . ولقد كنت نخصتها منذ ١٤ سنة وأنا مدرس بدار العلوم وقسمتها على هذا  
 النمط ولسكن القسم الثالث تبعه قسمان موضحان له تابعان له فصارت الأقسام ستة . ولما كان للانسان في كل  
 سن من أسنانه عمل يناسبه وانشاء يلائمه ورأى يوافقه رأيت أن أكتب ذلك الملخص لتطلع على ما كتبت  
 إذ ذاك وأنا مدرس بدار العلوم وتوازنه بما أكتبه الآن فستجد أن الرأي اللاحق هو السابق فساذكر  
 ذلك الملخص ثم أتبعه بتفسير السورة إن شاء الله . هاك ما كتبت إذ ذاك لتطلع على مجمل تفسيرها كأنه  
 مرآة ثم أذكره مفصلا في اللاحق

﴿ تفسير هذه السورة . مقاصدها ست . المقصد الأول من أول السورة الى قوله - ليبلوكم أيكم أحسن عملا -  
 ابتداء الله عز وجل هذه السورة بالمقصود من الرسالة وهو عبادة الله عز وجل والانابة اليه بالتوبة وعدة  
 المؤمنين التائبين بالفوز في الدارين والسعادة في الحياتين الدنيا والآخرة وانذارهم بالعذاب إن أعرضوا فقد  
 جمع بين الانذار والتبشير والاخافة والاطمئنان وهذه هي الطريقة المثلى وذلك في قوله تعالى - الر - كتاب  
 أحكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ثم أخذ يشرح سعة علم الله واحاطته بالكائنات فلا تخفى عليه  
 خافية بما أبان من اطلاعه عليهم وهم مستغشون بنياهم في اختلاطهم وفي أسرهم وعند نومهم ويقظتهم وعلى  
 الدواب البرية والبحرية في غدوها ورواحها وليلها ونهارها وتقديره أرزاقها وقيامه بما يقيم به أودها  
 ويبقى حياتها ويحفظ نسلها الى أجل مسمى . ثم شرح قدرته عز وجل بما أبدع من عجائب السموات  
 وغرائب الأرض ولم تكن شأ مذكورا حينما كان عرشه على الماء فما قدمناه منحصرا في العبادة والتوحيد  
 والانذار اجالا والتبشير . ولقد كانت العناية بصفات الله أتم والاهتمام بقدرته وعامه أعظم ليكون ادعى  
 للخضوع لعظمته والايقان بعلمه وحكمته وذلك ادعى لاجلاله والخوف من عقابه وهيبة سلطانه وامثال أمره  
 واجتناب نهيه والايقان ببديع حكمته حتى لا يكون العالم بلا غاية ولا أعمال العباد بلا نتيجة

والمقصد الثاني وهو من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان  
 مثلا أفلا تذكرون - . أخذ فيه يؤنبهم على استبعادهم البعث بعد الموت ووصفهم له بالسحر واستبط - لها  
 عذاب الدنيا إذ يقولون - ما يحبس - وما أجمل أن يشرح خلق الانسان العام وما فيه من النقص والجهل  
 فهو اليؤس من الفرج . الكفور بالله اذا أصابه الضر وهو الفرج البطر النخور ان أذاقه الله نعمه . ذلك  
 لجهل الانسان وقصر نظره الحيواني الطبيعي . ولا مفر من هذه الخلة الشائنة إلا بالصبر في الضراء والسرء  
 بالعفة والسكينة والوقار وبضبط النفس في الغنى والتعالى عن الائتناس بالمادة وأن يفكر في زوال الحياة وفناء  
 اللذات وانتقال المال من يد الى يد وتصرم الآجال وذهاب الأموال وسرعة تقلب الأحوال وبضبط النفس

في الحالين من فقر وغنى يصير الانسان رجلا كاملا . وما أنسب أن يسلي النبي ﷺ مما يضيق به صدره عما يقولون عليه تسلية له وتثبيتا لفؤاده فأنزل عليه ما يشلج صدره إذ قال - فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك - الى قوله - انما أنت نذير -

ثم شرح حال المرأين والمنافقين والمشركين وأبان أن أعماهم حابطة وأظهر ما عليه المؤمنون والنبي وصحة حججهم ووضح طريقهم وتبليج نور شمسهم وانهشاع الغيوم بأضوائه ووضح الحجج بالقرآن وسطوع النور بالبيان بقوله - أفن كان على بينة لـ . ولم يبق من أنواع الايضاح إلا أن يمثل أولئك الذين لم يروا شمس الهداية ولم يقبضوا نور العلم والحكمة وسطوع الحجج الواضحة في القرآن بأنهم عمى لا يبصرون وصم لا يسمعون والآخرون مبصرون سامعون . فتعجب كيف تدرج من أول السورة الى هذا المقام من حال الى حال فتوحيد يتبعه عبادة يتاوه نظام وعلم يتلوه انذار يعذب من بعد ذلك ايضاح وايضاح وبيان يتفوه بيان حتى صار المعقول محسوسا والغائب مشاهدا فصعد بالأصغر فوصف قوما بالعمى والصمم . وآخرين بالبصروالسمع فالعمى عن رؤية السموات والأرض والدواب ومستقرها ومستودعها والصمم عن سماع الموعظة والانذار والتبشير . ولم يبق بعد هذا البيان إلا أن يقص القصص ليعتبروا . ويقوم البلدان لينذكروا . ويسمعهم التاريخ ليزدجروا لعلهم يبصرون عادا إذ قال - وتلك عاد الخ - ولعلهم يسمعون ما حل بالأمم الغابرة والأجيال البائدة ولا يكونون صما عن الموعظ عميا فلا يبصرون آثار الأمم البائدة وأطلأها الهامدة وأحوأها الغائبة ذلك هو العجب العجيب

﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بئس الرفد المرفود - وفيه تخطيط البلدان التي سكنتها هذه الأمم والاماع الى تاريخهم . ذكر الله في هذه السورة عادا وثمود وابراهيم ولوطا وشعبا . فقوم نوح بنهم نوح . وعاد بنهم هود . وثمود بنهم صالح . وقصص ابراهيم لم يذكر معه قومه فيها . وأهل سدوم بناحية حص بالشام بنهم لوط . وأهل مدين بنهم شعيب . وأهل مصر بنهم موسى

#### ﴿ مساكنهم ﴾

أما قوم نوح فقبل بالهند . وقيل بالعراق وما والاها . وأما عاد وثمود فهما بحزيرة العرب حوالى اليمن وأما ابراهيم فقد كان في تلك الحال بفلسطين من أعمال الشام بعد أن رحل بآبى أخيه لوط من أرض بابل فكان هذا فلسطين وهذا سدوم وهي خمس قرى بينها وبين فلسطين نحو أربع فراسخ . وأما أرض مدين فعلى شاطئ البحر الأحمر تجاه بلاد صعيد مصر من الجهة الشرقية . وأما أرض الفراعنة فعلاومة وهي مصر . ألا تعجب كيف كانت الأمم المذكورة في السورة محصورة في جزيرة العرب وماحولها داخله الآن في حوزة الاسلام . ليتعجب طلاب العلم وليتذكروا كيف كانت هذه السورة جامعة لقصص الأمم المحيطة بالسكبة أو ما يقرب منها . وكيف أراد الله إيقاظ أقوام سكنوا تلك الأقطار بعد نومتها وحياتها بسد موتها وعزها بعد ذلها وشرفها بعد ضعفها . وكيف دخل الاسلام هذه الأقطار وعم هذه الديار فدخل اليمن وماحولها وضم جزيرة العرب ومصر والعراق وبعض أقطار الهند . هذه بعض حكم القصص لم يذكرها الله إلا إيقاظا لأهلها فاستيقظوا وتذكروا لأهلها فتذكروا

#### ﴿ المقصد الرابع استنتاج الأخلاق مما ذكر في المقصد الثالث ﴾

جرت عادة الله أن لا يهلك أمة . ولا يبيد دولة . إلا إذا عاث أهلها في الأرض فسادا أو بطشوا بطش الجبارين وطمعوا وبعثوا واستكبروا وأفسدوا فتكون العقوبة الهلاك في الدارين والعذاب في الحياتين والشقاء بالويلين . فان الله لا يهلك القرى لسكفر أهلها إذا كانوا مصلحين لشأنهم منظمين مدتهم حافظين لأمرهم



ضابطين لنظامهم قائمين بأعمالهم كما قال تعالى في هذه السورة - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصادحون - فأما اهلاك قوم نوح فبسبب الاعراض عن الهدى واستمرار سرعى الجهل والاخلاد الى الأرض والتباعد عن الرشد واتباع طرق الفجور والاستكبار على العقلاء الذين آمنوا واسترذاهم واستهزأهم بالعلم والهدى وانفتهم أن يأخذوا العلم عن بشر مثلهم والحكمة عن واحد منهم . الا أن نفوسهم حيوانية وجبيلاتهم حجرية كمثل أولئك الذين لا يرضخون إلا لمعلم غريب عن الديار نازح عن الأوطان لما أنهم لا يعقلون إلا كما تعقل العامة الجهلاء من الخضوع للجبارين والأخذ عن الجهوليين أو السحرة الماكرين أو القوم الشاذين لقوة ساطنهم بالترهات وحيلهم بالطلسمات . أما العقول فهم عنها معزولون . ثم إن الكبر والجهل صنوان وهما رضيعا لبان وفرسارهان وخيلان لا يفترقان وشقيقتان لا ينفصلان فهلكوا بالغرق وبادوا بالطوفان وأما قوم عاد فلقد طغوا في الأرض وبغوا وقالوا من أشد منا قوة فأبادتهم الرياح والزاعزاع وأهلكتهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم . وأما ثمود فكفروا بالنعمة ولم يشكروها وجمعوا بين نقيصتين تعنت في طلب الآيات وخوارق العادات وكفروا على نعمة أعطوها فلم يحمدوا الله فيشكروها بل ذبحوا الناقة ظالمين وأكلوا لحما كافرين فاصفرت الوجوه ثم احجرت ثم اسودت ثم أخذتهم الصيحة التي صاحها جبريل وزلزلت الأرض ورجفت بهم رجفة فأصبحوا هالكين . جاءت ثموديين (الحستين) معاداة العلم بالنعنت وطلب الخوارق للعادات والبغى والظلم فقد أساءت في القوة العلمية ولم تحسن في القوة العملية . وقوم لوط فسقوا وأولعوا بالشهوات الجثمانية ففعلوا ما يبيد النسل وطغوا في شهوة الفرج كما طغى أهل مدين فيما به قوام الأجسام من المكمل والموزون . وما طغيان قوم فرعون إلا كعاد وقوم نوح فالنتيجة أن قوم نوح وقوم فرعون وعادا ملكتهم القوة الغضبية وأضلتهن النفس الشيطانية . وقوم لوط وأهل مدين ضلوا بالقوة الشهوية وهؤلاء فيما يبقى الأجسام وهؤلاء فيما يديم النسل . فهؤلاء فيما يسد الجوعة وهؤلاء فيما به يتناسل الحيوان والانسان وقوم شعيب عليه السلام أغضوا القوة العقلية فاستعجبوا العمى على الهدى

هذه مجامع علم الأخلاق ذكرها الله في السورة تذكرة لهذه الأمم وإيقاظا لها وإذنا بأن الأمم التي أهملت شأنها فلم تقو ارادتها ولم تستيقظ عقولها ولم تصلح شؤون نفوسها أولئك التي اغترت بأنفسها وفرحت بما عندها من العلم ونامت على مهاد الراحة واستكبرت عن أخذ العلم ممن كانوا أعلى منهم مقاما وأرقى شأنًا وأوسع حكمة كمملكة مرا كش أيام استقلالها وعظمتها أولئك التي أطلقت أيدي العابثين من أبنائها فلم يأخذوا على أيدي الظالمين فساد الفساد بتطفيف المكمل والميزان وعموم الرشوة واعطاء المرء ما لا يستحق من الأعمال وبخس الفضلاء حقوقهم وترك حبل الأمور على غاربها فأولئك لا محالة ذاهبون للدمار واقعون في شرك الويل والشبور

﴿ المقصد الخامس استنتاج النظام العام الحالى من هذه السورة في هذه الأمم وكيف كان هلاكهم تابعا

لسقوطهم في الأخلاق والفضيلة والآداب . وكيف رجعوا لتاريخهم القديم اليوم ﴾

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت \* فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن هذه الأمم التي قصها الله تعالى في هذه السورة بعد أن هلكوا واستؤصلت شأفتهم ملكت أرضهم وسكنها قوم آخرون وهي الآن بلاد الاسلام فنحن أهلها المالكون وأصحابها المسيطرون . ولما طغى أهلها البائدون أخذتهم صاعقة العذاب الهون . فمنهم من أغرق . ومنهم من أهلك بريح صرصر عاتية . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خسفت دياره فصاروا صعيدا جزا . وتلك القصص من المسامات عند سامي القرآن . فلننقس حالنا اليوم بمن حالنا ديارهم واتخذنا مساكنهم وننظر هل أحسننا الخلافة وعرفنا قوله تعالى - عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون -

نرى أن البلاد العربية خاوية من العلوم • خالية من النظام • عريقة في التقاطع والتدابير • وهكذا مصر لما أن رأت بصيصا من النور لم تعرف كيف تبصر ولم تزن أعمالها وخلطت عملا صالحا وآخر سيئا • وهذا القول منذ ١٤ سنة كما قدمت لك • أما الآن فإنها آخذة في الاستقلال والرقى • وهكذا أرض بابل ومابين البحرين فان الجهل لا يزال ضاربا أطنا به في ربوع الاسلام فلذلك أحاطت به من كل جانب المصائب وفاق بنا المسكروه من كل جانب وهذا مقدمة لعذاب الخزي في الحياة الدنيا مثل ما حلّ بأسلافنا • حذونا حذوهم حذو القذة بالقذة • وما ذكر الهلاك الدفعي إلا لينذرنا بالهلاك التدريجي والعذاب العظيم باحتقار الأمم لنا واستهزائهم بنا • فلقد تركنا عقولنا وشأنها فلم نربّ القوّة العقلية ولم نتم الفكر الانساني وكثرت الرشا والغش في المبيعات كما فعل أهل مدين وتجرأنا على المحرمات كقوم ثمود • والطامة الكبرى أننا فرحنا بما عندنا من العلم وصممنا آذاننا عن الحكمة التي أرسل الله أنوار شمسها على أرض المغرب وكساها وجه اليابان والصين وأذاقها لأمة الأمريكان فتكبرنا عن العلم ونحن الجاهلون وأعرضنا عن الحكمة ونحن معرضون ونمنا والناس مستيقظون • هذا ما كتبته إذ ذاك ولكن الآن دبت الروح في جميع هذه البلاد وعسى أن ترقى هذه الأمم وهم فرحون مستبشرون

﴿ المقصد السادس دواء هذا الداء وخاتمة السورة من قوله تعالى - ذلك من أنباء القرى -

الى آخر السورة ﴾

لقد بان لك حالنا اليوم وما أحاط بنا من مكروه وما نزل بنا من شر • وكيف أصبحت أمم الاسلام غارقة في بحار الجهل تأثرة في قفار الضلال بعيدة عن طريق الهداية الإقليلا • وكيف عكفوا على المجد القديم واستكبروا في الأرض بغير الحق واكتفوا بما عندهم من علم قديم ومجد موروث وأهملوا الأخلاق والفضائل وقال قائلهم لمن يسأله عن سبب انحطاط أمم الاسلام (إنها المعاصي) ولوسألتهم أي هي لقال الغيبة والنميمة والخمر وما أشبهه وأكثرهم يجهل أن الجهل أكبر المعاصي وأن نظام المدن وورق التجارة واتقان الصناعة واحكام الزراعة ونظام الامارة من أفضل العلوم والجهل بها أكبر المعاصي وأقبح المخازي وأن عكوف كل امرئ على شأن نفسه وحده وتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوأ أثرا وأكثر خطرا وأعظم ضررا من غيبة ونميمة • ولا سبيل لصلاح البلاد الاسلامية واسعاد الأمة المحمدية إلا أن يجتدوا في العلوم والصناعات واحكام التجارات والامارات ونظام المدن والجماعات ولم يؤيسنار بنا من السعادة ولم يقنطنا من اصلاح حالنا وتغيير العادة • ألا ترى كيف ذكر الدواء بعد الداء فقال - إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين \* واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين \* فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظالموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين - فان معناه هلا كان في الأمم الغابرة والقرون البائدة مرشدون ناصحون وعلماء واعظون وحكام مبصرون ينهون غوغاهم ويرشدون جهالهم ويضربون على أيديهم كما فعلت أمة اليابان والصين والأمريكان • فان الأمة اذا اقتربت من العطب وانسل إليها الاهلاك من كل حذب فأيقظ أهلها الموقظون وأرشدوا لموضع الداء الناصحون أرجعت العز إلى نفسها ونصرت على عدوها واذ ذاك لا ينالهم هلاك الدارين ولا يحيط بهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا عذاب السعير في الأخرى • وتجب كيف يقول بعد أن أتم قصة فرعون - تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد - وكيف أرجع الظلم اليهم وقال - وما ظلمناهم الخ - ولكن ظلموا أنفسهم فما نفعهم الآلهة المعبودة • هكذا لم ينفع أهل الشرق اليوم من يمدهم ويمنهم من بعض الرؤساء الجاهلين بل زادوهم تبديا • ثم قاس أحوال الأمم في الأرض بهذه الأمم المذكورة فقال - وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة - ثم شرح عذاب الآخرة وكيف يسعد قوم بالجنة ويشق آخرون بالسعير

مقاصد الدين ﴿أمران﴾ بقاء الأجسام بنظام المدنية وحفظ النسل وسعادة الأرواح بالعلوم والشوق الى معرفة الله والعبادة ولا أرواح بلا حياة ولا حياة بلا نظام . لذلك كان جل مقاصد هذه السورة حفظ الأجسام وبقاء المدن ونظام الجمعية وحفظ الأموال ليهب الناس لجمعها ويتضافروا على العمران ويكثر النسل فنعى الله عليهم البخس في المبيعات واللواط والاستكبار عن العلم النافع . فهذا كله لبقاء الأجسام وهو النظام المدني ولقد أرشد الله لحفظ الأرواح وتزكيتها بالعبادة والتوحيد والأخلاق الفاضلة فتعجب كيف غفل المسلمون اليوم عن النظام المدني . وكيف يقرؤن ولا يعلمون ويعيشون ولا يفكرون . إني أنذر المسلمين اليوم كما أنذرهم الله وأقول لهم ليقيم في كل قطر من أقطار الاسلام رجال يحضون على العلوم ليكثروا ليرشدوا اخوانهم ليأمرؤا بالمعروف لينهوا عن المنكر . أخطر المسلمين أن يهلكوا كما هلك من قبلهم . إني أنذرهم صاعقة المدافع والعذاب الواقع ماله من دافع وحصد النفوس وذهاب الفلوس وضياع القرى ومن يعيش يره

﴿ آيات الأخلاق . آيات العلوم . آيات الأحكام . آيات النظام العام ﴾

( آيات العلوم من هذه السورة إحدى عشرة آية )

- الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير - الى قوله - في كتاب مبين - وقوله - وقيل يا أرض - الى قوله - الظالمين - وقوله - إني توكلت على الله ربي وربكم - الى قوله - مستقيم - وقوله - فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم - الى قوله - حفيظ - وقوله - ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة - الى آخر السورة

وهذه الآيات في الأكثر تبيان لعظمة الله عز وجل وجلاله وقدرته وسلطانه وعلمه ورحمته التي وسعت كل شئ . ومن أعجب ما في هذه الاحدى عشرة قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - . لن يعقل دقائق لحاطة الله علما بالدواب إلا من قرأ علوم الحيوان ووقف على غرائزه وعجائبه وبدائع تركيبه ومحاسن صنعته وما أتيح له من أعضاء منظمة ووهب من قوى دراية وصور براءة ونفوس مختارة . إن في الحيوان آيات وفي النحل لعجبا وفي النمل حكما . واقرأ إن شئت هندسة العنكبوت ونظام بيوت النمل وبدائع دودة الحرير ونظام الجراد ودود القطن وكيف أكت مما نلبسه ولبسنا مما نسجت أختها دودة الحرير فكيف كانت احدهما تلح علينا لباسها والأخرى تسلبنا مازرعنا نلبسه . إن في الحيوان والانسان لغرائب - وفي خلقكم وما يبيث من دابة آيات لقوم يوقنون - . كل ذلك في كتابي ﴿جمال العالم﴾ انتهى

﴿ آيات الأخلاق منها قوله - الر \* كتاب أحكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ﴾

في هذه الآيات الثلاث خلق التوبة ثم إن قوله تعالى بعد ذلك - وإئن أذقنا الانسان منا رجة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور - الى قوله - وأجر كبير - فيه ذم خلق الأشر واليأس وطلب الصبر على البأساء وضبط النفس في السراء والغنى وقوله - فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا - الى قوله - وباطل ما كانوا يعملون - فيه ذم صفة الرياء وقوله - وإلى ثمود الخ - فيها خلق التوبة وشرفه وقوله - وإلى مدين أخاهم شعيبا - فيه طلب العدل في السكيل والميزان وقوله - ولولا كلمة سبقت من ربك - الى قوله - لا يضيع أجر المحسنين - فيه الأمر بالاستقامة وترك المداينة والركون الى الظلمة والصدع بالحق والاستعانة بالله وفعل الحسنات والصبر . أما آيات الأحكام فقوله تعالى - وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل - إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين \* واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين - وقد نزلت في عمرو بن عرفة بأبغ الثمر وقد قبل اجنبية . وهذه الآية تدل على أوقات الصلوات الخمس . فطرقا النهار الفجر فيه صلاة العداة . والعشي فيها الظهر والعصر . والزلف أي الساعات القريبة من النهار لصلاة المغرب والعشاء



ولا تكفر الصلاة إلا الذنوب الصغائر على الأوجه . أما آيات النظام العام فهو فحوى السورة ومقصودها والله أعلم

هذا هو الملخص الذي كتبه في ذلك التاريخ . فلا شرع في تفسير السورة تفصيلا بعد ما عرفتها اجالا وقرأت حكمها الشريفة وعجائبها المنيفة لتكون على بينة من معانيها وفي الفهم على صراط مستقيم

### ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الرَّ \* كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ \* أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ \* إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ \* وَإِنْ أَسْتَفْهِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ \* إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \*

لأبتدىء الكلام على البسملة وعلى قوله تعالى . وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين .

جرت عادة العلماء في الاسلام أن يسهبوا في الكلام على البسملة في أول كتبهم ويشرحوا ما يخصها من العلوم الاثني عشر الأدبية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والخط والانشاء الخ أما في هذا التفسير فاني تكلمت عليها في أول سورة الفاتحة وبينت الكلام في رحمة الله عز وجل أي في المقصود من انزال القرآن الى هذه الأرض . ان أكثر العلماء رحيم الله أرادوا ترقية العقول واتساع الذهن بالعلوم التي هي آلات الفهم . أما أنا فاني بحمد الله أكتب هذا التفسير لأناس لهم حظ من هذه العلوم فعلى أن أوجه الهمم الى ما هو المقصود من ذكر الرحمة قد ذكرت شيئا منها في الفاتحة وشذرات في سورة آل عمران عند قوله تعالى . بيدك الخير . وقوله تعالى . وترزق من تشاء بغير حساب . فبينت هناك رحمة عز وجل في الحشرات وغيرها وأنه سبحانه أخذ بناصيتها وهكذا عند قوله تعالى في سورة الأنعام . وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أهم أمثالكم . وكذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف . ورحمتي وسعت كل شيء . وههنا أقول إن الله كرر الرحمة في القرآن في أول السور فوق المائتين وهكذا ذكرها في مواضع كثيرة كقوله تعالى . وهو أرحم الراحمين . في سورة يوسف ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قال في نبينا ﷺ . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ولا جرم أنه الآن في العالم الأعلى فوجب أن نكون نحن المسلمين على الأرض قائمين بالرحمة والرحمة على قسمين : رحمة بالحيوان . ورحمة بالإنسان . أما الرحمة بالإنسان

فلن تتم لنا إلا إذا أصبحنا عالمين بقدر طاقتنا بعالم هذه الدنيا حتى نرقى نفوسنا ونرقى غيرنا . ومستحيل هذا الرقى إلا بنشر العاوم بيننا أولاً وهكذا الصناعات وحيث نرشد غيرنا ونكون رحمة \* أما الآن فلا فن يجهل الرحمة العامة كيف يستعملها وكيف ينشرها بين الناس فرحمتنا على مقدار عملنا فيها وعملنا فيها على مقدار علمنا اليوم قليل . وأما الرحمة بالحيوان فاننا نعاشر الأمم الإسلامية لم ننشرها بين الشعب بل حصرت في كتب الفقه والأمم الإسلامية ساهية عنها لاهية والفرجة قاموا بجمعيات للحفاظ على الحيوان في بلاد الاسلام وهذا بسبب كتبهم التي ألفوها لصغارهم وفيها ما يرقق القلب على الحيوان ويورث الشفقة فلا ذكر هنا ما جاء في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ ثم أتبعه بما يفتح الله به . وقبل أن أذكر الأحاديث أقدم مقدمة فأقول

إن العالم على (قسمين) عالم لطيف وعالم كثيف . فالعالم اللطيف لا ندري منه شيئاً إلا العاوم والأنوار والجمال . نحن في هذه الأرض نحسّ بنعمة العلم وبنعمة الجبال وبجمال النور . هذه النعم الثلاثة نحس بأنها خالية من الحزن ومن الكدر والنحس والشقاء . يقف الانسان مبهوراً أمام الجمال فينسى كل حزن ويشعر بسرور وخفة روح ولطف وأحب الذي سببه الجمال يأخذ بلبّ صاحبه على مقدار الاحساس بالجمال فيغيب عن كل حزن وكدر في ذلك الزمن الذي غشى الحب على قلبه . ولقد عرف الناس أن الحب درجات درجة دنيا وهو حب الجهال للجمال الظاهري فانه سريع الزوال . وحب العلماء لجمال العلم . فهذه درجة وسطى . وحب الحكماء وأولى الألباب لخالق الجمال . وهذه هي الدرجة العليا . فالجاهل يليه الجاهل الحيواني في وقت ما عن حزنه وغمه وشقائه . والعالم والحكيم يجدان لذة لا يحس بها الجاهل في علمهما وحكمتهم وإدراك منظم هذا الوجود على قدر طاقتهم وهكذا النور الذي هو عالم وسط بين الماديات والمعنويات يسر النفس على قدر ادراكها له . هذه مظاهر تبعث في النفوس ارتياحاً لعالم المجرّدات الذي لم نلّه في هذه الدنيا . أما عالم الماديات فان الرحمة فيه لا تكون إلا باستعمال الحكمة واطهار بدائع القدرة واستكمال صور الموجودات بأنواع التنظيم والاحكام . إذ يظهر أن هذا العالم المادى الذي نعيش فيه عالم متأخر تغلب عليه الشقاوة ولكن يد القدرة وعجيب الابداع والاحكام قرّبه من الرحمة . وفي هذا التفسير من عجائب التدبير لأجل الرحمة ما يكفي اللبيب مثل ما ذكر في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وفي آل عمران عند قوله - بيدك الخير - وفي آخرها أيضاً ومثل ما ذكر أول سورة المائدة . وهكذا ما جاء في آية - ورحمتي وسعت كل شيء - فلا نعيده ولكن نشير إلى هذا الأخير مما ذكر هناك (١) مثل أن الأرض يعوزها ما يقال أضرار المواد الرطبة التي يفسد الجوؤها فيحصل الهلاك . لذلك خلق الذباب والجراد ونحوهما من الحشرات (٢) وكثير من هذه الحشرات تضرّ الزرع بجاء البرد أيام الشتاء فقتل تلك الحيوانات (٣) وهذا البرد يضرّ البذر والزرع الناشئ حديثاً زمن الشتاء لاسيما في البلاد التي اشتدّ بردها فجعل لها الثلج واقياً ماتحته من بذور وزرع في البرّ ومن سمك في البحر لأن الثلج فوق سطح البحر يمنع البرودة عما تحته فيبقى الماء يغدو فيه السمك ويروح برحة الله ثم يشتدّ حرّ الشمس فيذيب الثلج فيخرج الزرع نضراً بهيماً جيلاً . فانظر لتدبير منظم حشرات لاقلال الرطوبة فبرد لقتلها فثلج لاضعاف آثار البرد فشمس لازالة ذلك الثلج ليخرج النبات . هذا مثل واحد من آلاف الأمثال التي نراها في هذا العالم تدلنا أن النظام والحكمة والتدبير هي التي جعلت في عالمنا بعض الرحمة لا كلها . إن أرضنا كثيرة التغير سريعة التبدل قصيرة الأعمار كثيرة الزلازل منيت بالشرّ بمزوجا بالخير فلا خير إلا جعل مصحوباً بشرّ ولا نفع إلا مع ضرّ . ذلك كله لأن عالمنا غير مستعدّ لتسام الرحمة فليس من العالم اللطيف الجليل الذي تطول فيه الأعمار ويظهر فيه الجمال ويتلأأ فيه باهر الأنوار المدهشة بل إن مالدينا من النور يصرفنا عن

السرور به الرزايا الأرضية . هذا هو عالمنا . لعلاك من هذا تفهم الحديث الذي أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ﴾

إن هذا الحديث لا يعقله إلا من درس عاوم الطبيعة والفلك وكلما ازداد الانسان علماً ازداد بصيرة . نحن رأينا الناس لا يرتقون في هذه الدنيا في مال أو علم إلا بنصب وتعب ورأينا نظام الحيوانات في البرية مبني على المغالبة ورأينا الآساد تأكل الطباء رحمة بالآساد وبالطباء وبالناس فلو لا هذه الخصلة لملاأت الحيوانات الآكلة العشب السهل والجبل ولملاأت رممها عند هلاكها أقطار الأرض فكان الوباء فاقتضت الحكمة بقاء العالم . وليس لهذا طريق إلا أن يخلق حيواناً يقلل ذلك التكاثر ويظهر الأرض من الرمم فيجعلها في جوفه بحيث يطحنها ويحيلها الى مادة لاتعفن فيها فيكون بعضها من جملة جسمه وبعضها فضلات خارجات من السبيلين فهذه وأمثالها تدبير ولطف - إن ربي لطيف لما يشاء - فهذا التدبير يدهش العقول المفكرة وترى فيه ما لا يخطر ببال المشعوذين من الحيل المحجبة الناظرين المدهشة للفكرين . ولعل هناك عوالم أطف وأطف فتكون الحياة فيها أشرف وأشرف وأبقى وأطول ويكون الأحياء أعلم وأعلم لا كما نحن عليه في الأرض من رحمة أقل وعلم ضئيل حتى خاطبنا الله قائلاً - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - قلة علمنا مناسبة لقلة الرحمة الواصلة إلينا التي منعها نقص استعدادنا حتى لم نسل من الرحمة إلا واحداً من مائة . وافق الحديث الآية

الحديث ينص على أن رحمتنا واحد من مائة والآية جعلت علمنا قليلاً . قل العلم فقات الرحمة وليس ذلك كله إلا من نقص عالمنا الذين نعيش فيه ولم نستعد إلا له . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين . وقد ورد في الأحاديث ما أوجب علينا أن نخدو حذوه فيها (١) مثل حديث ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عنه أنه قال ﷺ ﴿ الراحون يرحمهم الرحمن ارجوا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله تعالى ﴾ أخرجه أبوداود الى قوله من في السماء والترمذي بتمامه . والشجنة بكسر الشين المحجمة وفتحها بعدها جيم القرابة المشتبكة كاشتباك القرون \* وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يرحم الله من لا يرحم الناس ﴾ أخرجه الشيخان والترمذي \* وفي رواية أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ ﴿ لا تنزع الرحمة إلا من شقي ﴾ وقد وردت أحاديث في رحمة الله تعالى منها الحديث المتقدم الذي جاء فيه ذكر مائة رحمة عن الشيخين والترمذي وورد فيه زيادات لمسلم مثل قوله فيها أي فبالرحمة الواحدة تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض \* وجاء في حديث رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه قال فאלله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها

وجاء في رحمة الحيوان (١) ماروي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ﴿ بينا رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيه فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فلاً خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يارسول الله وان لنا في البهائم أجراً قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الشيخان وأبوداود \* وفي رواية أخرى أن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلح لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به (الموق الخف) \* وعن عبيد الله بن جعفر رضي الله



عنهما قال كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ حاجته هدف أو حائش نخل (الهدف ما ارتفع من الأرض وحائش النخل نخلات مجتمعات) فدخل حائطا (بستانا) فإذا فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفره فسكت ذفرى البعير الموضع الذي يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفران فقال من رب هذا الجمل فقال فتى من الأنصار هو لى يا رسول الله فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدثيه (تتعبه بكثرة استعماله) أخرجه أبو داود \* وقال ﷺ لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها الله لكم لتبذلوا - إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس - وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم \* أخرجه أبو داود

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حرة (بضم الحاء وتشديد الميم نوع من الطير في شكل العصفور) تعرش (تفرخ) وترخي جناحيها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولا تقع فلما جاء رسول الله ﷺ قال من جفع هذه بولدها ردوا ولدها إليها \* ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال من أحرق هذه فقلنا نحن قال انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار وروى الشيخان وغيرهما عن أنى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية نمل فحرق فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة أحرق أمة من الأمم تسبح ﴾ اه نظرة في هذه الأحاديث وفي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها ﴿

يقول الله تعالى - وما من دابة في الأرض إلح - ويقول هود - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ويقول في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمُّ أمثالكم إلح - وها هو رسوله ﷺ يقول شكا الجمل إلى ويأمر صاحبه بالرفق به \* ويقول غفر الله لبني سقت الكلب بخفها \* ويقول في الطائر من جفع هذه بولدها \* هذه الأحاديث توجب النظر والبحث وتوجب على علماء الاسلام في سائر الأقطار أن ينشروها ويشرحوها ويقولوا للناس في نشراتهم وفي كتبهم ﴿ ينبغي عدم أخذ صفار العصافير والطير من أعشاشها ﴾

#### ﴿ خطاب إلى علماء الاسلام ﴾

أيها العلماء \* ويا أيها المسلمون \* أما أن لكم أن تضيعوا هذه الأحاديث وتقولوا للامة إياكم وأخذ فرخ الحمام من أمة قبل استكمال تربيته وذبح العجل مادامت أمة ترضعه \* وإياكم وصيد الطيور البرية ما دامت تربي أولادها وتقولوا يجب دراسة علم الطير والدواب والحشرات وفهم طباعها فتهما تلتما ثم جعل الأحكام مطابقة لذلك بحيث تحرمون الصيد في وقت التريبة والبيض وما أشبه ذلك \* إن هذه الأحكام يختلف فيها العلماء اختلافا كثيرا ولكن لا معنى للخلاف مع وجود الحديث \* ولعل الأُمم المسيحية أقرب إلى الرحمة منا اللهم إني أبرأ إليك من هذا الجهل الفاشي في أمة الاسلام \* اللهم قد نبهت وأوضحت وحسبنا الله ونعم الوكيل \* اللهم ان نبيك محمدا ﷺ نبي الرحمة وقد أئذروا وحذروا ولكن الناس أهملوا والأُمم كلها تيقظت إلى هذه الرحمة ونحن اليوم جهلاء بها وأنت أرحم الراحمين فألهم العلماء في الاسلام اكمال ما ابتدأناه وشرح ما أوجلاه \* ألهمهم إلهي أن ينظروا في هذا الوجود \* ألهمهم أن ينظروا في الأمم حوهم ويقرأوا علومهم بلغاتهم فأنهم يجدونهم قد عطفوا على هذه الحيوانات وفكروا فيها ومنهم من يرحمها وقد ألفوا جماعات تجوس خلال ديارنا لرحمتها وإن كان علمهم أبتروا ناقصا \* ألهمهم أن يفكروا في أمر الاسلام وكيف يكون المسلمون أقل رحمة بالحيوان من غيرهم - غفلة وجهالة وبعدا عن الحق - وأنت قد ذكرتنا بأن هذه أُمم أمثالنا وما فرطت فيها وأن ذلك رزقها وانك تعلم مستقرها ومستودعها وانك آخذ بناصيتها فإذا كانت هذه منزلتها منك فكيف جهل المسلمون منزلتها عندنا \* أباح المسلمون صيد الحيوان بلا قيد ولا شرط وخالفوا

العلماء وخالفوا رسولك القائل ﴿من جفع هذه بولدها ردّوا ولدها اليها﴾ هذا الحديث مذکور في كتاب (تيسير الوصول لجامع الأصول) فهو في حكم الأحاديث الصحاح . ألم يأن للمسلمين أن يدرسوا هذه الأم درسا مدققا اننا وايها نكون أسرة واحدة فهي تساعدنا في الزرع والضرع والسفر وهي المغنيات لنا لتطربنا في حقولنا والمعطيات لنا ملابس ومساكن ومناظر جميلة . ومنها القنانات لحشراتنا الفاتكات بزرعنا . وكيف يعرف الناس أن ولد الحمام يخالف ولد البط والاوز والدجاج من حيث عطف الأبوين وأن الفريق الأول في حاجة الى الأبوين معا يعطفان عليه لضعفه ويطعمانه وأن الفريق الثاني يخرج قليل الحاجة الى الوالدين لقوّته بالريش والمنقار والقوّة والاستقلال والجري وراء أمّه من وقت الولادة وتعاطي الغذاء من الأرض فلذلك لم يحتاج الى عطف ذكر البط والديك بخلاف ذكر الحمام الذي يعاون الأم ويعطفان معا على الولد ويتقطع قلباهما أسفا وحسرة وحزنا اذا فارقهما وهو ضعيف . أقول كيف يعرف الناس ذلك كانه إلابالدرس والعلم . أفلا يحسن أن يأمر العلماء وحكومات الاسلام بعد ظهور ما كتبنا هنا الى هذا الأمر ويحرّموا الناس صيد أمثال (الخطاف والعصفور والسمان) أيام تربية الأولاد . وهكذا صيد أفراسها الضعاف أي أن يتركوا الأبوين والذرية أيام الحضانه ثم يصطادون ما يشاؤون بعد ذلك حين استقلال الولد عن الوالدين فيصبح الأفراس في غنى عن الأبوين فلا يتقطع قلبهما ولا يترك الأفراس الصغار مقطوعات لاعائل لها

ومتى زال سبب العطف زال التحريم وهناك يكون المسلمون قائلين بأمر رسول الله ﷺ القائل ردّوا اليها ولدها وذلك لسبب الحزن الشديد والعطف من الأم المرفقة . فأما بعد الاستغناء فإن الأولاد تكون مباحة واذن يصبح هناك فرق بين صغار الحمام وصغار الدجاج فيؤخذ فرخ الدجاج وهو صغير لأن الأم لا يتقطع قلبها أسى وحسرة . أما الحمام فبعكس ذلك . وهكذا بقيّة الطيور التي يقول فيها الحديث ﴿ردّوا ولدها اليها﴾ ويكون ولد البط كولد الدجاج لأن المدار على شدة العطف وعدمه . هذا ما أراه في هذا المقام . إن هذا الكتاب عام للمسلمين من جميع المذاهب فلا هو خاص بأهل السنة ولا بالشيعه ولا بالامامية ولا بالزيدية بل هو تفسير للقرآن مع الاستعانة بالسنة . فها هو ذا كتاب الله وها هو ذا حديث رسوله ﷺ وها هو ذا وجدانكم ورحمتكم واحساسكم الشريف أيها العلماء وعطفكم ورحمتكم ورحمة رسولنا ﷺ فهل ترون أننا نكون أقسى الأمم ونبينا بعث رحمة للعالمين . البوذية يحرمون جميع الحيوان . ونحن أمة وسط فأبيع لنا حيوان وحرم عاينا آخر وأمرنا بالنظر والاعتبار وتقدم في سورة المائدة أن هناك حيوانات نافعات لنا منعت حكومتنا المصرية صيدها بسبب ما كتبناه كما ستراه في سورة يوسف قريبا فقلنا فليحرم صيد هذه الطيور لمنفعتنا لنا في حقولنا ولتجعل هذه قاعدة . إن المسلمين يدرسون علوم هذه الدنيا ويحرمون صيد كل حيوان نافع لهم وهذا أمر يجب ألا يختلف فيه العلماء . فمن قطع أصبع نفسه أو يده حرم عليه هكذا هذه اللاتي تساعدنا قناتها حرام لأن ذلك يفوت منفعتها . أما التحريم الذي أذكره هنا فهو للشفقة والرحمة التي تكررت في أول كل سورة وفي كل ركعة صلبا ومساء وفي القرآن وفي الحديث . فمن الجهالة والتقليد الأعمى المذموم الأبله ألا يفرق المسلم بين أفراس الحمام مثلا وأفراس الدجاج فلتأمر حكومات الاسلام قاطبة بتحريم اصطلياد كل طير في فصل الربيع إبان تربية أولادها حتى يستغنى الصغار عن الأبوين ومن هذا الحمام الذي نربيّه في منازلنا . فليحرموا عليهم ذبح صغار الذرية مادامت في حضانه الأبوين ، فأما الصغار منها اذا استكملت قوّتها فهناك يكون آلام الأمّهات قد قلّ كثيرا وخفّ فلا بأس إذن من أخذها

قد اعتاد المسلمون أن يقدموا دروس الصلاة والصيام على أمثال هذا . وكان الأجدر أن تؤلف كتب للصغار فيها عجائب هذه الدنيا باختصار ويذكرون فيها بعض الأخلاق ورحمة الحيوان وذلك كانه قبل الكلام على أركان الاسلام حتى اذا اشتاقوا لربهم وأحبوه بحمال صنعهم وعموم رحمة أخذوا يبينون لهم كيف يصنون

ليصلوا اليه وليقربوا منه فيصلون بحسب لما يعرفون من عموم رحمته لهم ورأفته بهم وبالحيوان . هذا ما  
وقفت له اليوم والحمد لله رب العالمين

فعليك أيها الذكي القارئ لهذا التفسير أن تنشر هذا بين الناس بقامك وإسائك ومالك من قوة وقدرة  
أوامرة . فالمسلمون اليوم في حاجة قصوى الى الذكرى وأنا أرجو أن يحيي الله بك قلوبا وقلوبا فان الكتاب  
لا عمل له وانما العمل للرجال والله عز وجل يسألني عن المسلمين ويسألني عنهم مادمات موقنا بما تقرأه في  
هذا التفسير والله هو الولي الجيد وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى  
الكلام على البسملة فلا شرع في تفسير السورة

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (الر) تقدم في أول سورة آل عمران هذا (كتاب أحكمت آياته) نظمت نظاما رصينا محكما  
لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم من الفساد وليس ينسخها دين بعدها وأحكمت بالحجج والدلائل ويصح  
أن يقال أنها من حكم بالضم اذا صار حكما فان فيها أمهات الحكم النظرية والعملية كما قدمنا في ملخص  
السورة (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد فمن دلائل توحيد الى أحكام الى مواعظ الى قصص أو فصل فيها  
ما يحتاج اليه العباد أي بين ونخلص ونظم للتراخي في الحال لا في الوقت كما تقول محكمة أحسن الأحكام ثم  
مفصلة أحسن التفصيل (من لدن حكيم) فاندك أحكم الآيات (خير) بتفصيلها فاندك فصلها . ولما كان  
في فصل معنى القول جيء بأن المفسرة في قوله (ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير) كأنه قيل  
أي لا تعبدوا إلح ثم عطف عليه (وأن استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا اليه) بالطاعات (يمتعكم متاعا  
حسننا) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة ويمشكم في أمن ودعة وعيشة مرضية ونعمة متتابعة (الى أجل  
مسمى) الى أن يتوفاكم (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا  
والآخرة وهذا وعد للمؤمن التائب بشواب الدارين (وان تولوا) وان تمولوا (فاني أخاف عليكم عذاب يوم  
كبير) يوم الشدائد في الدنيا بتحط أو قتل كما حصل فقد أكلوا الجيف كما قيل وقتلوا في الفزوات النبوية  
وفي الآخرة أيضا بعذاب جهنم (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فيمتع من يستحق  
بالرزق ويعطي ذا الفضل فضله ويعاقب المسيء ويثيب المحسن يوم القيامة . وهذه الآيات دالة على قدرة الله  
تعالى ثم أتبعها بما يفيد عموم علمه كما عمت قدرته فأبان ما كان عليه المشركون فانهم اذا دخلوا بيوتهم  
يرخون ستورهم ويكنون ظهورهم ويتغشون بثيابهم ويقول الرجل منهم هل يعلم الله ما في قلبي فرد الله  
عليهم قائلا (ألا انهم يثنون صدورهم) يهرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وهم قد أرخوا الستور  
وأحنوا الظهور واستغشوا بالثياب (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله بتلك الأعمال (الآحين يستخشون  
ثيابهم) ويكنون ظهورهم ويرخون ستورهم (يعلم مايسرون وما يعلنون) فلا تفاوت في علمه بين سرهم في  
تلك الستور والثياب وعلمهم في المجامع والمخافل (انه عليم بذات الصدور) أي بالأسرار ذات أي صاحبة  
الصدور واذا علم ماخفي في الصدور فعلمه بتفسيره أولى . ولما أثبت قدرته وعلمه العاقلين لجميع نوع الانسان  
شرع يقررهما لجميع الكائنات مبتدئا بالذواب التي هي أقرب الى الانسان لما شاركتهما في الحس والحركة مثلا  
بالسموات والأرض نباتا باستنتاج أنه قادر على البعث فنقل (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)  
غذاؤها ومعاشها (ويعلم مستقرها) في الأصحاب (ومستودعها) في الأرحام فثبت القدرة بعموم الرزق  
وإثبات العلم بأنه يعلم مستقرها ومستودعها كما ذكر في الانسان أنه يتبع متاعا حسنا متى استحق ذلك وأنه  
يعلم مايسر وما يعلن على سبيل القلب والنشر المرتب (كل) كل واحد من الذواب وأحوالها (في كتاب  
مبين) المذكور في اللوح المحفوظ قبل خلقها (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) تقدم شرحها



فما مضى في يونس وفي أول الأنعام (وكان عرشه على الماء) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة يونس بأن الماء العلم أى وكان ملكه قائما على العلم ولا يزال كذلك وانما خلق السموات والأرض ليربى ذوى الأرواح فيهما بالخير والشر وهذا قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أى ليختبركم بين الحياة والموت أيكم أخلص عملا ولولا ذلك لكان خلق العالم عبثا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا لعبسين - بل خلقناهما ليربى فيهما نفوسا وترقيها الحياة دائمة وغايات شريفة ويكون لها حياة وموت وارتقاء والخطا ابتلاء وامتحانا

﴿ لطائف ﴾

( اللطيفة الاولى في قوله تعالى - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت الح - )

لما اطلع على هذه السورة بعض العلماء حدثنى قائلا

إني رأيت (الر) في سورة يونس وفي سورة هود قد ذكر الله بعدها الحكمة فهو سبحانه يقول في يونس - تلك آيات الكتاب الحكيم - وهنا يقول - أحكمت آياته - ثم يقول - فصلت - ثم يصف نفسه بأنه حكيم وأنه خبير . ومعلوم أن كلام الله موزون بميزان . وإذا كنا نرى جميع أفعاله موزونة في أصغر النبرات فهكذا فليكن كلامه فلماذا أكثر من ذكر الحكمة بعد هذه الحروف

(ج) لو أنك اطلعت أيها الفاضل على ما تقدم في هذا التفسير فيما تقدم لأمكنك الجواب ولعرفت الحقيقة (س) كيف لا أعرفه وأنا متذكر كل ما قلته أنت في هذا المقام . أنظر ألم تقل في سورة آل عمران أن - الم - جاءت لايقاظ المسامعين للغرور الذى فشا في الاسلام كما اغتر اليهود وأن نتيجة ذلك وجوب نشر العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية والعقلية والاحقت كلمة العذاب علينا وهذا واضح في سورة آل عمران وأيضا أنت قلت أن - الم - في سورة البقرة مذكر بمسألة الجهاد وبمسألة تحليل العناصر ومعرفة حقائق المادة بعلم الكيمياء العضوية وغير العضوية لأن هذه الآيات هناك مبدؤة بهذه الحروف - الم - فقال تعالى - ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الح - وقال - ألم تر الى الذى حاج الح - فصارت هذه الحروف مشيرة لعلم الكيمياء وللجهاد ولتعميم العلوم وكذلك فى - المص - جاء فيها مايقرب من هذا مفصلا موضحا شارحا المقصود من (ص) التى تشير الى القصص وأن تلك السورة قد جاء فيها قصص آدم وبنيه من الأنبياء وأن هناك استنتاجا قد ذكره الله فى نفس السورة ليعلمنا كيف نستنتج من القرآن ومن كل شئ كسالة اللباس الذى زال عن آدم المذكور بأنه أنعم علينا بالقطن والكتان الح وأنه أنعم بلباس التقوى الذى هو خير الح وهكذا توالى قصص الأنبياء هناك وظهر أن كل حجة احتج بها المعاندون كانت أشبه بحجة إبليس كأن يقولوا - هذا ما وجدنا عليه آباءنا - فصار الاعتراض بالآباء أشبه باعتراض إبليس بأصله وأنه من نار وأن الناس على الأرض اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم سائرون على هذا النمط . فهذا بعض ما تقدم فى معانى هذه الحروف فكيف تقول انى لو كنت عرفت ما تقدم لعرفت الجواب أما أنا فاني بعد ما تقدم أقول انه لا يكفى للجواب فان تكرار الحكمة والتفصيل وأنه خبير يدل على مفزى أعظم مما تقدم وأبعد مدى وأقوى وأهم

(ج) إن هذه الحروف أنزلها الله فى القرآن ليخرج بها المسامعين من ظلمات الجهالة الى مشارق النور ومباهج الحكمة ومناهج السعادة وباحات الجمال وساحات العلم والكمال . علم الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق أن المسلمين سينامون نوما عميقا وهم غير مقصرين بل هم مخلصون لربهم ولدينهم فأنزل الله هذه الحروف لترفع الغشاوة عن أعينهم بعد نومتها وتوقظ جماعاتهم بعد غفلتها

(س) أما كون هذه الحروف ترفع عن أعينهم الغشاوة وكونهم هم غير مقصرين فى نومهم فهذان أمران لا أعقلهما وكيف أعقلهما

(ج) أما كونهم غير مقصرين فى نومتهم فاني أوضحه لك . أما من البلاد المصرية ولدى نظراء من بلادنا

توجهنا الى الأزهر لتعلم العلم فوجدنا أمامنا النحو والفقه والتوحيد وهكذا علوم اللغة العربية وعلم الأصول وما أشبه ذلك تلك العلوم التي انحدرت اليها عن آبائنا وأجدادنا من عصور مضت وقد سلطت عليهم ملوك وأمراء ووقعوا فيها وقعت فيه الأمم من الضنك ولم يستخلصوا لنا من ظلم الظالمين إلا ما وصل لنا . تعلمنا هذه العلوم ثم نظرنا حولنا فرأينا أمما ودولا وعلوما فرجنا الى القرآن فوجدنا أن العلوم التي ارتقت بها الأمم يطلبها القرآن فعلا نصا صريحا فنصحننا الأمة بتلك العلوم . أقول لك لولا اطلاعنا على هذه العلوم ما مكننا أن ندعو الأمة لها فأسلافنا الذين ورثوا هذا العلم كان أكثرهم لم يطالع على هذه العلوم ومن اطالع منهم ألف ونصح الناس بقراءتها ولكن الجهل كان يمنع الناس من اتباعهم وعلى ذلك نقول أن أحوال الأمم الإسلامية كانت محتمة عليهم أن يعيشوا على هذا المنوال . فاذا كان علماء الدولة العباسية قد حاز كثير منهم المعقول والمنقول ودعوا اليها كالغزالي رحمه الله والرازي ومثلهما ابن رشد بالأندلس وكثير غيرهم فان المتأخرين ارغموا أن يتعلموا العلوم النقلية وقلت فيهم العقلية فهم كانوا لا يعلمون . ولذلك ترى كثيرا منهم حاربوا المفكرين في هذه العلوم كما تراه واضحاً في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا - فاذا علماء الاسلام المتأخرون منهم من عرف ودعا لما عرف ومنهم من جهل ومنهم من عرف أن هذه حق ولكنه خاف على شهرته فحارب القائلين بها وهؤلاء كلهم عند ربهم وهو مجازي كلا بما فعل . فالمدار في الأمم على شيوع الفكرة فتى شاع أمثال ما كتبنا في هذا التفسير فان الأمة تسير على منواله ومنوال أمثاله ولا تقصر . والمسؤل الآن عن هذه العلوم أمثالك أنت ممن أيقنوا بهذه الفكرة فهم هم المسؤولون كما اني أنا مسؤل ولكن الله سبحانه أعانني بنشر هذا الكتاب وهو حقاً سيعينك كما أعانني بأن تنشر الفكرة بين المسلمين فأنا وأنت وكل من عرف هذه الآراء التي رأيتموها في هذا الكتاب فهو مسؤل . أما الذي لم يطالع فكيف يعلم الناس فالناس على حسب أسانذتهم ومن يعاشرهم . فعلم الناس فالتة سائلك عنهم واحذر من التقصير . هذا معنى قولى انهم غير مقصرين في قولهم أى غالباً فتجد علماء الدين الاسلامي اليوم راضون بما حصلوا من العلم وذلك بسبب ما لقنه الأسانذة لهم والخلف يتبع السلف ولكن هذه النهضة الحالية ستقلب التعليم رأساً على عقب ويصبح الجو الاسلامي جو حكمة وعلم وابداع واختراع ونظام واطلاع على بدائع الجلال الالهى وروائع الاحكام الصمدانى وغرائب النور السماوى . هذا شرح لقولى انهم كانوا غير مقصرين وأما . . .

(س) فقال أرجو ألا تجيب عن السؤال الثانى أى ان هذه الحروف سبب في ازالة الغشاوة الا بعد أن أسألك في نفس الجواب الأول (ج) سل ما بدا لك

(س) ما أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم الذى نعيش فيه مع أن الله لا يعرف إلا به والحكمة لا تتم إلا به والعقول لا ترتقى إلا به ونظام الأمة لا يتم إلا به

(ج) قد أشرت اليه في الاجابة (س) هذا لا يكفي (ج) قد تكرر ذكر هذا في التفسير في مواضع كثيرة (ذلك) أن الامام الغزالي في كتاب الاحياء شرحه شرحا وافيا وبين أن علماء النقة في زمانه اعتادوا أن يسموا هذه الأحكام الشرعية بلفظ (فقه) ولفظ فقه كلمة ممدوحة فان الله يقول في القرآن - لقوم يفقهون - فهى كلمة مدحها القرآن والحديث فجرت على الألسن بأنها الأحكام الشرعية وصرفت الناس عن جمال ربهم وعجائبه ونباته وحيوانه وشمسه وقمره ونجومه الباهرات وعجائبه الظاهرات وآياته المدهشات وحكمه العاليات ثم درج الخلف على ما كان عليه السلف وأصبح العالم في الاسلام هو من يتعاطى هذا العلم في ذلك العصر وبه يتولى القضاء ويتصدى في المجالس ويصبح غنيا بالمال والعظمة والجاه يحتاج اليه الملوك في تصريف الدولة لأن الفتوى عليها مدار أمر الأمة لأن الدولة اسلامية والأحكام شرعية ذلك هو ملخص ما قاله الامام الغزالي

ثم أخذ يذمهم ويقول هؤلاء يقرؤون هذه العلوم للدنيا لا للآخرة وجعلهم شرًا من الشياطين وندد كثيرا وقال كيف يتركون الطب والسياسة وجميع العلوم ويقولون انهم يقرؤون فرض كفاية مع أن فرض الكفاية جميع العلوم والصناعات . إذن هم لا يريدون إلا الدنيا والا فلماذا لا يقرؤون الطب وتركوه في يد النصارى واليهود . هذا ملخص كلام الامام الغزالي فانظر كيف رأينا اننا نحن جئنا في زمان لادولتنا قوية الجانب فنعتر في الدنيا بها ولا نحن متعلقون فنرضى ربنا . فاذا كان العلماء في زمن الامام الغزالي يطلبون الدنيا وكانت عندهم دنيا فكيف نقرأ علم الدنيا الذي لا يأتي بالدنيا أيضا لأن أكثر العلماء من الشافعية والحنفية والمالكية والحنفية في بلادنا المصرية أكثرهم لا يولون القضاء لأن القضاء يقتصر على مسألة الأحوال الشخصية وأصبح القانون الفرنسي هو السارى في بلادنا . وقد علمنا أن بلاد الترك قد جرت على قانون دولة أوروية فاذن يكون على رأى الغزالي علماء الدين اذا ساروا على نهج المتقدمين أسوأ حالا ألف مرة من الذين كانوا في زمن الامام الغزالي لأن أولئك طلبوا دنيا ولا آخرة لهم فقالوا الدنيا لأنهم لهم صولة بصولة الدين . أما المتبحرون في هذه المذاهب في هذا الوقت فهم لا ينالون دنيا ولا آخرة إلا على نياتهم فقط . أما الدنيا فلا وظائف لأكثرهم . وأما الآخرة فانها لا تنال إلا بأعمال تحتاج لها الأمة وعلوم كذلك والأمة في حاجة الى صناعات وعلوم أخرى غير القضاء والعلوم التي تنال بها الآخرة هي الأخلاق وتهذيب النفس ومعرفة عجائب الله تعالى في سمواته وأرضه حتى يكون الانسان موقنا شاكرا

هذا هو السبب الذي حصر علماء الاسلام في الدوائر الضيقة . وهناك سبب آخر وهو حصر طائفة من الأمم الاسلامية في حفظ القرآن بلا عقل ولا فهم وهذه أيضا نكبة أخرى بل القرآن يفهم ويعقل إمامع الحفظ وهو أفضل واما بالحفظ ونتيجته ترقية العقول والعلوم والأمة ومعرفة جلال الله

(س) ماسبب اقتصار طائفة في مصر وبلاد المغرب وبلاد العرب ونحو ذلك على حفظ القرآن بلا عقل ولا فهم

(ج) من أسبابه ما جاء في (الاتقان في علوم القرآن) للعلامة السيوطي قال في الجزء الثاني صفحة

١٥٥ مانصه

فصل أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فانه موضوع كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده الى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . وروى ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال قات لميسرة بن عبيد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا قال وضعتها أرغب الناس فيها . وروينا عن المؤمل بن اسماعيل قال حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة فقال حدثني رجل بالمداين وهو حفي فصرت اليه من حدثك قال شيخ بالبصرة فصرت اليه فقلت له من حدثك قال شيخ ببغدادان فصرت اليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتا فاذا فيه من المتسوفة وبينهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثني فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني أحد ولكننا قد رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم الى القرآن . قال ابن الصلاح واقد أخطأ الواحدى المفسرون من ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم اه من (الاتقان) المذكور للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى

فاذن ظهر لك (الأمران) انكباب الناس على النقه وانكبابهم على حفظ القرآن . فالأول للقضاء في القرون المتقدمة وللاتباع وحسن النية في القرون المتأخرة . والثاني لأجل الأحاديث التي أكثرها موضوعة لأجل حفظ القرآن



(س) الآن قد آمنت بأن هذه هي أسباب الفقه وحفظ القرآن فأرجو الآن أن ترجع للموضوع الذي كنا فيه فقد صدقتك عن اكمال الكلام فانك كنت ابتدأت تجيب عن قولك لماذا كانت هذه الحروف هي التي ستوقظ الاسلام

(ج) تبين مما قدمته لك أن المسلمين غالباً تقودهم العادات والاتباع والعامة يتبعون الخاصة والخاصة يتبعون من قبلهم ولا يفكرون لماذا سار الأولون على نمطهم . قال نعم . قلت فهذه الحروف قد أنزلها الله في القرآن وذكر الحكمة والتفصيل وقال - من لدن حكيم خبير - فالله حكيم والله خبير والله فصل الآيات والله أحكمها . هذا كله ينبئنا عن أمر بعيد الغور عظيم المغزى . فان العاقل اذا سمع هذا القول وعرف أنه قول الله يقول في نفسه لماذا هذا كله بعد حروف لا معنى لها فيفكر فيها طويلاً ثم يقول انما أفردتها الله بالذكر في أول السور لأمر عام هام وهو ما أشرت اليه سابقاً ألا وهو قراءة جميع العلوم . إن هذا العصر عصر الكيمياء . إن الكيمياء ترجع المركبات الى عناصرها الأولى والعناصر الأولى قد بلغت ثمانين ولها جدول ستراه في سورة (العنكبوت) والجدول عجيب شيق جيل يدلنا على حكمة ونظام بديع حتى ان من يطلع عليه يدهشه هذه الحكم فانك ترى أن كل عنصر له مع العناصر التي قبله في صفه والتي بعده والتي فوقه والتي تحته أي في الصف الأفقي وفي الصف الرأسى بنسب وزنيه وأخرى طبيعية وكيمائية فسترى هناك أن العناصر التي بثها الله في الأرض والكواكب والنبات والحيوان مثل الاكسوجين والاودروجين الى آخرها عند النظر الى صفاتها الطبيعية والكيمائية والوزنية تصبح متشابهة مرتبة منظمة مصفوفة بحيث لو غاب أحدها لعرف محله من هذه الصفوف . ولقد أخبر العلماء عن بعض العناصر قبل كشفها ولما كشف ثلاثة منها وضعوها في موضعها فصارت أشبه بجسم انسان واحد عرف موضع عينه وأذنه وبطنه وهكذا فانظر لعناصر متفرقات في البراري والقفار والبحار لما جمعها العلماء شكلت شكلاً واحداً في هيئة تدهش العقول

فهذه العناصر هي أصل العالم الذي نعيش فيه وهذه العناصر كلها ترجع الى عالم لم يره أحد يسمى (الأثير) وهو عالم واحد لا يشم ولا يذاق ولا يلمس ولا يسمع ولا يرى . هذا هو الذي منه كانت العناصر ومن العناصر كانت هذه السموات والأرضون على رأي العلماء في عصرنا الحاضر الذي هو أقرب الى القرآن وإلى حروف (الم) و(الر) التي في هذه السورة . فان القرآن وجميع الكلام في سائر اللغات مركب من الحروف الهجائية ولن تعرف لغة من اللغات إلا بتحليلها الى حروفها الأولية ولا يتسنى الكتابة ولا طبع كتاب ما إلا بافراد الحروف ثم تركيبها . فكما لانعرف اللغات إلا بمعرفة حروفها هكذا لا يعرف شئ من هذا العالم إلا بتحليله ولا يعيش حيوان ولا انسان إلا بتحليل المواد التي حوله والا لم يكن شئ في عالم الحيوان ولا عالم النبات فالله عز وجل حكم على عالمنا الذي نعيش فيه ألا يكون حسن قوام إلا بالتحليل ورجوع المركبات الى عناصرها سواء أكانت أغذية للأجسام أو أغذية للعقول فلاغذاء لانسان أو حيوان أو نبات ولا علم لعالم بأمر من أمور هذا العالم إلا بتحليل ذلك المعلوم ولارقي في صناعة أو طب أو زراعة إلا بتحليل الأشياء الى عناصرها

(س) هذا كلام غامض وأي مناسبة بين العلوم وهضم الطعام ان هذا مما يسمى المفارقات لا المواقفات

(ج) إن الذي أذكره الآن هو الحقائق وسأوضحها لك الآن ولتعلم أن هذا هو السر الذي نزلت له هذه الحروف وهذا أوان ظهوره للناس لأن الله علم أن المسلم منقاد للقرآن وقد جعل الله هذه الحروف لتكون نورا يستضيء به المسلمون لأنه حكيم ولأنه خبير ولأنه أحكم الآيات ولأنه فصيح ومن تفصيل الآيات أنه أتى بحروف الهجاء التي هي أصول للكلمات فكأن الكلمات فصات الى حروف . وكما أن الحروف أصول الكلمات هكذا العناصر أصول هذه المخلوقات . فلي المسلمين أن يبرعوا في فن التحليل والتركيب في هذه العوالم التي هي مركبات من العناصر كما ركبت الكلمات من الحروف . هذا هو السر الذي أراد الله اظهاره

في هذا الزمان

(س) أرجو أن توضح هذا المقام من وجهين ﴿أولاً﴾ كيف كان الانسان هو الذي يحلل هذه العوالم ﴿ثانياً﴾ كيف تستدل هذا الاستدلال وهل رأيت أحداً من العلماء نحاً نحوك في هذا الاستدلال

(ج) اعلم أن الله وضع هذا الهيكل الانساني بهيئة ناطقة بما يأتي أي ان الجسم الانساني كأنه الآن أمامي بهيئة خطاب من الله للعباد وهذا ما يسمعه قلوب الآن بكلام أفصح من كلام اللسان وأسرع قبولا في الأذهان يقول الله • أي عبادي المسلمين • إن العالم الذي تعيشون فيه خلق لأجل أن تحللوه وتركبوه والا فلا بقاء لكم ولا سعادة في الدنيا ولا الآخرة • أي عبادي المسلمين • ها أنا ذا خلقتكم على الارض وخلقت لكم النبات والحيوان والمعدن فنفس أحدكم واحدة ولكنها لها قوى ظاهرة وأخرى باطنة • فبالقوى الظاهرة التي لنفوسكم حلتم مركبات العالم حولكم • ألم تروا إلى أسماعكم كيف اختصت بعالم الأصوات التي في المادة سواء أكانت حيوانية أم انسانية أم نباتية مرسقية وغير موسيقية • ألم تروا إلى أبصاركم كيف اختصت بالصور والأشكال والألوان والأضواء والحركات والسكنات والأحجام والأشكال والسطوح والقرب والبعد • ألم تروا إلى أذواقكم المثبتة في ألسنتكم كيف اختصت بأن تميز الحلو من الحامض والمالح والحريف والمز والعفص والمر وغير ذلك • ألم تروا إلى حاسة الشم فيكم التي تميز الروائح الخبيثة من الطيبة وإلى حاسة اللمس التي تميز الناعم الملمس من الخشن والحار من البارد والثقيل من الخفيف والصلب من اللين

أي عبادي هذه صفات المادة وهي ست وثلاثون صفة مقسمة على حواسكم الخمس • أنا الذي خلقت لكل امرئ منكم نفساً واحدة وجعلت لها خمس قوى وقسمت المحسوسات على هذه الحواس • أنا الذي خلقت هذه المحسوسات بهذه الحواس فهذا نوع من التحليل الذي أودعته فيكم ولكن أكن أكثركم لا يعلمون إن العالم الذي أتم فيه غليظ ثقيل كثيف فانظروا رجلي أيها المسلمون كيف تلطفت فجعلت حواسكم وأعضاءكم فلطفت هذا الغليظ فصالح لطعامكم ولعالمكم • خلقت الغذاء في أجسامكم حتى استحق أن يلتحق بجسمه أجسامكم وحوّت صور المواد حولكم إلى عقولكم فكانت مواد لها تزيدها ذكاء وفطنة • كل هذا من نوع التحليل • أيها المسلمون فلهذا حرمت أنفسكم من رجلي الواسعة التي وسعت جميع العالمين • ضربت لكم الأمثال بأجسامكم وبعقولكم وأريتكم أني لطفت المادة فصاحت لأغذيتكم وأدويتكم وتعليمكم وأدخلتها في عقولكم فامتزجت صور معانيها بعقولكم كما امتزجت لطائف موادها بأجسامكم • كل هذا أبرزته لكم أيها المسلمون في هياكلكم رجوة بكم وحنانا وسعادة وأنتم أيها المسلمون تصرون على الجهالة فأبرزت ذلك في الحروف التي في أوائل السور لعلمكم تعقلون

يعيش ابن آدم ويموت بل ربما يكون من العلماء وهو لا يدري أني جعلته بطبعه يحلل المخلوقات أمامه بحواسه وهو لا يشعر وأكثر الناس لا يشعرون

أي عبادي المسلمين • ها أنا ذا قسمت المخلوقات حولكم على حواسكم فجعلت الشموس والأقمار والنيران من قسم الحاسة البصرية وجعلت النفثات في الجو من اختصاص الحاسة السمعية وجعلت الحلاوة وماءها كلها من قسم الذوق الذي في ألسنتكم وجعلت رائحة الورد العطرية وضدّها من حاسة الأنف الشمية وجعلت الحرارة والبرودة والنعومة الخ من قسم حاسة اللمس • أليس هذا هو التحليل • لا تقدر حاسة واحدة أن تقوم بهذا كله ففرّقته على الحواس الباطنة

فإذا اجتمعت هذه الصور في عقولكم استخلصت قواكم الباطنة منها صوراً حفظتها عندها فكانت هناك رسوم وأشكال في عقولكم فيها تتصرفون ومعانيها تتغذون كما أنكم بأجسامكم تعيش أبدانكم • فبصور المحسوسات ترتقي العقول وبالتغذي بها تبقى الأجسام

### ﴿ الأغذية والعلوم لايمان إلا بتحليل ﴾

وكأنه سبحانه يقول مخاطبا لنا بهذه البيئة التي نعيش فيها أيضا يقول • أى عبادى هذه الأغذية المحيطة بكم من حيوان ونبات ومعدن بها تعيشون وتتفككون وتتناون وتفرحون وتمرحون وتسرون ولم يتم ذلكم لكم ولن يتم إلا بتحليلها الى أصغر أجزائها • ألا ترون أن الطعام تتناولونه بقواطعكم وأنيابكم وأضراسكم فكل من هذه يعمل في الطعام عمله • فمنها ما هو للقطع كالسكين • ومنها ما هو للتمزيق كالسنان • ومنها ما هو للطحن ثم يتبل الطعام بالريق فيساعد على هضمه ثم ينزل في المعدة فتقابله العصارات المختلفة فتزيد في هضمه أى رجوعه الى مادة أشبه باللبن قد وصلت الى أقصى تحليلها حتى يمكنها أن تتركب مرة أخرى في أجسامكم فتصبح لحما وشحما وظفرا وعظما وكبدًا وقلبا ورئة وكلىة وشعرا ومخا ومخجخا وهكذا فلولا رجوعها الى أدق حالاتها بالتحليل ما أمكن أن يكون هيكلًا عظميا أو وجها جيلا أو شكلًا بهيا عجيبا

أى عبادى المسلمين • هذه أعمالى فى بنيتكم تحليل لغذائكم ثم تركيب لأعضائكم • هذا عملى فى حياتكم وحياة حيوانكم ونباتكم لولا التحليل التام ما كان هذا التركيب الجليل • هذا هو الذى تشاهدون آثاره • هذا عملى فى أجسامكم ويشابهه عملى فى عقولكم فأنتم قد خزتم صور المحسوسات فى عقولكم وربتموها فى نفوسكم • وكما أنى فصلت المحسوسات على حواسكم هكذا صور المحسوسات فى نفوسكم قد قسمتها على قواكم الباطنة • فهذه الصور المرسومة فى عقولكم التى اقتبستموها مما تشاهدون قد جعلت فيكم قوى فى الدماغ منها ما يحلل ويركب لتلك الصور كما تتصورون أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ومنها ما يحلل المعانى ويركبها بقوة عاقلة تتصرف فيها كعلم المنطقى وكتدبير المعاش ومنها قوة تحفظ الصور وأخرى تحفظ المعانى لأجل أن تستحضروا ذلك عند الحاجة اليه وهذا كله تحليل • فهذه المادة لاسلطان لكم عليها إلا بتحليلها إما تحليلًا ماديًا وإما تحليلًا عقليًا والتحليل المادى إما بالحواس الخمس وإما بتحليل الأغذية • والتحليل العقلى بالخيال وبالعقل

أى عبادى المسلمين • هذا هو فعلى فى حياتكم الجسمية والعقلية لاهياة لكم إلا بتحليل الغذاء ولا علم لكم إلا بتحليل المعلومات • هذا حاصل عندكم ولكن أكثركم عنه غافلون • لهذا أنزلت هذه الحروف ان هى إلا تحليل للألفاظ لأرشدكم الى مستقبل أمركم • ان مستقبل الاسلام العلم والحكمة وتفصيل هذه العوالم كما فصلت الآيات • ان مستقبل الأمم جمعاء مرتبط بدراسة نظام هذه الدنيا ولادراسة إلا بتحليل الموجودات المادية والمعنوية • ولا جرم أن الحروف من عالم الكلام وعالم الكلام يكاد يكون وسطا بين عالم الحس وعالم العقل وان كان هو من أعراض المادة ولكنه لطيف يقرب فى لطفه من عالم الضوء الذى يقرب من الأثير فيكون تحليل الكلمات الى الحروف رمزًا الى دراسة هذه الدنيا كلها دراسة تامة ترجع الأشياء الى أصلها كما رجع الطعام الى مادته فى أجسامنا وكذلك المعقولات فى عقولنا حلت هكذا فليكن مستقبل الاسلام وهو النظر فى ملكوت السموات والأرض ولكنه نظر يقينى ولا يقين إلا بتحليل العلوم تحليلًا تامًا • انتهى

ولقد ظهر أن هذا العصر عصر الكيمياء فيها تقدمت الزراعة والصناعة والطب وجميع مرافق الحياة فالكيمياء الآن عليها مدار الحياة • وناهيك مافى هذا التفسير من خبر كشف استخراج السكر من نشارة الخشب ومن النرة • وكذلك كشف أن الفحم يقرب فى تركيبه من البترول وأن كلا منهما يحتوى على كربون وعلى أ كسوجين بمقادير مختلفة وأنهم يجتهدون فى أن يجعلوا مقدار الاكسوجين فى الفحم مساويا له فى البترول فيحول الفحم الى بترول وحينئذ يصبح فى العالم قوة جديدة لا يستهان بها • ويظن قوم أن الناس سيجدون حتى يخترعوا قوتنا كما نشاهد من أضعف المواد المخالفة • هذا فعل الكيمياء فى وقتنا



الحاضر فهي قوام المدنية الحاضرة

هذا هو الذي يرمى اليه القرآن . هذا هو بعض السر في ذكر هذه الحروف في أول السورة وهذا هو بعض الحكمة التي ذكرها القرآن وهذا هو الزمان الذي ناسب ظهور هذه العلوم فيه . فاذن هذه الحروف خزنت في القرآن لأجل هذا الزمان حفظناها وحفظها من قبلنا لتوصلها لمن بعدنا مع مقصودها وهو حوز جميع العلوم وما العلوم إلا بعد التحليل والتحليل هو الذي أتت به الحروف فقل ماتشاء في العلوم وفش فانك لا ترى علما إلا فيه تحايل فتركيب ولا تركيب إلا بعد التحليل التام وأخصها فن الكيمياء

إن المخلوقات التي حولنا ونعيش بها ماديا وعقليا كلها ترجع لهذا المعنى . نحن نأكل النبات والحيوان فنتغذى بمادتهما ونحلل أجزاءهما وتركيبها ونقتنى صورها في عقولنا ونحللها وتركيبها وهكذا نفعل في المعاني وذلك لتغذية عقولنا وترانا نذكر الثور والأسد في كيلة ودمنة وابن آوى ونشخيل حيل ابن آوى وضحكه على الأسد وعلى الثور حتى أوقع بينهما العداوة فافترس الأسد الثور ثم ندم ثم حاكم ابن آوى فقتله بالجريمة السياسية . وترانا نتخيل الحمام وهو يتخلص من شبكة القانص كأهل مدينة واحدة متحدين

وكذلك نرى الغراب والسلحفاة والظبي وماشا كلها قد اجتمعت وهي طوائف متنافرة لمصلحة وهكذا نرى السنور والفأر لما فاجأهما عدو لهما أخذ الفأر يقرض قيود السنور ولم يأمن لعدوه القديم وهو السنور وأبقى بعض طيات الحبل فلم يقطعها حتى اقترب الصياد خيفة أن يفترسه القط

وهكذا تخيلنا وتصورنا صوراً شتى في الحيوانات كبن عرس والناسك الذي رجع فوجد ابن عرس قد قتل الثعبان الذي أراد أن يفتك بابن الناسك فظن حياقة أن ابن عرس قتل ابنه هو فجعل بقتله ثم تبين له أنه أخطأ لأن ابن عرس حافظ على ابنه فندم ندما شديداً وهكذا من الحكم التي لاحظها الانسان وتخيلها ووضعها على ألسنة الحيوانات . كل ذلك لصفاء ذهنه وذكاء عقله وجودة قريحته . وكل ذلك لم يخرج عن كونه تحليلاً وتركيباً والتحليل هو الوارد في الحروف التي في أوائل سور القرآن وأعقبها الله بذكر الحكمة والتفصيل والحكمة والتفصيل ظاهران واضحان في هذا الوجود المحسوس والمعقول

أنزل الله القرآن وقال انه أحكمه الخ ومعالم أن الكلام اسم وفعل وحرف والاسم والفعل كلمتان دلنا على معنى والحرف كلمة تدل على معنى في نفسها . أما هذه الحروف التي في أول السور فهي حروف لا معنى لها في نفسها ولا في غيرها فأين هي من الحكمة وهي قد نزلت في كتاب مقدس أنزله الله والكتب السماوية تكون اشارتها أبلغ من عبارة غيرها

﴿ أبو بكر الصديق والشافعي وكيف استنتجنا من القرآن . تفتن الصحابة والمجاهدون لأمثال هذا المقام ﴾  
إن القرآن كتاب مقدس والكتب المقدسة شريفة المعزى ولكل حرف ولكل كلمة ولكل آية منها سر يلاحظ ويعلم . وإذا كان الأمراء والملوك ورؤساء الجمهوريات في وقتنا متى جاء دورهم في القول ونطقوا بحكمة تحركت الأسلاك البرقية برا وبحرا ونشروها في أقطار الأرض وشرحوها شروحا وبحثوا ودققوا واستنتجوا وأخذوا بمنطوقها ومفهومها ومقدمها ومؤخرها وألفوا عليها ما يحمله بعيران وثلاثة إذا جمع ما كتب في الأمم كلها فما بالك بمن هو الذي خلق الدول والأمم كلها . فإذا نقول في كلامه . فاذن لنا الحق أن نوضح ونستنتج ونفهم ونقول لم جاء بهذه الحروف التي لا معنى لها في أوائل السور بل نقول كيف يفاجئنا الله هكذا في أول سورنا القرآنية بهذه الحروف وهي التي لا معنى لها ثم نسمعه يقول لنا بعدها إن هذا الكتاب أحكم آياته وفصلت ويقول انها من لدن حكيم خبير . كل هذا ليفتح لنا الطريق . ناهيك ما استنتج أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه استنتج من شيء ليس بحرف ولا صوت ولا فعل ولا اسم بل هو استنتج من تقديم كلمة على أخرى فقط . وماذا استنتج منها . استنتج منها الدولة الأموية والدولة العباسية .

استنتج منها دولا وممالك وملوكا . لولا هذا الاستنتاج لم تكن تلك الدول ولا أولئك الملوك في الأندلس وفي الشرق . ألم ترالى ماورد أنه رضى الله عنه لما وقف في سقيفة بني ساعدة وخطب أيام وفاة النبي ﷺ والأنصار يقولون ﴿ منأمر ومنكم أمير ﴾ قال لهم قولا أفنعمهم . وماذا قال . قال ان الله قدم المهاجرين على الأنصار فنحن الأمراء وأتم الوزراء . فلما قالها طأطأت الرؤس وخشعت القلوب وخضعت الأعناق ورضى الأنصار بخلافة قريش ولم يعارضوهم . لماذا هذا كله لأمر معنوى هو تقديم وتأخير . قدم الله كلمة على أخرى فأذلت وأعزت وجعلت دولا وملوكا في قوم وحرمت آخرين في زمن ألف وثلاثمائة سنة أى ١٣ قرنا . كل هذا لتقديم كلمة على أخرى . وترى الامام الشافعى اعتبر هذا في الوضوء فأوجب الترتيب في أعضائه . لماذا . لأن الله رتب فقدم عضوا على آخر . فلذلك يجب علينا تقديمه في وضوئنا . فاذا كانت هذه حال الصحابة والمجاهدين قبلنا فالأمر هنا أهم وأعظم ذلك ليس تقديما ولا تأخيرا بل هو اثبات لأمر عجيبة مكررة في (٢٩) سورة وهي حروف تبلغ نصف الحروف الهجائية وقد كررت في أول القرآن ووسطه وآخره فهذا أمر عظيم أعظم ألف مرة من تقديم أو تأخير بل هذا أمر أعظم فكيف يأتى في القرآن إلا لغاية أعظم وأعظم . إن الغاية والسر قد ظهرا في زماننا . فاذا كان تقديم المهاجرين على الأنصار أنام دولا وأقام دولا فهكذا فليكن ما هو أهم وأعظم وهي هذه الحروف القرآنية المفرقة لا يفاظ المسامين في آلاف السنين الآتية لدراسة جميع العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والنفسية والعقلية والنقاية . ذلك هو السر المخزون والجوهر المكنون خزنه الله في القرآن لأهل هذا الزمان

(س) هل تريد أن الانسان منا يعرف جميع العلوم

(ج) كلا لقد ضرب الله لنا المثل بأنفسنا فلكل امرئ منا نفس واحدة وقد قسمت العلوم بالمحسوسات على حواس متعددة . فهكذا فلتكن الآية مخصص نواب الأمة أورئيس الجهورا والملك كل طائفة من الأمة لعلم من العلوم خاصة أو لصناعة . وهذا هو المسمى فروض كفايات فكما قام السمع بالأصوات والبصر بالصور والأشكال الخ وكان في ذلك مصلحة جميع الجسم هكذا تكون الأمة

(س) ان أوروبا قامت بهذا العمل كما طلبه الله في القرآن وأبرزه في هذه الحروف

(ج) أوروبا فعلت ذلك بعقولها ونعم ما فعلوا أما المسلمون فقد أناموا عقولهم وجهلوا دينهم وها هو ذا الآن قد ظهر سره وسيطلع على هذا السر المسلمون في هذا التفسير وفي غيره ويقرؤون العلوم معقولة ومنقولة ويقومون بدورهم في الحياة ويعرفون علوم الأنفس وعلوم الآفاق والحمد لله رب العالمين اه

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها

ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾

اعلم أن القرآن أصبح اليوم مفسرا بالعلوم التي عرفها الناس شرقا وغربا . وأن العلماء في أوروبا قد تبصروا في علم الحيوان فلما اطلعوا على ما كتبوه في كتبهم وما ترجم عنهم ألفينا هذه العلوم كلها مقصود القرآن فقل لى رعاك الله . يقول الله في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - وهنا يقول إنه - يعلم مستقرها ومستودعها - ويقول عليه رزقها ويقول إن ذلك كله في كتاب مبين . واذا كان الكتاب الذى فيه رزق الحيوان ومستقره ومستودعه مبينا فان الحيوان يسير على نهج قويم تبع للكتاب الذى ينت فيه أعماله . ولقد ذكرت حوادث عجيبة للحيوان في سورة الأنعام في المجلد الرابع فارجم اليها ان شئت . وههنا أذكر حوادث حيوانية أخرى تعرفنا كيف كان ذلك في كتاب مبين وكيف كانت هذه كلها أمما منتظمة المستقر والمستودع كما سترى في سورة النور عند ذكر الطير هناك أن لها رحلة الشتاء ورحلة الصيف كالتى تكون من أواسط أفريقيا الى بلاد الانجليز في فصل من السنة

وهكذا طيور أوروبا تأتي إلى مصر وتونس والجزائر وهو أمر عجب يستأد هناك مفصلاً وهكذا النحل والنمل والعنكبوت وعجائبها كل في سورتها فانتظره واقراً وارق لتسكون عليها حكماً . فهالك ما أذكره لك من عجائب الحيوان ومستقره ومستودعه

### ﴿ العجبة الأولى قضايا الطير وأحكامها ﴾

اعلم أن الناس في عصرنا الحاضر أدركوا أن للحيوان أدواً خاصاً وتديراً محكماً على قدره فقد رأوا أولاً أن الطير قد تقيم المحاكم وتتجاسر كما للبشر فيها ما يشاهد في الغربان ذات القنازع التي تكون بجزائر (شتلندا) فهذه تجتمع في حقل أو على تلّ وينتظر بعضها بعضاً يومين أو أكثر عند توانيه عن الحضور حتى تجتمع كلها معاً ثم تفرد اثنين أو أكثر منها جانباً وتقيم عليها غرباناً تحرسها فتدفعها من الفرار ويشرع ما بقي في النعيق والنعيب جماعات أو كلها معاً مدة من الزمان ثم تهجم على المحجور عليها هجمة واحدة ولا تزال تنقدها وتنقرها بمناقيرها حتى تمزقها كل ممزق ويمضي كل منها بعد ذلك في السبيل الذي جاء منه . فالمحجور عليها بمثابة المجرمين والحارسة لها بمثابة الحرس والجماعات الناعبة والناعقة بمثابة القداسة والمحامين والمنفذين للأحكام . ولذلك زعم المشاهدون لهذه الأفعال أن غربان (شتلندا) تقيم المحاكم وتتجاسر كما للبشر (٢) ومنها ما شاهدته القس (أدمند فقس) في غربان بلاد الانكليز المعروفة بالغدغان قال كنت يوماً راكباً جوادى فسمعت نعيماً شديداً ملاً الآفاق فالتفت وإذا غدغان كثيرة في حقل فدنوت منها ووقفت حيث أراها ولا تراني وجعلت أراقبها فإذا هي منتظمة في حلقتين حول غدغان في الوسط وكلها تنعق وتصفق بأجنحتها شديداً كأنها تنقد غيظاً وتهيج انتقاماً والغدغان الذي في وسطها ينهق ويصفق مشاهداً ويقاومها ويخاصمها والحراس تطير هنا وهناك كأنها لا تنبئ إلى ما حولها لا اشتغالها بما هو دائر بين رفقاءها ولذلك لم ترني ولم تنذر بالخطر بجاري عاديها . وبعد هنيهة تغيرت أحوال الغدغان الذي في الوسط بغتة فنكس رأسه وخفض جناحه وأقل من النعيب كأنه أقرّ بذنبه فجعل يطلب الصفح عنه وحينئذ وثب عليه غدغان الحلقة الداخلية ومزقته بمناقيرها ثم يقاومون النعيب شديداً وطار بعضها بعيداً وبعضها قريباً اهـ

والغدغان مشهور بالسرقة والاختلاس فتسوط صغاره على عشاش كباره وتسرق ما فيها من دقاق الحطب وتبني عشاشها بها تخفيفاً لمشقة جمعها عنها ولكنها لا تفعل ذلك إلا إذا كانت الكبار غائبة عن أعشاشها فلا تراها . ثم متى عادت ووجدت أعشاشها مسروقة لا تزال تبحث عن السارق حتى تعرفه فتشكو أمرها إلى جماعة الغدغان فتبعث ثمانية أو عشرة منها إلى عش السارق فتخربه ولا تبقى له أثراً

(٣) حكى بعض المصعدين في جبال (البيا) قال كنت يوماً أصعد في جبل من جبال سويسرا فأثبت مطمئناً من الأرض قد أحقق فيه ستون أو سبعون غراباً بغراب واحد وكثرت من النعيق والتصفيق كأنها تتشاور في أمره وكانت تصمت أحياناً فيبتدىء هو بالنعيق والتصفيق كأنه يدافع عن نفسه دفاع المتهمين أمام المحاكمين . ولا يزال يفعل ذلك حتى تعود جماعة الغربان إلى الصياح والغوغاء ويضيع صوته بين أصواتها فيصمت . واستمرت على تلك الحال مدة . وكأنها رأت ثبوت التهمة عليه فأعملت فيه مناقيرها حتى قتلت ومزقته إرباً إرباً ثم طارت وتفرقت وغابت عن الأبصار . وهل هذا إلا كونها أمثالنا وقد علم خالقها مستقرها ومستودعها

(٤) ومن ذلك ما يشاهد في العصافير وهو أنه إذا تشاجر اثنان منها يذهب أحدهما إلى جماعة العصافير ثم يأتي أربعة أو خمسة منها وتنقض على المعتدى وتبادره بالنقد وهي تتواقع بعضها على بعض حتى ينال منها كفاً . وكأن جماعة العصافير تصفح عنه بعد ذلك فتعامله معاملة من لم يرتكب ذنباً وحكى الأب بوجان الفرنسي أن خطافاً بنى عشاً فراه عصفور فدخل إليه وامتنع فيه عليه فاستغاث



الخطاف برفاقه فجاءت مئات وحاولت اخراج العصفور منه فلم تستطع لأنه كان محوطا بالقش من كل جانب وكان ينقد التي تهاجمه من الباب نقدا شديدا فيصدها ويطردها مولولة من الألم . ولما أعيانها أمره رجعت عنه وظن الناظرون أن العصفور قوى عليها ولكنها ما غابت حتى رجعت والطين ملأ أفواهها فهجمت على المنفذ وسدته بالطين لتقتل العصفور داخله خنقا جزاء اعتدائه ذلك لأنها أم أمثالنا علم الله مستقرها ومستودعها (٥) ومنها مارواه المرسل الفرنسي لا كروى عن السبيطر وهو أنه كان يوما راكبا قاربا فرأى جماعة من طائر (السبيطر) المعروف (بمالك الحزين) ترعى في الماء الضحاضح فقاربها محاذرا لأنها شديدة النفرة والاجفال واختبأ وراء شجرة بحيث يراها ولا تراه . والذي نبه اليها شدة لغوها ولغظها فلما وقف لمراقبتها سكنت وأحدقت بسبيطر منها من كل جانب ووقف السبيطر بين يدي حرا كما ثم عادت الى ما كانت عليه من اللغظ واللغو وبقيت كذلك مدة ثم سكنت فجأة ووثبت عليه وما زالت تنقره حتى قتلت . قال لا كروى المذكور وكل من رأى ما رأيت يحكم أن السبيطر المقتول تمذى شريعة جماعته فحكمت عليه بالقتل وقتلته (٦) وروى الكتاب عن (اللقاق) روايات كثيرة تؤيد ما ذكرنا وتدل على أن (اللقاق) شديد الأنفة والغيرة على عرضه . من ذلك أن جراحا فرنسويا مقبلا في أزير رغب في الحصول على لقلق رغبة شديدة فلم يحصل عليه واتفق أنه عثر على عش لقلقين فاختلس بيضهما منه وأبدله ببيض السجاج . ولما أفرخ البيض اذا الفراخ كلها دجاج لا لقلقين فغاب الذكر ثلاثة أيام ثم عاد ومعه لقالق كثيرة فنزلت كلها وأحاطت بالأنثى وجعلت تلتلق وتلغظ شديدا ثم وثبت عليها ومزقتها تمزيقا وطارت ولم يبق في العش حتى

ومن ذلك مارواه المطران ستنلى الانكليزي عن لقلقين في جوار مدينة (برلين) وهما بنيا عشهما على مدخنة بيت فطالع صاحب البيت يوما ووجد فيه بيضة فأخذها وورضع بيضة أوز مكانها ولم يشعر بها ثم أفرخت البيضة أوزة فلما رآها الذكر طار وحلق فوق العش وهو يلقق شديدا حتى غاب عن الأبصار وبقيت الأنثى في مكانها تربي فرخ الأوز كأنه فرخها . وبعد أيام سمع أصحاب البيت لغطا شديدا في حقل بجانبهم فنظروا واذا جماعة من اللقالق قد اجتمعت معا وأخذت تلتلق شديدا حتى سدت أصواتها الفضاء ثم صمتت ووقفت لقلق على عشرين ذراعا منها وجعل يصوت كأنه يخاطبها ثم عاد ووقف آخر مكانه ولقالق لرفاقه كالأول وما زالت تفعل ذلك حتى قارب الزوال ثم طارت كلها معا طالبة العش وأمامها دليل منها هو صاحب العش وكانت أثناء ملازمة عشها وهي خائفة خوفا شديدا ولا تبدي حركة فلما دنا منها دفعها دفعا عنيفا حتى أخرجها من العش ثم انقضت اللقالق عليها ومزقتها ومزقت فرخ الأوز معها وأخربت العش وطارت

وروى (القس موريس) أن بعضهم أبدل بيض اللقالق ببيض السجاج في عش والآخر لا تدري ذلك فلما فرخ البيض ورأى اللقلقان أن الفراخ فراخ دجاج اغتازا ومزقا الفراخ بمنقاريهما

وحكى آخر أن رجلا أتى بلقلق ووضع مع آخر داجن في بيته فقام الداجن على رفيقه ونقده نقدا مؤلما حتى اضطره الى الفرار وهو على آخر رمق وبعد أربعة أشهر عاد ومعه ثلاثة غيره فهجمت على اللقلق الداجن وما زالت تنقره حتى أهلكته انتقاما وهذا كله تفسير للقرآن وبيان المستقر والمستودع وأنها أم أمثالنا

(٧) إن الذي يراقب طبائع الحيوان الأعجم يحكم أنه يدرك وجوده حق الإدراك وما يترتب على ذلك الإدراك أيضا . أنظر الى الكلب مثلا تر من أفعاله وظواهره أنه عالم بوجود نفسه . طرح له عظمة ينهشها فتعلم أنه يدرك حقوقه ويدافع عنها . راقبه جروا ابن سنة أو سنتين يلعب مع ولد ابن أربع سنوات أو خمس تعلم أنهما كليهما ينشراحان باللهب ويفهم أحدهما الآخر فوجدان أحدهما مشابه لوجدان الآخر . وراقبه بالغنا يذنب للصيد مع صاحبه فتجد أنه يفهم ما يجب عليه فعلة ويفعل ذلك الواجب كما يفعله الصياد صاحبه فيصيد كما يصيد ويفرح عند الفوز بالطريدة ويغتاز عند الفشل كما هي الحال مع صاحبه

إن الكلب لا يستطيع أن يحول انتباهه للبحث عن قوى عقله والنظر في أفعالها وأن يكشف الشرائع التي هي خاضعة لها إلى غير ذلك من مباحث الفلاسفة وعقلاء الناس ولكن ذلك لا يستطيعه الأولاد الصغار أيضا وربما عجز عنه أكثر العامة الذين لا يهتمهم إلا ملاحظة ماحولهم ولا يلتفتون إلى الكليات والبحث عن أفعال عقولهم . فعقل الكلب كما قيل مناسب لحاله كما أن عقل الطفل مناسب لحاله . ولا يمكن أن يعقل الطفل عقل الفيلسوف الكبير مالم يخرج عن الطفولية . وكذلك لا يعقل الكلب عقل الفيلسوف مالم يخرج عن الكلبية . فالتفاوت في العقل بين البالغ والطفل والكلب تفاوت في الدرجة فقط ولا يستدل منه على أن عقل الانسان نوع وعقل الكلب نوع آخر أو على أن الوجدان خاص بالانسان دون غيره من الحيوان (٨) قد اشتهر الكلب بالأمانة والوفاء وهما من أجل الصفات وقد ثبت بالتجربة والملاحظة أن الأصناف العليا من الكلاب متصفة بأوصاف أخرى أدبية فكلاب (نيوفونديندا) التي تنتشل الغرقى . وكلاب (سان برنار) التي تنبش الناس من تحت الثلوج متصفة بعزة النفس فلا يمكن أن تقبل رشوة ولا أن تسرق شيئا ليس لها وهي تموت حبا بالوفاء فتبذل حياتها دون وديعة أودعتها والحراس التي تقيمها أسراب الوحش والطير لتحرسها من قدوم مفاجئ عاينها تثبت في أماكنها وتفدى رفاقها بأرواحها وتلك صفة من أجل الصفات الأدبية

(٩) إن أنثى الوحش والطير تصبر على الجوع والعطش والألم لتطعم صغارها وتسقيها وتنجبها من الأوجاع فلولا تمكن تستطيع ضبط أهوائها وشهواتها ما فعلت ذلك . وأسراب القردة والفيلة وبقر الوحش والوعول والطيور القواطع ونحوها يتسلط بعضها على بعض ويخضع بعضها لبعض . وكلب الراعي يتسلط على الغنم وقد يسوسها كصاحبه وهي تنقاد له انقيادها للراعي . ومتى انقضت القردة على نهب حقل من الحقول يتقدمها كبيرها دليلا فيمشي على رجله منتصبا ويتعزز على عصا بيديه وهو يتلفت يمينا ويسارا حذرا من عدو يفاجئها وهي تتبعه دابة على الأربع متحذرة حتى تصل إلى الحقل ثم يقيم الدليل حراسا منها على أطراف الحقل فتقف تحرس ولا تمت يدها إلى ما أمامها وتتفرق البقية في الحقل فتعيث فيه وتمرح وتأكل حتى تشبع ثم يقطف كل منها سنبلتين أو ثلاثا ويحملها للحراس فتأكلها متى رجعت إلى مخبئها

(١٠) الطائر الذي يبني عشه في مكان ظليل يتساقط على الطبيعة وحرها ويردها كالبناء الذي يبني القصور الباذخة . وكل باني وكر وقاطن وجر يسود على الطبيعة في ذلك لأنه يتخذها لاتمام حاجته وقضاء أغراضه وكل صائد وقانص من الوحش والطير يصيد ويقنص ويطعم صغاره باستخدام الطبيعة إذ لا تأنيه الطرائد عفوا وكل من راقب أفعال الحيوان لا يسهه إلا الاقرار بأنه يستخدم الطبيعة على قدر حاجته أيضا . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وكان عرشه على الماء - ﴾

لقد تقدم الكلام على هذه الآية بما يشرح صدور الحكماء ويمزج العلم بالدين والحكمة بالقرآن وهناك قد تجلّى من المعاني ما يهبر الأبصار ويشرح الصدور وفسرت هذه الآية بآيات أخرى في القرآن ولأذكر لك هنا وجه آخر لتفسيرها موافقا للذي ذكرناه مشهورا \* روى عن رزين العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمام مافوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء . أخرجه الترمذي . والعنى مقصورا معناه لا شيء ثابت لأنه مما عني عن الخلق لكونه غير شيء فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أي ليس فوق العنى الذي هو لا شيء موجود هواء ولا تحته هواء لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه

والعماء بالمد السحاب الرقيق وهو حق أيضا فان العوالم المحيطة بنا كانت كالبخار المنتشر الذي يدور ويجري كما في آية أخرى - ثم استوى الى السماء وهي دخان - ثم تكونت الشمس والسيارات والأقمار . فالمراد بالسحاب الرقيق على هذه الرواية انما هو عالم الشمس قبل تكوينها وقد تقدم في تفسير البقرة أن علماء الفلك رصدوا الآن ستين ألف سديم في حال التكون الآن تدور حول نفسها كما كانت شمسنا قبل تكوينها وتنام حاليها ثم هذه الستون ألفا بعد آلاف الآلاف من السنين ستكون شمسنا كشمسنا ولها أقمار توابع لسياراتها وسيارات كما حصل لأرضنا إذ كانت قديما كذلك فكانت كالسخان المنتشر وهي دائرة ثم تقلصت بعد آلاف الآلاف من السنين حتى صارت على ما هي عليه وهي الآن تتناقص وبعد آلاف الآلاف تخرب أرضنا ثم أخواتها السيارات ثم أمهق الشمس وهذا كله سر قوله في الحديث **﴿**كان ربنا في عمام قبل خلق السموات والأرض **﴾** أي كان مدبرا للسحاب عاليا عليه لا انه كان فيه كما في قوله - ولأصلبكم في جذوع النخل - يعني على جذوعها وهذا أبلغ في التمكن فالله تعالى متمكن من هذا السحاب أي البخار المنتشر يتصرف فيه ويدبره وينظمه تنظما محكما ويجعله سموات وأرضين ويخلق فيه مخلوقات عظيمة \* قال أبو بكر البيهقي (على المعنى الأول) في كتاب الأسماء والصفات له وقوله **﴿**كان الله ولم يكن شئ قبلة **﴾** يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله (وكان عرشه على الماء) يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شئ . انتهى

فتعجب كيف ورد الحديث بالمد والقصر على اختلاف الروايتين . فاحداهما ذكر فيها أن لا شئ مع الله والثانية أن الله كان مدبرا للسحاب . فاذا لاحظنا أن عالمنا لم يكن موجودا البتة فهناك العماء وهو العلم المحض . واذا لاحظنا أن عالمنا كان بخارا منتشرا بعد انعدامه فهناك تدير في ذلك البخار حتى يصير شمسنا ثم يتم الخلق ويكون على مقتضى العلم . وهذا هو قوله - وكان عرشه على الماء - فالعدم ثم السخان ثم خلق العالم على مقتضى العلم وهو المقصود بقوله - وكان عرشه على الماء - ولا يزال كذلك كقوله - وكان الله غفورا رحما -

فتعجب كيف يطابق الحديث ما جاء في علوم العصر الحاضر وأن العالم كان بخارا وأن هذا أمر مقرر في العلوم الحديثة ثم كيف كان هذا العالم الذي نحن فيه منظما على مقتضى العلم . وتعجب كيف اتضح معنى كون العرش على الماء بعد ذلك . ولا يتم لك فهم هذا المقام إلا اذا قرأت ما جاء في سورة يونس في مسألة العرش وهناك ترى العجب العجيب وحكمة الله في القرآن وجمال التعبير وحسن التنسيق . فما أجل العلم وما أبهج الحكمة اذا ازدانت بالدين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى القسم الأول

### ( القسم الثاني )

وَلَيْتَ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَلَيْتَ أَخْرَجْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* وَلَيْتَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ \* وَلَيْتَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ \* إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ \*



فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ  
جَاءَ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ  
سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ  
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* مَنْ  
كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ \* أُولَئِكَ  
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أَفَنْ  
كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ  
يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ  
\* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ \* أُولَئِكَ لَمْ  
يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ  
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ  
كَأَلَا عَمِيٍّ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \*

(التفسير المفطى)

قال تعالى (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت) أى ولئن قلت يا محمد ذلك هؤلاء الكفار  
(ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنى القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة)  
يعنى الى أجل محدود \* وأصل الأمة فى اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه الى انقراض أمة ومجيء  
أمة أخرى (ليقولن ما يحبس) أى أى شئ يحبس العذاب وذلك منهم استهزاء يعنون أنه ليس بشئ (ألا يوم  
يأتيهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى ونزل  
بهم وبال استهزأهم (ولئن أذقنا الانسان منارحة) رخاء وسعة فى الرزق والعيش و بسطنا له الدنيا (ثم  
نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته (إنه ليؤس) يعنى يظل قانطا من رحمة  
الله آيسا من كل خير (كفور) أى جحود لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر لله بل مبالغ فى كفران ما سلف  
له من النعمة \* قال بعضهم (يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا

تجدها فان نزلت عنك فينبغي لك أن تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العود على عباده بالخير ثم قال تعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) أي ولئن أنعمنا على الانسان وبسطنا له العيش بعد الضيق والضنك (ليقولن ذهب السيأت عني) أي المصائب التي ساءتني (إنه لفرح) يطر بالنعم مغتر بها (نفور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها . وانما عبر بالمش والاذاقة ليبين أن الانسان ييأس ويفخر لأدنى ضر وأدنى نعمة ويشير الى أن نعم الدنيا ونقمها قليلة بالنسبة لما في الآخرة . ثم استثنى من نوع الانسان من صبروا على الضراء إيماناً بالله واحتساباً وثقة بعدله ورحمته وانهم بالضراء يرتقون عنده فقال (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) شكراً للنعم التي ذاقوها في حالة السراء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) وذلك كمقوله تعالى - والعصر \* إن الانسان لفي خسر \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - وقوله - إن الانسان خلق هلوفاً - ثم فسره فقال - اذا مسه الشر جزوعاً \* واذا مسه الخير منوعاً \* إلا المصلين الخ - وهذا المقام قد استوفيته في سورة البقرة فارجع اليه إن شئت . ولما كان ﷺ كاملاً والسكامل ينال أعلى الخصال فيصبر على الضراء نبه الله على ذلك تعليماً لأئمة أن يصبروا على الضراء كما صبر النبي ﷺ على المستهزئين الذين اذا تلا عليهم القرآن قالوا له هلا أنزل عليك كنز لتنفق منه على الأتباع كالمملوك وهلا جاء معك ملك يصدقك وهذا تضيق منه الصدور ويبعث على كتمان بعض القول حتى لا يصاب صاحبه بمكروه وهذه الحال جملة في النوع الانساني لأنه يائس اذا مسه الضر وهذا ضر عظيم \* قال العلماء ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعوه اليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو هنا عصمة الرسل من الخيانة في الوحي قال تعالى (فاعلمك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز أو جاء معه ملك) يقول الله ان هذه الحال تدعو الى كتمان الوحي وضيق الصدر فان الاستهزاء وما أشبهه يدعو لذلك ولكن العصمة النبوية منعت من الخصلة الانسانية العامة وذلك تعليم لجميع أهل العلم في الأمة الاسلامية أن يصبروا كما صبر رسول الله ﷺ وأن لا ييأسوا من روح الله وانهم مستمدون من هذه الروح الشريفة فليصبروا كما صبر الأنبياء وخاتمهم نبينا ﷺ ليكونوا ممن استثناهم الله في هذه الآية إذ قال - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير - ثم قال الله له (انما أنت نذير) أي ليس عليك إلا الانذار بما أوحى اليك فسواء ردوا عليك أو اقترحوا فأمرهم هين فبالك يضيق صدرك وكيف يضيق وأنت قد أدت ماوجب عليك من التبليغ فليس عليك هداهم وقد أمرت بصبرك على أذاهم (والله على كل شئ وكيل) فهو يحفظ ما يقولون ويفعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أسرك اليه فما عليك إلا البلاغ بصبر منشرح فلا تنفث الى استكبارهم ولا مبالاة بسفاههم واستهزائهم (أم يقولون افتراه) أم منقطعة والهاء ضمير راجع لما يوحى اليك (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) كما افتريت أنا بزعمكم هذا القرآن وأنتم عرب مثلي وفيكم النصحاء والباطلاء والشعراء فاذا افتريت هذا القرآن فافتروا عشر سور مثله وأظهروا فصاحتكم وبلاغتكم وقد تحداهم في سورة يونس بسورة واحدة في الاخبار بالغيب والوعيد والأحكام وما أشبه ذلك لأن الفصاحة والبلاغة بدون ما ذكر أسهل . أما الوعد والوعيد والأحكام والاخبار بالغيب فهي دقيقة المعاني تحتاج الى عقول أنفج ونفوس أكمل حتى تقبل النفوس على آرائها وشتان ما بين النائجة والشكلى

فأين الثريا وأين الثرى \* وأين مساوية من على

فاما تحداهم بهذا الكلام أمره أن يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (إن كنتم صادقين) في قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) بائيان مادعوتهم اليه والخطاب للنبي ﷺ وأصحابه لأنهم كانوا يشاركونه في التحدي الذي يثبت يقينهم ويكمل إيمانهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا

أما أنزل بعلم الله ملتبساً بما لا يعمله إلا الله ولا يقدر عليه إلا هو (وأن لا إله إلا هو) أى واعلموا أن لا إله إلا هو فأما تلك الأصنام فليست بألهة فهي عاجزة عن كل شئ . وفى هذا تهديد واقنط لهم من أن تجبرهم آلهتهم من بأس الله إذا جاءهم ودلالة على وجود الله ووحدانيته بصدق هذا الكلام الثابت بعجزهم عن الاتيان بعشر سور مثله فى البلاغة بل بسورة واحدة فى الأحكام ونحوها . ولما كان هذا الكلام برهاناً على صدق النبوة ووحدانية الله رتب عليه قوله (فهل أأنتم مسلمون) الخطاب للمسلمين أيضاً أى فهل أأنتم ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون إذ تحقق عندكم اعجازه كأنه قيل أسلموا وأخلصوا لله العبادة . ولما كان الكفر مع وضوح الحجة وظهور المحجة وبيان عجزهم الظاهر من عدم اتيانهم بعشر سور مثله مفتريات كما يزعمون مزرياً بالقوة العقلية موقعا فى الرياء والتظاهر بخلاف الواقع ناسب أن يؤتى بعدها بما ينفر النفوس من الرياء فوصف المرائين بخمسة أوصاف (الأول) أنهم يوفون أجورهم على أعمال البر فى الدنيا بالصحة والعافية والرزق وما أشبه ذلك (الثانى) أنهم لا يبخلون أى لا ينقصون من أجور أعمالهم فى الدنيا (الثالث) أنهم ليس لهم فى الآخرة إلا النار (الرابع) أنهم فى الآخرة حبط ماصنعوه فليس لهم عليه ثواب (الخامس) أن عملهم فى نفسه باطل فترتب على بطلانه ما تقدم فى الرابع مع عدم الثواب عليه وهذا هو قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعنى بعمله الذى يعمل به من أعمال البر والطاعات والصدقات كأن يظهر الانسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أولي معتقدوا فيه الصلاح أولي قصدوه بالعطاء وكاوائك المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم ولا يريدون ثواب الآخرة وكالذين يتعلمون العلم لغير الله تعالى (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وندفع عنهم المكاره (وهم فيها لا يبخلون) لا ينقصون شيئاً من أجورهم وذلك القول فى أهل الرياء والمنافقين والكفرة (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار) فى مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت النيات السيئة فيستوفونها فى النار . فأما الكافر والمنافق فلهما التأييد . وأما المؤمن فالعذاب منقطع بعد أجل محدود (وحبط ماصنعوا فيها) أى لم يبق لهم ثواب فى الآخرة لأن الثواب على الاخلاص وهؤلاء لا اخلاص عندهم (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لأنه لم يعمل على ما ينبغى وبطلان العمل ترتب عليه عدم الثواب وعدم الثواب ألزمهم النار فالجلة الأخيرة علة لما قبلها وهى علة لما قبلها فافهم . ولما كان ما تقدم رافعا لشأن المخلصين فى أعمالهم واضحا لشأن المرائين أردفه بما يفيد أنه لا تقارب بين الطائفتين تأكيذاً لما تقدمه فقال أتجعلون الفريقين فى منزلة واحدة فمن كان على بينة من ربه كمحمد ﷺ ومؤمنى أهل الكتاب وكل مؤمن مخلص مكن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . إن بين الفريقين تباعداً وتبايناً فالهمزة للإنكار (على بينة من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه شاهد منه) أى ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه ومن قبله كتاب موسى) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة حال كونه أى كتاب موسى (اماماً) كتاباً مؤتمراً به فى الدين قدوة فيه وحال كونه (رجة) أى نعمة عظيمة على المنزل اليهم لأنهم به يفوزون فى الدار الآخرة (أولئك) أى من كان على بينة من ربه (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ (فالنار موعده) يردها لا محالة (فلاتك فى حربة منه) من الموعود أوالقرآن (إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلاف فطرهم ولما نفي التوازن والتقارب بين الفريقين شرع يفصل الكلام على الفريق الكاذب فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بأن أسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله (أولئك يعرضون على ربهم) فى الموقف



بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم (ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب جمع صاحب أو شهيد كأشراف جمع شريف وهم الملائكة والنبيون والجوارح لأن الأفواه يختم عليها وتتكلم الأيدي والأرجل وهذه لا كذب عندها لأن شهادتها فطرية لا دخل للكذب فيها بخلاف اللسان فهؤلاء كلهم أشهاد يقولون (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الآخرة لكل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) وهذا تهويل عظيم لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدّون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجاً) يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) أى والحال أنهم كافرون بالآخرة وكرهم للتأكيد . ثم وصف هؤلاء الظالمين ﴿بثمانية أوصاف﴾ فقال

- (١) فهم لا يعجزون الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم
- (٢) وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
- (٣) وعذابهم يضاعف لأنهم أضلوا الناس كما ضلوا
- (٤) ما كانوا يستطيعون استماع الحق
- (٥) وما كانوا يبصرون الحق
- (٦) وهم الذين خسروا أنفسهم حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله
- (٧) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون
- (٨) - لاجرم - أى لا محالة - أنهم فى الآخرة هم الأخسرون - أى لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم وهذا قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب) الى قوله (هم الأخسرون) ثم أتبع هؤلاء بضدّهم فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) اطمأنوا له وخشعوا له من الخبت وهو الأرض المظلمة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون . ولما وصف كلا من الفريقين بأوصاف على حدة أخذ يضرب لهم مثلاً مجتمعين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان مثلاً) هل يستوى الفريقان تمثيلاً وتشبيهاً وهو منصوب على التمييز (أفلا تذكرون) تنفعون بضرب المثل . انتهى التفسير اللفظي

﴿لطيفة فى قوله تعالى - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الخ -﴾

لقد حملنا الآية على عموم الكافرين والمنافقين والمؤمنين الذين يطلبون بعملهم الرياء والسمعة

- (١) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال قال الله تبارك وتعالى ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه﴾ أخرجه مسلم
- (٢) وقال ﷺ ﴿من تعلم علماً لم يغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار﴾ أخرجه الترمذى
- (٣) قال ﷺ ﴿تعوذوا بالله من جبّ الحزن قالوا يارسول الله وما جبّ الحزن قال واد فى جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراءون بأعمالهم﴾ أخرجه الترمذى
- (٤) وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال ﴿إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة . وأما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً﴾ أخرجه البغوى بغير سند

﴿تحذير﴾

إياك أن تصدك الآيات والأحاديث الواردة فى ذم الرياء عن فعل البر والطاعات . فاذا خطر لك أمر

فزنه بالشرع فإن كان مأمورا به فبادر إليه فإنه من الرحمن فإن خشيت وقوعه على صفة منهية كحجب أو رياء فلا بأس عليك في وقوعه عليها من غير قصد بها بخلاف ما إذا أوقعته عليها قاصدا لها فعليك إثم ذلك فتستغفر الله منه \* قال السهروردي صاحب «عوارف المعارف» لمن سأله «أنعمل خوف العجب أولا نعمل حذرا منه» . فقال اعمل وإن خفت مستغفرا منه «أى أن وقع قصدا» \* وقد قيل «إن ترك العمل بالخوف منه من مكائد الشيطان» كما في جمع الجوامع وشارحه . وهذه إحدى مصائب المسامحين اليوم فالصالحون يخافون الرياء والطلحون يعملون الشر . انتهى تفسير القسم الثاني من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِنَا بِإِذِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ \* قَالَ يَأْقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُنْزِلُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ \* وَيَأْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ \* وَيَأْقُومُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ \* وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ \* وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ \* وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي مَآ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ \* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ \* وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

مَجْرِيهَا وَمُرْسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ  
 وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَأْوِي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِيُنِي  
 مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ  
 الْمُفْرَقِينَ \* وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ  
 عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي  
 وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ \* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ  
 غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* قَالَ رَبِّ  
 إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ \*  
 قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ  
 مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ  
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ \* وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
 مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ \* يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ  
 إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ \* قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا  
 بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ  
 بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُوكُمْ أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تَشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِهِ  
 فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ  
 آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِيَتْ بِهِ  
 إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ \*  
 وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ \* وَتِلْكَ  
 عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رِسَالَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ \* وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ  
 الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ \* وَإِلَى عَمُودَ



أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ \* قَالُوا يَا صَالِحُ كُنْتَ  
فِينَا مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ  
\* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ  
عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ \* وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي  
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ \* فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ  
مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ \* وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا  
فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ \* كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُودَ \* وَلَقَدْ  
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ \* فَلَمَّا  
رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَ لَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ  
لُوطٍ \* وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \* قَالَتْ  
يَا وَيْلَتَى أَلِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجِبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ  
رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ \* فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ  
وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ \* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ \* يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ  
عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ \* وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا  
سِئْرًا مِنْهُمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ \* وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ  
كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هُوَ لَبِثٌ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي  
ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ \* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ  
مَا نُرِيدُ \* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ \* قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ  
لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ  
مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِنْ سَجَّيلٍ مَنضُودٍ \* مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ  
بَبَعِيدٍ \* وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا  
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ \* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا  
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \*  
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ \* قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ  
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ \*  
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ \* وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ  
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ \* وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ  
تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ \* قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا  
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ \* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ  
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ \* وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي  
عَامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ \*  
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ  
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ \* كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتِ ثَمُودُ \* وَلَقَدْ  
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ  
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ \* يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ \* وَاتَّبِعُوا  
فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ \* ( قصه نوح )

هذه القصة تبين ما يلاقيه الدعاة إلى الخير من مصادمة الظالمين الذين يردون الدعوة ولا يسمعون الحجة  
ويودون لو يكونوا بلا علم يسمعونهم ولادين يتبعونه ولا هدى ولا كتاب منير . فانظر كيف ابتدأ الدعوة  
بالإنذار والتخويف . وكيف قابله عظماء قومه بطعنهم أولاً في شخصه هو قائلين أى مزية لك علينا وأى  
فضل . وكيف ينزل الوحي عليك دوننا ومادنا متماثلين في الخلقة متشاركين في العقل فن ذا الذى يصدق  
بامتيازك علينا واختصاصك بفضيلة دوننا . وثانياً ان الذين اتبعوك ما هم إلا سفلتنا وأرادنا كالحاكة

والأساكفة وسائر أصحاب الصناعات الخسيسة . فكيف تتبعك وأنت ومن معك على ما وصفنا . ثالثا إن هؤلاء الأتباع مع خستهم ودناءتهم ما اتبعوك إلا وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فاتباعهم لك ليس عن روية ونظر وتعمق في الفكر وإنما هو عن شئ دق لهم بديهة فهو لاء مع فقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية فلا جاء لهم ولا مال ولا شرف في الحياة الدنيا لم يتبعوك عن فكر ونظر الخ فقلوه . بادى الرأي - من بدا يبدو ظهر أو بدا يبدأ إذا فعل الشئ أولا وانتصابه على الظرف . رابعا ويلزم من ذلك أنه لافضيلة لك يأنوح ولا لمن اتبعك ثم إنا فوق ذلك نظنك كاذبا في دعوى النبوة ونظنهم كاذبين في دعوى العلم بصدقك فلا نبوة لك ولا علم لهم بصدقك وهذه هي حجج قومه وهي موافقة لما يحصل في كل داع وأتباعه فإن الناس لا يزالون يكذبون الداعي ويصفونه بالكذب ونحوه ثم يعطفون على أتباعه فتارة يذمونهم بأنهم ليسوا على شئ وتارة بانهم اتبعوه لجهالتهم وقلة عقلهم . فالطعن إما في المتبوع وإما في التابع وإما في العلاقة القائمة بينهما وقد تم كل ذلك في الآية ووضح وهذا تعليم من الله لنا أن نشمر عن ساعد الجد ونقوم بالأمر ولا نبالي بالذم فينا ولا فيمن معنا من المصاحين ولا في العلاقة القائمة بيننا بل يجب أن تكون تلك الأقوال مشجعة لنا ونحرص على ما أنعم الله بها علينا كما فعل سيدنا نوح فانظر ماذا قال في الرد عليهم فانه رد على الأول قائلا - ولا أقول إني ملك - ردًا على قولهم - ما نراك إلا بشرا مثنا - . ورد على الثانى وعلى الثالث معا فقال (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما في نفوس أتباعى وضماهم أى لا أقول عندى خائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول للذين تزدري أعينكم) أى ولا أحكم على من استرذلتموه من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة هوأتهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وإنما على قبول ظاهر اقرارهم إذ لا أطلع على خفى أسرارهم (إني إذن لمن الظالمين) إن قلت شيا من ذلك وقوله - تزدري - من زرى عليه إذا عابه . وقال أيضا فى الرد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معه (إنهم ملاقوا ربهم) فيشكونى اليه إن طردتهم وقال أيضا (ويا قوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (إن طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون . ورد على الرابع قائلا (ولا أقول لكم عندى خائن الله) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم - وما نرى لكم علينا من فضل - . وقد تقدم أن القسم الرابع جزآن (الجزء الأول) ادعأؤهم أنه لافضل لنوح وأتباعه عليهم وهذا رد عليه (والجزء الثانى) انهم يظنونهم كاذبين فرد عليهم قائلا (ولكنى أراكم قوما تجهلون) تنسأفهمون على المؤمنين وتدعونهم أراذل وتجهلون لقاء ربكم كما تجهلون انهم خير منكم . وهذا هو قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربى) الى قوله (إني إذن لمن الظالمين) - أرايتم - أخبرونى - على بينة من ربى - بيان ويقين من ربى الذى أنذرتكم به (وأتانى رحمة من عنده) هدى ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) أى أخفيت عليكم أو - خفيت - على القراءتين . ومعنى عميت بالتحفيف لم تهديكم كما لو عمى على القوم دليالهم فى المفازة فبقوا بغير هاد فالحة كما تكون بصيرة ومبصرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره (أنلزمكموها) أنلزمكم على الاهتداء بها (وأنتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تأمأون فيها (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) أجزا يثقل عليكم ان أدتيم أو على ان أيتم (إن أجرى إلا على الله) وبقية الآيات ظاهرة المعنى فلا تطويل بذكرها وهى آيات اعتراض القوم فقد لخصناها آنفا وهى مذكورة فى المتن . ولما كانت حجج نوح قد وضحت ورد عليهم وقرر الرد وأبان ولم يترك لهم بابا بل أربى عليهم وطوقهم بالبراهين المقنعة (قالوا يأنوح قد جادنتنا) خاصمتنا (فأكثر جدالنا) كما ظهر فيما تقدم (فأنتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) فى الدعوى والوعيد . فأما مناظرتك فلا تؤثر فينا (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء) عاجلا أو آجلا (وما أنتم



بمحزونين) بدفع العذاب أو الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) أي إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما أوهموا أن جداله كلام بلا طائل ثم قال (هؤلئك هم خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وقد جرى علمه القديم على مقتضى الحقائق الواقعة الإلهية وانكم تخلقون على حال لا ينفع فيها النصيح (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم . ولما كانت هذه القصة عجيبة والجدال فيها مؤثرا ذكر الله ما يختلج في عقول بعض الكفار أن هذا وأمثاله مخلق مفترى من عند النبي ﷺ فقال تعالى هذه الجلالة المعترضة (أم يقولون افتراه) أي بل يقولون اختلق القرآن محمد (قل) يا محمد (إن افتريته فعلى اجزائي) إثم اجزائي \* والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها \* يقال جرم وأجرم أي اكتسب الذنب وافتعله (وأنا بريء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب . وهذا قول مقاتل وأكثر المفسرين أن الخطاب لنوح عليه السلام . ثم أخذتهم القصة فقال بعد أن انتهى الجدال وجاء القول الفصل (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقدحان وقت الانتقام من أعدائك وهذا هو التاريخ العام وكل مصلح في الأرض فأولا ذم له ولأتباعه وللرابطة بينهما ثم الرد عليهم ثم العناد التام ثم ظهور الحقائق واضحة جلية . فلذلك دعا نوح على قومه فقال - رب لا تدرك على الأرض من الكافرين ديارا -

### ﴿ فصل ﴾

(١) صنع السفينة (٢) استهزاء قومه به (٣) النجاة من الهلاك برؤوب السفينة (٤) هلاك من عصاه من أهله (٥) المقصود من القصة وهو أن العاقبة للمتقين وأن الصابرين ينالون الفوز في آخر الأمر

﴿ صنع السفينة واستهزاء قومه به ﴾

قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) أي ملتبسا بأعيننا كأن الله أعيننا تكلؤه وتحفظه لئلا يزيغ في صنعه عن الصواب (ووحينا) وأنا نوحى إليك ونلهمك كيف تصنع (ولا تخاطبني في الذين ظالموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة في برية بعيدة عن الماء . وأيضا كانوا يقولون يانوح قد صرت نجارا بعد أن كنت نبيا (قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) إذا أخذكم الفرق في الدنيا وجهنم في الآخرة (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزبه) ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الفرق (ويحل عليه عذاب مقيم) وينزل عليه عذاب الآخرة الذي هو دائم وقوله - وكلما مر عليه ملأ من قومه - أي جماعة منهم إلى قوله - عذاب مقيم - جملة حاله فقوله - ويصنع الفلك - متصل بقوله (حتى إذا جاء أمرنا) عذابنا أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد حتى هذه هي التي ابتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله - ويصنع الفلك - وقوله (وفار التنور) أي وجه الأرض أو أشرف موضع فيها

﴿ نجاته هو ومن آمن معه ﴾

قال تعالى (قلنا احمل فيها) في السفينة وهو جواب الشرط (من كل) من كل نوع من الحيوانات (زوجين اثنين) ذكرًا وأنثى والزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالدكر والأنثى والعينين والأذنين يقال لكل واحد منهما زوج . والنعلان في الرجلين يقال لكل واحد منهما زوج فقوله - من كل - إما منونا أي من كل نوع زوجين وأما غير منون أي - احمل فيها من كل زوجين اثنين - والمعنى واحد على كل وقوله (وأهلك) عطف على زوجين وقوله (إلا من سبق عليه القول) به من المغرقين يريد به ابنه

كنعان وأمه المسماة واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) أى والمؤمنين (وما آمن معه إلا قليل) \* قيل كانوا (٧٩) زوجته المسماة وبنوه سام وحام وياث ونساؤهم و (٧٢) رجلا وامرأة من غيرهم \* ولقد ذكر العلماء طولها وعرضها ولا فائدة في ذلك لنا \* ويقال انه جعل في أسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطير وكانت ثلاثة بطون (وقال اركبوا فيها) أى صيروا فيها وانما سمى ركوبا لأن السفن في البحار كالذباب على الأرض وقوله (بسم الله هجرها وصرساها) جملة حالية من ها أى اركبوا فيها حال كونها اجراؤها وارساؤها كائنان باسم الله على وجهه وهجرها وصرساها بفتح الميم والراء من جرى مصدرا ووقت وضم الميم وفتح الراء من أجرى للوقت والمصدر يعنى أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن هجرها وصرساها بذكر اسم الله \* يقال انه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فحرت \* واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (إن ربي لغفور رحيم) أى لولا مغفرته لما فعلتم من الذنوب ورجته لكم مانجاكم ثم ركبوا فيها يقولون بسم الله كما أمروا (وهى تجرى بهم) وهم فيها (في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح فشبهه سبحانه بالجبال في عظمه وارتفاعه وكل موجة منها كجبل من تراكمها وارتفاعها ﴿ هلاك من عصى من أهله ﴾

قال تعالى (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان ابنه من صلبه (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة وعن دين أبيه وهو مفعول من عزله اذا نحاه وأبعده (يا بنى) بفتح الياء \* وفي قراءة بكسر الياء والاولى اقتصار عليه من الألف المبدلة من الياء \* والثانية اقتصار عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أى آسلم واركب معنا (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانعزال (قال ساوى الى جبل يعصم من الماء) أن يفرقنى (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أى إلا الراحم وهو الله تعالى أى لا عاصم اليوم من الطوفان إلا مكان من رحم الله من المؤمنين فلا يعصمك الجبل ولا غيره وانما يعصمك مكان المؤمنين وهى السفينة ويصح أن يكون الاستثناء منقطعا أى لسن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) أى بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء ألقى) جعل الأرض والسما كأنهما من العقلاء يطيعان ما يؤمران به اظهرا لنفاذ الأمر وسرعة الانجاز وحصول المأمور به حالا كما يفعل المأمور المقهور مع الأمر القاهر القادر \* والبلع النشف والاقلاع الامساك ثم قال (وغيض الماء) نقص (وقضى الأمر) وأنجز ما وعد به من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) يقال انه جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) يقال بعد بعدا لمن لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وحض بدعاء السوء (ونادى نوح ربه) أى أراد نداءه (فقال رب إن ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لأنه كان ابنه (وان وعدك الحق) وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجى أهلى فما بال وعدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم فلا فضل لحاكم على غيره إلا بما تجمل به من العلم وما اتصف به من العدل وأيضا انه يحكم بالحقائق لا اطلاعه على بواطن الامور ودخائلها \* أما الحكام الأرضيون فانهم يحكمون بالظاهر ويذرون البواطن لمن هو أحكم منهم وهو أحكم الحاكمين (قال) الله (يانوح إنه ليس من أهلك) إذ لا ولاية بين مؤمن وكافر ثم علل ذلك بقوله (إنه عمل غير صالح) أى انه ذو عمل فاسد وجعل نفس العمل الفاسد للبالغة \* وقرئ - إنه عمل غير صالح - أى عمل عملا غير صالح (فلا تسألن) نجاة (ماليس لك به علم) أنه ليس أهلا للنجاة \* وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام سأل الله أن ينجى ابنه من الغرق وكان من أهل النفاق يظهر الايمان ويخفى الكفر كالمنافقين زمن النبي ﷺ فلم يعلم حتى أعامه الله كما حصل لسيدنا محمد ﷺ كما تقدم في سورة التوبة فقوله - إنه ليس من أهلك - أى من الذين وعدت النجاة

لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر وقد خاطبه الله بقوله (ولا تخاطبني في الذين ظاهروا إنهم مغرقون) ثم اتبع الأمر بعدم السؤال بقوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ومعنى - أعظك - أنهاك وهذا كما نهى رسولنا ﷺ بقوله - فلا تكونن من الجاهلين - (قال رب إني أعوذ بك أن أسألك) في الاستقبال (ماليس لي به علم) ما لا علم لي بصحته (والا تغفر لي) وإن لم تغفر ما فرط مني من السؤال (وترحمني) برحمتك التي وسعت كل شيء (أكن من الخاسرين) أعمالا (قيل يأنوح اهبط بسلام منا) أي انزل من السفينة إلى الأرض مسلما من المكاره كالفرق من جهتنا أو بتحية منا (وبركات عليك) وهي الخيرات النامية وهي في حقه كثرة أولاده وأتباعه فقد جعل أكثر الأنبياء وأئمة الدين من ذريته (وعلى أمم ممن معك) أي وعلى أمم ناشئة ممن معك وهم الأمم إلى آخر الدهر لأنهم ذرية من معه في السفينة (وأمم سمنتمهم) أي وأمم كافرة يحدثون بعدك سمنتمهم في الدنيا إلى منتهى آجالهم (ثم يمسه من عذاب أليم) في الآخرة ثم خاطب النبي ﷺ فقال (تلك) أي قصة نوح مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) أي بعضها وقوله (نوحيا اليك) خبر ثان (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وهذا خبر ثالث (فاصبر) على مشاق الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح وقومه (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للتقين) الذين يذرون الشرك والمعاصي . وهذا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى - وقيل يا أرض ابلعي ماءك الخ - ﴾

هذه الآية في غاية الفصاحة والبلاغة حتى خصصها بعض العلماء بالتأليف لفخامة لفظها وحسن نظمها ودلالاتها على الحال مع الإيجاز البديع . فانظر كيف ابتدأ الكلام بلفظ - قيل - بالبناء للجهول فلم يذكر الفاعل لعظم قدره وجلالته . وكيف خاطب الأرض أن تبلع والسماء أن تقلع وهو مجاز عجيب . وكيف كان - غيظ الماء - يغني عن جمل كثيرة - وقضى الأمر - قام مقام العبارة الطويلة الدالة على هلاك قوم ونجاة آخرين وهكذا فكل جملة كأنها درس خاص مع الجزالة وحسن التعبير وفي هذا المقام من المحاسن ما لا متسع للعبارة عنه والدوق كاف فيه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أن هذه القصة قديمة العهد ذكرت في الكتب السابقة ومما قصودها إلا إبراز رجال في الأمم يكونون قدوة للصالحين ومنبعا للكمال اليهم تشد الرحال وعليهم يعول الرجال وبهم تصلح الحال . ولو أنك درست تواريخ النابغين في سائر الأمم والأجيال لم تر أحدا منهم نبغ إلا على مثال نبوغ نوح عليه السلام ولم يخلق الله في الأرض نبيا ولا حكيما ولا عالما إلا إذا صادفه مثل ما صادفه نوح عليه السلام بل أقول أنظر أيها الذكر القاري لهذا التفسير . ألم تجد في نفسك مثال ماجرى لنوح من بعض الوجوه وكيف قرأت العلوم ودرست الكتب ثم وصلت لهذا التفسير وقرأته ما كان ذلك إلا بعد ما جاهدت جهادا آذاك فيه الأقربون والغرباء ثم لم تعبأ بذلك ونصرت وفزت بالعلم وضل سعيهم وخاب فآلهم فلعمرك لم يفز أحد في الدنيا بطائل إلا بعد أن يناله النصب ويغشاه التعب ويحل به الألم ويسومه أهله وذووه سوء العذاب . فانظر رعاك الله قصة نوح ووازنها بسيرة سيدنا محمد ﷺ

(١) النبي ﷺ قال له قومه - لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك - وقالوا - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - في مقابلة جدال نوح وقومه

(٢) طلب كفار قريش من النبي ﷺ أن يطرد من معه من المجلس احتقارا لهم وهم يجلسون بدلهم فقال الله له - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - فتطردهم فتكون من الظالمين - وهذا كقول نوح - الله أعلم بما في أنفسهم إني أذن لمن الظالمين -



(٣) يقول الله تعالى لنبينا ﷺ - قل ما أسألكم عليه من أجر - ونوح يقول - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا -

(٤) صنع نوح السفينة لنجاة قومه وأمر النبي ﷺ أتباعه بالهجرة الى الحبشة ثم هاجر هو وهم الى المدينة وهذه في مقابلة السفينة

(٥) - ثبت يدا أبي لهب - وهو عم النبي ﷺ وطرده ابن نوح من رحمة الله ولم ينفعه أنه ابن نبي  
(٦) سخر قوم نوح منه فأفهمهم أنه هو الناجي وهم الخاسرون . وقد كان المنافقون يقولون ان محمداً يعدنا ملك كسرى وقيصر وأن أحدنا لا يقدر أن يقضى حاجته خارج المدينة وكان كفار مكة يسخرون منه فكرر في القرآن أن الله سينصره وقد تم ذلك

(٧) حمل نوح معه من كل نوع من أنواع الحيوان زوجين ذكراً وأنثى لبقاء النسل وهكذا جميع الأنبياء والمصلحين إنما خلقهم الله في الأرض للنفعة العامة ولإعلامه لرجال الإصلاح والعطاء إلا قصد المنفعة العامة وسيدنا محمد ﷺ في مقابلة ذلك قيل له - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لافرق بين حيوان وإنسان وغيرهما من المخلوقات

(٨) وكما غرق الكفار من قوم نوح قتل الكفار من قریش  
(٩) وكما نجى المؤمنون من قوم نوح نجى المؤمنون من العرب وأصبحت جزيرة العرب كلها اسلاماً كما تقدم في سورة التوبة

(١٠) قال تعالى - فاصبر إن العاقبة للمتقين - أي كما نصرت نوحاً وكانت العاقبة له فسيكون النصر لك فاصبر الخ

ألا تتعجب من هذا القول كيف كانت هذه السورة تتلى في مكة ولأجند ولأمال لصاحب الرسالة ثم يتلو عليهم هذا القول ويقول الله له ستكون عاقبتك النصر كما كانت عاقبة نوح وبعد ذلك بزمان قد تم هذا . ولعمري إن هذه هي المعجزة الحقة فانه قصص قصة نوح وقد حصل له مثل نوح أولاً وآخرها وقد تلاه عليهم في أول أمره بحيث لا يختلج في النفس أقل أمل في نجاح دعوته وأن العرب وغيرهم يتبعونه . ذلك هو المعجزة الصادقة وذلك هو الذي به يصدق العاقلون

﴿ مقصود القصة لسائر الفضلاء ﴾

أيها الذكي إن هذه السورة تقرأ دائماً يقرؤها المسلمون ويكرر نظيرها في الكتب السماوية قبل القرآن بل إن لها نظيراً كما سيأتي في كتب الدين الهندية . فلعمرك ما بقيت هذه القصة في الديانات المتلاحقة على مدى الأزمان لألفاظ يكررونها ولا مجرد آيات يقرؤونها وإنما هي حكم وواعظ وآداب يتحلى بها الفضلاء والنابعون . فإذا رأيت في نفسك ميلاً الى فضيلة أو علم أو نفع عام فجاهد في سبيلك واعلم أن الله معك مهما اعتراك من ضيق أو هم أو مرض أو عداوة واعلم أن الله لم يعطك الميل لتلك الفضيلة ولم يزرع في قلبك حب ذلك العلم إلا وهو يريد سقيه وإنزال الفيت عليه لينميه فاعزم وتوكل على الله واتل قوله تعالى - واصبر إن العاقبة للمتقين - وهذه القصة تنطبق على كل من يقوم بعمل شريف في نفسه وفي قومه . فإذا أراد المرء عملاً نافعا لنفسه أو لأئمة لاموه أو لأئمة نفسه لوماً شديداً في أول الأمر كجدال قوم نوح ثم يبطل الجدال ويجاهد الإنسان حتى يرسم له طريقاً للخلاص كالسفينة ثم يعاديه أهله وولده في الحديث ﴿ أبغض الناس الى العالم أهله وجيرانه ﴾ فليسر في طريقه ولا يبالي بهم ثم يسير في طريق الفلاح وينجو في الكفاح وهو لسفينة نجاته ملاح ويقال له - فاصبر إن العاقبة للمتقين -

﴿ اللطيفة الثالثة . الطوفان في العلم الحديث ﴾

## ( الطوفان عام وخاص • الطوفان العام )

اعلم أن الأرض مكوّنة من (٢٦) طبقة عامّة متميزة وهذه الطبقات تكوّنت في ستة عصور كما تقدّم مرارا كل عصر منها يبلغ مئات الملايين بل آلاف الملايين من السنين وهي العصر الأصلي والعصر الانتقالي والعصر الثانوي والعصر الثالثي والعصر الطوفاني والعصر اللاحق للطوفاني أو العصر الحالي • وفي كل عصر من هذه العصور الستة تكوّنت طبقات في الأرض وهي مختلفة كما قد تقدّم ذكرها في التفسير وإنما الذي يهمنا في هذا المقام العصر الطوفاني فقد قال علماء العصر الحاضر أن تغيرا عظيما فجائيا طرأ على وضع محور الأرض وقطبيها فاندفعت على أثره المياه على سطحها اندفاعا عاما وانقرض في هذا الطوفان كثير من الحيوانات ولجأ بعضها تخلصا من الغرق إلى شقوق ومغاور في أعالي الجبال فهلكت جوعا هناك أو بافتراس بعضها بعضا أو خنقا في وسط المياه المندفعة عليها وقد كشف العلماء كثيرا من تلك المغاور الحارثية عظاما عديدة من الوحوش الكواسر التي عاشت قبل حصول تلك الفاجعة وهذا الرأي هو الذي يفهمنا كيف نقصت الحرارة فجأة في الأقطار القطبية • أنها نكبة عامّة مريعة قلبت وجه الأرض وبها انقرضت أنواع من الحيوان على بكرة أيها وتحولت المياه فجأة من مجاريها واندفعت بعزم على اليابسة فطمت على الصخور واقتاعت الغابات وجردت الجبال من حللها السندسية وتركت رواسب جديدة يقال لها في علم الجيولوجيا (الطبقات الطوفانية) وفي هذا العصر بدأ القطبان يكتسيان بالجلد وهذا دليل على تناقص جسيم في حرارة الأرض • والتناقص المذكور حصل فجأة وليس بالتدريج فان علماء (الجيولوجيا) استدلوا على ذلك من آثار فيلة بل أجسام صميحة من (الماموث) كشفوها في وسط الجليد الشمالي فحكموا بحصول برد فجائي باغتتها وقتلها قبل أن تتمكن من الهجرة إلى أقطار أوفر اعتدالا وأقرب إلى مزاجها • ولما استتبت السكينة على وجه الأرض بدأ العصر الحالي وهو السادس وفيه ثبتت اليابسة وازداد الهواء نقاء وأرسلت الشمس أشعتها المنعشة فطابت النباتات وأنس الحيوان وظهر بعدها الانسان • ولا يعلم أحد الآن هل كان الانسان قبل العصر الحالي أي هل كان قبل الطوفان المذكور ولقد وجدوا آثارا تدلّ على ذلك • هذا هو الطوفان العام

﴿ أين الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن والكتب السماوية كما في هذا المقام ﴾

اعلم أن الطوفان المذكور في الكتب السماوية لم يعلم عنه علماء (الجيولوجيا) إلا ما يأتي وهو أنهم كشفوا أنه كان هناك بحر عظيم يمتدّ قديما من البحر الاسود إلى الاوقيانوس الشمالي وهذا البحر من آثاره بحر الخزر وبحر الازوف والبحيرات الكثيرة التي في بلاد روسيا وهي مألحة منتشرة في سهول التتر ومغاور روسيا • ولما ارتفعت جبال القوقاس اندفع قسم من المياه إلى الاوقيانوس الشمالي والقسم الآخر انقلب إلى الاوقيانوس الهندي ففرقت بلاد ما بين النهرين وجميع البلاد التي يسكنها أسلاف الشعب العبراني وقد حفظت هذه الحادثة في تقاليد سائر الشعوب الذين يسكنون تلك البقاع • وجاء في أسفار (القيدا الهندية) في هذا المقام ﴿ تحوّل براهما إلى صورة سمكة ﴾ وجاء يقول إلى الملك الصديق (فايفاسواتا) ان زوال زمان العالم قد دنا وعن قليل تباد كل نسمة من الوجود على وجه الأرض فاصنع لك سفينة تدخلها بعد أن تأخذ معك بزورا من كل النباتات وانتظرنى فأوافيك وعلى رأسي قرن تميزني به • فأطاع الملك الصديق أمر براهما وعمر سفينة ودخلها بعد أن ربطها بحبل متين بقرن السمكة فسارت السفينة في الظلمة سنين عديدة في وسط عواصف قاصفة واستقرّ أخيرا على رؤس جبال همالايا اه

هذا هو العلم الذي يعرفه الناس الآن من علماء طبقات الأرض ومن علماء الديانات • فهأنت ذا رأيت الطوفان العام الذي هو قبل التاريخ ورأيت الطوفان الذي عرفه بنو اسرائيل عن أسلافهم الذين كانوا بين النهرين وعرفت البحر العظيم الذي خلف بحيرات في أوروبا الآن وعرفت كلام البراهمة عن هذا الطوفان

ثم اعلم أني ما كتبت لك هذا لأفسر به القرآن . كلا وإنما أكتبه لتحييط علما بهذه المسألة ولتعشق العلوم ولتبحث في عجائب صنع الله وفي تقلبات هذه الدنيا وعجائبها وتتعجب من هذه الأرض كيف تكونت وكيف كان القطبان أشبه بخط الاستواء تعيش فيهما الفيلة العظيمة التي لا نظير لها الآن بل هي أشبه بالفيلة التي كانت قديما تحمل مثاث من الناس على ظهرها ثم طرأ عليها البرد فجأة فماتت حالا وبقيت الى الآن دلالة على قدرة عظيمة . وكيف كان هناك بحر ثم زال من الوجود . وكيف كانت هذه القصة قد طلع بها أكثر الأمم العظيمة المتدينة

فأما القرآن فإنه قصص علينا هذه القصة ليرقينا بها وليدلنا على أن الصابرين فائزون . وقد أبنا هذا أيما تبيان . فافرح بما آتاك الله من فضله . واعلم أن الله عز وجل ما أنزل هذه القصة لأجل المباحث التي ذكرناها ونحوها وإنما أنزلها لما فيها من القدوة الحسنة واليقين . إن الذين هم مصلحون وقلوبهم مفسورة على الإصلاح فائزون في آخر أمرهم . ولعمرك أن هذه القصة في القرآن تعطى المصلحين إيقانا وإيمانا وعلمنا أنهم بعد الصبر فائزون . وهذا قد أوضحناه تمام الإيضاح . انتهى الكلام على قصة نوح عليه السلام . ثم قال تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا الى عاد الخ عطف على قوله - نوحا الى قومه - وهودا عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله مالم يكن من إله غيره إن أتم إلا مفترون) على الله لاتخاذكم الأوثان شركاء وجعلها شفعاء (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى) وذلك لخطاب نوح لقومه بذلك وخطاب النبي ﷺ لأن النصيحة مادامت مشوبة بالمطامع لا تنجح (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل والصدق من الكذب (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به ثم توبوا اليه من ذنوبكم السالفة (يرسل السماء عليكم مدارا) كثير الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) وكانوا قوما أصحاب زرع وبساتين وكانوا مدلين بما أوتوا من قوة وبطش \* وقال بعضهم حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل \* يقال إن الحسن بن على رضى الله عنهما قال لحاجب معاوية لما شكاه له قلة الولد (عليك بالاستغفار) فكان يستغفر في اليوم سبعمائة مرة فولد بنين ولما سئل الحسن عن سبب ذلك استدلل بهذه الآية وبآية نوح - ويمدكم بأموال وبنين - (ولاتتولوا) ولا تعرضوا عما أددعوك اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كما قالت قريش للنبي ﷺ - لولا أنزل عليه آية من ربه - ليجود الطائفتين آيات النبيين (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى وما نترك آلهتنا صادقين عن قولك . فقوله - عن قولك - حال من الضمير فى تاركى آلهتنا (وما نحن لك بمؤمنين) أقنطوه من اجابته وتصديقه (إن نقول إلا اعتراك) أى أصابك من عراه يعروه اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) أى ما نقول فيك قولة إلا هذه المقالة وهي - اعتراك بعض آلهتنا بسوء - فأنت يا هود لست تخالفنا وتسب آلهتنا إلا لما أصابك بعض آلهتنا بخجل وجنون لأنك سببتهم فانتقموا منك بذلك ونحن لانفهم أمرك إلا على هذا الوجه (قال) هود محييا لهم (إني أشهد الله) على نفسى (واشهدوا) أنتم على أيضا (أنى برىء مما تشركون من دونه) وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) احتالوا فى كيدى وضرى أتم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضر وتنفع فاني أرى انها لا تضر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) لانهلون ثم أكد هذا بقوله (إني توكلت على الله ربي وربكم) أى انه قوؤض أمره الى الله واعتمد عليه (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الناصية عليه ناصية للجاورة \* وكان العرب اذا أرادوا اطلاق أسير جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخطبهم الله بما يعرفون يعنى أن الله هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لأن من أخذت بناصيته فقد



قهرته . والدابة كل ما يدب على الأرض ويدخل فيه جميع بني آدم والحيوان لأنها جميعها تدب على الأرض (إن ربي على صراط مستقيم) أي إن ربي وان كنتم مستخزين له مقهورين لا يعاملكم إلا بالانصاف والاحسان والعدل فيجازي كلا بما فعل المحسن باحسانه والمسيء باسائه (فان تولوا) أي تتولوا وتعرضوا عن الايمان - بما أرسلت به اليكم - فلم يقع مني تقصير في التبليغ وانما التقصير منكم (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم) أي انكم ان أعرضتم عن الايمان يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم وهذا عذاب الاستئصال (ولا تضروا شيا) بتوليكم عن الايمان (إن ربي على كل شئ حفيظ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم وهو يحفظني من أن تمسوني بسوء فكما يحفظ أعمالكم ويعاقبكم يحفظني من السوء (ولما جاء أمرنا) باهلاكم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة منا) ذلك أن العذاب اذا نزل عم فلما أنجاهم الله كان ذلك رجة من الله وأيضا الايمان والطاعة من رجة الله فما نسب عنهما من رجة الله لأن كلا من عند الله (ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه قبيلة عاد كأنه قيل سيحوا في الأرض فانظروا اليها واعتبروا بقبورها وآثارها ثم وصف حالهم فقال (مجدوا بآيات ربهم) أي كفروا بها (وعصوا رسوله) لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فقد عصى الجميع (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي اتبعوا أمر كبارهم الطاغين وعيند من عند عنودا اذا طغى فعصوا من يهديهم وأطاعوا من يغويهم (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي أردفوا لعنة تتبعهم واللعة الطرد والابعاد من رجة الله (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما أتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب لزيادة الايضاح فقال (ألا إن عادا كفروا ربهم) أي كفروا بربهم (الابعاد لعاد) أي هلاكلهم أو بعدا من الرجة (قوم هود) عطف بيان لعاد . والقصد من هذا العطف المبالغة في التنصيص للتأكيد . انتهى التفسير اللفظي لقصة عاد وما قبلها

﴿ جوهره في معنى قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ﴾ يعيش الناس ويموتون وتلاحق الأمم وتتسابق في هذه الحياة ثم يردون أحواض المنايا أمة بعد أمة ودولة بعد دولة وهم يأكلون الحيوان ويشربون ألبانه ويلبسون صوفه وفراءه ثم أكثرهم يموتون ولا هم يذكرون لا يذكرون عجائب هذا الحيوان وغرائبه وغرائب النبات ولا الحكمة المدبرة التي خصت لكل طائفة منه لونا وشكلا وأحوالا خاصة . ينظر الناس الى هذه الصور والأشكال ثم لا يذكرون لم هذا الاختصاص (١) ولم نرى الزنبار مثلا محلى بشكل جميل مزوقا بهجا ولكنه يحمل سلاحا يعدو به على من يمسسه بسوء (٢) ونرى الفيران الصغيرة والكبيرة والوطاويط إما رمادية اللون أو سوداء (٣) ولماذا نرى بعض السمك مرقشا منقوشا بهيئة بهجة كأنها هيئة البساتين الجميلة . والأكثر على خلاف ذلك إذ يكون ظهره أزرق مائلا للسواد أو الخضرة وهو من أسفل أبيض اللون (٤) ولماذا نرى الجمل والأسد لهما لون خفيف رملي أو صخري رملي وهكذا من أمثلة كثيرة لا يخطر للناس أن يفكروا فيها وانما الرأي العام عند هذا النوع الانساني أن ذلك أمر عادي . والجواب على ذلك هو عين ما نقل عن الكسائي لما سئل لم بنيت أي على الضم فقال ﴿ أي هكذا خلقت ﴾

هذا الانسان أوله وآخره قديمه وحديثه عالمه غالبا وجهله مستوون في الغفلة والاعراض عن بحث ما حولهم وفهم الدروس التي ألقاها الله عليهم . هذه هي الدروس الحقة والعلوم التي أنزلها الله للناس وآيات تنزلت عليهم وطلاسم وألغاز وزينة زين بها الأرض لامتحان عباده لينظر أفيشكرونها بمعرفتها أم يكفرونها بالتلهي بيهجتها والغفلة عن معرفتها ذلك هو مثل المسلمين وغير المسلمين الحاليين الذين سكنوا هذه الأرض وهم عن

## آياتها معروضون

اللهم انك أنت الذي أسكنت أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية وأحطتنا بعوالم خلقت من الجلال وحفظت من الوبال وأحطتها برحمتك وكلاستها بمنتك فهي بعنايتك وكلاءك في بهجة وسرور ونعيم وحبور وجعلتها بحسب حقائقها مكحلة بالنور مرموقة بنظرك مكفولة بحفظك وجعلت أعيننا غالباً في غطاء عن جلالها رجة منك لنا وعطفا وإحساناً . ذلك لأن هذا الجلال الكامن في تصويرها وخلقها لوتبتدى لنفوسنا دفعة واحدة وعرفناه لسكرنا ولذهلنا ولذابت مهجنا من الاطلاع على أسرارها لأنها من النور خلقت ومن الحكمة صنعت وكيف تقوى أرواحنا التي لم يكمل حفظها من القوة ولم تصل الى غاية الكمال أن تغرق في بحر الحكمة الذي ليس له قرار

اعلم أنني لما وصلت الى هذا المقام حضرتي صديق صالح فاطلع على هذا فقال . هذه المقدمة لم تخرج عن مقدمات كثيرة من المتصوفة الذين تنشرح صدورهم فينشئون المقالات تلو المقالات ولم يزد الناس من مقالاتهم كمالاً في علم ولا معرفة لحقيقة إلا قليلاً منهم - وقليل من عبادي الشكور - . ابتدأت المقال بأسئلة في الفيران والجمال وأمثالها ولم تحب عليها ثم أخذت تتغزل في الوجود وهذا الغزل أراك ورثته من كتب المتصوفين . إن الأهم الإسلامية اليوم لن تقوم من كبوتها إلا بعلم يفتح أعينها لهذا الوجود . فأما إذا كثرت في الاغراب وأبعدت في الارقال وزوّقت الجلل وجئت برائع الكلام وبديع النظام فما علمت حرفاً ولا زدت للناس ذكراً فاهجم على الحقائق هجوماً كما رأيته في كثير من الأجزاء السابقة في هذا التفسير . إن الكتب إذا خلت من الحقائق للمشاهدة عكف الناس على قراءتها وغفلوا عما حولهم فهل تحب أن يقرأ الناس هذا التفسير وهم مغمضون . فقلت له هدي روعك وأحسن ظنك واعلم أن المقال الذي شرعت فيه الآن علم عزيز وفق شريف جميل سيريك

حكماً نسجت بيد حكمت \* ثم انتسجت بالمنتسج

انك ستري من آيات الله وعجائب حكمه مالم يعامه أكثر المتعلمين في العالم الانساني . ذلك اني اطلعت على عشرات من عجائب ألوان الحيوان وأشكاله وكيف كان ذلك كله قد وضع بدقة وحكمة وغاية مقصودة اطلعت على ذلك في كتب الفرنجة أي في موسوعات علومهم . وهذه الكتب لا يؤلفها إلا المختصون بالعلوم ثم لا يطلع عليها أغلب المتعلمين لأن أكثرهم لا يسعى إلا لفوائده ولردائه ولمظهره بين الناس وأمثال هذا انما يتحلى به العقول وتساق به الى الكمال . وأكثر الناس في الشرق والغرب عن هذه المعالي معروضون

﴿ تشبيه الأرض بدرّة ﴾

إن ما سألقيه عليك اليوم هو النور والبهجة والجمال . إن هذه الأرض في حقيقتها بعد ما تسمع اليوم ما أتوه عليك أشبه بدرّة بهجة جيلة متلاثلة قد سطعت عليها أنوار الكواكب وأشرقت عليها أضواء السيارات يتلاقى على ظهرها ﴿ الجالان ﴾ جمال الأنوار وجمال الدرّة . فتري أرضنا قد امتزجت على سطحها الألوان السبعة التي في قوس قزح بأضواء هذه الجوهرة فتدخلت الأشكال وتشابكت الألوان وامتزجت الصور في أمواج فوق أمواج وبحار من الصور والأشكال والبهجة والجمال . تلك صور هذه الأرض في عقولنا بعد أن ترى ما سأقصه عليك الآن بل هذه هي الصورة التي ظهرت في خيالي بعد ما قرأت هذا الموضوع الذي أنا بصدد ذكره الآن على أن هذا التشبيه دون الحقيقة

نعم الله نور السموات والأرض والنور على ﴿ قسمين ﴾ نور محسوس . ونور معقول . ونور النجوم والشموس والأقمار وضوء الجواهر . كل ذلك محسوس ولا مناسبة بين المحسوس والمعقول . إن النور المحسوس بالابصار قد سبق ذكره في سورة الأنعام وسورة يونس وقد رسمت هناك الصور الشمسية والأشكال

السكوكية والمجرة وأنواع السدم والقنوان . قد تقدم هذا كله وتقدم شرح ذلك من علم الفلك بحيث يسهل على القارئ فهمه ولكن هذا كله هو النور الحسى . أما النور العقلى فهو أكمل وأكمل وهو النور الذى أنزل فى هذه السورة (سورة هود) إذ يقول الله تعالى - ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - ثم يذكر أنه استوى على العرش وأن عرشه على الماء وأنه يدبر بالحكمة . فهذا باب آخر من أبواب العلم وهو علم الحقائق . ويقول هود - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - الأخذ بنواصى السواب ليس بالأمر السهل انه يحتاج الى علم الأمم كلها ودرس هذا الوجود كله أنزل الله القرآن وقال لنا - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا - فى سورة يونس ومدح المفكرين فيها وهكذا فى سورة الأنعام وغيرها . ولكن فى سورة هود أتى بما هو أبعد مرعى وأدق مغزى يدل على ذلك قوله - كتاب أحكمت آياته - إشارة الى الحكمة المودعة فى الحيوان وغيره وقوله - ثم فصلت من لدن حكيم خبير - فيه إشارة الى عجائب الوجود الذى نعيش فيه سيفصلها الله ويظهرها للناس والا فكيف يقول لنا - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - والناس فى الشرق والغرب لا يرون هذا الأخذ بنواصى السواب لأنهم يرون السواب ولا يرون الأخذ بنواصيها . فالأخذ بالنواصى لا يرونه ولكن نفس الأخذ بالنواصى هو الممكن للناس معرفته ولا يمكنهم ذلك إلا بالعلوم والحكمة . أنزل القرآن على أمة العرب وأمة العرب نشرت القرآن ثم نامت ولكن الله لا ينام لأنه هو القائل - ثم إن علينا بيانه - والقائل - سأريكم آياتى فلا تستعجلون - والقائل - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

فها هو ذا أرانا بعض آياته فى كتب أسلافنا المتقدمين وفى كتب المتأخرين من الفرنجة أولئك الذين عرفوا بعض العلوم ونبغوا فيها ولكنهم لا يعلمون أن هذا يطلبه القرآن بل هم فوق ذلك يكتبون العلم محققين لمسائله ولا يفكرون إلا فى الصنعة أما الصانع فلا يعول أكثرهم على ذلك أثناء كتاباتهم . أما أنا فأنى أقول بأعلى صوتى أيها المسلمون كتاب الله المنزل عليكم لا تدرك بعض أسرارهِ إلا بقراءة جميع علوم الشرق والغرب ثم لا يتم مقصوده إلا باجتهاد أبناء الاسلام بعد قراءة علوم القوم إذ يزيدون على ما علموه وهم محبتون . وأقول أيضا - هذه بضاعتنا ردت إلينا - هى منطبة تمام الانطباق على آيات القرآن . فها أنا ذا الآن أيها الأخ أريك العجب وستعلم أن هذا من بيان الله الذى سخر له الفرنجة وهو الذى أعزنى عليه وهدانى لفهمه فهذه البضاعة بها يمر الله قراء هذا التفسير ويحفظ بها سائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ويزيدهم علما بجدهم واجتهادهم أسوة باخوة يوسف إذ قالوا - هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخاننا ونزداد كيل بعير الخ -

فقال صاحبى الصالح فأجب أولا عن الأسئلة المتقدمة ثم اذكر ما تريد ذكره من عجائب الحيوان . فقلت ان الألوان على (قسمين) ألوان براقه بهجة ذات أشكال تلفت الأنظار وألوان خفيفة لطيفة ليس لها بريق ولمعان . أما الأولى فأنما أعطيت لحيوانات عندها ما يحميها من أعدائها ويحفظها من المغيرين عليها فأما الألوان الخفيفة اللطيفة فأنما تعطى الى الحيوانات التى من مصلحتها ألا تظهر بوضوح لأحد (أمسين) إما لأنها عرضة للمغيرين عليها . وإما لأنها لها فريسة . نخفة ألوانها ولطفها أقرب الى اختفائها عن أعين فرائسها فيمكنها أن تنال منها غذاءها ولو بنصب وتعب فى العشى والابكار . هذه هى القاعدة العامة ذكرتها الآن توطئة لما أفصله فأقول

من عادة الحيوان أن يكون لونه مشاكلا لما حوله وهذه المشاكلة تكون سببا لوقايته لأنه بها يختفى عن أعين الرقباء



## ﴿ الكلام على الزنبار ﴾

(١) نخذ الزنبار مثلاً تراه زاهى اللون منقشا مرقشا . لماذا لأنه أعطى حجة بها يهجم على من يؤذيه لذلك اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون بمظهره المعلوم لأنه لا يخاف عدواً يغير عليه فهو فى مأمن سلاحه الذى يحمله . فالزنباير إذن أشبه بالأثم القوية إذ يجوس رجاها خلال البلاد فى الشرق والغرب ظاهرين لأن لهم دولة تحميهم وتحافظ عليهم . ودولة الزنبور هو سلاحه . فسلاحه يقوم مقام سلاح الدول فى حفظ رعاياها أأست ترى أن الله أخذ بناصية هذا الزنبار فجعل له شكلاً جليلاً مزوّقا وأعطاه سلاحاً وقال له كن حراً طليقاً أيها الزنبار لأنى أنا الآخذ بناصيتك وأنا على صراط مستقيم . اللهم إنا نحمدك على العلم ونشكرك على الحكمة

## ﴿ الكلام على الفيران والوطايط واليوم ﴾

(٢) ونخذ الفيران مثلاً آخر والوطايط التى تكون إما رمادية اللون وأما سوداء فبسبب ذلك أن هذه الحيوانات من الحيوانات الليلية لخوفها من الحيوانات القانصة المهلكة فهى أبداً فى النهار مخفيات فإذا ظهرت ليلاً وكان لها لون غير السواد وما قاربه نعم ذلك اللون عليها فعرضها للعطب فكانت من الهالكات وانظر الى اليوم فانك تجد لونه تارياً فيه بقع ملونة كثيرة لونا خفيفاً وذلك ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر والأرض أثناء النهار ولا يكون كثير الوضوح أثناء الليل . أليس هذا الصنع معناه أن الله أخذ بناصية (اليوم) . نعم أخذ بناصيته فلوّنه على الهيئة التى بها يعيش فياً كل الفيران وغير الفيران لمصالح هذا المخلوق . والا فلماذا يختص (اليوم) باللون الذى يكون حافظاً له وبغير هذا اللون المخصوص يفنى (اليوم) ولا يكون فى الوجود

## ﴿ الكلام على السمك ﴾

(٣) وانظر الى السمك فان الذى نراه لامعاً بهيجاً فانه يكون عيشه فى قاع البحر محوطاً بالجلال الرائع من أعشاب بحرية لامعة ومرجان نابت فى قاعها بهيج ونبات من الشقائق بهية فيكون ذلك القاع أشبه بحديقة خيالية عبقرية حسنة فيخلق ذلك السمك مناسباً لما حوله حتى يختفى فيما هناك من الأشكال وبذلك يتوارى عن الأبصار . أما السمك الذى يرى ظهره أزرق مائلاً للسواد أو الأخضر و بطنه أبيض فذلك لأنه يعيش أقرب الى سطح الماء فى البحر فصار ظهره مناسباً للحق ولزرق الماء فى البحار فيختفى عن أعين الطيور القانصة للسمك وجعل بطنه أبيض ليختفى عن أعين السمك المفترس فيتشابه لون بياض بطنه بلون الماء فلا يفترسه السمك المغير

## ﴿ الكلام على لون الجمل والأسد ونحوهما ﴾

(٤) أما الجمل والأسد ونحوهما وتلونهما باللون الخفيف الرملى فذلك لأنهما من سكان الصحراء والصحاري لا أشجار فيها ولا مراعى . فالأسد لو كان لونه زاهياً كالزنبور لفترت منه فريسته . والجمل لو كان كذلك لكان عرضة لاقتراس الحيوانات المفترسة فتهجم عليه كالغمر والأسد والدثاب فأعطى كل منهما لوناً ماحوله من الرمال ليشتبه بها وبالصحور الرملية التى تحيط به . وهكذا ترى القنبر وأنواعاً أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد بعض الحيات والضباب . كل ذلك ملوّن بلون الرمال وقاية من الله وحفظاً لتلك الحيوانات فسبحان الخلاق العظيم . فلما سمع صاحبى ذلك قال اتنى وجميع المتعلمين من أبناء مصر وبلاد الشرق وأكثر بلاد أوروبا يقولون غير ما تقول . يقولون ان الوسط قد أثر فى هذه الحيوانات فهذا أمر طبيعى لا غير . فأما الآخذ بالناصية الذى ذكرته فان المتعلمين لا يقولون به . قلت له حياك الله وبياك ألم تذكر أننى بينت لك أن هذا العلم لا يكون عند المتوسطين فى العلوم . إن هذه الآراء

انما يعرفها الحكماء في أوروبا وفي الشرق . فأما تلاميذ المدارس في كل أمة فانهم كالعامّة في هذه النظرات بل هم المتحيزون في هذا الوجود ولا يحظى بالحكمة منهم إلا الأقلون أولئك هم المفكرون . فقال هات برهانك وانقل لي ما قاله أكابر حكمائهم في عصرنا حتى لا تنهم بأفكائهم انما تحاول أن تجعل القرآن موافقا للعلوم بالحق أو بالتحايل . فقلت قد جاء في كتاب ﴿ موسوعات العلوم ﴾ المسمى (سايئس فورألل) في المجلد الثاني صفحة ١٢٨ وما بعدها ما يأتي

﴿ إن المفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات قسمت ووزعت بلاصنعة ولا علم . وترى المناطق الحارة الاستوائية كل شئ فيها لونه بهيج زاه زاهر في حيوانه ونباته بخلاف ما عندنا . ثم ان بيان السبب في أن هذا أحر وذاك أبيض الخ . كل ذلك عند أكثر الناس لا يفيد ولا ينتج بل هو عبث . ثم قال وسأبين لك أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل ان كثيرا منها تتوقف حياتها على حاية ألوانها لها ولولا تلك الألوان لانقرضت تلك الحيوانات وبادت من الوجود ﴾ ثم أخذ يبين تلك الحيوانات واحدا واحدا بدقة وحكمة وفقه وتفكير في الهواء والبر والصحراء والجبل والبحر والأقطار الحارة والباردة وفي هذه قال نبحت في جهات القطب الشمالي فان لون البياض هو السائد في تلك الأقطار . وقد ترى هناك السواد والسمره اذا كان ذلك أصلح للحيوان في تلك الأقطار

#### ﴿ الأرنب والدب والثعلب القطبيات ﴾

ثم قال كل دب في الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب الشمالي فهو أبيض . وهكذا أرنب القطب والبوم . كل هذه بيضاء أو قريية من البياض . والثعلب القطبي أبيض . والأرنب الذي يسكن الجبال العالية فهذا يتغير الى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى (بسترميمن) وهذا خير مثال للحماية بالألوان فهو موافق لألوان الأشجار التي يقع عليها ويلازمها ولا يقدر الانسان أن يميز سربا منه وهو في زمن الشتاء يلون بالبياض لأجل حايته بمسا كته للثلوج فهو يلون في الصيف بلون الأشجار وفي الشتاء بلون الثلج لحايته أيضا

#### ﴿ الغنم القطبية والسمور والغراب وألوانها هناك ﴾

ثم قال وهناك ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ من الحيوان تخالف لون الثلج في تلك الأقطار ﴿ أولها ﴾ نوع من الغنم يسمى (غنم مسك) فهذه لونها السمره مع السواد فقتبين وتظهر وسط الجليد وسبب هذا أنه يعيش جماعات وليس لفرد منه أن يعيش وحده فلون السواد والسمره الذي يظهرها وسط الثلوج ظهورا واضحا ضروري حتى يعرف كل خروف منها أصحابه ولو كان لونها كلون الثلج لاضل القطيع وتفرق وافترسته المفترسات فهذا النوع بين نارين إما حياة محمية بالسمره مع السواد ليتعارف أفراد السرب الواحد ويعتفر في جانب هذا أن ينفرد الواحد بعد الواحد ضالا الطريق أو مريضا فتختطفه المفترسات كالثعلب القطبي . أما أفراد السرب فهي متعاونات لها حراس يعرفون مواقع الخطر فيفرون بالقطيع كله فيعيشون ويكثرون واملون كلون الجليد به لا يميز بعضها بعضا فتهلك كلها . لاجرم أن أول الأمرين خيرهما وهذا هو الذي حصل في الوجود ﴿ النوع الثاني السمور ﴾ فانه يحتفظ بفروته العظيمة الثمينه الجيلة السمره في أيام شتاء (سبيريا) القارس . وذلك لأنه يلزم الأشجار وياكل من ثمارها وهو نشط ويختطف الطيور بين الأشجار فيقتنصها فيأكلها ولو كان لونه السواد لميزته الطيور ففرت منه فلم يأكلها ﴿ النوع الثالث الغراب ﴾ انه يكون في أقصى الأقطار القطبية الشمالية ولكنه دائما أسود . ذلك لأمرين ﴿ أولا ﴾ انه لا عدو له يفاجئه اذا تميز في وسط الثلوج ﴿ الثاني ﴾ أن فريسته وهي الجيفة لاتفر منه اذا أراد أكلها فلذلك حفظ له سواده ولم يغير ذلك كله لمنفعة الغراب نفسه . ثم قال هذه المسائل الثلاثة من البراهين الدالة على ما ذكرناه من أن الألوان مقصودة

لحماية الحيوان وهذه الحجة صادقة ومكذبة لمن يقولون ان البياض في الأقطار الشمالية من أحد ﴿أمسين﴾  
 إما من تأثير البرد مباشرة على الحيوان • وإما من تأثير انعكاس البياض من الثلج على الحيوان • فهذه  
 الأنواع الثلاثة علمتنا أن بياض الحيوان إنما يكون لما ينفعه البياض ويحفظه في حياته • أما التي لا تحتاج  
 الى حماية البياض أو تلك التي ينفعها السواد فانها تلون به ولا تلون بالبياض • ثم قال إذن سبب التغير لا  
 يرجع عقلا الى الامور الخارجة عن الحيوان بل هو راجع الى قوانين مختلفة تدور كلها حول حفظ الحيوان  
 ومنفعته لا على الوسط الذي تعيش فيه حشرات تلون بلون جذوع الأشجار وحشرة أبي دقيق التي تلون بلون  
 الأوراق الجافة • فلما أتممت هذا القول أخذ يقول يا عجباً أهذا كلام الحكماء بأوروبا في عصرنا • فقلت  
 نعم هذا هو الذي رأيته ونقلته وسأشرح هذا المقام إن شاء الله وبقيت حيا في سورة - قد أفلح المؤمنون -  
 عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهناك أبين هذا المقام بإيضاح وأثبت لك الصور التي رسمها  
 القوم بالتصوير الشمسي فترى هناك ان شاء الله حشرات طائرات ثم انها تجثم على شجرة عتيقة فيخيل  
 للرأى أنها عبارة عن غصن غليظ من الشجرة قد كسر أعلاه حديثاً • وما ذلك إلا أن هذه الحشرة قد  
 خلقت بحيث تكون على هذه الحال لئلا يعرفها قاصدها من الطيور آكلات الحشرات • وهكذا ترى هناك  
 صور حشرات ألوان أجنحتها تشبه تمام المشابهة ألوان الأوراق الجافة حتى لا يظن لها آكل الحشرات •  
 وهكذا بعض الحشرات من أبي دقيق الذي تراه هناك مرسوما على الشجرة وهو لا يميز من أزهارها التي  
 تلون بلونها • كل ذلك ستره إن شاء الله ولا يسمع المقام ذكره هنا • فقال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات  
 ﴿بيان أن هذا معنى قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ -﴾

فقلت أليس هذا يكفيك في معنى قوله تعالى على لسان هود - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة  
 إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فانظر الى التعبير بربي وربكم فهو مرابي هود ومرابي  
 قومه وهو مرابي كل حيوان وحافظه وهو على صراط مستقيم أي هو عدل لا يجرور والجور هنا اعطاء الحيوان  
 ما لا ينفعه أو ما يضره فلأنه أعطى السمك الذي في قاع البحر لون الذي عند سطح الماء فكان في ظهره زرقه  
 مع سواد أو خضرة لامتاز بهذا اللون فتعرض للهلكات ولو أعطى السمك الذي عند سطح الماء ما أعطاه  
 للسمك الذي يعيش في قعر الماء في البحار الحارة التي يكون قاعها مزداناً بجمال الحيوان والنبات لامتاز  
 هذا بلونه البراق البهيج عند سطح الماء فرآه مافوقه من الطيور الصائحات وما تحته من السمك المفترسات •  
 إذن ثبت بالعلم الذي نشر اليوم في أنحاء أوروبا وأمريكا واليابان وجميع العالم الانساني أن هذه الآية يفسرها  
 حكماء الحكماء وعلم العلماء ويضعف عن فهمها أكثر رجال الدين في البلاد الاسلامية الذين لم يعرفوا نظام  
 ربهم واكتفوا بإيمان الجأز • وهكذا أكثر المتعلمين بمدارس مصر والشام والعراق وأوروبا وأمريكا  
 واليابان فان هؤلاء كالفقهاء في الاسلام والفرق بينهما أن الفقيه يقول هذا فعل الله • وهؤلاء الذين أخذوا  
 شهادات عالية من المدارس يقولون هذا فعل الوسط والبيئة وأن الثلج أثر على ماحوله من الحيوان فأعطاه  
 البياض وأن الرمل في الصحراء أثر في الجبل والأسد فجعل ألوانهما كألوان رمال الصحراء وقد ظهر لك بطلان  
 ذلك كله بالبرهان

### ﴿العرش والرجة والعلم﴾

قد جاء في أول هذه السورة أنه مامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأن كل ذلك في كتاب مبين  
 وأن عرشه على الماء • وجاء في سورة أخرى - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم  
 ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك  
 وقهم عذاب الجحيم - فالذين يحملون العرش أي الملك والذين حول العرش هم المدبرون لهذا العالم من العوالم



الجرّدة عن المادّة والعوالم المادّية كأرضنا ترى فيها نفوس صغيرة في أجسام انسانية لتزداد علما و بعضها يرتقى الى أن يصير مع أولئك المجرّدين عن المادّة من الملائكة ويدبرون كتديبرهم كلّ بقدره . فهؤلاء الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون . والتسبيح يرجع لمعرفة أن الله مترفع عن المادّة وما يناسبها وعن سائر المخلوقات . والتحميد لاحقيقة له إلا بأدراك الحقائق فإن الحمد إنما يكون على نعمة . والنعمة ان لم تعرف فلا جد عليها . وكلما كان الانسان أو الملك أكثر علما كان أكثر جدا . والجد جاء في اسم سيدنا محمد ﷺ وجاء في قول المصلّي قبل كل مكتوبة اللهم آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابشه مقاما محمودا الذي وعدته . فذكر الحمد وتكراره في الصلاة والدعاء كله راجع للعلم فلا جد إلا على علم والمجهول لا جد عليه . فهؤلاء الملائكة يسبحون بحمد ربهم وهم علماء بما جدوا عليه وهم مؤمنون لأن الحمد لا يكون إلا مع ايمان ولكون المؤمنين شاركوهم في الايمان العام أخذوا يستغفرون لهم ويقولون - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - . فياليت شعري كيف نعلم أن الله وسع كل شيء رحمة وعلما إلا بمثل ما ذكرناه . وتجب من ذكر الرحمة مصحوبة بالعلم لأن الرحيم الجاهل لا يقدر أن يضع الأمور في مواضعها فيعطى السمك الذي عند سطح الماء لون المرقش المزين الذي في قاع البحر الحار فيموت السمك فريسة هذا النقش والتصوير والتزيين ويعطى بجهله الجبل لون الطاووس وكذلك الأسد فيهلك الأول بالحيوانات المفترسة والثاني بفرار الغزلان والبقر والجاموس والغنم والمعز اذا رأينه في غرض الصحراء . فالرحمة لا تكون إلا مع العلم والرحمة بلا علم حاقة وهذا المعنى هو المذكور هنا وهو قوله - إن ربي على صراط مستقيم - ولن يكون على صراط مستقيم أي عدل إلا اذا علم طرق المنافع والمضار فأعطى الأول ومنع الثاني . فقوله هناك - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - يقرب من قوله هنا - إن ربي على صراط مستقيم -

فقال صاحبي مامعنى قوله في أول السورة - كلّ في كتاب مبين - بعد ذكر أن كلّ السواب عليه رزقها هل الكتاب الذي كتب فيه كل شيء اطلعنا عليه وأبان لنا شيئا من تلك العلوم . فقلت كتاب الله ولوحه المحفوظ لا يعرفه إلا هو ومن يريد تعليمه ولكن هذا الكتاب له آثار . فقال وما هي الآثار . قلت انظر الى التصوير الشمسى . ألسنت ترى الناس يصوّرون الجبال والأنهار والكواكب والمزارع والحصون بالتصوير الشمسى فيعرفونها معرفة عامّة . قال بلى . قلت فهل الصورة الشمسية فيها مزايا الأصل من كل وجه . قال . كلا . قلت هكذا هنا ان الله وان لم يطلعنا على اللوح المحفوظ اطلعنا على الصورة المنطبعة في الأرض منه . فهذه الطوائف الحيوانية والنباتية التي قرأت بعضها هنا وفيما تقدّم في هذا التفسير والتي ستقرؤها ان شاء الله في سورة - قد أفلح المؤمنون - اذا درسناها حقّ دراستها أرتنا جبال ذلك اللوح المحفوظ فان الاتقان في الصنع بحيث ترى الفأر والأسد والجمل وطوائف الحشرات والسمك كل واحد منها قد أعطى مابه حياته . ذلك كله نظام وترتيب . والنظام والترتيب إنما يكون من العلم . فالعلم والحكمة المنجوان عنا المحفوظان عند الله قد ظهرا في هذا الوجود وبانا أيما تبيان لمن يدرسونه . أما الذين يعيشون وهم ساهون لاهون مكتفون بقشور العلوم وبما نالوا من شهادات من مدارس عالية فأولئك ربما كان غرورهم بعلمهم القليل يحملهم على انكار ما لم يعرفوا والتظاهر بالانكار ليدفعوا بذلك الانكار والتكبر الخزي والعار أمام الذين يعلمونهم فاذا سئلوا في مثل هذا المقام قالوا هذه أشياء يقتضيها الوسط والبيئة وأحوال الجوّ وهكذا . واعلم أن الله عز وجل حجب أكثر النوع الانساني عن معرفة هذا وأمثاله رحمة منه بهم كما قدّمت في أول المقال ولوأنهم عرفوا ذلك لسكروا ولا نهروا فكان فرحهم عظيما لكن الله برحمته شغل الناس باطعام أنفسهم وبملا بسهم وبعداواتهم وأعمالهم فهم في شغل شاغل . كل ذلك ليقوّى عقولهم حتى يستأهلوا لمعرفة هذا الوجود ولوعرفوه الآن لتأبّت أكثر النفوس فهو هنا حجبها ليقويها ولا يعطيها من العلم إلا بمقدار على حسب

قابليتها . فاذا رأيت زيدا يحقر هذه المسائل فلا تعجب لأنه الآن يربى بالنعم والعز والذل والفقر والغنى لتربى نفسه في الصيف والشتاء والحرىف والربيع فتشتد وتقوى حتى اذا فارقت روحه بدنه استحق من العلم على مقدار ما استعد له . فحجب الناس عن العلم لم يكن بخلا ولكنه يحرمهم منه الى أمد معلوم لمنفعتهم لا غير واذا رأيت نفوسا متعطشة الى هذه المغارف ونالت بعضها فاعلم أنها استحققت ذلك . ذلك هو الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين

### ﴿ التسبيح والتحميد ﴾

استيقظت قبيل فجر يوم الأحد ٣١ يوليوسنة ١٩٢٧ فخطر لي أن هذا الموضوع يعوزه التمام فها أنا ذا ذاكر ما انشرح له صدرى تقيما للمقال فأقول

لقد علمت أن الألوان جعلت لحماية الحيوان فيما تقدم وفيما سيأتي في سور أخرى فاعجب لذلك واعجب لقوله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - من هنا فليقرأ المسلمون التسبيح والتحميد . التسبيح تنزيه . والتحميد آثار للنعم . هذا هو مقصود التسبيح . أمرنا بالتسبيح في صلواتنا وسبحنا في الركوع وسبحنا في السجود في كل واحد (١١) مرة وجدنا في الرفع والاعتدال فقلنا ﴿ ربنا لك الحمد ﴾ وجدنا في أوّل الفاتحة في كل صلاة فنحن قوم حادون ونحن الذين قيل لنا - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون \* وله الحمد في السموات والأرض - وجاء في سورة يونس السابقة قوله تعالى - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - هذا المقام هو سرّ التسبيح وسرّ التحميد الذي لا نفهمه نحن سبحنا وتسبيحنا لفظي . وجدنا وجدنا لفظي . فاذا لم نتبع اللفظ معناه كنا ضالين . ومعنى الحمد ومعنى التسبيح يظهر في أمثال هذا المقام مقام الألوان . الله أكبر جلّ الله وجلت الحسنة . اللهم انك أنت الذي أبرزت هذه الأشكال الحيوانية الآتية صورها فيما سيأتي وأنت الذي رسمت عليها تسبيحك وجدك . فبالأول نزهناك عن العبث في صنعك والبعد عن الصواب في خلقك . لقد كسوت الحيوانات أغطية لونها بألوان خاصة فكانت وقاية لها . فألبست الدب في الأقطار الشمالية قباء أبيض وخلعت على الزنبور حلة مزركشة مزوّقة براقة يراها الناظرون وحبوت سكان الصحارى من الدواب ألوان رمالها وأفضت بنعمك على تلك المخلوقات التي هي في كلاءتك وزينت بعض الحشرات بزينة تشبه زينة حيوانات من نوعها وبهذه المشابهة أوهمت أعداءها أنها لها سلاح كسلاح المشبه به اقتصادا منك في عمالك ولطفنا منك بمخلوقاتك ورحمة بها فحميتهم من أعدائهم بمجرد المشابهة اللونية لما له سلاح من نوعها كما سيأتي صور ذلك فيما سيأتي من مجلدات هذا التفسير في محله إن شاء الله . واذا رأينا حشرة كزرق الطير . واذا رأينا طائرا ليليا يسمى (سكانك) في أمريكا الشمالية قد ازدهى لونه وجعل شكله فصار في الليل ظاهرا واضحاً وقد طال ذنبه الأبيض الزاهي الذي هو علم له يرفعه ليعرف . أقول اذا رأينا هذا وذلك فالتنا نقول اننا نزهنا الله بعقولنا لا بالفاظنا فقط . نزهناه عن العبث أي العبث في وضع هذه الألوان وهذه الأشكال فتري أن شكل زرق الطير للحشرة المذكورة انما جعله الله وقاية لها فليس هذا ازدرأ واحتقارا ولها ولعبا بل الحكمة أصبحت معروفة لنا فان الطير لا يشك في أن هذا زرقه فيصده عنه فيكون هذا الشكل رجة بالحيوان فاذا سمعنا الله يقول - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا \* ذلك ظنّ الذين كفروا - فذلك لأن الذين كفروا بالله يقولون إن العالم جاء بالمصادفات والامتزاجات وهكذا ظنّ جميع الجهال وجميع المتعلمين تعليما ناقصا ولكن الذين اتبعوا الأنبياء منهم يؤمنون ويصدقون ولكنهم لا يفقهون الحقائق ويخطر لهم أن هذا العالم باطل ولكنهم يدفعونه بإيمانهم وتصديقهم والإيمان غير اليقين . وهكذا نقول في الطائر المذكور الآتي شرحه في المجلدات الآتية إن شاء الله تعالى . نقول إن هذا الطائر الأمريكي قد أعطاه الله سلاحا وهو أنه ينشر رائحة

كريمة بها يدفع كل هاجم عليه فجعل الله هذا الذيل الطويل البهيج الجليل الأبيض ليكون علما له يرفعه فتراه الطيور الكواسر فتفر منه ولا تقرب به لأنه نشر علمه يقول أنا البطل المغوار أنا الليث الكرار أنا الذي أدفع أعدائي بسلاح عجيب النشأة غريب . قلدني الانسان فاخترع الغازات الخائفة والمعمية فأنا أول من حارب الأمم بالغاز الكريه شمه وأعدائي من الحيوان ليس عندها وقاية تقيها على أنوفها من رائحتي الكريه كما استعمل جيوش الحلفاء أكنة على أنوفهم في الحرب الكبرى وقاية لها من غازات الألمان الذين قلدوني في اختراعي فلي السبق عليهم في هذه الصناعة . اذا فهمت هذا فهمت معنى قوله تعالى - وان من شيء إلا يسبح بحمده - فجعل التسبيح ملتبسا بالجد وهذا هو الحق فان الحشرة التي على لون زرق الطير قد كتب على بدنها مانصه ﴿ أنا أنزه الله عن العبث في وضعي على هيئة قدرة فلم يجعل هذا عبثا وانما جعله لمنفعتي ﴾ فقول الحشرة إن هذا الوضع ليس عبثا وانه لمنفعتي تضمن التسبيح والجد معا لأن النعمة هنا هي الوقاية من الهلاك والوقاية مرتبطة بهذا الشكل القدر فقذارة الشكل بها النجاسة فغنى قلنا بها النجاسة نزها الله عن العبث وصارت له منة على الحيوان فالتسبيح هنا ملازم للحمد . فهذا هو سر - وان من شيء إلا يسبح بحمده - فالتسبيح هنا مع الجدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر . فهذا الشكل أفادنا الأمرين معا تنزيه الله عن العبث وفضله على عباده . ومثل هذا نقول في الطائر الأمريكي فرائحته الكريه التي يطلقها على عدوه هي شيء قدر والله لم يخلق هذا القدر الكريه الرائحة عبثا بل جعله وقاية لمن اتصف به فحصل ﴿ الأمران ﴾ تنزيه الله عن العبث في وضع هذا القدر المكروه الرائحة والمنة والنعمة على الحيوان . فالتسبيح والتحميد متلازمان وهذا يفهمنا معنى قوله تعالى في سورة يونس قبل هذه - دعواهم فيها سبحانه اللهم - الى قوله - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فهذا المقام فتح لنا باب فهم ذلك على قدر طاقتنا البشرية . إن تسبيح أهل الجنة وتحميدهم ليس كتسبيحنا ولا كحمدينا بل هم يسبحون ويحمدون بطريق الإلهام كما ورد في الآثار انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما نلهم نحن النفس فالتعبير بالإلهام يفيد أن ذلك التسبيح وذلك التحميد قد ظهر الآن في هذا التفسير شعاع نور منه فان ألوان الطيور وأشكالها وهكذا كل حشرة وكل حيوان جميعها امتزج فيها التسبيح والتحميد ولكنه معقد غير معقول إلا لقليل من الناس ولذلك قال لنا - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - إن تسبيحهم مندرج في حمدهم . إن هذه العوالم كلها عبارة عن كتاب كتبه بيدي يدل دلالة أوضح من دلالة ما تكتبونه بأيديكم وما تلفظونه بألسنتكم ولكنكم تقصرون عن ادراك ذلك وأتم في هذه الأرض ولا يفهم بعضه إلا أناس اخترتهم لذلك وهم الذين قلت فيهم - انما يخشى الله من عباده العلماء - ولا يتم الفهم إلا بعد الموت لأولى الأبواب ولذلك جعلت تسبيح أهل الجنة مفصولا عن حمدهم والتسبيح على قدر التحميد أريد بذلك أن المعاني المعقدة عليكم والمعاني الخبوءة في هذه الصور والأشكال التي هي حروفي وكلماتي التي خفيت عليكم وأنتم هنا فلا تفهمونها هي التي ستظهر لأهل الجنة فيعقلونها بطريق الإلهام فتفصل لكم الأشياء تفصيلا كما فصلت الجدة هنا عن التسبيح بحيث تعقلون جمالي وقد قويت أرواحكم فحملت ذلك فصارت في لذة لا يحلم بها ولا يقدر على تحملها أهل الأرض . هذا تحقيق بعض المعاني في قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - المتمزج بالتحميد بخلاف أهل الجنة إذ يسبحون ويحمدون بالفهم والعقل لا بمجرد اللفظ كما تفعلون . هذه هي المعاني التي خباها الله في صور الحيوانات التي تعيش بين ظهرائنا فهو آخذ بناصيتها وهي أنفسها تسبيح وهي أنفسها حمد ونحن اليوم لا نعقلها وسنعقلها بعد الموت . واعلم أن هذا التفسير فتح لباب هذه المعاني وسيكون في هذه الأمة حمادون ومسبحون بطريق العلم والحكمة ويكونون نورا للناس وتكون هذه العوالم في نظرهم جنة عرضها السموات والأرض وأي جنة وأي لذة أبقى وأرقى وأعلى من الوقوف على الحقائق التي ستكون نورا لنا في هذه الدنيا ويوم



القيامه نهتدى به لعلوم أعلى والعلوم هي حقائق التسبيح والتحميد

إذا علمت هذا علمت كيف أمر المسلم بالاكثر من التسبيحات والتحميدات بكثرة وعشياً . ولماذا يقول ﷺ لفاطمة رضي الله عنها لما سأله خادماً كما في البخاري ﴿ إذا أخذتما مضاجعكما فسيبحا ثلاثاً وثلاثين واحداً ثلاثاً وثلاثين وكبوا ثلاثاً وثلاثين ﴾ ثم ذكر أن هذا خير لهما من خادم . أليس ذلك معناه أن العلم هو اللذة القصوى . فإذا كان الخدم لراحة بدن المخدم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إذا كانت الحياة فيها لذات كالبقاء فيها وكالتلذذ بالمال والخدم والحشم فإن هناك ما هو خير لسعادة الانسان وهي ادراك الحقائق الذي دخل تحت التسبيح والتحميد والتكبير وذلك كله محبوه في العوالم التي نشاهدها أمثال هذا الطائر الأمريكي وهو بدن مركب من أجزاء أو كلمة مركبة من حروف دلت على معان لا يفهمها إلا الخاصة ولا يفهمون منها إلا قليلاً وفهمها هو عز الدنيا وعز الآخرة وسعادة الروح وسعادة البدن وهذه الكلمة من كلمات هي المذكورة في قوله تعالى - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً - فيها أنت ذا أيها الذي أخذت تقرأ في هذا التفسير بعض كلمات الله في اللوح المفتوح أمامك وهو هذه الدنيا وأكثر الناس حولك لا يعلمون والحمد لله رب العالمين

﴿ المتعلمون تعليماً أوروبياً في الشرق يجهلون حقائق العلم في أوروبا وفي الاسلام ﴾

تبين لك من هذا المقال في تفسير قول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ قبضتها الخ - أن كل دابة لا تعطى لونا ولا شكلاً إلا لمنفعتهم بحسب الاستقراء حديثاً وهاك ما كتبه العلامة (روبرت برون) في كتاب موسوعات العلوم المتقدم ذكره قال ما ترجمته في صفحة (٢٨٤) من المجلد الثاني (لقد كتبنا في مقال سابق من صفحة (١٣٨) الى صفحة (١٨٧) أقول هي المقالة التي استخلصنا بعضها هنا وسنذكر فيما بعد) في الألوان الحافظة للحيوان واجتهدنا أن نلقى شعاعاً من العلم ووضوح الحقيقة في المقصود من هذه الألوان الخاصة وفي أصولها من حيث انها بها يختفي الحيوان عن أعدائه الآكلات له وعن فريسته التي لا بد له من اصطياها . ولقد أبنا هناك كيف كان موضوع الألوان متسعاً متشعباً الأطراف في الطبيعة وكيف ان ما كان يظهر للناس من الألوان انه للزينة والازخرف (١) حينما كنا نبحث الحيوان وهو محبوس في أقفاصنا (يريد أمثال الطاووس) (٢) وحينما نلاحظ صورته في دار التحف) ظهر الآن انه خطأ محض وضلال مبين لأن تلك الألوان جميعها لحفظ كيان الحيوان والحفاظة عليه اذا درسناه وهو في وطنه الأصلي أوربيناه وهو جائم للاستراحة وقد اتخذ شكلاً به ينجم من خطر الهجمات . انتهى بإيضاح قليل

وهذا القول يفيدنا فائدتين ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الناس في غفلة معرضون عما حولهم وأن المتعلمين في بلاد الشرق الذين قرؤا لغة أولغتين مع بعض العلوم هؤلاء هم كأكثر فقهاء الاسلام هؤلاء ممن قال الله فيهم - وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون - أما ظن هؤلاء المتعلمين تعليماً أوروبياً فانه اتجه بغيره الى أن ما أخذوا فيه شهادة من مدارس أوروبا هو العلم كله وهم في الوقت نفسه يجهلون حقائق العلوم عند الاوروبيين فأكبر علمائهم في العلوم الطبيعية قد رأيت الآن نص ما نقلته عنهم وانهم يعيرون الذين يكتبون من الحيوان بظواهره ولا يعقلون حقائقه . وأما ظن الفقهاء فظاهر انهم يتركون النظر في هذا العالم ظانين انهم عرفوا كل شيء فالأولون منهم كفروا لقلة علمهم والآخرين جهلوا ما يطلبه الايمان ولو أن الطائفتين كانوا غير مخدوعين لرسوا وحققوا فالكفر في الأولين للغرور والجهل في الآخرين للغرور وهاهي ذه علوم أوروبا التي نقلناها عن حكمائهم في عصرنا فأعداء الشرق هم الفقهاء الغافلون ومتعلمو العصر المغفلون فالفقهاء بادعائهم نصر الدين قد هدموه وهم غافلون والمتعلمون تعليماً أوروبياً بتركهم الدين واحتقارهم كل دين أعربوا عن جهلهم بعلوم ساداتهم في أوروبا . ويقول الله في

الطائفتين - فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - وهذا تمام الفائدة الأولى  
 ﴿الفائدة الثانية﴾ ان هودا عليه السلام كان يناوئه قومه ويعادونه وهكذا سائر الانبياء فهؤلاء كلهم قد  
 آذتهم أممهم فقال لهم هود أنا لا أخاف منكم - إني توكلت على الله ربي وربكم - واحتج على ذلك بدليل  
 وهو أن الله أخذ بنصية كل دابة فان وقع بي مكروه فهناك أحد ﴿أمسين﴾ إما أنه ينجيني منه وإما أن ذلك  
 المكروه يكون سببا في ثواب الآخرة كما قال تعالى على لسان نبينا ﷺ - قل هل ترصون بنا إلا احدي  
 الحسينين - فجعل النصر حسنى والقتل في سبيل الله حسنى وهذا هو معنى التوكل أى ان الانسان يجتهد في  
 عمله والنتيجة تسلم لله وتكون هي خيرا للانسان بحسب حاله كما اننا رأينا الطائر الأمريكى قد جعل المكروه  
 من راحته والمحجوب من شكله الزاهى الزاهر كلاهما لحفظه وكما رأينا تلك الحشرة التى شكلها شكل زرق  
 الطيور قد جعل ذلك الشكل القبيح لوقايتها فهنا قبيح وحسن لوقاية الحيوان وقبيح خالص لوقايتها أيضا  
 هذا هو الذى يقصده هود عليه السلام . يقول إن الله تكفل بالحيوان وجعل المكروه والمحجوب لمنفعته  
 فيها أناذا أتوكل على الله وأقول ان المكروه والمحجوب نافعان لى والشر كالخير لأن النتيجة هي الفائدة لى  
 وربى الذى رأيناه جعل المكروه والمحجوب نافعين للحيوان هو نفسه الذى قدر لى المكروه والمحجوب .  
 فبالقياس على الحيوان يكون المكروه كالمحجوب فالأول للذنى فى الحال والثانى للذنى فى الاستقبال وهذا هو  
 قوله - إن ربي على صراط مستقيم - اه

﴿زيادة ايضاح - إن ربي على صراط مستقيم -﴾

انه يريدنا على صراطه المستقيم وهو يهديننا الصراط المستقيم كما قال تعالى - وانك لتهدى الى صراط  
 مستقيم \* صراط الله - فقول المسلم - اهديننا الصراط المستقيم - يريد صراط الله الذى له مافى السموات ومافى  
 الأرض وأن الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض يديرهما بالقسط والعدل فيجعل الفأر أسود والزنبور  
 أحمر والطائر الليلي الأمريكى فيما تقدم أبيض ذا ذيل طويل والحية والضب بلون الرمال ولا يجعلهما كالطاووس  
 وهكذا مما لانهاية له يفعل ذلك على صراطه المستقيم فلو عدل عن هذا الصراط لقنيت الفيران بظهور ألوانها  
 ليلا ولولم يعط الزنبور حلقته البراقة الدالة على ماله من سلاح لهجمت عليه الطيور الآكلات للحشرات وهكذا  
 مما علمته . هذا فتح لنا سر القضاء والقدر . القضاء والقدر سرهما محجوب عن الناس جميعا لأننا فى  
 الأرض محبوسون وما أوتينا من العلم إلا قليلا وليس ذلك بخلا من الله كما لم يكن منع اعطاء الفأر لون  
 الطاووس بخلا منه بل ذلك منة منه وفضل ولكن ماذا كنا هنا فيه بصيص من نور ذلك السر

ذلك أنه جاء فى سورة الأنعام - سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ  
 كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن  
 وان أنتم إلا تخرضون \* قل فأنه الحجة البالغة فإشياء هذا كم أجمعين - الله أكبر جل الله وجل العلم وظهر  
 بعض السر وأذن الله بارتقاء المساميين وبعثو كبرهم فى العلوم . إن هذا التفسير منحة من الله . ذلك أن  
 أبواب العلم اليوم قد فتحت ومن أجلها ما ذكره فى هذا المقام . ذكر الله أن الذين أشركوا سيحتمجون  
 بالقضاء والقدر على صاحب الرسالة ويقولون اذا كان كل شئ بمشيئة الله فلم هذا الوعيد والانهيار على الكفر  
 والذنوب ومنهم أكثر المتعلمين اليوم والجهلاء فأجابهم أولا بالتهديد بأنهم يذوقون البأس كأمثالهم من الأمم  
 وثانيا يصفهم بالحرمان من العلم ولو كان عندهم علم لهداهم والعلم شئ والظن شئ فالعلم اليقيني هو النظر فى  
 هذا الوجود والنظر به يكون اليقين الذى انصف به الخليل وهذا اليقين انما يكون بمثل النظر فى أنواع الحيوان  
 المذكورة . إن الناس فى مستقبل الزمان سينالون حظا عظيما من علوم الحيوانات وغيرها وهناك يدرسون  
 بالعلم والحكمة أن الله لم يعط حيوانا لونا ولا شكلا ولا هيئة إلا جعل ذلك نافعا له وعند التحقق من هذا

يزول الاعتراض بالقضاء والتدبر لأن القبح والحسن وغيرهما كلها المنفعة نفس الحيوان فهذا هو العلم وهذه هي الحجة البالغة التي كتبها الله لنا بخلق صور الحيوان ولست أقول لك ان هذا كل الحجة بل هو فتح لبابها يجيب الله كل سائل متكمل على القضاء والتدبر بأن العلم هو الذي يعرفه صراط الله المستقيم ومتى علم الناس أدركوا بعض حجة الله البالغة وأي حجة أبلغ من خواص الحيوان وعجائبه

ظهر مما تقدم وما سيأتي في سورة المؤمنون أن كل حيوان يجب أن يكون على ما هو عليه والا هلك فهمنا أمور ﴿الأول﴾ أن لكل حيوان شكلا ولونا لا يصلح لغيره ﴿الثاني﴾ أن هذا هو العدل وسواه ظلم لأنه يترتب عليه هلاك الحيوانات ﴿الثالث﴾ أن النقص لا فرق بينه وبين الكمال والحسن والقبح كذلك فكل ذلك لبقاء الحيوان فيكون نقصه بالنسبة لغيره كمالا بالنسبة له . هذه هي حجة الله البالغة هدايا الله الى أوائلها في هذا التفسير . هذا صراط الله المستقيم فكيف يكون صراطنا نحن في قوله لنا

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

قد علمت أن الله يقول لنبيه ﷺ - وانك تنهدي الى صراط مستقيم \* صراط الله الخ - فصراطنا هو نفس صراط الله ولكن صراطنا على حسب أحوالنا ﴿أولا﴾ أن نعلم أن ما يحصل لنا من الحوادث ونراه نقصا لنا أو ضررا نتيجته المنفعة لنا قياسا على الحيوان الذي عرفنا كيف كان الله على صراط مستقيم ﴿ثانيا﴾ أن نذر الإفراط والتفريط في الأمور ونكون وسطا في كل شيء في الكلام والأكل والحب والبغض وهكذا وهذا ملخص علم الأخلاق ﴿ثالثا﴾ تزيد علما حتى توقن أن ما أصابنا من مكروه فهو نعمة علينا كما أن سواد الفأر نعمة عليه بل الذنوب التي تورثنا ندماء ربما كانت سبب اشراق قلوبنا فاذن لا يكون فرق بين المرض الجسمي والمرض الديني وهو الذنب في أن كلا منهما قد ينير العقل ﴿رابعا﴾ أن نكون حكياء فلا نقول كلمة أو نعمل عملا إلا اذا وزناه كما رأينا الله وزن الألوان والأشكال ولم يعطها إلا لأربابها فلا نحن عنده ولا هو حائد عن الصراط المستقيم اه

﴿بهجة الأنوار في عجائب الحيوان﴾

يظهر لي أن هذه الدنيا لانهاية لعجائبها ولا غاية لبدائعها . هاأنذا ألمعت الى ما ستقرؤه في سورة - قد أفلح المؤمنون - من عجائب الألوان في الحيوان وبعد ما كتبت ذلك عثرت على أمر يدهش العقل ويحير القلب ستقرؤه في سورة الرعد عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - ستري هناك أمرا عجبا . ذلك أن من النبات ما هو مفترس لا يتغذى من التربة ولا يتعاطى خلاصة النبات كالغزلان والجمال بل لا يأكل إلا اللحم أو الحشرات وله طرق خاصة لصيد فريسته ومنه ما يسمى (بالنبات الجزار) لأنه متى وقعت فريسته في قبضته لم تفلت منها بل يفترسها وسلاحه في ذلك ﴿أمران﴾ حسن ألوانه مع الجمال ومقدار من العسل موهوب له من الله . فهذان أعطياه ليكونا سببا لخداع الحشرات فتسرع اليه فتكون غذاء وهناك ترى صور تلك النباتات وشرحها

أليس هذا من قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أخذ الله بناصية هذه الدواب النباتية اطلع عليها فعلم أنها لا قوة لها لتنتقل بها من الأرض . فماذا فعل لها . أمر الحشرات أن تطوف حولها وأعطى هذه الدواب المذكورة من نعمه عسلا ومنظرا حسنا ليكونا سببا في دخول هذه الحشرات في المذبح فلا تخرج منها وإنما تدخل في ضمن غذاء ذلك النبات . اللهم إنا نحب من صنعك وحق لنا أن نحب . أخذت بنواصي كل دابة . يعيش أقوام ويموتون من أهل الأديان ومن الملحدين وأكثرهم يغفلون لا يفتنون . يسمعون أن ذلك النبات يفترس الحيوان فيمرون عليه مر السكرام فلا المتدين يدهش لذلك ويكون سببا في بحته وسعادته وجمال العلم في قلبه ولا الملحدين يعقل كيف خلق هذا وكيف سهلت له الأسباب



حتى حظى بغدائه بدون انتقال وعذب الانسان والحيوان في طلب الرزق ولم كان البذل مقدرا بمقدار الحاجة عجز النبات الحيواني عن السعي فأرسل له ما يأكله بحيل خلقت فيه وأعطانا وأعطى سائر الحيوان قوة فأبعد مطالبنا على مقدار قوانا • اللهم انى أعجب هذه الدنيا اختلفت أعمالها واتفق نظامها

### ﴿ حياة الأرض ﴾

ثم إنى اليوم نظرت فيما قاله العلامة (مترلنك) الذى أبدع فى حياة النحل وألف فى حياة (الأرض) على وزن بقرة وهى دودة عجماء ويسمون هذا النوع بالنمل الأبيض أو النمل الأعشى والحقيقة أنها ليست نمل ولاهى بيضاء بل لونها جمع بين البياض والكدره وهو (الأغبس) من الغبس وقد عرفته ﴿وبعبارة أخرى﴾ لونها لون الأرض التى تعيش فيها وهى الآتية إن شاء الله فى قوله تعالى - مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته الخ - فى سورة سبأ فأحببت أن أوجز فى وصفها ليزداد علمنا بقوله تعالى - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها - يقول هذا العالم ان هذه الدابة عاشت قبل الانسان مائة ألف سنة وهذا بحسب ظنه وظن علماء زماننا • ويقول ان حضارة هذه الحشرة أقوى من حضارة النمل والنحل وقدرس هذه الحشرة علماء مثل (كونج) و (هنرى سميثان) وغيرهما من فطاحل العلماء وهو حيوان يتراوح بين (١٠ و ٣٠) مليمترا طولاً وأغلبه لا يكون له أجنحة وهو بطيء الحركة ولا يعيش فى غير البلاد الحارة ولا يرى الشمس لئلا يموت ولا يعيش إلا فى الرطوبة وهو أنواع كثيرة فمنه ما هو بناء يقيم هضاباً فوق الأرض ومنه ما يعيش فى العراء ويمشى بين صفين من الجنود يحتمى بها من الأعداء ومنها ما يفتك بالأشجار وقد تكون مساكنها تعلو فوق الأرض أربعة أمتار ومحيط قاعدتها (٣٠) قدماً كأنها قلب سكر ومنها ما يبدو كالقناطر نصبت فوق أعمدة متعوجة وقد يستطيع الفارس أن يمشى من تحتها • ومن مساكنها ما شوهد فى أفريقيا الوسطى ولاسيما فى (كنفوالبلجيك) حيث يبلغ العلو من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار • ومن عجب أن هذه الحشرة يظن العلماء أنها قد أعطيت علماً بالكيمياء لم يعرفه الناس فإنها تعيش فى أصقاع لا أثر للماء فيها ولا للحياة يقولون انها ربما أخذت (الأوكسوجين) من الهواء وجعته الى (الاوروجين) الذى تجده فى غذائها النباتى ليتكون منهما الماء • ومعنى ذلك انها تقدر أن توجد الماء بطريقة كيميائية عجز عنها الناس فى الأرض • وهذه الحشرة لها ملكة كما للنحل سترى رسمها ان شاء الله فى سورة سبأ وبجانبها الملك فهى تملأ اليد وهو كالأنملة وحوها الضباط المحافظون على حياتها والكشاف الصغار المحيطون بها وهناك الذين يطعمونها عند فمها والذين يتلقون بيضها عند مؤخرها ثم انها لاتقوم من مرقدتها حتى آخر أجلها وهناك جنود وعمال والجنود والملك والملكة لا يتعاطين الطعام إلا مما تعطيه لهن العاملات اللاتى تشبه من النحل العاملات فيه وهى الشغالة ومن عجب أن تلك المملكة العظيمة يقوم بها الملك والملكة والعمال والجنود فى الظلام وقد تفتك بالأشجار والمنازل والملابس والقرى ولولا النمل ومخاربه لما لأهلكت الحرث والنسل وأخرت كثيراً من بلاد نوع الانسان • ومن عجب أن هذه الدولة يترى تحت اشرافها وفى مدينتها فى الظلام جماعات كثيرة ذوات عيون وأجنحة • فاذا ولى الخريف ودنا موعد المطر وتلك المخلوقات لم تزل فى تلك القرية المحكمة السد المسدودة السكوى الكثيرة الجنود ذوى القوة والبسالة اللاتى يبلغن خمس عدد القرية • هنالك يحصل أمر عجب لا يدري من أين جاء فما هو إلا أن يرى الانسان هؤلاء الجنود (الذين وقفوا على الفتحات التى تأتى بالهواء ليلاً ونهاراً لا يتركون موقفهم لحظة طول السنة) قد تخلصت عن أماكنها لحظة واحدة فى كل باب وخرجت آلاف الآلاف من تلك المخلوقات ذوات الجناح والبصر خرجت هذه المخلوقات فرحات اذا هناك جماعات يعلمن وقت خروجهن من العواقر والحيات والحررة والكلاب وسائر الحشرات لاسيما النمل فتهاجم على هذه الفرائس التى خرجت فى الجو كالعراس لأنها قد أعطيت قوة الذكورة والانوثة بخلاف التى فى المدينة فان الذكورة والانوثة

فيها قد صارت آثاراً لا عمل لها . فهذه العرائس تفتك بها هذه الجيوش التي حضرت لتقتات منها وهكذا بنو آدم يحضرون ويقتسمون تلك الغنيمة مع الحيوان فيجتمع الانسان ما يراه بالمجرقة ويأكله بعد التحميص أو يجمعه بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه في السوق كما في جزيرة (جاوه)

هذا ما أردت ذكره من هذه الأرض التي لا تبقى ولا تذر حتى إنها فعلت ملاحظاً له من عجائب التخريب فقد تأتي على الشجرة الكبيرة فتأكلها ويبقى هيكلها كما هو فإذا جلس أحد بجانبها واتكأ عليها انهارت ووقعت كأنها دخان وذلك لأنها تحاذر أن يكون التلف ظاهراً فهي تأكل جميع ما تحت القشر وترققه ولها كثير من العجائب عسى أن أذكرها هناك في سورة سبأ إن شاء الله تعالى . وههنا يأتي الحب فنرجع الى الفكرة العامة في هذا الوجود

### ﴿ نظرتي في هذه الدنيا ﴾

أرجع فأذكر لك أيها الأخ فكرتي أيام الشباب فقد كنت أقول . هذا الوجود ان كان منظماً فله إله وان لم يكن منظماً فليس له إله . وصرت أقول في نفسي ان هذا الوجود اذا كان بصنع مبني على تدبير وحكمة فالتنا معاشر الأحياء نسكون سعداء . واذا كان هذا الوجود عبارة عن مصادفة عمياء فالحياة هباء لا قيمة لها

فلما اطلعت على ما رأيته في هذا الكتاب وغيره ظهر لي ما يأتي  
لقد تبين لي من صانع هذه الدنيا أنه عمد الى المادة وعلم أنها قابلة لما لانهاية له من الصور والأعاجيب فتلطف وابتدع كل وسيلة لبسوغ النهايات المختلفة من الصور . فبينما نراه قد خلق حيواناً يأكل الحيوان والنبات اذا به قد خلق نباتاً يأكل من الحيوان ويأكل من النبات كما تقدم . ألا تراه قد جمع بين الضدين آكل ومأكول ويظهر لي أنه كما سحر عقولنا بما خلق من النبات الذي يأكل الحيوان وهو لم ينتقل من مكانه سحر عقول عوالم أخرى بخلقنا نحن إذ جئنا نحن في الأرض وفيها المتناقضات . فنحن نحتاج بعضنا لبعض في الشرق والغرب وكل لكل محارب فاذا اطلعت عوالم أخرى علينا أدهشها هذا الصنع الغريب فيقولون قوم يحتاج بعضهم لبعض وهم يقتتلون كيف يعيشون . وهكذا يرون فينا أفانين الأخلاق وبدائع المدينيات واختلاف الديانات . وكيف كان فينا من لا يعقل إلا شهواته . ومنا من يدرس الدنيا كلها وهكذا فيمجبون من متناقضاتنا عجبنا من تباينات الحيوان والنبات

هذا فيما نراه حولنا من هذه الدنيا والمادة التي نعيش فيها وفي أحوالنا العامة . فأما أجسامنا نحن وعقولنا فأمرهما عجب . فعل الله بها ما فعله بالمادة والحيوان والنبات . وذلك أنه كما عمد الى المادة خلقت منها مادق من الذرات وماعظم من الجبال وهكذا الصلب والصخر ثم الماء والنور . وكذلك خلق الموز والحنظل والخلو والمر . أعني أنه استخرج من المادة كل ما يمكن حصوله منها . هكذا نراه خلق فينا المتضادات الصغر والكبر والعز والذل والصحة والمرض والحزن والفرح

هذه هي صفات أجسامنا صفات تدل على أنه استخرج من أجسامنا وأرواحنا كل ما أمكن حصوله منها فهي تفرح وتحزن وتمرض وتصح وتضعف وتقوى . إذن أجسامنا أشبه بالأرض فهي مزارع فسكما زرع في الأرض الحلو والمر فينا المحبوب والمكروه وكأنه سبحانه رأى من العسل أن يعامنا بكل ما نستعده له أي انه يفهمنا كل ما نستعده له أجسامنا وأرواحنا هذا هو فعل صانع العالم يستوى عنده محبوبنا ومكروهنا كما استوى عنده المر والحلو في الأرض والصلب واللين في المادة والهواء والصخر . إذن صانع هذا العالم يريد أن يستخرج فينا كل شيء كامن في استعدادنا أسوة بالمادة التي نعيش فيها . هذا هو النظام الذي رأيناه منذ عشنا في هذه الأرض

## ﴿ إذن ما نتيجة هذا النظام ﴾

نحن الآن في الأرض قد حبسنا فيها وليست عقولنا هي المسيطرة لأنها محبوسة وإنما يمكننا أن نتلمس الجواب مما عرفناه في هذه الطبيعة . لقد جاء لنا وحى الديانات كلها بأن هناك عالم الآخرة وعالم الآخرة تظهر فيه أرواحنا بمظهرها الحقيقي والذي جاء في الدين كلام اجمالي ونحن الآن نبحث في طبائعنا فنقول لعل هذه الأرواح إذا خرجت من الأجساد ينفعها أنها ترى مزرعة الفرح والحزن والألم واللذة التي ابتليت بها في الدنيا فيكون ذلك لها درساً . ثم إن حيوانات الغابات تقل عندنا الأمراض والشروير التي ابتلى بها الإنسان فكان كثرة العطب تتبع الرقى والا لسكان الحيوان أرقى من الإنسان . وكما أننا في الدنيا تسرنا دراسة الموت والحلو والغذاء والدواء ونرى في ذلك لنا حكمة . هكذا إذا متنا واطلعنا في نفوسنا على ما قاست من ألم وما أصابت من لذة . وهكذا ما أحسنت من خير وما أساءت من شر . كل ذلك ليظهر لها مزارع ومناظر تتأملها النفس فتري في ذلك درساً يعينها على رقى آخر في عوالم أخرى . ولعلنا إذا لم نجرب الخير والشر والضر والنفع والصحة والمرض هنا نجد أنفسنا في نقص هناك ونحس بجھل عميق لأن الروح لم تدرس نفسها ولم تعقل ما كمن فيها فتكون إذن جاهلة بحال نفسها وهذا الجهل يضر بها هناك . وربما كانت بعض النفوس ستتولى إدارة بعض النفوس أو العوالم بأمر الله تعالى كما قدمناه في بعض هذا التفسير عن العلامة الرازي واخوان الصفاء وعلماء الأرواح في أوروبا فربما كان اتصاف الإنسان بالآلام واللذات يعطيه فهماً لما يتصرف فيه باذن ربه فهنا حالان للنفس مكروه ومحبوب كالمرض والموت والصحة والحياة فالذي ظهر لنا أن صانع العالم لما له من العلو والعظمة والكبرياء والبطش الشديد مع الرحمة التي لانهاية لها . قد خلقنا ولم يبال باحساسنا بل نظر نظرة إلهية لانظرة يجارى بها حواسنا وعواطفنا . خلق الحواس والعواطف لأعمال في الحياة ولكنه هو نظر الى ما هو أسمى . فانظر ماذا ترى . تراه يتلطف بالجنين في بطن أمه ويعطف عليه قلب والده ويخلق له اللبن ويحبب فيه المعلمين ويخلق الزراع والتجار والجنود . كل هؤلاء للحافظة بالرحمة . ونراه يتلطف مع (النبات الجزار) المتقدم فيعطيه العسل خاصة ويجمل لونه ليكون ذلك باباً لرزقه وفتحاً عليه . هذا لطف عظيم ولكنه يأتي بعد ذلك فيقلب الوضع فيأتي للنبات من يقلعه وللإنسان من يقتله أو هو يموت فأين هذه الرحمة والعطف . إذن نقول نقيس ما غاب على ما شوهد ونقول إذا قتله أو أماته فمعناه انه جعله في مكان آخر بحال أخرى ثم أتبعه بالرحمة التي كان يكلؤه بها في الدنيا واذن نقول . بهذا نفهم الحديث الوارد في الرحمة وانها مائة جزء وقد ادخر الله منها تسعاً وتسعين في الآخرة وأعطى واحدة لأهل الأرض بها يتراحم الإنسان والحيوان حتى ان الفرس ترفع حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه . هذه الآراء التي لاحظناها في هذا الوجود هي التي قد خبئت في قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون - أي اننا استخرجنا منكم كل ما كمن فيكم من الشر والخير كما استخرجنا من المادّة كل ما كمن فيها ثم انكم ترجعون الينا وقد عرفتم ما فيكم من الصفات علماً لانتشوبه شائبة لأن أعظم العلم ما كان باحساس الحي نفسه وتجربته هو نفسه . ويظهر لي أن نوع الإنسان لا يكمل إلا اذا بلغ في العلم مبلغاً به يستوى عنده الموت والحياة تبعاً لسنة صانعه هذا هو الحق . أما الإنسان اليوم فهو لا يزال جهولاً كفاراً . إذن عمل الله تعالى هكذا

(١) أب وأم (٢) زراع تجار وأطباء (٣) حكومات (٤) مسلمون (٥) منافع عامة في المخلوقات الحيوانية والنباتية وغيرها (١) أعداء محاربون (٢) فقر وذل ومرض (٣) اضطراب (٤) جهل (٥) الأساد والحيوانات الذرية للحمى والطاعون والموت هذان الجدولان وإن كانا ليسا كاملين قد تناوبا على الإنسان فهو حتى ميت سعيد شقي مريض صحيح . واذن الله تعالى من رحمته التي هي أعلى من احساسنا قد أحيانا وأماتنا وأتى لنا بالمتناقضات وهذا



انما جاء من طريق الوحي . أما من جهة العقل فهو من طريق التمثيل والقياس فكأننا نقيس ما غاب على ما شوهد لأن علومنا ناقصة لنقص هذا العالم الذي نعيش فيه بالنسبة الى غيره

﴿ شرف درس الحيوان ونظام الدنيا ﴾

أما في الآن كتابان من كتب الفرنجة أحدهما ﴿ مملكة الظلام ﴾ المسمى أيضا حياة الأرض المترجم حديثا الى العربية الذي ذكرته قريبا ومؤلفه (مترلنك) والثاني كتاب ﴿ موسوعات العلوم ﴾ باللغة الانجليزية للعلامة (روبرت براون) المتقدم ذكره . وفي الأول ماملخصه ان النحل قد يترك عاداته القديمة فيسدر ك فائدة ما يصنعه الناس من أقراص الشمع ليضع فيها العسل فيختصّ إذن بعمل العسل وحده وهكذا نراه اذا نقل الى (أستراليا) أو (كاليفورنيا) إذ يجد نفسه في صيف دائم ويدرك أنه لا يحرم أبدا من الأزهار فيكتفي بكسب قوته اليومي ولا يصنع العسل . هكذا اذا وجد ما يعتاض عنه كما في مصانع السكر ثم يقول ان النحلة عندها حاقة تضاد ما عرفت من تعقل النحل وذكر من ذلك أنها تخزن من الحب ما يزيد عن حاجتها فاذا جاء المطر نبت ذلك الحب فيعلم به الفلاح فيهدم القرية الخ ثم قال هل النمل أقل ذكاء من النحل لاشئ مما نعرفه عنه ثبت ذلك وربما كنا قاصرين عن فهم حاله لأن درس القرية أصعب من درس القفير وأصعب منهما درس الأرض . ولا يخفى ما في هذا الدرس من الأهمية لأنه متى عرفنا سليقة الحشرات وحدودها وعلاقتها بالذكاء (وبالعقل العام) سهل علينا فهم سليقة أعضاء جسمنا التي تختفي فيها أسرار الحياة والموت . انتهى

وهو قد وضع في موضع آخر من الكتاب أن الحشرات في قلبها وتصرفها ونظامها بحكمة وانتظام الجنود والعمال والملك والملسكة مع كثرة الأعداد بما لا حصر له لاسيما في حشرة الأرض المتقدمة لا يمكن ذلك إلا اذا كانت تلك الجوع أشبه بأعضاء الجسم واحد كما أن أعضاءنا كلها متحدة معا مرتبطة غاية الأمر أن جسمنا مندمج وجسم تلك الحشرات متنفش متفرق في الهواء النقي . هذا ما قاله الأول

وجاء في الثاني في المجلد الأول منه صفحة ١٨١ ما ترجمته أن في أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مدهشات ولكن لما كنا معتادين عليها أصبحت لا تستلفت النظر ولا تدهش العقل فان المؤلف يظن أنه معروف لاعتياده والدأب عليه . وانما الذي يلفتنا لغرابة هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في ادراكنا انما هي المواهب العلمية الخاصة فهي التي تدفع ما أسدلته يد العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأستار وتوحى اليها جلال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبدائع تركيبها بطرق الملاحظات والتفكير فيما حولنا وما يحيط بنا من العوالم

ثم قال . ان دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد عجزت عن ايقافنا على بعض من عويزات المسائل المادية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي ندراس لدراسة أنفسنا الخ

فهذان النصان المتطابقان يرجعان لغرض واحد وهو أن دراسة هذه العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة أنفسنا . فاذا درسنا النبات والحيوان وفهمنا قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ودرسنا نظير ذلك في أول السورة وقرأنا علوم الأمم في هذا المقام فاننا نكون إذ ذاك قد فهمنا لماذا قدم الله العوالم الأرضية على النفسية في قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلا تعجب معي أن أن يكون علماء أوروبا يقولون هذا القول وهو نفس القرآن . يقدم الله النظر في الأرض على النظر في النفس ويقول علماء أوروبا نفس هذا القول . يقولون ان درس الحشرات يعلمنا علم وظائف الأعضاء ويقولون ان دراسة العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة جسمنا . الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة وأشرق

## ﴿ لطيفة ﴾

ها أنت ذا رأيت حشرة الأرضة وانها تعيش في الظلام . أليست هذه الظاهرة من العجائب التي تقرب لنا حال الأرواح الشريرة في الآخرة . هذه الأرضة تعيش في الظلام لا ترى النور وهي محبوسة عاملة ناصبة وإذا قايسناها بالطيور كانت الآخرة أشبه بمن في الجنة والاولى أشبه بمن في النار . أنظر الى هذه الدنيا كيف كان الفرق بين حال حشرة الأرضة وحال النملة أو الطيور كالفرق بين الحياة والموت فإذا كان هذا الاختلاف في أرض واحدة صغيرة فكيف يكون الاختلاف في عالم الآخرة بين عوالم كثيرة اه

﴿ فائدة هذه المباحث في آيتنا وهو قوله تعالى - إني توكلت على - ﴾

اعلم أن ماتقدم به نعرف نظام هذه الآية فهو يقول - توكلت على الله - والبرهان على أنه جدير بتوكله اننى رأيت أخذ بنواصى الدواب جميعها فهو يحفظها ويغذيها ويرحها كما رأيت في هذا المقام وانما استدلت بالدواب لأننى ألحظها وعسير على أن ألحظ نفسى ففهم رجة الله في الحيوان أسهل من فهمها في الانسان كما أن دراسة نظام الحيوان وغيره حولنا أسهل من دراسة أنفسنا . هذا هو السبب في استدلال هود بالأخذ بنواصى الدواب فانظر وتجب كيف يقول فلاسفة أوروبا قولاً هو الذى فهمناه من نظام الآية وهذا من عجائب القرآن

## ﴿ وحدة هذا الوجود ﴾

ان نظام الأرضة المذكورة ونظام النمل والنحل ونظام الانسان بعد أن درسناه وشرحنا كثيراً منه في هذا الكتاب أفادنا أن كل هذه العوالم مشتبكة مرتبطة يخدم الانسان الحيوان والحيوان الانسان . والأرضة مثلاً تراها تصدر آلاف الآلاف كل سنة فتأكلها الكلاب والطيور والهرر والانسان كما تقدم فهذه الأرضة تهضم فئات الخشب الجاف من الورق فينقلب الى أجسامها ثم أجسامها طعام لنحو العصافير ثم العصافير طعام الحطاف والانسان وهكذا

فهذا يدلنا أن هذا الوجود كله مدبر بعقل واحد كما ذكرناه في غير هذا المقام إذ يظهر أن الله الذى خلق هذه المادة خلق لها أمراً آخر يسميه الفلاسفة عقلاً وهذا العقل من نور الله وأشعة هذا العقل وهذا العقل مثل شمس معنوية تصير في كل شئ بحسبه فهي في الجاد تلتصق وجاذبية وفي المعدن صلابة ولعان وقوة خاصة وفي الهواء لطافة وفي الماء سلاسة وفي النبات نمو وذبول الخ وفي الحيوان حس وحركة وفي الانسان ازدياد الفكر والعقل وفي السكون سير منظم وحركة دائمة فلهذا هذه الأشعة العقلية العامة أشبه بما نرى في أجسامنا إذ اننا نرى الرجل الشهوى يقل عقله والعفيف الذى حفظ شهوته قد يحفظ عقله . وهكذا نجد من أنهمك قواه في عمل ما ظهر أثر ذلك في تفكيره فكأن في الجسم قوة واحدة اذا مالت الى جهة حرمت الأخرى منها فهي في السمع قوة لقبول الأصوات وفي البصر قوة لقبول الصور وهكذا ويحمد الناس أن العمى أذكى من المبصرين فكأن قوة البصر تأخذ من القوة العاقلة نصيباً فتضعفها . إذن هذا العالم فيه شعاع عقلى عام يشكل في كل شئ بحسبه . ولعل لذلك الإشارة بقوله تعالى - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والا فلماذا نرى هذا التعاون مع شدة التفاوت وما هذه المباني التي تبنيها حشرة (الأرضة) المتقدمة التي قد تمتد أميالاً وترتفع أمتاراً وتصبح فيها مراعى خصبة للحيوان أخصب من غيرها ولماذا ينبت المرجان في البحار جزائر وجزائر يسكنها الحيوان وينبت فيها النبات ثم يسكنها الانسان بر وبحر كلاهما تكون فيه دابة حقيرة تبني مساكن لنفع الحيوان والانسان وهكذا مما لا يتناهى . ولعل لهذا الإشارة بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أى منورها . فهذه هوذا أظهر لنا أن نور الإدراك والنظام سار في عوالمنا المتجاذبة

المتعاونة المتحدة . فأننا نرى الجسم الأكبر كالشمس يجذب الأصغر كالأرض والأرض تجذب ما حولها وتجذب قرها . هكذا نجد العقل الأعلى يجذب العقل الأدنى فكأن أمثال الأنبياء شمس وكأن عظماء أممهم كالسيارات وهكذا . ونجد المدرسين يتبعهم تلاميذهم والرجل الصالح يلتف حوله ألوف من الناس فدلنا هذا على أن نظام الأرواح كنظام الأجسام الكبير في الأرواح من حيث الكمال تتبعه الضعفاء الصغار في ذلك الكمال والكبير في الأجسام حجما تتبعه الصغار حجما أيضا فالكبير والصغير في كلٍّ بحسبه حسا ومعنى

### ﴿ فصل ﴾

(١) الوحدة في العالم اقتضت أن يفدى بعضه بعضا

(٢) وفي ذلك تطف وحسن سياسة

(٣) وفساد شئ صلاح آخر

(٤) والامانة شريعة كشرعية الحياة . وذلك لتخاوا الأرض للباقيين بعد الهالكين

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الفضلاء . قال لو أنك أقفلت هذا الباب لكان أولى فلقد أثرت نائرة في نفسي وأخذت أقول . أليس من الظلم أن يترجى الأفواج من حشرة الأرض لتكون طعاما للهرّة والسكبة . أولم يكن من الغش والخداع أننا نراها تخرج من قراها مسرعة لتفرح بالحياة الزوجية اذا المنون حاضر لديها . وهل من الصدق أن تخدع الحشرة المسكينة بقطرة من العسل عند النبات الجزار المتقدم وباللون الجليل . إن الذي يقرأ هذه العاوم يغمره الشك ويغشاه الكفر وكراهة هذا الوجود

فقلت أما كون الأرض طعاما للسكبة والهرّة فهذا هو نظام هذا العالم الذي نعيش فيه وأنا وأنت نفتخر بأن نكون طعاما لحيوان فكيف تنكر ما تستحسن وتظهر الكراهة لما أنت محبة له وتقع في هاوية المناقضين . فقال هذا لا عقله وما بي من جهالة . فقلت ألم تر الى أهل الأرض قاطبة أليسوا جميعا يفتخرون بانهم يقدمون أنفسهم للقتل وهم يجاهدون في سبيل حفظ الشرف أو المال أو الوطن أو الدين ومن ذا الذي يضيق بنفسه على حفظ عرضه وشرفه . ومن ذا الذي يرى زوجه أو أخته قد أهين شرفها أو مست بسوء ثم لا يهجم على من فعل ذلك ولا يقاتله واذا خرّ صريعا هو عدّ ذلك نفرا له ولأعقابه الى حين . إن أهل الشرق والغرب يحارب بعضهم بعضا على الوطن وعلى الدين وعلى المال وعلى العرض وهم جميعا متفقون أن هذا شرف ونفرا للمقاتلين وهكذا أ كثر الديانات . ومن عجب أن النصارى دينهم ينهاتهم عن قتال عدوهم ولكن الفطرة غالبية فهم الآن أول المقاتلين للأمم يعتقدون ذلك نفرا سواء أكان ذلك أخذا للثأر أم ظمنا لاجتياح الديار ولأخذ الدرهم والدينار . فقال إن الأرض المذكورة قد أكلها السكب والهرّة أو الانسان وفرق بين القتل وابتلاع الحيوان . فقلت اننا معاشر بني آدم نقتل في السفن الحربية ونقع فريسة للسماك ونحن جميعا نعلم ذلك ونفتخر به وهكذا نقاتل في الطيارات فهلك فتخطفنا الطير ويحل بنا الهلاك . فقال نحن نحارب لشرفنا مثلا ونموت ولكن لماذا تكون هذه الخدعة في الحيوان فهذه الحشرات الجاريات للهلاك بذبح النبات الجزار وأنواع الأرض التي خرجت للعرس فصارت فريسة . كل هذه مخدوعات وأين الصدق إذن . فقلت له ونحن أيضا مخدوعون ولنا بمعترضين على الخداع بل نعدّه شرفا فان أحدا يأكل لصحة بدنه فيكون ذلك البدن طعاما للدود ويحارب العدو ليغيظه فيكون طعاما للسماك أو العقبان فهو في الأول قصد حياته وفي الثاني اتقا ذ شرفه لا أنه يكون طعمة للسماك وبني الدور ونزرع النخل ويتمتع بذلك غيرنا بل أعداؤنا . فقال وكيف يصح هذا الخداع . قلت ليس خداعا بل تطف وحسن سياسة يعيش الحيّ مطمئنا ولا قلق لديه ولا اضطراب . وقد تقدم في سورة الأنفال تكثير القليل وتقليل الكثير للسياسة واصلاح الحال . فقال ولكن هذا لا يشفيني . ولماذا يكون الانسان فداء لغيره وهكذا الحيوان . فقلت



للوحيدة العامة فالعالم كله كأنه شخص واحد والبعض يخدم البعض - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -  
 وأذن تكون هذه الدنيا ليست للحياة وحدها فالحيات بنظام والموت بنظام وموت الحي لتخاوا الأرض للباقيين  
 ولولا الموت ما كانت الحياة . فإذا أكل الأسود لحم الانسان وأكل الأسد لحم الغزالان وأكلنا نحن لحم  
 الخرفان فان ذلك لتنظيف أرضنا به وتجاوز لمن بعدنا ليكثر الأحياء بفضل هلاك الأموات . فالموت مقصود  
 والحياة مقصودة - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -

﴿ موازنة بين حياة وموت الحيوان ونظيرهما في الانسان ﴾

يموت الجراد بأكل الطيور والانسان له فيحصل فائدتان خلو الأرض منه لما يخلفه وانتفاع الأحياء بجسمه  
 لأنه لا معطل في الوجود . أما التقاء الجيوش الانسانية برا أو بحرا فهناك فوائدها

(١) تعليم الصبر والشجاعة (٢) والصناعات الحربية كالطائرات والسفن العائمة والغاطسة في الماء  
 (٣) واحراز الشرف للأحياء (٤) والعطف من الشعب على الأموات في القتال وهذان في الأمم الغالبة  
 (٥ و ٦) ومثل هذين في الأمم المغلوبة (٧ و ٨) وظهور الاتحاد في كليهما (٩) وأن تكون الجثث في  
 البحر وفي البر طعاما للسماك والطيور التي خلقها الله

هذا في القتال أما في حال الطاعون وأكثر الأمراض فان الاقتصاد في طبيعة الوجود قضى أن ترسل  
 جماعات من الحيوانات الذرية لها نظام خاص في الجسم فتأكل اللحم وتشرب الدم لأنه ليس من الحكمة  
 أن يبني الحي جسمه بالأغذية الجيدة فإذا مات لم تكن له فائدة . كلا بل يرسل تلك الآلاف المؤلفة فتكون  
 طاعونا أو جديرا أو حتى تيفوسية أو تيفودا أو سرطانا أو ما أشبه ذلك فتتناسل وتتكاثر وتربى في الأجسام كما  
 تربت الأجسام في الأرض ثم يكون الموت فتتولى تلك الرمم حيوانات أخرى أو لها الدود ويعقبه غيره  
 كالخنافس ونحوها وهكذا . ذلك لئلا يكون في الوجود معطل إن هذا الوجود مبني على الاقتصاد

ألا ترى أن اللسان يمضغ الطعام ويذوقه ويدبر نظام الكلام . فهذه ثلاث فوائد في عضو واحد ظاهرة  
 للناس فصانع هذا العالم عظيم الاحكام والنظام متقن حكيم . كل ذلك من قوله تعالى - مامن دابة إلا هو  
 آخذ بناصيتها - فها هو ذا قد أخذ بناصية الأحياء إذا صحت أجسامهم وأخذ بناصية الحيوانات الذرية العائشة  
 في الأجسام التي يراد اهلاكها وهكذا . فلما سمع ذلك صاحبي قال إذن الحرب أمر حتم لرق الانسان لأنك  
 أثبت فيه بمجمل الفوائد التي تبلغ نحو العشر مع انك تقول إن السلام أمر لا بد منه في نوع الانسان  
 وأيضا ترى البوذية يحرقون موتاهم فأين فائدة أجسامهم التي لم يأكلها دود ولا غيره . فقلت أما الجواب  
 على السؤال الثاني فهو أن هؤلاء تفرق عناصر أجسامهم في الهواء والأرض فينتفع بها في الوجود

فقال وهل هذه شريعة اسلامية . فقلت . كلا ولكن نحن الآن في تبيان الحقائق التي نزل لها  
 القرآن ولكن متى جاء ذكر الشرائع بينا تحريم ذلك فالحقائق مطلوبات والشرائع مصونات  
 وإذا كنا نجد مسألة الولادة ليست على وتيرة واحدة إذ نرى الانسان مثلا قد عمت الولادة فيه جميع  
 الأسرات في العالم ولكنها في النمل وفي الأرضة مثلا قد اختصت بها الملكة فأما البقية فقد توافروا على خدمة  
 المجموع وبذل كل ما لديهم من قوة للجمهورية

الانسان لا يعرف اختصاص أحد بالولادة وانتاج الذرية ولكن النحل عرف ذلك . هكذا أمر الحياة  
 فما من امرئ إلا وهو موقن أنه لابد لكل حي من رأس أو جلد أو أعضاء ودم فكذب هذا تلك الحيوانات  
 الدنيئة التي لا رؤس لها والتي لا جلد لها كالحيوانات الهلامية والحشرات إذ لا جلد لها ولا عظم ولا دم وإنما هي  
 لها قشور حلقية داخلها سائل أبيض لا عظم فيه ولا دم . وترى أمثال ذلك في الرزق فأكثر الحيوان يسعى  
 اليه على مقتضى احتياجه . وترى النبات الجزار المتقدم يسعى اليه الحشرات ليأكلها بجاذب يجذبها من تلك

النباتات التي تأكل اللحوم . فقال صاحبي لقد أحسنت كل الاحسان وأثبت بعلم جم لم يكن في الحسبان .  
ولكن أسألك سؤالاً واحداً وهو انك تقول إن الأرض تأكل ماخرج منها فأين هذا . قلت ستراه ان شاء  
الله عند الكلام عليها في سورة سبأ فأما اذا كان هذا غريباً عندك فلتعلم أنها في ذلك كالانسان لأننا نأكل  
فضلاتنا وفضلات الحيوان بواسطة إذ نحن نسمد بها أرضنا فتقلب تلك الفضلات في زرعنا حبا وعنبا وتفاها  
وغيرها وترجع إلينا فنحن والأرضة سيان ولكن هي أكلت فضلاتها مباشرة ونحن أكلناها بعد أن دخلت  
في معامل النبات فرجعت إلينا . فقال صاحبي لله در العلم يقرب البعيد ويجمع المتفرقات - وقل رب  
زدني علماً - والحمد لله رب العالمين

ثم قلت أما مسألة الحرب وانها ترقى الانسانية وانني ذكرت أن السلم أمر لابد منه . فلتعلم أننا الآن نصف ما  
وجدناه ونبين حكمة الله فيه كما بينا فوائد اللسان الظاهرة الثلاث فليس معنى هذا أننا اذا متنا لا يكون هناك  
حكم في حال الروح . كلا بل الحكمة هناك أجل وأعلى ولكننا لانعقلها الآن واذا وجدنا مملكة (الأرضة)  
المتقدمة وكان لأفرادها عقل وسألناهم لذكرت لنا فوائد البراز الذي يكون لأفرادهم شهى طعام ثم هو  
ملاط لبنائها وسد لشغورها مع الرمل وطعام لصغارها ويقوم مقام الأسفات في تحسين طرقها . وهكذا من  
الفوائد . أقول فليس معنى هذا أنه ليس هناك نظام في الوجود أحسن من هذا . كلا . هكذا هنا فان  
الأمم اذا غيرت أخلاقها وبطلت الحرب حصلت هناك حال جديدة أرقى وأرقى في نظام المدن والأخلاق مثال  
ذلك في الثاني أن تبدل عاطفة الانتقام من الأعداء الذي يورث الفضائل المتقدمة بفضائل العطف مثلاً على الضعفاء  
فيتحدر رجال أمة على ترقية وتحسين أمة جاهلة ويكونون بالنسبة لهم كالآباء والأقارب بالنسبة لصغارهم وهناك  
تكون فضائل لا تعد كالفضائل التي تكون للأبوين بالنسبة لأبنائهما كالعطف والحنان وبذل النفس والمعاونة  
بالنفس وانكار الذات والصبر على هذه المشاق والاتحاد بين هؤلاء المحسنين وحب المحسن اليهم للمحسنين  
واتحاد الأمتين وتبادل المنافع ثم مقابلة الاحسان بالاحسان ونمو الاخلاق . وهكذا مما لا حصر له فليس هذا  
الوجود له حد في تصرفاته وقابلياته

﴿ عجائب القرآن وعجائب الطبيعة التي نزل لفهمها القرآن ﴾

فهيها أذكر عجبتين ﴿ العجبية الاولى ﴾ ان القرآن تراه يدخل في غصون الكلام ما هو حكمة بحيث  
يكون كزهرة في شجرة ويكون هو أهم المقصود من الكلام وهذه الطريقة بعينها هي التي درجت عليها  
الأمم في فكاهاتها ورواياتها المؤلفة لاستيقاظ الشعوب . فانظر الى قوله تعالى - اذا الشمس كورت \*  
واذا النجوم انسكرت الخ - فانه ذكر الشمس والنجم والجبل والابل والوحش والبحر والنفس والصحف  
والسما والجنم والجنة . هذه ذكرها الله على هذا الترتيب ولكن أدخل في غصونها كلمة واحدة حفظت  
نصف النوع الانساني من الهلاك وهي - واذا المائدة سئلت \* بأي ذنب قتلت - هذه هي الجلة التي أدخلها  
الله في وسط تلك العوالم المذكورة من أرضية وسماوية فما نطق بها حتى امتنع العرب عن قتل البنات بدفنهن  
الذي يسمى (وأدا) فانظر للتعليم والتربية . يذكر المخلوقات والمعارف العامة ويدخل في وسطها جملة قضت  
على قتل النساء . هكذا فعل في قصة هود وقومه هنا أدخل في غصونها الأخذ بنواصي الدواب . أفلا يكون  
هذا دافعا للمسلمين الى دراسة علوم الحيوان بعد هذا البيان كما دفع آباءنا الى حفظ البنات وعدم قتلهن بالوأد  
بجملة واحدة

هذه هي سياسة القرآن . هاهوذا أتى بقصة عاد يسمعها العاقل فيرى ما الذي سيق له فيرى أجله  
علم الحيوان . اللهم أنت النور الهادي فاهد المسلمين الى الرقي إنك أنت السميع الجيب

### ﴿ العجبة الثانية المادّة والكلام . زيادة ايضاح ﴾

أنظر الى ما تقدّم من تنوع الحيوان والنبات والابداع وتأمل أحوال اللغات الشرقية والغربية . هأنذا رأيت المادّة كيف تنوّعت تنوعاً يقلبها على سائر وجوهها كما وصفناه . تقلبت المادّة على وجوه تظهر كل ما كمن فيها فاعلم يقينا أن الله عز وجل علم أن أكثر الناس لا يدركون سرّ المادّة التي يعيشون منها . لذلك ألهمهم اللغات فنطقوا بها وتصرفوا فيها تصرفاً هو عين التصرف في المادّة . إنّ المادّة كما تكون هواء وماء وسما وأرضاً وصلباً ونحاساً وجواهر وحيواناً مختلفاً أنواعه الخ هكذا اللغات المعبرات عن ذلك كله يتصرف فيها الانسان وهي التي تعبر عن كل ما صورته المادّة ولا يدرك تصرفها حقّ ادراكه إلا علماء الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع أولئك الذين يركبون الجبل المختلفة ويشتقون من المصادر أفعالا وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهات وأسماء التفضيل وأسماء الآلات وأسماء الزمان وأسماء المكان وهكذا هذا تصرف المفردات فهكذا تصرف الجمل من اسمية وفعلية وشرطية وحالية وماضوية ومضارعية ومؤكدة وغير مؤكدة وهكذا مما لا حصر له . تبارك الله خلق المادّة وخلق اللغات وجعلهما في التصريف كفرسي رهان وذلك لحكمة الحكيم . ذلك ليعلم الصغار في أول أمرهم أن اللغة لا تقف عند حدّ لأنهم إذ ذاك لا يقدرّون أن يعقلوا تصرف المادّة . ولا جرم أن هذا يعد أذهانهم الى ادراك تصرف المادّة اذا كبروا . خلق الله علوم الصرف والنحو وغيرهما لصغار العقول ولصغار العلماء في الأمم لتفتح أذهانهم لمعرفة جمال صنعه وابهرا ببداعه وبالغ حكمته في تصرف هذه الكائنات . وهل ترى أبداع وأجل وأشرف وأبهى وأبهر مما رأيت في هذا المقام من جعل النبات المأكول للحيوان آكل له . أوليس هذا بعينه هو ما يفعله علماء النحو إذ يجعلون المفعول فاعلا والفاعل مفعولا تدريبا للتلاميذ . يقول الاستاذ للتلميذ اجعل المفعول فاعلا في هذه الجملة مع التصرف فيها وهي ( يضرّ الانسان الخمر والخدر والشاي والقهوة ودخان التبغ ) فيقول التلميذ هكذا ﴿ متى عقل الانسان ترك الخمر والخدر الخ ﴾

فها هو ذا التلميذ أتى بالجملة مع حفظ المعنى وجعل المفعول فاعلا وهكذا فعل الله في المادّة فجعل المأكول وهو النبات آكل للحيوان مع حفظ النظام فجعل الله وجلّ العلم فهذا فليفرح قراء هذا التفسير وليكونوا نورا وهدى للعالمين . وأنا بذلك من الموقنين

### ﴿ وحدة الوجود والانسان عالم صغير ﴾

لعمري لا يعرف الناس معنى وحدة الوجود ولا أن الانسان عالم صغير إلا بالتبحر في مثل ما ذكرناه لك فيما تقدّم

### ﴿ شمس هذا العقد الثمين ﴾

إن النحل والأرضة والنمل كلها تتقرّب من ملكاتها وتربها أعمالها وترجع اليها وهكذا جمهور نوع الانسان يفعل مع رؤسائه ولكن هناك في الانسان طائفة هم فوق الجميع يعملون وينصبون وتكون لهم خلوات مع ربهم في قلوبهم يعرضون عليه أعمالهم في بهجة الأنوار وبهاء الأسرار اه الكلام على قصة عاد فلنشرع في الكلام على قصة ثمود بتفسيرها اللفظي قال تعالى ( والى ثمود ) أي وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر ( أخاهم صالحا ) يعني في النسب لافي الدين ( قال يا قوم اعبدوا الله ) أي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ( ما لكم من إله غيره ) فهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام ثم ذكر الدلائل العقلية على وحدانيته وكمال قدرته فقال ( هو أنشأكم من الأرض ) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم وحواء وهو الذي خلق النطف والأغذية منها تتكوّن الأجسام وكأها من التراب ( واستعمركم فيها ) أي عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها ( فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربي قريب ) قريب الرحمة ( مجيب ) لداعيه



(قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا) لما نرى فيك من محاييل الرشد والسداد فكنا نأمل أن تكون مستشارا أو سيدا عظيما ولكن هذا القول أيأسنا منك وانقطع رجاؤنا فيك إذ ذمت آهتنا وخالف ديننا (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) ومن ذا يخالف ما درج عليه الآباء (واننا لنفي شك مما تدعوننا اليه) من التوحيد (مريب) فوقع في الريبة من أرابه (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) بيان وبصيرة وأتى بان وهي للشك باعتبار المخاطبين (وأتاني منه رحمة) نبوة (فمن ينصرتني من الله) فمن يغني عن عذابه (إن عصيته) في تبليغ رسالته ومنع الناس من الشرك به (فما تزيدونني غير تحسير) فأتم باستتباعكم إياي لا تزيدونني غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله والتعرض لعذابه (ويا قوم هذه ناقة الله لكم) حال كونها آية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال من آية مقدمة (فذروها تأكل في أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتوانى عن مسكم لها بالسوء إلا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها فقال تمتعوا في داركم) عيشوا في منازلكم أوفى داركم الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكوا (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أي ونجيناهم من ذلك يومئذ وفضيحتهم • وأى خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه (إن ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة أتهم من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) صرعى هلكي (كأن لم يغنوا فيها) أي كأن لم يقيموا في ذلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان إذا أقت به (ألا ان ثمود كفروا بربهم ألا بعدا لثمود) أي الخي • واعلم أن هذه القصة جاءت في سورة الأعراف بأحسن تفسير على ما أعلم فارجع إليه إن شئت

﴿ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بشرى الملائكة المختلف في عددهم ف قيل ثلاثة وقيل أكثر باسحق ويعقوب وباهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أي وعليكم سلام والجلة الاسمية في الرد أبلغ من الفعلية في الابتداء فافهم (فما لبث أن جاء بعجل حنيد) أي فما أبطأ في المجيء به والحنيد المشوى بالحجارة المحماة (فلما رأى أيديهم) أي أيدي الأضياف (لا تصل إليه) أي العجل المشوى (نكرهم) أي أنكرهم وأنكر حالهم لامتناعهم عن الطعام (وأوجس منهم خيفة) ووقع في قلبه خوف منهم • والايحاس الاضمار وقيل الادراك (قالوا) له لما أحسوا منه أثر الخوف (لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) إنا ملائكة مرسلون إليهم بالعذاب فأما كوننا لم نمد للطعام أيدينا فذلك أننا معاشر الملائكة لأننا كل (واصراثة قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رأسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وانما خصت بالبشارة لأنه أولا لم يكن لها ولد ولإبراهيم ابنه اسماعيل • ومعلوم أن النساء أعظم سرورا بالأولاد أي فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وعلى قراءة رفع يعقوب يكون مبتدأ والجار والمجرور قبله خبره (قالت يا ويلتا) أصله يا ويلتاه نداء للندبة وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجباه (أألد وأنا عجوز) \* يقال انها كانت بنت تسعين سنة (وهذا بعلي) يعني زوجي (شيخا) وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة يومئذ كما قيل (إن هذا لشيء عجيب) يعني الولد من هرمين وهذا تعجب بحسب العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) قالوا ذلك منكرين عليها فان خوارق العادات عند أهل بيت النبوة ليست ببدع فثأهم لا يستغربونه كأنه قيل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متسكارة من الله عليكم وأهل البيت نصب على الاختصاص (إنه جيد مجيد) أي محمود لانعامه العظيم ظاهر الكرم إذ

أكرمكم بولد صالح (فلما ذهب عن إبراهيم الروح) الفزع وهو ما أوجس في نفسه من الخوف حين نكر أضيافه (وجاءته البشري) بالولد أقبل (بجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وامتلاً حبوراً بالبشري أقبل يجادلنا أي يجادل رسلنا وصورة مجادلته إياهم انهم قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال رأيتم لو كان فيها خمسون مؤمناً أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال رأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله (إن إبراهيم لحليم) غير عجول في الانتقام ممن أساء إليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع إلى الله . والمقصود من ذلك أن الحامل له على المجادلة انما هي رقة قلبه وحلمه ورحمته وحبه للناس قالت الملائكة (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدل (إنه قد جاء أمر ربك) قضاؤه بعذابهم من الله وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) غير مصروف بجدال ولا بدعاء . ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطاً) لما أتوه ورأى جلالهم وهم كانوا على هيئة غلمان حسان (سوء بهم) أسخن لأنه ظن أنهم من الناس يخاف عليهم أن يفحش بهم قومه مع عجزه عن مقاومتهم (وضاق بهم ذرعاً) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره وذلك كناية عن شدة الانقباض لجزءه عن مدافعة المكروه المتوقع حصوله لهم من قومه بفعل الفاحشة (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده \* ويقال ان امرأته أخبرته بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون إليه) يسرعون كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) كانوا يعملون الفاحشة حتى مروا عليها وقتل عندهم استقباحتها حتى جاؤا وهم مجاهرون بها يهرعون إليها (قال يا قوم هؤلاء بناتي) أي هؤلاء نسائكم اللاتي هن بناتي فان كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية \* وفي قراءة ابن مسعود - وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم - أو هؤلاء بنات قومي (هن أطهر لكم) أنظف فعلا (فانقوا الله) بترك الفواحش (ولا تحزنون) ولا تهينون ولا تفضحون من الخزي (في ضيقي) في حق ضيوفي لأن من خزي ضيفه أوجاره فقد خزي وذلك من دواعي المروءة والكرم (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدي إلى سبيل الرشاد فيكشف عن فعل السوء (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة لأننا نودى الاقتراب من الذكور لامن الاناث (وانك تعلم ما نريد) وهو اتيان الذكور (قال لو أن لي بكم قوة) أي لو اني أقدر أن أتقوى عليكم (أو آوى إلى ركن شديد) أي أو أنضم إلى عشيرة بمنعوني منكم وجوابه لقائلتكم \* قال أبوهريرة رضي الله عنه ﴿ ما بعث الله نبيا بعده إلا في منعة من عشيرته ﴾ وقال رسول الله ﷺ ﴿ يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولولبت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجيبته ﴾ فالمراد بالركن الشديد هو الله كما قال محي الدين النووي في الحديث فانه أشد الأركان وأقواها \* روى أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما حل بلوط من الكرب (قالوا يا لوط) ركنك شديد كما مر في الحديث (إننا رسل ربك ان يسلوا إليك) بمكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال تعالى - فطمسنا أعينهم - فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا به وهم يقولون النجاء النجاء ان في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقوله - لن يصلوا إليك - جملة موفجة لما قبلها (فأسر بأهلك) فسر بأهلك ويقال أدج بهم (بقطع من الليل) في بعض من الليل أي آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) ولا يتخلف منكم أولا يلتفت إلى ما وراءه أو لا يلتفت بقلبه إلى ما خلف (أحسد إلا امرأتك) منصوب على الاستثناء أو مرفوع على البذل من أحد . فكأنه قيل لا يتخلف منكم أحد إلا امرأتك فاني

لا أنهاها عن ذلك (إنه مصيبيها ما أصابهم) أولا يلتفت منكم الى ما وراءه أحد إلا امرأتك فانها ستلتفت فأننا لا أنهاها - إنه مصيبيها الخ - والنهي لها لا يفيد \* روى أنه أخرجهما معهم وأمر ألا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها \* وروى أيضا أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسربها فأصبحت هاتان الروايتان محتملتين فاما أن تكون بقيت واما أن تكون خرجت والتفتت \* فاحدى الروايتين عليها المعنى ولا زال مبهما . هذا تحقيق المقام ويايك أن تظن أن مثل هذا التحقيق هو المقصود من القرآن بل المقصود هو ما في القصة من الحكم فلنسر في طريقنا ولتجد في هذه السورة من الحكم والهجائب ما يبهز الأبصار قريبا \* روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (إن موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب \* فلما جاء أمرنا) عذابنا (جعلنا عاليها سافلها) قلبها جبريل فجعل أسفلها أعلاها إذ رفعها الى السماء ثم قلبها عليهم (وأمطرنا عليهم) على المدن (حجارة من سجيل) من طين متحجر \* وسجيل أصلها سنككل فعرب (منضود) نعت لسجيل أى متتابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة) نعت لحجارة أى معامة للعذاب (عند ربك) في خزائنه أوفى حكمه (وماهى من الظالمين ببعيد) أى وماهى من ظالمى هذه الأمة من مشركى مكة وغيرهم - ببعيد - فما من ظالم إلا وهو معرض للعذاب المعبر عنه بسقوط حجر عليه \* روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو معرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعبيا) اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام أى وأرسلنا الى أهل مدين \* وقيل مدين اسم للقبيلة التى هى من ذرية مدين بن ابراهيم (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره . ولما شرح أمر العبادة شرع يذكرهم بما يفعلون من نقص الكيل والميزان فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك كما فى قوله تعالى - وأحيط بثمره - وأصله من احاطة العدو وهو اما عذاب الاستئصال فى الدنيا واما عذاب الآخرة (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أتموها (بالقسط) بالعدل والنهى المتقدم لتقبيح البخس والتنفير منه والأمر هنا للترغيب فى الفعل الحسن وهو ايفاء الكيل والميزان فهناك للتنفير من الشر وهنا للترغيب فى الخير وبهما معا يعتدل الناس ويتم الوعظ فليكن القسط والعدل بلا نقص ولا زيادة فالازدياد وان كان مندوبا قد يكون محرما اذا كان كيلا أو وزنا ليتم أوفى مال الحكومات أركان البائع وكيلا . فكل ذلك تكون الزيادة فيه حراما فوجب العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أموالهم وغيرها سواء أكان بكيل أم بوزن أم بزرع أم بمساحة أم بتقدير فضل فى أعمال عامة كالنظر فى رجال الحكومة وتقدير قيمهم وأحوالهم وكفا آتهم وما أشبه ذلك مما لا يعدّه الحصر (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) العثى والعث أشد الفساد كالسرقة والغارة وقطع السبيل ويشمل البخس والتطفيف فانه عثى فى الأرض وافساد فيها . ومن العثى المكس (بقية الله) أى ما أبقاها الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف وبالبخس (إن كنتم مؤمنين) أى ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم ويصح أن تكون البقية الطاعة فما ذكر وغيره لقوله تعالى - والباقيات الصالحات - (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم عن القبائح وأحفظ نعم الله عليكم وما أنا إلا ناصح أمين وقد أعذرت حين أنذرت (قالوا يا شعيب أصلاتك) أى كثرة صلاتك (نأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الأصنام (أو أن نفعل) أو ألا نفعل (فى أموالنا مانشاء) من البخس فى الكيل والوزن (إنك لأنت الحليم الرشيد) السفية الضال . وهذه تسمية مقلوبة استهزاء به كقوله - ذق إنك أنت العزيز الكريم - وهذا رد لما طلبه من عبادة الله وحده ومن العدل فى الكيل والميزان (قال يا قوم أرايتم إن كنتم على بينة



من ربي ورزقني منه) من لذه (رزقا حسنا) وهي النبوة والرسالة والمال الحلال بلا نجس ولا تطفيف . يقول  
 أنبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أليق بي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان  
 والكف عن المعاصي . وهل بعث الأنبياء إلا لذلك . ولست أمنعكم عن تطفيف الكيل ونجسه وعن  
 نجس الناس أشياءهم وأنا أستبد بذلك . كلا (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفت زيدا  
 إلى كذا إذا قصدته وهو موافق عنه وخالفته عنه إذا وليت عنه وهو قاصده (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد  
 إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف ونهى عن المنكر (ما استطعت) أي مدة استطاعتي  
 للإصلاح وما دمت متمكنة منه (وما توفيقى إلا بالله) وما توفيقى لأصابة الحق فيما أفعل وما أترك إلا بمعونته  
 (عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) أرجع في السراء والضراء . ثم اعلم أن جرم مثل كسب يتعدى إلى  
 مفعول وإلى مفعولين كما في قوله تعالى (ويا قوم لا يجرمنكم) لا يكسبنكم (شقاقى) خلافى (أن يصيبكم)  
 أصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أقوم هود) من الريح (أقوم صالح) من الرجفة  
 وإن وصلتها ثانياً مفعول جرم (وما قوم لوط منكم ببعيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم وفي المكان  
 فنزلهم قريبة منكم (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) عظيم الرحمة فاعل بهم من اللطف  
 والاحسان ما يفعل الكثير المودة بمن يودّه . وذلك وعد من الله أن يقبل التوبة بعد وعيده للذنبين على  
 أصرارهم على المعاصي (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) استهانة بها وعدم مبالاة (وانا انراك فينا  
 ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فكيف تقدر على الامتناع منا (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك  
 لقتلناك بالرجم وأى قتل شر من الرجم وكان رهطه على دينهم فلذلك أظهروا الميل إليهم (وما أنت علينا  
 بعزى) فعدم قتلك لم يكن لعزك علينا وإنما يعز علينا رهطك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز  
 عليكم من الله) أى أهيأ عندكم من الله حتى تركتم قتلى لعز رهطى عندكم فكيف لم يكن حفظى لأجل  
 الله لا رهطى فكيف تركتم أمره (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أى نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه  
 كأنه شئ ملقى (إن ربى بما تعملون محيط) أى عالم بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية منها فيجازيكم عليها  
 (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أى اعملوا قارنين على جهنم التى أتم عليها من الشرك والشنائى إلى وهي  
 مصدر مكن مكانة فهو مكنين إذا تمكن من الشئ (إنى عامل) على مقتضى ما يأتينى الله من النصرة والتأييد  
 ويمكننى (سوف تعلمون من يأتية عذاب يخزيه) من استفهامية علقت فعل العلم عن عمله أى سوف تعلمون  
 أينما يأتية عذاب يفضحه وأينما هو كاذب وهذا هو قوله (ومن هو كاذب) عطف على - من يأتية - أى  
 سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن هو صادق لينصرف  
 الأول لهم والثانى له لكنهم لما جعلوه كاذبا قال - ومن هو كاذب - أى فى زعمهم (وارتقبوا) وانظروا ما  
 أقول لكم (إنى معكم رقيب) منتظر والرقيب المراقب (ولما جاء أمرنا) بعذابهم وهلاكهم (نجينا شعيبا  
 والذين آمنوا معه برجة منا) يعنى بفضل منا لأننا هديناهم للإيمان وجعلناهم مطيعين (وأخذت الذين ظلموا)  
 أى ظلموا أنفسهم بالشرك والنجس (الصيحة) إذ صاح جبريل عليه السلام بهم صيحة نفرت أرواحهم  
 وماتوا جميعا أو أوتتهم صيحة واحدة من السماء (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) أى ميتين \* يقال جثم الطير  
 إذا قعد ولطأ بالأرض فهو هنا استعارة (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر  
 من غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (ألا بعدا لمدین) البعد والبعد الهلاك كالرشد والرشد (كما  
 بعدت ثمود) قوم صالح وكان عذاب قوم شعيب بالصيحة من فوق رؤسهم وعذاب قوم صالح بالصيحة من  
 تحت أرجلهم إذ أصابهم حر شديد \* قال ابن عباس \* لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب  
 وقوم صالح . فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم . وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم \*

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدق نبوته (وسلطان مبين) ومعجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه (إلى فرعون وملئه) أى أتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) أى ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاء به موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى وما طريق فرعون بسديد ولا محمود العاقبة (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيامة) إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال . يقال قدم بمعنى تقدم (فأوردتهم النار) جعل بضيغة الماضي كقوله تعالى - أتى أمر الله - وجعل النار بمنزلة الماء فسمى اتباعها موردا ثم قال (وبئس الورد) المورد (المورود) الذى وردوه بفعل فرعون كالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال - بئس الورد المورود - الذى يردونه النار وكيف لا يكون كذلك . والورد إنما يراد لتسكين العطش والنار بضد ذلك (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى . انتهى التفسير اللفظي

﴿ يا قوتة مضبوطة في قوله تعالى - إن ربي رحيم ودود - على لسان شعيب عليه السلام ﴾  
اعلم أن المودة إنما تكون غالبا بين اثنين ههما علاقة واتصال وتجانس وتشابه في الطباع والعادات والأخلاق . ولذلك ترى المتشاركين في صناعة أو علم أو لغة أو وطن أو دين أو جنس أو أمر ما فانهما يتوادان ويتحاببان وذلك لاقترب الصفات . وكلما تباعدت الصفات تباعد الود . ولذلك تجد الأم اليوم في عصرنا رجعت إلى الجنسية فالألمان والفرنسيون واليابانيون والصينيون كل يقترب من جنسه بعد أن كانوا قديما يتوادون بالديانات وهذا كله قديما وحديثا دال على أن المودة تابعة لاقتراب الصفات . هذا هو المعلوم في الأم قديما وحديثا ولكن الله تعالى إذا وصف نفسه بأنه رحيم فانا نفهم ذلك على معنى أنه مفيض الاحسان وهذا أمر مفهوم فانا نرى الملك والأب والأم وأمثالهم يفيضون الاحسان على الرعية والولد وهكذا فالأعلى يرحم الأدنى ولاغربة في ذلك . فأنه رحيم . أمّا الود فأمره مشكل إذ المودة إنما تكون بين المتجانسين وقال في سورة مريم - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - فذكر الرحمة هناك كما ذكرها هنا وأتبعها بالود ولكن الود هناك مفهوم لأنه بين متجانسين في الدين إذ الانسان كلما عمل الصالحات اقترب من أهل دينه للتجانس . أمّا الود هنا فهو الذى يحتاج إلى بيان . أقول ان هذا يحتاج لدرس العلوم جميعها من فلك وطبيعة وطبقات أرضية وعلم الحيوان والنبات والتشريح . هذه هي العلوم التى تعرفنا معنى الود في هذا المقام

إن هذا التفسير فيه نسبذ كثيرة من هذه العلوم والذكى إذا قرأها أصبح عنده مجموعة سهلة فيها خلاصة العلوم . هذه الخلاصة هى التى تفهمنا معنى الود أى ود الله للمخلوقات . أنظر إلى السمك وإلى النحل وإلى الجراد وإلى الدود وإلى النعامة وإلى الدجاجة وإلى النبات والأزهار وإلى الانسان فسترى في سورة النمل . كيف ترى أن لها قرى ومساكن وجيوشا منظمة وأطرا راجع ظئر وحجرا على مقدار أسنان الأطفال كما يفعل الناس إن خالق العالم لما خلق النمل أعطاه من القوى والقدر والعلم على مقدار ما يناسبها . فكما يقول الحبيب لحبيبه أنا أقدم لك هدية من الفاكهة التى تحبها فيزيد ذلك في المودة لعلم كل من الخليلين بما في جملة الآخر من المعاشرة . هكذا هنا أعطى الله النمل جيوشا منها على مقدار طاقتها وألهمها أن تتبع ملكتها وتنظم الحجرات وتربى الدرية كل منها في حجرة خاصة كأنها مدارس بفعل مدارسها على مقدار حاجاتها ولم يحملها مالا تطيق من مدارس الانسان وجيوشه وأساطيله ولم يحشمها مشاق السفن والأساطيل البرية والبحرية وهكذا سترى في سورة النحل ما أعطاه الله من قوت وما أفاء عليها مما يلائم حاجاتها . ألا ترى إلى ما سيأتى في سورة الحجر عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - من جمال الزهر وبهجته وكيف لوّنت

الأزهار بألوان جسيمة ليعشق النحل ذلك الجبال فيطير سريعا ليشرب من الرحيق المختوم في أسفل الزهرات ثم يطير الى أخرى وقد حل على جسمه غبار الطلع فوضعه في الزهرات التي فيها أعضاء الاناث وألهم النحل أن لا يدخل ويخرج من زهرة الى زهرة إلا اذا كانا من نوع واحد ليسهل الأمر عليه فلا يصادف عناء في معالجة فتح الزهرات في ذلك اليوم . ومعنى هذا أن النحل أعطى ما يواتى مزاجه من العسل ومن ألوان الزهر ومن نظام الزهرات ليسهل عليه . ومن الإلهام أن لا يدخل زهرة غير التي هي من جنس ما دخلها أولا ذلك ليكون متمتعاً بالنعمة والسعادة وليكون ذلك أصون لطلع الذكور من ذلك النوع من الزهر ليوضع على الاناث منه ليدوم النبات كل سنة باللقاح رجة بالنمل أيضا . أليس الرجل يقول لابنه اني سأعطيك ثيابا فاخرة وهدايا اذا نجحت في كذا وكذا . ويقول التلميذ لصاحبه أنا قرأت كتاب كذا وهو أسهل فقرأه . كل ذلك للمشاكسة والمقاربة . إن المودة تقتضى أن يتلطف الودود لصاحبه بما يلائم طباعه لأنه عرفها بكثرة المخالطة . وترى الجراد ألهم أن لا يدخر وأن يضع بيضه في أرض صالحة له على بعد مخصوص من سطحها بحيث تسلم الأرض لأن تكون له كالرحم لتحفظه الى وقت الحاجة . وانما ألهم أن لا يدخر لأنه هو وأمثاله من الذباب والناموس التي ألهمت ألا تدخر لاتعيش الى عام قابل فان البرد والحر يتعاقبان عليها فتهلك فاذن سعيها للادخار عبث فلذلك لم تلهم الادخار . أما النحل والنمل فانهما يعيشان سنين فاذا جاء الشتاء نامت ولكن لاتموت كما يموت الجراد والذباب والناموس . لذلك ألهم هذان النوعان الادخار وأنزل الله سورتين باسمهما سورة النمل وسورة النحل تنبيها على الفرق بينهما وبين غيرهما من الحشرات . ويقول الله تعالى - وأوحى ربك الى النحل الخ - وهذا الوحي للنحل وللنمل ولغيرهما وحي بما يلائم كما يفعل الصديق الودود بصديقه . وترى السود لاحاسة له الاحاسة للمس فلاسمع ولابصر ولاذوق للطعام ولاشم . وانما حاسة للمس له هي القائمة بتسييره بل هي وزارة المعارف العامة للودود بها تمتص ما حولها من الرطوبات وتسبح في بطن البقرة والأسد والانسان وفي لب الثمر وفي دود المش وهي فرحة سعيدة بما يناسب مزاجها وكأن الله بودّه لها منع عنها ما يزعجها مما لا تحتاج اليه . فالسمع والبصر والشم والذوق والقوة العاقلة والمدارس كل هذه عبء ثقيل عليها فلما أعطيت ذلك لكان لا فائدة منه بل يضرّها ولا تعيش به . وترى النعامة في العراء تقسم بيضها ( ثلاثة أقسام ) فتحضن بعضا وتجعل بعضا قوتاً لذريّتها وبعضا آخر تعرضه للحشرات فتقع عليه فتطعمه لذريّتها اذا قويت على أكل تلك الحشرات . وترى الدجاجة لم يساعدها الديك في تربية أولادها لما أعطيت الأفراخ من قوة الريش والعدو السريع وعكس ذلك الحمام . وترى أمر النبات كله عجبا ويقول المحققون ان له نوعا من الاحساس والشعور على مقدار طاقته . وتراه في أثناء هذا التفسير في مواضع منه ولقد نال لطفاً من الله . ألا ترى الى ما استقرؤه في سورة الحجر من الزهر وكيف تنوّعت أشكاله تنوعاً بديعاً ولكل نوع منها حشرات خاصة تنام اذا أغمض الزهر أجفانه وتستيقظ اذا تفتحت الأكمام وتفتح الأزهار وهناك تأتي تلك الحشرات وهي تغني فرحات بعرائس الزهرات ذات الحلل السندسية والروائح العطرية والولائم العسلية والحماسن والبدائع الهندسية في الأوراق والأزهار ونظامها هكذا نراه يفعل مع الانسان في نظام جسمه وعجيب تركيبه وفي إلهام العقلاء فكما يلهم النحلة عملها نراه ألهم الناس فصنعوا ما يلائمهم من جرى السفن في البحار والقطرات في البر بالبخار والكهرباء وألهمهم أن يقطعوا البحار لطلب الرزق والحرب ويجوبوا الفيافي ويفوصوا على السرّ والمرجان في البحر ويحفروا في الجبال وغيرها فيستخرجوا المعادن

أعطى الله الودود رطوبات . والنحلة زهرا وعسلا . والانسان معادن وكهرباء . وألهم كلا من هذه المخلوقات ما استعدت له . هذا هو ودّ الله لمخلوقاته - وهو معكم أينما كنتم - فكما أن الصديق مع صديقه يعرف ما يلائمه هكذا نرى صانع الكون لكونه مع كل مخلوق أعطاء ما يلائم طبعه وأبعد عنه ما يلائمه ولذلك



تراه لما علم أن عقولنا قاصرة لأننا في العالم الأرضي الضعيف نتجيب عنا معرفة العوالم التي تسكن في المريح أو المشتري مثلا وهكذا التي تسكن الكواكب الثابتة الكبيرة . علم ذلك من طباعنا لأننا لو عرفناها واطلعنا عليها لنهملنا من ذاك الجلال ولدهشت عقولنا ولا نهيرنا فمنعنا عن ذلك كما منع السود أن يعرف السمع والبصر والا لم يطق ذلك - ولاتقف ما ليس لك به علم -

فالله ودود ومن وده ما ذكرناه . واعلم ان كل من قلد الله في الود كان أقرب اليه . فكلما كان الانسان أكثر نفعا كان أكثر للناس ودا . ان الأم والأب يترىتهما لولدهما قد ودا ولدهما ودا شريفا لأنهما قد جاوزا سنه فهما أعلى منه وقد تنزلا اليه وتلطفا فهما بهذا قد ارتقيا الى نحو الود الالهي . هكذا العلماء والحكماء والمؤلفون يتنزلون لعقول الشعب وعلى مقدار تنزلهم يقتربون من ربهم

إن الانسان على مقدار منفعة وعموم فضله للناس يكون قد اقترب من الود الالهي وعلى مقدار اتصافه بهذه المودة العامة يقترب من ربه كما ان الأب والأم اقتربا من ربهما على مقدار ما علما ولدهما . هكذا سائر المصلحين . ان الرحمة والود مقرونان في قرن فالذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا على مقدار ما قاموا به للمنافع العامة . فالرحمة هنا تساعد على الود لأن الودود يعطى من يوده ما يناسبه . وهذه المناسبة تقتضيها الرحمة ولكن الرحمة أعم فكما تكون مع الود تكون مع العذاب . فكم من عذاب في التعليم وبالخوب وبالضرر كانت نتيجة العز والرقى كما قال (أرسطاطاليس) في كتابه الى اسكندر المقدوني تلميذه ﴿ ان الأمة اذا أرخت لها العنان والترف أهلكتها البطنة والناس لا يحتملون الراحة ولا كنهم يحتملون المشقات في الحرب وغيره فهم في حروبهم نشطون فرحون وفي أمنهم ودعتهم أشرون بطرون ثم يهلكون ﴾ اذا فهمت هذا عرفت بعض سر قوله تعالى في سورة صريم - يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فان اقتران العذاب بالرحمة هناك راجع الى ما ذكرنا . فالأمة المعذبة بالحرب والضرر وكثرة الأعداء تكون مستيقظة نشطة كما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى ﴿ اذا أردت رقى أمة فأوقد لها نار حرب فانها تستيقظ من سباتها ﴾ وقال تعالى فيها - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - فالرحمة جاءت مع العذاب كما علمت وجاءت مع الود . إذن الرحمة عامة والود فرع من فروعها . وههنا شعيب عليه السلام يقول - إن ربي رحيم ودود - ومن وده أنه ألهني أن أعلمكم الدين لأرقيكم وعلى مقدار مودة الأنبياء والحكماء والعلماء بالتعاليم يكون قربهم من ربهم وشرفهم . انتهى القسم الثالث

### ( القسم الرابع )

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ \* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ \* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ \* إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ \* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُودٍ \* يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَوْنَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ \* فَلَا تَكُ فِي  
 مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ  
 مَنقُوصٍ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخُتِلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ  
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ \* وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لِيُوفِيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا  
 يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ \* فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \*  
 وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا  
 تُنصَرُونَ \* وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ  
 ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا أَنْ يُضَيِّعُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَذِكْرٌ لِلْمُتَّقِينَ \* فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ  
 مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ  
 \* وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ  
 خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ  
 مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ \*  
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ \* وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ \* وَلِلَّهِ  
 غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ  
 عَمَّا تَعْمَلُونَ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ذلك) النبا مبتدأ خبره (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر (منها) من القرى  
 (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها عانى الأثر كالزرع القائم على ساق والذي حصد وهذه الجملة مستأنفة  
 (وما ظلمناهم) باهلا كنا إياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكتهم وذلك لما جبت نفوسهم  
 عليه من النقص الذى هو نتائج أسباب خافية وظاهرة فى هذا العالم الذى فطر على الخير والشر ولكن الشر  
 جاء عرضا ولا يترك الخير الكثير للشر القليل ككفر هؤلاء فلا بد من نفاذ أمرنا لأن تلك هى حقائق الوجود  
 الثابتة التى تعلق عامنا بها فهكذا عامنا وهكذا خلقنا وهكذا ربنا ونظمنا الخلوقات (فما أغنت عنهم) فما نفعهم  
 ولا دفعت عنهم (آلهتهم التى يدعون) يعبدون (من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه ولما  
 منصوب بما أغنت (وما زادوهم غير تنبيه) تخسير \* يقال تب اذا خسرت بيه غيره أوقعه فى الخسران أى  
 مادفعت عنهم عبادة غير الله شئ بل أهلكتهم (وكذلك) أى ومثل ذلك الأخذ ومثل الكاف الرفع (أخذ

ربك إذا أخذ القرى) أى أهلها (وهى ظلمة) حال من القرى (إن أخذه أليم شديد) مؤلم صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرهم فليبادر الظالمون بالتوبة ولا يفرّهم الإهمال (إن فى ذلك) فيما قصه من قصص الأمم الهالكة وفى غيرها من السور (آية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أى اعتقد صحة وجوده • فأما من يرى أن العالم لا فاعل له وإنما هى ذرات تتكوّن وتنحل فلا يقول بحساب ولا عقاب فليس لهذا عبرة عنده (ذلك) أى يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس لا محالة والناس لا ينفكون عنه (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والأرضين وقد اتسع فيه بأجزاء الظرف مجرى المفعول به • وليس المقصود أن اليوم مشهود فى نفسه والا لبطل الغرض من تعظيم اليوم بتمييزه فان سائر الأيام مشهودة (وما تؤخره) أى اليوم (إلا لأجل معدود) الأجل يطلق على مدّة التأجيل كلها وعلى منتهائها (يوم يأت) بحذف الياء وبإثباتها - يأتى - والحذف فى مثل هذا كثير فى لغة هذيل ونظيره قوله - ما كنا نبغ - والفاعل ضمير يرجع الى قوله - يوم مجموع له الناس - (لاتكلم) لاتتكلم (نفس إلا باذنه) أى لا يشفع أحد إلا باذن الله - من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه - (فمنهم) أى من أهل الموقف وهم الناس المذكورون فى قوله - مجموع له الناس - (شقيّ وسعيد) فمنهم معذب ومنهم منعم (فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير) هو أول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره أو هما إخراج النفس وردّه والجملة حال والفاعل هو الاستقرار المقترن فى النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والأرض) أى مدّة دوام السموات والأرض وذلك للتأيد ونفى الانقطاع كما تقول العرب ﴿ملاح كوكب﴾ والمقصود التأيد (إلا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار فان أهل النار يخرجون من النار الى الزمهرير وأنواع من العذاب غير النار • وكذلك أهل الجنة يتصلون بجناب القدس ورضوان الله وهذا اعلى من الجنة أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يقال لهم الجهنميون يخرجون من النار ويدخلون الجنة فهم مستنونون من أهل الجنة أيضا لمفارقة لهم إياها بكونهم فى النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأيد ولا سعدوا سعادة من لم تمسه النار هكذا روى عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهؤلاء هم فساق الموحدين \* وقيل ان - إلا - هنا بمعنى سوى والمعنى سوى - ما شاء ربك - من الزيادة التى لا آخر لها على مدّة بقاء السموات والأرض فلا استثناء راجع إما (١) لنوع العذاب كما يرجع لنوع النعيم فيما سيأتى فالمقصود انهم ينقلون من عذاب الى عذاب كما ان أهل الجنة ينقلون من نعيم الى نعيم

(٢) أول نفس المعذبين فمنهم من لا يخلد فى أحدهما كأهل المعاصى الموحدين

(٣) أولئك التى تزيد على زمن السموات والأرض التى نشاهدها وتكون - إلا - بمعنى غير

(٤) وهناك وجه رابع وهو مدّة لبثهم فى الدنيا والبرزخ فليسوا فى جهنم ما داموا فيها والاستثناء إذن

من أصل الحكم

(٥) وقيل الزفير والشهيق هما المقيدان بتلك المشيئة لا الخلود فالزفير والشهيق دائمان إلا فى أوقات

يعلمها الله

ثم قال تعالى (إن ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض لأنه بناء على الحكمة العاقمة فى العالم وليس للناس ما يؤهلهم للوقوف على تلك الحقائق كاملة (وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) وقد تقدّم انهم قوم موحدون عاصون لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب اذا كانت - ما - بمعنى من أو انهم ينالون ما هو أعظم من الجنة وهو رؤية الله تعالى ورضوانه (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع فهذا الثواب لا ينقطع (فلاتك فى صرية مما يعبد هؤلاء) أى فلاتشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وانهم آيلون الى الهلاك وأن الأنبياء ومن تبعهم ناجون فى الدنيا والآخرة وهذا



عدة بالانتقام منهم ووعيد لهم وتسلية للنبي ﷺ ولكل من سار على قدمه من المؤمنين وأن الله ناصرهم وناصرهم وخاذل أعدائهم وأعدائهم كما جربناه في هذه الحياة مرارا وهم ما يعبدون إلا كما عبد آباؤهم من قبل وقد قصصنا عليك منازل آبائهم فسيلحقهم مثله فإن المشابهة في الأسباب تستدعي المشابهة في المسببات وقوله - كما يعبد آباؤهم - أي كما كان يعبد آباؤهم وهذا قوله تعالى (ما يعبدون إلا كما يعبد) إلى قوله (وإنا لموفوهم نصيبهم) من العذاب (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية دفعا لما يحتمل أن التوفية تكون للبعض مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فأمن قوم به وكفر قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي كلمة الانظار إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم موسى وقومك بالعذاب المستأصل (وانهم) وان كفار قومك (لن شك منه) من القرآن (مريب) موقع للريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين (لما) إلا والله (ليوفينهم ربك أعمالهم) وقرىء - لما - بالتخفيف فاللام إذن موطئة للقسم والثانية للتأكيد ومازائدة للفصل بينهما (إنه بما يعملون خير) فلا يخفى عليه شيء . ولما أبان الله في هذه السورة كيف كانت عاقبة العاصين وخاتمة الصالحين أمر نبيه ﷺ ومن اتبعه قائلا (فاستقم كما أمرت) أي استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك أي دم على ما أنت عليه من الاستقامة (ومن تاب معك) من الشرك والكفر وهو عطف على ضمير الرفع في استقم (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم أولاتعوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه وهذا في معنى التعليل للأمر والنهي \* قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله ﷺ هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هود وأخواتها (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالزني بزيمهم وتعظيم ذكرهم والميل بالقلب إليهم وطاعتهم ومداحتهم وتكثير سوادهم والرضا بأعمالهم (فتمسك النار) أي فتصيبكم النار بحرّها كما يحصل اليوم في الأقطار الإسلامية من التشبه بالفرنجة وتقليدهم ومداحتهم والزني بزيمهم واحترام تجاراتهم وآرائهم وأخلاقهم وفسوق الفاسقين منهم . فلذلك حكم الله على أكثر الأقطار الإسلامية أن يصيبها نار الاستعباد في الدنيا والذل والفقر والاحتلال والاختلال والندالة والضعف والجبن والخوف وهذه مقدمة لعذاب جهنم - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا -

وقد بينا في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن الفرنجة ضحكوا على ذقون الشرقيين الغافلين وألبسوه ثوب المذلة والعار ومنقوهم شرّ ممزق وكل ذلك لأنهم ركنوا إليهم وصدقوهم . ولقد قدمت انهم أشبه بالمسيخ الدجال فانهم يظهرون جنة اللذات ويخفون نار الاستعباد . وقد ركن كثير من الأمراء إلى نار شهوات المال الذي يعطونه لهم أو الألقاب الحقةرة الكاذبة التي يسمونهاهم بها أو الوسمات التي يعلقونها على صدورهم فأوقعوهم في نار الاستعباد والمذلة والخزي المبين . هذا كله سرّ هذه الآية ثم قال تعالى (ومالكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمنعون العذاب عنكم والاستعباد والاحتلال واستنزاف الثروة وحلول الفقر بكم في الدنيا (ثم لاتنصرون) أي ثم لاتجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله أي عذاب يوم القيامة وفي الدنيا الذي هو مقدمة لعذاب الآخرة وفيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة أورضى بأعمالهم ومن عجيب الأمر أن النبي ﷺ يقول شيبتي هود وأخواتها . ولعمرك ما شيبته هود وأخواتها إلا لما في هذه السورة من العذاب الذي حاق بالأمّة الإسلامية أسوة بالأُمم الأخرى

(مصدق هذه الآية في تاريخ الأندلس وفي الدولة العباسية بغزوة التتار)

وتعجب كيف تمّ ما قاله الله تعالى وهو أن الركون إلى الظلمة يعرض المسلمين إلى الهلاك والدمار ثم يقول الله - ثم لاتنصرون - ولقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين غير منصورين بل هم في قبضة الفرنجة

كل ذلك جاء مصداقاً لهذه الآية . يقول الله - ثم لاتنصرون - وقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين كعبيد للفرنجة لأنهم ركنوا اليهم ووالله لم ينج من مذلة الفرنجة إلا الذين استقلوا بأعمالهم وتركوا الركون اليهم ورجعوا الى أنفسهم ولم يتسكوا عليهم واعتبر ذلك في الأمة الأندلسية إذ كانوا في أول أمرهم حين كان الاسلام عزيزاً مهاباً محافظين على أخلاقهم القومية وعاداتهم العربية وشيمهم النبوية ثم تحولت الحال وساءت وأصبح المسلمون بعد الأنفة والعزة والشرف أسرى الأوهام . ومبدأ ذلك أن الفرنجة تعاهدوا مع أمراء الأندلس ورئيسهم ابن عباد . وتلك المعاهدة احتوت على ما يأتي ﴿ أولاً ﴾ حرية الدين ﴿ ثانياً ﴾ حرية التجارة ﴿ ثالثاً ﴾ حرية التعليم . ولما تمت تلك المعاهدة أقام ابن عباد احتفالاً ومهرجاناً وأفرحاً دامت عشرات الأيام واقدم حضر الأمراء جميعاً تلك المعاهدة ووقعوا عليها وكان بعضهم قد ركبوا على جياد نعالها من ذهب . ولما تمت تلك الوليمة والأيام الراقصة رجعوا الى ديارهم آمنين مطمئنين ولم يرفض التوقيع على هذه المعاهدة إلا ابن مصعب فإنه قال ﴿ ويحكم يا أبناء العرب وعظماء الاسلام كيف تبيحون حرية التجارة والتعليم في دياركم . أفلاترون أن القوم سيعلمون أبناءكم تاريخ أمهم ويحقرون آباءكم . أولاترون أن الخمر يباع في بلادكم بعد الآن حرية التجارة وسينشتر في البلاد الترف والنعيم ويكثر المترفون والفسقة والفجار والخلاعة وينتهي الأمر بفساد البلاد وخراب العباد وطرد العرب من الأصقاع الأوروبية . فلما سمع القوم مقالته هزوا ساخرين ونبذوه أجمعين وقالوا لست في العير ولا في النفير وهل يطاع لقصير أمر أو يقام لغير رشيد وزن - وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً - وقالوا إن هذا كلام الذين لا يعرفون السياسة ولاهم من السياسيين ﴾ . فماذا جرى بعد ذلك . قضيت سنون تلتها سنون وصح ما تنبأ به ابن مصعب وانتشر الخمر والفسوق وصار ﴿ كتاب الأغاني ﴾ هو العمدة في البلاد وانتشرت الخلاعة والنفسوق وصار الشبان يغزلون الفتيات في الطرقات شاربين وشاربات وسكرين وسكرات وكثر الترف والنعيم ولبسوا الحرير وتختموا بالذهب وصارت الخلاعة مشرب الأدباء وخلق الكبراء فذهبت النخوة والدين وسرى ذلك من الأحداث الى العظماء والكبراء حتى ان أحد أمراء بني ذي النون اختطف فتاة رومية من أبيها وأدخلها قصره فلجأ الى أمير آخر مسلم فأدته مروءته أن يكتب ابن ذي النون ذاكراً له عظم هذا الذنب وقبحه فأبى أن يقبل قوله فاتحد ذلك الأمير مع بعض بارونات أوروبا وهجموا على ذلك الأمير ومزقوا شمله وخربوا قصره وأولم الأمير المغالب للفرنجة الحاضرين معه ولجئة دامت أياماً فرحاً بالانتصار واطهاراً للافتخار والأمة العربية إذ ذاك في انتحار وهي لاتعلم ماخبأها لها الزمان وكان العربي إذ ذاك في الأندلس يحقر نسبه وأخلاق آباءه وآراءهم وتاريخهم ولا يأنس إلا بالاوروبيين الذين ربوه في مدارسهم . ولقد تجاوز هؤلاء الأساتذة حد العادة في تغيير أخلاق المسلمين حتى ان راهبا في قرطبة من أساتذة المدارس التي يتعلم فيها المسلمون اشترى عنب قرطبة كله وعصره خمر وحلف أن لا يبيعه لأحد إلا لتلاميذه من أبناء المسلمين لحبه إياهم فصار الخمر من مستلزمات المدنية والعمران . فماذا جرى . سارت الأمة شوطاً بعيداً حتى قرعت القارعة ووقعت الصاعقة وأتى الملك (فرديناند) والملكة (إزابله) وقصما ظهر البلاد وأزالا ملك بني عباد وأمراء الأجناد وقبروهم أجمعين إلا قليلاً منهم وموهم في البحر أجمعين وقتلوهم مجذلين - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . كل هذا مصداق لقوله تعالى - ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالككم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون - فلم يجد أبناء الأندلس أولياء ينصرونهم لما أحاط بهم الافرنج من كل جانب وهم غافلون لأنهم ركنوا الى الفرنجة فأصبحوا حصيلاً خامدين

## ﴿ التتار في الشرق ﴾

وقد كان المسلمون قبل ذلك بنحو ثلاث مائة سنة في بلاد الشرق قد ثملوا بهزيمتهم وسكروا بجباههم فلم يظنوا في الأرض قوة أعظم منهم أيام قطب أرسلان إذ أرسل اليه (جنكيزخان) المسمى تموجين رجالا من قومه ليعتاجروا مع المسلمين بأموالهم ومعهم مال عظيم ومتاجر كبيرة تخاف تجار المسلمين على أنفسهم وضياع تجارتهم وبحس بضاعتهم لمزاجة أولئك الواردين لأن بضاعتهم أجمل وأبهج وأجسى وأرخص قيمة فأرسل هؤلاء التجار الوطنيون رجلا منهم فقال لقطب أرسلان • هل لك أن تأخذ التجارة من هؤلاء الذين حضروا وأن مامعهم يكون غنى لدولة الاسلام وعزا وجاها للحكومة ففره مايقول وأخذ المال الذي مع التجار الذي قيل إنه كان كثيرا جدا فأخذ تجارتهم وقتلهم أجمعين • فلما ورد الخبر الى (جنكيزخان) أرسل له خطابا مع جماعة يحذره من عاقبة ظلمه يقول فيه كيف تسيئون الجوار وتظلمون الناس ونبذكم ﷺ لم يقل به وعلى بن أبي طالب كذلك • أولم يخبركم نبيكم قائلا ﴿ اتركوا الترك ما تركوكم اننا نحن أمة يأجوج ومأجوج وقد أوعدكم الله بأنهم سينسلون عليكم من كل حذب • فلما جاء الخطاب الى (قطب أرسلان) مزقه وسلم آذان الرسل المرسلين من قبل (جنكيزخان) فصام هذا الذي يعبد النار ثلاثة أيام تضرع فيها الى الله أن ينصره على المسلمين الذين هم يخربون بلاد الله وهو يسعى الى الإصلاح ولم يأكل ولم يشرب في تلك الأيام الثلاثة ثم قام بجموعه وهجموا على الاسلام فأزالوا دولة العباسيين ومزقوا المسلمين شرا ممزق وانتشروا في الهند وفي روسيا ولا تزال بقاياهم الى الآن على نهر (فلجا) وغيره ولكنهم أساموا بعد حين وهذا مصداق لقوله ﷺ ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ وسيتضح هذا المقام في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون - وسترى فيه نص الخطاب الذي أرسله (جنكيزخان) لتعلم أن المسلمين كما ركنوا الى أوروبا فزال دولتهم ركن مسامو الشرق الى جوار التجار منهم فسلطوا الملوك على ايداء الجيران فآذوهم فسلط الله عليهم التتار • ذلك لأنهم ركنوا الى الذين ظلموا وهم تجار المسلمين • وأيضا كان المسلمون غافلين جاهلين لم يعرفوا قدرة بلاد التتار ولم يدرسوها فهم كانوا بجغرافية البلاد المجاورة لهم جاهلين فلما آذوهم سلطهم الله عليهم وهم لا يعلمون قوتهم ولا مقدار جيوشهم ولا عددهم ولا صبرهم على القتال • ذلك كله مصداق لقوله تعالى - ثم لا تنصرون -

## ﴿ مصداق هذه الآية في الأهم الاسلامية اليوم ﴾

ولقد قدّمت مرارا في هذا التفسير كيف استولت الفرنجة على بلاد الشرق وقتل انهم استولوا عليهم بنفس الطريقة التي أهلّكوا بها بلاد الأندلس فانهم كما أهلّكوا الأندلسيين بالشهوات واللذات وفتحوا لهم باب الترف فكثروا الدين والاسراف والتجور والمجاهرة بالمعاصي مع الغانيات ولبس الحرير والتعم والربا واحتقار تاريخ الآباء وآرائهم وأعمالهم وخصالهم وما هم عليه من التمسك بالدين وما أشبه ذلك • هكذا فعلوا ذلك مع أهل الشرق من التونسيين ورجال الجزائر والمراكشيين والمصريين بحيث ترى الأغنياء من بلادنا الآن لا يهتأ لهم طعام إلا في مطاعمهم ولا شراب إلا في قهواتهم وباراتهم ولا مغازلة إلا مع نساءهم ولا شراء إلا من محال تجارتهم ولا لباس إلا على زيمهم ولا خادمة إلا من أحسن نساءهم ولا استدانة إلا من مصارفهم • واذا أرادوا عملا عاما لا يكون إلا في أما كنهم التي لهم في بلادنا

اذا علمت هذا علمت جواب رسول الله ﷺ الى أبي بكر لما سأله قائلا قد ثبت يارسول الله إذ قال ﷺ شيدتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون واذا الشمس كورت \* وفي رواية غيرها ﷺ قال قلت يارسول الله عجل اليك الشيب قال شيدتني هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعمّ يتساءلون وهل أناك حديث الغاشية ﷻ ويقول العلماء لأن هذه السور فيها ذكر القيامة والبعث والحساب الخ • فهذا صريح في أنه يخاف



عذاب الآخرة . ولا شك أن مما في سورة هود حساب الأمة المحمدية في الآخرة على أنها تركز إلى الذين ظاهروا وقد أظهر الله مقدمات هذا الحساب ودلائله فيما ذكرناه . وورد أيضا ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ وقد حصل ذلك بظهور التمار وغلبهم للمسلمين كما سيتضح في سورة الكهف وكما قدمناه الآن فليعتبر المسلمون . ولما كان اختلال الأمة ينشأ من ركونها إلى الذين ظاهروا وكانت إقامة الصلوات في أوقاتها مما يجمع القلوب ويؤدي إلى اتحادها أعقب ما تقدم بقوله ( وأقم الصلاة طرفي النهار ) غدوة وعشية وهو منصوب على الظرفية لأنه مضاف إلى الظرف وصلاة طرف النهار الأول الصبح وطرف النهار الثاني الظهر والعصر ( وزلفا من الليل ) الزلف جمع زلفة من أزلفه إذا قر به أى وساعات من الليل قريبة من آخر النهار وهي صلاة المغرب والعشاء ( إن الحسنات ) كالصلوات الخمس ( يذهبن السيئات ) أى الذنوب \* وفي الحديث ﴿ إن الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب ﴾ ومثل الصلوات جميع الطاعات \* قال عليه الصلاة والسلام ﴿ وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ ومن الطاعات سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقد ورد في الحديث أيضا أنها مرادة بهذه الآية \* وفي البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا

إن الذنوب الصغائر تكفرها الصلوات والطاعات . أما الذنوب الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة النصوح بالاقلاع عن الذنوب بالكلية وبالندم وبالعزم التام ألا يرجع إلى الذنب \* وفي الحديث ﴿ إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ﴾ وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال انى قد أصبت من امرأة غير انى لم آتتها فنزلت ( ذلك ) إشارة إلى ما تقدم مما في هذه السورة من هلاك العصاة ونجاة الصالحين وماولى ذلك من قوله - فاستقم كما أمرت - وما بعده ( ذكرى للذاكرين ) عظة للمتقين وتبصرة للمفكرين فيعرفون كيف تهلك الأمم اذا ظلمت وكيف تسهم النار في الآخرة اذا ركنوا إلى الظالمين وأن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في هذه السورة لم ينصروا الا بعد الصبر ولذلك قال ( واصبر ) على ما تلاقى من قومك ومجادلاتهم وعداوتهم كما صبر الأنبياء قبلك المذكورون في هذه السورة وقد علمت أمرهم وانه لم يضع أجرهم اذ أحسنوا في أعمالهم ( فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ) أى المصلحين أعمالهم كالأستقامة وعدم الركون إلى الذين ظاهروا وإقامة الصلاة وفعل الحسنات وجميع الأعمال الظاهرة والباطنة فاحسان العمل الباطنى يرقى أخلاقنا واصلاح العمل الظاهرى كالصناعات يرفع قدر الانسان ويرقى عقله ويكسبه الفنى وهذا ممدوح والله لا يضيع أجره كما هو مشاهد محسوس . فكل من أحسن عملا لا يضيع أجره وهذا يوجب على المسلمين أن يحسنوا ما يصنعون في أعمالهم الظاهرة والباطنة

ولما كان القول المتقدم وهو الأمر بالاستقامة للنبي ﷺ ومن اتبعه ونهيه عن الطغيان وعن الركون إلى الذين ظاهروا حتى لا تمسهم النار كما مست الأمم السابقة لما طغوا كما هو مذكور في هذه السورة أشبهه بالتخليّة ثم أمرهم بما هو كالتخليّة من الصلاة بالليل والنهار مرتبا على ما ذكر في هذه السورة من هلاك الأمم السابقة في الدنيا لكفرها وفي الآخرة بالنار . لذلك أيضا رجع إلى تفصيل الكلام على تلك الأمم قائلا هلا كان من هؤلاء الأقوام الذين ذكروا في هذه السورة وغيرهم من الأمم السالفة قبلكم رجال أولوا رأى وعقل ينهون الناس عن افسادهم فى الأرض بتطفيف الكيل والميزان وبخسهما وفعل الفاحشة التى لم يأتها أحد من العالمين والكفر والمعاصى الكثيرة . نعم ان بعضهم نهى عن الفساد فى الأرض فنجيناكم . فأما الأكثرين فانهم لم ينهوا عن الفساد فى الأرض واتبع الذين ظاهروا ما ترفوا فيه بالتعم والترفع وحب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم ( وكانوا

مجرمين) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون وهذا قوله (فالولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) من الرأى والعقل أو أولوا فضل وإنما سمي بقية لأن الرجل يستبق أفضل ما يخرج منه ومنه فلان من بقية القوم أى من خيارهم (ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم) أى لكن قليلا منهم أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك فالاستثناء منتطع فهؤلاء المستثنى منهم لم ينهوا عن الفساد فى الأرض (واتبع الذين ظلموا) أنفسهم فلم ينهوا الناس عن الفساد (ما أترفوا فيه) أى ما عرفوا فيه التمتع والثروة الخ (وكانوا مجرمين) ولما كان ما تقدم يستدعى سؤالاً فيقال يا عجبا إن الله عز وجل رحيم وكيف يهلك الناس إذا كفروا . وهانحن أولاء نرى الحيوانات راتعة فى الماء والهواء والتراب فلم خص الانسان بالاهلاك فى الدنيا فليكن الكافر فى الأرض كالحيوان أفلا يسمع الله هؤلاء فى أرضه فما باله يهلكهم فى الدنيا وينزع ملكهم ويشنت شملهم . لذلك قال الله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (وأهلها مصاحون) أى وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين بأن يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد . ولذلك قيل (الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم والمعاصي) . وكأن هذا تقرير لما تقدم فى السورة كأنه يقال إذا أهلكت قوم لوط وقوم شعيب وغيرهما فأنما أهلكهم للذنوب المخلة بالامن الضارة بالمجموع . وإذا كان المجموع فاسدا فلا بقاء له بل يكون كالجسد الميت تنتن رائحته . فالأمة التى تكذب وتظلم وتفسق ويرتشى حكامها وتضل فى أعمالها ولا تحسن عملا حكمت عليها بالهلاك لأنها مجموع مختل غير منظم وهذه قاعدة طبيعية فالأمة كالجسم إذا اختل خلا عظميا رئيسيا مات وهذه حال كثير من أمم الشرق والاسلام الآن وسيغير الله الحال بل ابتداء سبحانه يفعل ذلك الآن . ولما كانت الأمم الاسلامية اليوم قل فيها علم الأخلاق والعمل بها صارت قلوب أهلها متباعدة متباغضة وهم لا يحسنون كثيرا من الأعمال وهى بأيدى غيرهم سلب الله عليهم الفرجة لأنهم لا ينهون عن الفساد فى الأرض وقليل منهم الآن انتظموا فى أعمالهم فاستقلوا فى بلادهم وطردها الفرجة والحمد لله . فتعجب كيف أبان الله فى هذه الآيات أن خراب الأمم تابع لظلمها الداخلى فى أعمالها لا إيمانها وعلى ذلك لا يبالى بإيمان بلا عمل صالح بل ينزل بأهل العذاب الشديد فى الدنيا كما أشار إليه فى قوله تعالى - ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار - ومن الظلم ترك النهى عن المنكر . واعلم أن الفقهاء لأجل هذه الآية قدموا عند تراحم الحقوق حقوق العباد على حقوق الله تعالى

واعلم أن هذا المقام يقتضى أن يسأل سؤال فيقال اذا كان الله هو الخالق للعالم المنظم له وهو واحد فلم تطورت الأمم وكانوا مختلفين أخلاقا وديانات وآراء وكفرا وإيمانا . وهلا جعل الله الناس أمة واحدة ولم هذا الاختلاف . واعلم أن هذا السؤال يرد على عقول كثير من الناس وهو بهذا المقام أليق لأنه فى مقام هلاك الأمم وبقائها وتقرير حقائقها وقد تم البحث هنا ودقق فيما تدقيق . واعلم أن العالم لو لم يكن مختلفا لكان معدوما . ألا ترى أن الحكماء قد قرروا أنه لا يتساوى اثنان فى الوجود فلا رجل ولا امرأة من الناس يماثلان غيرهما من الرجال والنساء بل كل فرد من الناس والحيوان والنبات والمعادن والكون لانظير له فى الوجود . وقد برهنوا على ذلك ببرهان قاطع لا محل لذكره هنا . فإدام هناك خلق فلا بد من اختلافه فالاختلاف ملازم للخلق . وما دام هناك خلاف فهو فى الأجسام والألوان والعقول والآراء والديانات والأحوال وفى كل شئ . فالعقل الحكيم يعتد أنه لا يكون وجود بغير اختلاف الموجودات والجاهل يقول لم خلق الله الاختلاف مع أنه لا يمكن الخلق إلا مع الخلاف . ولا فرق بين الخلاف القليل والكثير . فكما يأتى بساعات النهار المختلفة أضواؤها يأتى بالليل الذى هو غاية الخلاف مع النهار هكذا يفعل فى الديانات فكما يخلق تقيين متقاربين كأبى بكر وعمر وهما كساعتين يخلق كافرا ومؤمننا كأبى بكر وأبى جهل كما خلق الليل والنهار فالنظام واحد فى الأطوار الانسانية والأحوال الكونية ونتيجة ذلك هو أعلم بها وهذا قوله

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) متفقين في الإيمان والطاعات ولسكنه لم يشأ ذلك لأن المشيئة تتبع العلم والعلم يتبع المعلوم والمعلوم ليس يكون إلا على النظام الأكمل والنظام الأكمل لا بد أن يكمل فيه جميع الأحوال كما كملت أحوال الليل والنهار بالظلام والضياء المتباين النتاج والثمار (ولا يزالون مختلفين) في دياناتهم كما اختلفوا في جميع أطوارهم وهذا الاختلاف يخلق راحتهم ويزعج نفوسهم ويكون سبب النزاع فيما بينهم (الا من رحم ربك) من أناس يكون اختلافهم غير داع إلى النزاع بل هو كالوفاق حينما يرتقى نوع الإنسان ويكونون كأسرة واحدة يحب بعضهم بعضا ويكون اختلافهم في جميع أحوالهم ليتكاملوا به ولكل منهم عمل خاص ينفع الجميع به فيكون الاختلاف فيما بينهم كاختلاف البنوة والابوة والذكورة والانوثة كل له عمل ينفع به المجموع وتكون جميع أهل الديانات على حال لا يعلم بعضهم بعضا بل يكونون أشبه بأعضاء أسرة واحدة . ذلك هو العصر الذهبي الذي عبر عنه بأنه ينزل فيه عيسى ابن مريم فتصلح القلوب بالمحبة ويصبح الناس - اخوانا على سرر متقابلين - في الدنيا \* وقد ورد أن دين الاسلام يعم المسكونة إذ ذاك . ولما كان الخلاف في جميع الأحوال أمرا طبيعيا أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (ولذلك خلقهم) أي خلق الناس (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (الأملاّن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لنقصانهم وبعدهم عن الكمال فاذن أضعهم في المنازل التي استأهلوا لها كما أخلق الدود في الطين والحيات والعقارب في التراب والحشرات في القاذورات ولقد أكرت في الدنيا من هذه المخلوقات في تلك الأماكن لثلا يبقى مكان في العالم معطلا بلا خلق ولم أخلق الخلق عبثا بل كالحكمة فأما لا أذر الروث والطين المذتن والقاذورات بلا مخلوقات فأكرت خلقها فهكذا . إن أكثر النفوس الانسانية تموت ناقصة فأضعها في قاذورات العالم الثاني لأعمال أن بها عليم فتكون معذبة وعذابها بحسب استعدادها كما خلقت الدودة في الروثة وكما أن الناس يأفون من الروث ويقولون لو خلقنا دودا لتمينا الموت ولكرهننا الحياة والدود محصور مغفور مسكين يعيش كأنه ميت ولا يعلم من الحياة إلا ما يمس جلدته فهو خال من السمع والبصر والشم والذوق . هكذا يكون في الآخرة خلق من الناس يأف أهل الجنة أن يكونوا معهم لما هم فيه من العذاب بالنار والجحيم فضلا عن خسة الحياة ودناءة الموقف وعذاب الخزي والدلة والخافة والضياع والتحصار القوى وانحباس النفوس . وإلى هنا قد تم الكلام على الأمم وأحوالها وما استنتج الله منها وعلم نبيه وأمرته ووعظ وذكروا وحذر وأنذر . ثم شرع سبحانه يبين للنبي ﷺ وأمرته مقصود هذه القصص وأمثالها وأن المقصود من هذه الأخبار تثبيت فؤاده ﷺ وفؤاد كل مؤمن يقرأ هذه القصص فإن الإنسان إذا علم ما أصاب المصلحين قبله من البأساء والضراء ثم تم النصر لهم في آخر الأمر ثبت قلبه وهكذا ﷺ لما علم من هذه السورة كما علم من غيرها كيف كانت عاقبة الأنبياء وعاقبة أممهم من الأتباع والكفار تأسى وصبر وثبت قلبه لعلمه بالعاقبة وهذا قوله تعالى (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (مانثت به فؤادك) بدل من - كلا - (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وتثبيت قلبه معناه زيادة يقينه فإن تكرار الأدلة أثبت للقلب وهكذا توارد القصص المتشابهة المغزى في موضوع واحد توجب الاستئناس . هكذا قراءة المؤمنين لأمثال هذه القصص تورثهم موعظة من المعاصي وتذكرهم أحوال الأمم فيقيسون عليها أنفسهم

ولما كان ما تقدم نافعاً له وللمؤمنين أمره أن يخاطب الكافرين قائلا اعمالوا على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها (إنا عامون) على مكانتنا وهذا كقوله - لكم دينكم ولي دين - (وانظروا) بنا الدوائر (إنا منتظرون) أن ينزل بكم مثل ما نزل بالأمم السابقة كما قصه الله في هذه السورة من الهلاك اللاحق بهم لما كفروا كما كفرتهم . ثم ختم السورة بالتوحيد وارجاع الأمور كلها لله تعالى فقال (ولله غيب السموات والأرض) وحده لا يخفى عليه شئ فيهما (واليه يرجع الأمر كله) ومنه أمرهم فيثيبك ويعاقبهم



(فاعبدته وتوكل عليه) أى فمن كان كذلك فهو مستحق للعبادة لا غيره فاعبدته وحده - وتوكل عليه - يعنى وثق به فى جميع أمورك فإنه يكفيك كما فى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - (ومار بك بغافل عما تعملون) أنت وهم وجميع الخلق فهو يحفظ أعمالهم جميعا لا يخفى عليه منها شئ فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته والله أعلم • انتهى التفسير اللفظي

### ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ الأولى ﴾ فى قوله تعالى - فأما الذين شقوا الخ - ﴿ الثانية ﴾ ما أهمّ العلوم التى كان يرمى اليها الأنبياء فى هذه السورة وكيف خزنها الله فى القرآن للمسلمين فى هذا الزمان وكل زمان

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن من علماء الأمة الاسلامية من نظروا فى هذه الدنيا ونظامها وحكمة خالقها ورحته التى وسعت كل شئ • وأن رحته سبقت غضبه • وأن أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة المسلم كلها دعوات تسند جميع أفعال الخلق الى الله تعالى • وهذا كله مما يوقع فى النفوس أن خالق هذا العالم عنده رحمة عظيمة فوق رحمة الناس وفوق ما يعرفه الناس • كيف لا وهو القائل فى هذه السورة - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها - وهو القائل على لسان بعض رسله - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فالنظر فى العالم والنظر فى بعض الآيات والأحاديث جعل بعض العلماء ينكرون فى هذه الآيات ويقول إن العذاب ليس يكون بلا نهاية • قال العفيف القامسنى اذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة • وقام المصطفى ﷺ لجنائزهم فقالوا انه يهودى فقال أليس الملك معها أليست نفسها

قال العلامة زين الدين محمد المدعو عبد الرؤف الحدادى الناهرى المعروف بالمناوى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣٩ هـ فى شرحه على (قصيدة النفس) لابن سينا ما نصه

قال فى الفتوحات المكية ﴿ هذا أرجى ما يمسك به أهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف ولا التعريف الالهى فى شرف النفس الناطقة وأن صاحبها وإن شقى بدخول النار فهو كما يشقى هنا بأمر اغس النفس والعلل والهموم وأن ذلك كله غير مؤثر فى شرفها إذ كانت من العالم الأشرف فقام لها لكونها نفسا أى لذاتها وهذا يؤذن بتساوى النفوس

وفى رسالة القشيري عن بعض الصالحاء أنه ذم من رأى نفسه خيرا من فرعون • قال وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لسكل نفس وإن عمّرت النفوس الدارين • ولا بد من عمارة الدارين كما ورد أن الله سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسبب لا يعامه إلا أهل الله فإنه من الأسرار المخصوصة بهم • فسكنا أن الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم إن شاء الله تعالى • وقال تعالى فى الذين شقوا - إن ربك فعال لما يريد - ولم يقل - عطاء غير مجذوذ - كما قال فى السعداء • وقال أيضا - رحمتى سبقت غضبي - وقال - ورحمتى وسعت كل شئ -

كل ذلك منه منة فإنه كتب على نفسه الرحمة • قال المناوى الى هنا انتهى كلام ابن عربى أقول ولم يقتصر الأمر على الصوفية رجعهم الله بل تعداهم الى غيرهم • قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لأهل الجنة فقال تعالى - عطاء غير مجذوذ - ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا • وعن أبى هريرة نحوه • وقال المناوى انه قد جاء فى بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل وأن النار تنفى ويزول عذابها دون الجنة • قال ابن تيمية نقل ذلك عن عمر وعن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم • وأخرج عبد الحميد بن حميد عن عمر بن الخطابين رجالهما ثقات ﴿ لوليت أهل النار فى النار كعدد

رمل عاجل لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه ﴿ وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار قال أئمة ابن تيمية وانما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها واما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم وغيرهم أنهم لا يلبثون قدر رمل عاجل ولا قريبا منه . ولفظ أهل النار يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث ولا يناقضه قوله تعالى - خالدين فيها وما هم منها بمخرجين - الى أن قال . لكن اذا انقضى أجلها وفيت كما تفي الدنيا لم يبق نار فلم يبق عذاب . قال ويرد في عدة طرق عن ابن عمر ﴿ وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ﴾

وجاء نحوه عن ابن مسعود وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي ﴿ جهنم أسرع الدارين عمارا وأسرعهما خرابا ﴾ ثم ان ابن تيمية رحمه الله أورد قول من يقول ان الاجماع على خلاف ما ذكر ونحوه ورد هذا القول قائلا انما يظن الاجماع من لا يعرف النزاع . والمسلمون جميعا أجمعوا أن عذاب جهنم دائم لا ينقطع . هذا قام عليه الاجماع . ولكن اذا بطلت جهنم بالكلية لا يقال انهم خرجوا من جهنم بل يقال انها فثيت فهم يعذبون مادامت باقية فاذا خربت فأين يعذبون وفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس . هذا ملخص ما قاله المناوي . ثم قال حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادحه في نحو كراسة . ثم قال والذي نعتقد ماعليه هداة هذه الأمة وجهود الأئمة أن النار لا تفي ولا يزول عذابها . قال ووافق ابن القيم على نحو ما زعمه جمع من الصوفية كما تقدم اه  
هذا وانما أريت هذه الآراء المختلفة في هذا المقام لتعلم مقدار ما وصل اليه علماءنا والمحققون منهم في هذا المقام والله يتولى هدايتنا

#### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أن هذه السورة أشبه بثمرة الجوز المفسمة الى بيوت كل واحد منها فيه اللب الشهي النافع الأجسام المغذى لنوع الانسان . وانما شبهتها بتلك الثمرة لأن الجوز له قشر يحيط بلبه وفي داخله بيوت منظمة محتوية على اللب المطاوب للآكلين . هكذا هذه السورة فيها القصص الدالة على نجات الطائعين وهلاك العاصين . والمقصود من ذلك كله العلم بنظام العالم وجماله وبدائع حكمته وغرائب خلقته . ولعلك تقول . يا للعجب كلما وصلنا الى آية أو قرأنا حكمة أرجعناها الى الحكم الكونية والغرائب الخلقية . فيأليت شعري ما قصة نوح في سفينته وهود في قبيلته وصالح وناقة وابراهيم وامرأته ولوط وقريته وشعيب وجماعته وموسى ونبوته فأين قصص هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأفلاك في دورانها والأسماك في بحارها والنباتات في حقولها والحيوانات في قلاوتها . والذي يخيل لي أنك مغرم بالمعجائب الكونية تدور حولها كلما سنحت سانحة أو برقت لك بارقة

اذا قلت هذا أيها الدكي أقول لك لا تعجل وانظر ما أقول ابتداء الله السورة بأن الكتاب محكم الآيات مفصل كما تفصل الفرائد وهو حكيم خبير . وأفاد أن علمه يعلم ما بطن وما ظهر . وأن عليه رزق جميع السواب وهو العالم بمستقرها ومستودعها وأن ذلك عنده في كتاب وقد أسس ملكه جميعه على العلم فلا دابة في الأرض من طير يطير وبهيمة تسير وسمك يجري وحشرة تسرى إلا وهو قائم بنظامه عالم بما يحتاج اليه رازق له منظم لأعضائه وحياته معطيه رزقه . فاذن ليس لدابة في الأرض إلا خالقها ومنها الانسان وهو أشرف المخلوقات . فهذا أساس هذه السورة . ألا ترى الى قول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أنظر كيف استدلت بعلم السواب وأن الله قابض على ناصيتها عالم بمستقرها ومستودعها . أليس هذا ترديدا لما في أول السورة دلالة على أنها مؤسسة على هذا الأساس مبنية على هذا المبدأ قائمة على قرار مكين من علم شامل وعمل دائم وحكمة عالية

ها هو ذا النبي هود يقول - إني توكلت على الله الخ - وما برهانه إلا ما جاء في أول السورة وهو جوهريها ومقصودها • فيقول ان الله عمسك بنواصي الدواب ويعلم مستقرها ومستودعها فكيف أكون نبيا وأخاف من المخلوقات والله آخذ بناصيتي وربني على صراط مستقيم لا يبقى إلا ما كان أنفع في الوجود • ولا شك أن العلم أبقى على العالمين والجهل أردأ للمخاوتين وأنا قد أرسلت بالعلم فهل يخذل الله المصلحين وينصر الجاهلين كلا ثم كلا • وانظر الى نوح كيف يقول الله له - واصنع الفلك باعيننا ووحينا - وذلك للبالغة في الحفظ والرعاية كأنه يراه بعيون كثيرة على سبيل التمثيل حتى لا يلحقه ضيم فهو المنجى له • وهذا كقوله في المبدأ - ويعلم مستقرها ومستودعها -

وقال الملائكة للوط - إنا رسل ربك ان يصلوا اليك - ولقد نجى الله شعيبا وبقية الأنبياء • فانظر كيف رجع أمر الأنبياء جميعا الى مراعاة الله لكل مذهب على الأرض من الانسان والحيوان وحفظه لها وأخذ الأنبياء يرددون ذلك المعنى حتى قال لرسوله محمد ﷺ في آخر السورة ما جمع ذلك كله فقال - والله غيب السموات والأرض - وهذا كالذي ذكر في الأساس من عموم علم الله وقوله - وتوكل عليه - هو عين ما قاله جميع الأنبياء لرسولهم وقوله - وما ربك بغافل عما تعملون - هو كقوله تعالى - ويعلم مستقرها ومستودعها - فأول الأمر وآخره في هذه السورة أن الله محيط بعالم الحيوان وغيره قائم بتدبيره وأن الأنبياء جميعا قد حققوا هذه الفكرة وعرفوها بما أوحى اليهم فلا يزالون بأعدائهم وهم متوكلون على الله والآية التي ختمت السورة أنت بمجمل ما جاء فيها • هذا هو مقصود السورة • وهذا هو الباب

واعلم أن إرسال الأنبياء والقصص الواردة في الكتب السماوية والأمر والنهي وغيرها ليس يقصد منها إلا ترقية الانسان وإخراجه من ظلمات الجهالة بالعرفان وكل ما ورد من علوم الأخلاق والآداب لم يقصد منها إلا ترقية العقول بالعلوم • وههنا قد وصلنا الى المقصود فنقول • كيف يعرف الانسان أن الله آخذ بناصيته كل دابة وأنه يعلم مستقرها ومستودعها إلا بدراسة علم الحيوان • يا عجب كيف يعرف الناس أن الله آخذ بناصيتها إلا بالدراسة التامة • ومما مثل الناس في ادعائهم أنهم يعرفون علم الحيوان وهم لم يدرسوه الا كمثل الجمل والبقر إذ تزعم أنها تعرف الحيوان المحيط بها من الجمل وبقية الدواب • أو كمثل من يظن أنه عالم بالشمس والقمر والكواكب وهو لم يعرف إلا صورها الظاهرة • ولم يدرس من علم الفلك درسا واحدا • فكيف في الأرض من مغرورين • وكف في بلاد الله من غافلين • وكف من صمم بكم عمي فهم لا يعقلون أنزل الله سورة هود وبنى حجج الأنبياء على التوكل عليه لأنه القادر العالم الخالق العليم بأحوال الحيوان فعلى المسلمين دراسة علم الحيوان كما يدرسون علم الفقه كلاهما فرض كفاية • فلا ذكر لك أيها الذكي في هذا المقام عشرين عجيبة من عجائب الحيوان بعد ما قرأته في هذا التفسير وبعد ما بينته في هذه السورة نفسها لتكون أنسا لك وجمالا وكالا ولتقبل بقلبك على دراسة العجائب الالهية وتكون من الموقنين

### ﴿ خزائن الجواهر في سورة هود ﴾

اعلم أن هذه العجائب الكونية الحيوانية الآتية وغيرها من جواهر مخزونة في سورة هود مقصودة لنفسها فلعمرك ليس يراد من الانسان إلا كماله الجسمي وكمال العقلي والأخبر أرقاها مقامها ولن يتم ذلك إلا بنظام هذا العالم • ومن نظامه الجواهر التي خزنها الله في سورة هود • نعم خزنها للأجيال المقبلة وبعض الذين سبقوا من أولى العلم والحكمة الذين هم لله شاكرون - وقليل من عبادي الشكور -

وأكثر الناس لا يشكرون الله لأنهم جهلاء بالحقائق مكتفون بالظواهر فلا يعرفون من سورة هود مثلا إلا التاريخ وتطبيقاته والنحو وأعرابه والبيان ومجازاته والمعاني وحقائقه والبدع وجناسه ويتلهون بالبلاغة وأن القرآن معجز العالمين نارة بعشر سور ونارة بسورة واحدة من مثله • كل ذلك اكتفى به أكثر الناس



عن الحقائق وضلوا طريق الدقائق وما وصلوا الى ما عسى له طالبون . ولعمرك لم يتعد أمثال هؤلاء أول الطريق ولا قاموا للدين بادنى نصيب وما نالوا من ذلك كله إلا تصديق النبوة ولكنه تصديق يتبعه الأعمال والعلوم . أما الأعمال فكألا أخلاق التي تؤخذ من هذه القصص . وأما العلوم فهناك هذه العشرين عجيبة تذكرة وبشرى للعاقلين الذين درسوا هذه الكائنات وأحكموها وفقوها بعض أسرار هذا الكون وأدركوها وهم طوائف من أمم شتى وأزمان مختلفة . اختلفت دياناتهم وشرائعهم وبلدانهم وأزمانهم وهم في الحقيقة متحدون لأن علمهم الذي حصلوه هو نظام هذا الوجود وعجائب هذا الملك فلهذا عشرين عجيبة عسى أن تكون من أولئك الذين قال الله فيهم - إلا من رحم ربك - فانهم لما أدركوا عجائب صنع الله لم يختلفوا فيها بل اتحدوا وعرفوا بواطن الأمور ولم تلهمهم القشور

### ﴿ العجيبة الأولى . لغات الحيوان ﴾

من غرائب أسر الحيوان أن لأنواعه طرقاً لتأدية المراد كما أبان أهل العلم والاختبار وقد شاهدوه في ادنى الحيوان كالنمل والنحل وقالوا ان النمل يفهم أمثاله بطريقة اللس بالقرون وفي تلك القرون من قوة اللس ما ليس للإنسان \* ويحكى أن (فرنكلين) كانت عنده جرة من القند (عسل قصب السكر) ازدحم النمل فيها نفثى (فرنكلين) على قنده فعلق الجرة بحبل من السقف فرأى نملة خرجت من الجرة وصعدت على الحبل وبعد نصف ساعة رأى ما لا يحصى من النمل نازلاً على الحبل الى الجرة وكانت النملة حين تشبع تخرج تاركة مكانها لغيرها . وظل النمل بين صاعد وهابط الى أن فرغت الجرة من القند اه

وعلى ذلك نقول ان النملة أخبرت النمل حتى جاء الى الجرة . وليس يلزم من قولنا ان للنمل لغة أن تكون لغتها كلغاتنا بل المقصود أن يفهم عنها ما يلزمها . فالمراد باللغة هنا كل ما أفهم المراد . ومن هذا نفهم - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - ومن هذا وأمثاله فليفهم القرآن . وبهذا وأمثاله فليرتق المسامون

### ﴿ العجيبة الثانية . نظار النمل ﴾

قال بعض علماء العصر الحاضر . ان رؤساء العمل في النمل تضرب بقرونها حثاً للعملة فتسرع وتبذل كل مجهود في العمل . ولقد شاهد ذلك في حرب النمل فترى أنه عند التقاء الجيشين يضرب أمراء الجيش الأرض بقرونها فتلتحم الحرب ويشتد الكرب ويعظم الهول ويحمى الوطيس وتقوم الحرب على قدم وساق وتفتك الأبطال بالأبطال ويكثر النزال ويحمل الجفيل على الجفيل وتحتجب الجنود في ظلام القسطل وتظل نار الحرب تلظى الى أن يتم النصر للقادرين وهم الغانمون ويجتمع النمل على مدب كنصف محيط دائرة وينطح المنذرين (بفتح الذال)

وبهذا نفهم - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب - أى اللوح المحفوظ - من شئ -

### ﴿ العجيبة الثالثة . لغة النحل ولغة النمل متقاربتان ﴾

يقال ان لغة النحل ولغة النمل متقاربتان كالانجليزية والفرنسية . وذلك أن هؤلاء العلماء جدوا حتى سمعوا الأصوات منهما بطرق طبيعية ووجدوا لصوتيهما ولتقوعاتهما مشابهة

### ﴿ العجيبة الرابعة . حكاية نملة ﴾

استيقظت نملة صباحاً نحو الساعة السادسة من تلقاء نفسها بلامنبه فغسلت وجهها وأصلحت من شأنها بالمفرشة والمشط اللذين وهبا لها من الله بحسب جباتهما وهما في طرف قائمتيها المقدمتين ثم نظفت القائمتين بفمها وخرجت في سرب من أخواتها ماشيات في بعض دهايز المنزل نحو غرفة الملك فالتقت بأسراب أخرى

سائرة الى أشغال أخرى . و بينما هي سائرات وقفت هذه النملة فنزعت قشة علق بيدها إحدى أخواتها في أثناء الطريق كما يلتقط الرجل خيطا علق برداء صديقه . فلما فرغت من ذلك أسرع للحاق بسائر الرفاق فاعترضتها في أثناء الطريق نتف من القش فنظفت الطريق منها وهي مع ذلك تفتنم الفرص للبحث على ما قد تعثر عليه من أطراف الجذور أو قطع الأوراق أو غير ذلك لتدخرها لطعامها اه

#### ﴿ العجبة الخامسة . الزناير وتناسلها ﴾

ومن عجب أن المسلمين في أنحاء الكرة الأرضية إلا قليلا ينظرون الزناير السود والصفرة والجر وهم عن آياتها معرضون ويطردونها عن النحل وهم بعمها جاهلون . تبارك الله عز وجل . فانظر أيها الذكي كيف تبيض الأنثى وكيف يخرج الدود ويأكل ما تقتنصه الأم له وكيف تصبح الدودة بعد ذلك (شرفيلجة) وكيف تصير بعد ذلك زنبورا كاملا يطير بجناحين . إن الأنثى قبل أن تبيض بيضها الذي لا يتوى على غذاء لصغارها كما يتوى بيض الدجاج وبيض الوز تذهب فتقتنص بعض الهوام كالخنافس والذباب والفرش والبعوض أو الديدان أو العناكب . وتختلف الفريسة باختلاف أنواع الزناير فان أت الأم بالفريسة ميتة فيها ونعمت وان كانت حية أفرغت عليها من ابرتها سما يسكرها ويخدرها فتعطل حركتها وهي محبوسة في نفقها المبنى لبيضها ثم تلقى بيضها على تلك الفريسة وتسد القفير سدا محكما . وبعد يومين أو ثلاث يفقس البيض وتخرج ديدان تغتذى من جسم الحشرة التي هي عليها حتى تنقضي المدة الدودية ثم تصير شرقة ثم تصير طائرا فتطير وما ذلك الطير إلا الزنبور

فانظر يارعاك الله كيف علمت أنثى الزناير بلا معلم ولا كتاب ولأنني أرسل اليها ولادراسة ولا تجربة . ان بيضها الذي ستلقه لاقوت فيه لأبنائها وكيف ألهمت أن تعوض بدله خنافس أو ديدانا أو ذبابا وكيف أعطيت مادة سمية لتخدر بها تلك الفريسة وكيف ألهمت استعمالها وكيف كانت تلك المادة السمية لا تقتل الحشرات لئلا ينتن جسمها ولا تبقىها قوية لئلا تهرب أو تكثر الحركات بل بقيت بين بين حتى يحصل المقصود للدود الذي يخرج من البيض وكيف تأكل منه الدرية وهي في عيشة راضية مرضية . فانظر هذه الحكم الستة في الزناير التي تعيش في سقوفنا وحيطاننا ونحن غافلون والله يقول - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

#### ﴿ العجبة السادسة . زنبور يلسع دودة ﴾

لبعض الزناير طريقة عجيبة في قتل الحشرات التي أعدها لصغارها فانه يختار دودة لها نحو (١٣) حلقة ومعلوم أن لكل حلقة مركزا عصبيا ولا بد من لسعها في جميع هذه المراكز وأهمها ما بين الحلقة الثالثة والرابعة فانه في الدود أشبه بالخيخ في الانسان فان هذا الخيخ اذا أصيب مات الانسان حالا . يعلم ذلك الزنبور علما حقا اجاليا بالغريزة فيأتي الى الدودة ويقاقلها وتدافعه مرات كثيرة حتى اذا أخذت تضعف عن المقاومة رفعها الى أعلى وطرحها على الأرض ثم لسعها فيما بين الحلقة الثالثة والرابعة فتخرّ صريعة مخدرة ثم يبق الزنبور ساكنا مما حلّ به من التعب حتى يستعيد قوته فينقضّ عليها ثانية وهي خاشعة فيلسعها فيما بين الحلقة الثالثة والثانية ثم فيما بين الحلقة الثانية والأولى ثم يطير حولها مدّة ويعود اليها ويلسعها فيما بقي من الخلق فتخشع خشوعا تاما مخدرة ساكنة وتبقى حية على الأغلب لتكون غذاء لصغار الأولاد

#### ﴿ العجبة السابعة . الحشرات الصائدة بالونها المشبهة الزهرة ﴾

كل فلاح في بلادنا المصرية وغيرها رأى حشرة تطير بين الأشجار يسميها الناس في بلادنا ﴿فرس النبي﴾ ويسميها الترنسفالين والافرنج (الجندب المصلي) ويسميها غيرهم (فرس الشيطان) وهذه الدابة قادرة على الاحتيال بما يحير الألباب فهي تلبّون بالون مانقع عليه فهي خضراء على الورق الأخضر جراء على

الزهر الأحمر كثيرة الألوان على الزهر المتلون . وربما رأيتها على غصن من الأغصان أشبه بزهرة من الزهرات بحيث لا يفرق الناس ولا الحشرات ما بينها وبين زهرات تلك الشجرة حتى إذا جاءت ذبابة بقربها انقضت عليها فغنصتها . ومن عجيب أمرها أن حيلتها تتم بكاملها فإذا تشككت بشكل الزهرة وهي على الغصن صارت من الشجرة في جميع أطوارها فحركتها الطبيعية معدومة فهي أبدا ساكنة وإذا هبت الرياح والعواصف والزجاج تحركت كأنها زهرة تلعب بها الرياح كما تلعب بغيرها . وهذا يفهم من قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله في هذه السورة - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولقد تقدم قريبا في هذه السورة ما جاء في العلم الحديث أن ألوان الحيوان إنما جاءت لحمايته ولبقاء حياته

#### ﴿ العجيب الثامنة . الحباب ﴾

وتعريف الحباب أنه ذباب يطير في الليل له شعاع في ذنبه كالسراج وهذا النوع في العلم الحديث ظهر منه أنواع كثيرة تشترك كلها في الاضاءة بأشعة تشع من بؤرة في ذنبه وليس لها مظهر إلا بالليل كالقمر والنجوم . وقال العلامة (شوتز) ان للذكر منها بؤرتين واحدة منهما وراء الأخرى وكل منهما مركبة من ﴿ طبقتين ﴾ عليا يشع منها النور وسفلى يظن أنها تعكسه الى ماحول الحشرة ويقال ان الأنثى لاتضيء وقد وجدت الأنثى في ايطاليا كالذكر في الاضاءة . وأعظم الحباب ما وجدت في جزائر الهند الغربية بأمرريكا الوسطى يسمونها ﴿ ذبابة المصباح ﴾ لأنها تنير كالمصباح وأهل تلك الجزائر في كوبا وجامليكا وسان دومينكو يستخدمونها كالمصباح والسياح يستخدمون هذه الحشرة لاضاءة السبل فيعلقون واحدة أو اثنتين في أحذيتهم فتضيء الطريق أمامهم وهي كما تكون هدى للمسافرين جعلها النساء زينة لهن وجالا في كوبا يفرسنها في شعورهن بين الضفائر بدل الحللى من ألماس وعقيق وذهب . وهذه تكسب نساء (كوبا) جمالا وبهجة وحسنا يفوق الجواهر المعدنية والأحجار الثمينة

وأهل تلك البلاد ينتفعون بهذه الحشرة في الاستضاءة ليلا للخياطة فلورأيت ثم رأيت جماعة من هؤلاء وقد علقوا قنديلا في سقف البيت بينهم وليس فيه إلا تلك الحباب والضوء منشور عليهم وهم يخطون وهم فرحون بلا كهرباء ولا نار ولكن بالحباب السارة للناظرين . وهذا من سرّ قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

#### ﴿ العجيب التاسعة . صاحب السفينة ﴾

إن في الحيوان لعجا وأى عجب . فبينما تراه ذا فقرات كالإنسان وذوات الأربع والسمك والطير وأكثر الحيوانات والزحافات ترى منه ما ليس له فقرات ولا عظم له البتة . وهذه الحيوانات تسمى بالحيوانات الرخوة . فانظر كيف كان العمود الفقري والعظام عليها مدار القوة والحركة . فأما هنا فقد انعكس الوضع وأعطى بدلا من الهيكل العظمي كساء خارجيا متصل به العضلات للحركات الانتقالية وهذا الكساء الخارجى الذى قام مقام العمود الفقري والعظام إما أن يكون جلديا وإما أن يكون كالغضروف وإما أن يكون كالعظام وهو عبارة عن كساء كلسى وإما أن يكون أصلب من العظم وهو الصدف وهذه الحيوانات تسمى ذوات الأصداف ومن أنواعها (١) القواقع الذى منه الحلزون المعروف في البحار . ومنه الأبواق الكبيرة الهائلة . وهذا الكساء إما مستدير كالصحن وهو طبقة أو طبقتان مثل (أم الخلول) و (الكندوفلى) و (البطلينوس) وقد يكون هرمى الشكل كالأبواق وقد يكون حلزونيا وقد يكون مستطيلا كالأنبوب والذى يهمنا في هذا المقام أن نذكر هذا الحيوان الذى نحن بصدده فإنه من الحيوانات ذوات الصدف والصدف هنا في هذا الحيوان كالسفينة يستخدمها كما نستخدمها نحن . انه يعوم بها فوق الماء في بحر الهند خصوصا بجوار (جزيرة ملقا) وقد أعطى ثمانية أصابع منها اثنان يجعلهما كشراع السفينة ينشرهما في الهواء وبهما تسير السفينة كما يريد وهو يحولهما نحو الريح كما يحب . وأما الأصابع الست الباقية فانها



جعلت كالمجاديف يرساها على الجانبين وبها تسير السفينة بقوة التحريك ويسيرها الشراعان بقوة الهواء الضاغطة عليهما وهما منشوران غشائيان . فاعجب لسفينة حقيقية لم تلتصق بجسم الحيوان لها شراعان غشائيان كأنهما من نسيج القطن أو الكتان والمجاديف تحيط بها والنوتى يعيش فيها . ومتى طرأ عليه خطر أو أحس بأى مؤذٍ قبض المجاديف والشراعين واختفى فى الصدقة وغاص فى قاع البحر ونجا من الخطر الداهم - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

#### ﴿ العجبة العاشرة • سمك يطير ﴾

ان من السمك ما يعيش فى مياه الولايات المتحدة والبرازيل وفى البحر الأحمر يبلغ نحو شهر ألوانه جميلة زاهية سماوية وفضية وله زعانف بها يطير فى الجو أسرابا مسافات طويلة ثم يخوض فى الماء ويعود فيطير . ومن عجب أن هذه الموهبة العجيبة والنعمة العظيمة وهى تتمعه بالهواء فى جو السماء وسعادته بولوج ماء البحر قد قوبلت بما يناسبها من المهالك فهو يكون فريسة السمك الكبير فى البحر اذا غطس فى الماء وتصيدته طيور البحر اذا علا الى الجو وانظر قوله تعالى - ووضع الميزان \* ألا تظفون فى الميزان - فقد وزنت النعمة بالنعمة ليعتدل العمل ويقوم الأمر بالقسط • فاذا أعطى السمك الطيار نعمتين فقد سلطت عليه نعمتان - وماربك بظلام للعبيد - وانما يضع الموازين القسط

#### ﴿ العجبة الحادية عشرة ﴾

( الحيات التى لاسم لها أكثر من ذوات السم والثعبان الذى لاسم له ولكنه يبتلع الانسان ) قرأت فى قصة (روبنسن) السويسرى المترجم بقلم المرحوم صديقى صالح بك حدى جاد • قال ان الحيات السامة تبلغ نحو مائة صنف من الحيات • أما الحيوانات التى ليست بسامة فهى تقرب من أربعائة نوع • ثم قال ان الأصناف السامة تعيش عادة فى الأحراش الكثيفة والمستنقعات الدائمة والسم الذى فيها لا يكون إلا من تعاطيها الحشائش السامة والأبخرة الخبيثة والروائح الكريهة فى الهواء الفاسد فى تلك المستنقعات وكذلك ما ينبعث من الأراضي الرطبة التى لم تزرع فذلك كله يحدث السم فى تلك الحيات • ومتى أصلحت الأرض التى تأوى إليها تلك الهوام وزرعت وعمرت بالمساكن والقرى اختفت منها تلك الأنواع ومن أهم الحيات التى لاسم لها (البوا) وهو عظيم الجثة يختطف الرجل والجمار كما تنفق لروبنسن أن حماره كما فى قصته الخيالية اختطفه ذلك الثعبان العظيم وابتلعه من قبل رجله حتى اذا انتهى الى رقبته ضربه (روبنسن) وأرداه بالبندقية نفرا صريعا

وأقول ان المسافرين الذين يحبون الأقطار التى يسكنها يعرفون طبعه وأنه يقتص الانسان من جهة رجله فاذا نام الرجل منهم وسع ما بين رجله فاذا جاء ذلك الثعبان وابتلع رجل النائم استيقظ حالا وسل مديته وقطع بها حاقومه فموت حالا - إن ربك هو القوى العزيز -

#### ﴿ العجبة الثانية عشرة • العصفور الخياط ﴾

مالى أرى أمة الاسلام قد نامت نومة عميقة • لماذا لا يدرى المسلمون العلوم التى بها أمر الله • يا عجب كيف يعنى الانجليز فى متحفهم البريطانى بأنواع العشب الذى يخططه ذلك العصفور • يستيقظ عقل الشبان لما فى هذا العالم من الجمال وأمة الاسلام نائمة عاكفة على الجهالة فى النوم العميق • ان نوعا من العصفور التى أنعم عليها بطول ذيولها تخطط أعشاشها خياطة يحار فيها الناس بلابرة ولا خيط ولا آلة خائطة • فيعمد العصفور الى ورقة شكها أشبه بالرحم وهى فى غصنها ثابتة ويأتى العصفور بورقة أخرى أصغر منها ويخططها عليها بقطع من عيبدان دقيقة على نسق عجيب • فاذا فرغ العصفور من الخياطة عمد الى القطن فحشاه به وذلك كله قبيل وضع الأنثى فتضع عليه بيضها ومتى فقس عاشت الفراخ أيامها الأولى على ذلك الفراش الناعم

في بيت معلق في الهواء يتحرك بأخف النسيم

### ﴿ العجينة الثالثة عشرة • العصفور النساج ﴾

إن من العصافير نوعا يصنع عشه كهيئة الجراب قد نسجه من قطع القش وأقامه بين الأغصان وهو كروي أو اهليلجي أو مخروطي وله فتحة يدخل منها العصفور إلى أفراجه وفي الجدار من دقة الصنع وحسن الصورة العملية ما يدهش أولى الأبواب

### ﴿ العجينة الرابعة عشرة ﴾

( العصفور الذي يبني بيته ويصنع له بابا يقفله عند الحاجة فهو أرق من بعض المتوحشين والعصفور الذي يحبس زوجته )

إن هذا العصفور يبني عشه في أواسط أفريقيا فيفتح باب عشه ويقفله متى أراد • وقد رأى العلماء من الناس من لا يصنعون لمنازلهم أبوابا • وذكر العلامة (جبرون) في كتابه المسمى «طيور الهند» أن بعض العصافير إذا آن زمن التفريخ استعانت له كما يستعد الناس زمن الحمل فتري النساء يحضرن اللقائف قبل الوضع وتري اللبن يتقاطر إلى ثدي المرأة شيئا فشيئا • فهذا النوع إذ ذاك يحبس ذكره أثناء في عشها ويقفل عليها بابا من الطين وفيه ثقب لا يسع إلا منقارها لتلتقط به الطعام وليدخل منه الهواء • أما الأنثى فانها لاتأكل إلا ما يحضره لها الذكر فتلتقطه بمنقارها والعصافير في هذا أشبه ببعض الناس إذ يتجنبون المرأة أيام نفاسها وهذه الأنثى لاتزال محبوسة حتى يتم الأفراخ وبعد ذلك يتعاون الزوجان على كسر ذلك السجن

### ﴿ العجينة الخامسة عشر • العصفور الذي يصنع عشا كالجيب ﴾

ذكر العلماء ومنهم الرحالة (سونراث) الرحالة الشهير طيرا يجعل عشه كالقنينة الكبيرة أو كالجرة ويتخذ له مكانا في داخله عند مدخله ليكون حارسا لها وحافظا لأولادها وذلك لأن الأنثى إذا آن زمن وضع البيض اختفت في عشها لاتخرج منه حتى يتم التفريخ • فيعجبا نوعان من العصافير اتفقا أن أنثى كل منهما تبقى محصورة بطبعها جاثمة على بيضها وأحد الذكرين يحميها بأن يسد عليها بالطين والآخر يحميها بأن يحرسها في باب عشها حتى لا يفاجئها خطر • وهذان النوعان من العصافير أشبه أولهما الناس حين يتخذون الحصون رداً يتقون بها المخاطر • والثاني أشبه الناس حين يفتحون حصونهم ويوقفون جنودهم وهم شاكوا السلاح ومن العجيب أن النوع الثاني الذي نحن بصدد الكلام عليه إذا أراد الزوجان سياحة أو خروجاً لغرض ضرب الذكر بجناحيه باب العش فينطبق على مافيه من الأفراخ حتى يرجعا وهما آمانان على الأفراخ فانظر كيف قام الصنف الثاني بالطريقتين • فاحداهما حين وجود أنثاه • وثانيتها عند خروجهما من المكان فيجعل العش حصنا للذرية حتى يرجعا إلى المكان

### ﴿ العجينة السادسة عشرة • كيف تعيش جماعات هذا النوع من العصافير ﴾

إن جماعات هذه العصافير تعيش أسرابا وتكون أعشاشها مدينة عامرة حول جذع شجرة ضخمة وقد يجتمع حول ذلك الجذع نحو (٣٠٠) عش صغير • وقد نقل بعض العلماء عشا من هذه من أفريقيا وقد جعلها بضعة رجال ونقلت في مركبة خاصة في سكة الحديد • ومن نظر إليها من بعد خالها سقوفا معلقة بجذوع الشجر والعصافير تلعب فوقها

### ﴿ اللطيفة السادسة عشر • العنقاء ﴾

هل العنقاء موجودة • كلا • هذا هو الرأي المعروف في العالم الانساني ولكن الذي ظهر وتحقق الآن أن العالم الأرضي كان فيه حيوانات كبيرة من سائر الأنواع ثم انقرضت فيها (الموثر) وهو الفيل العظيم الجثة لم يبق إلا آثاره • وقد عثر الأستاذ (اوين) في زيلانده الجديدة على عظام من طيور ونقلها إلى كلية الجراحة في لندن فوجدوا فيها هيكل عظم لطائر كبير ارتفاعه عشرة أمتار وأدق عظامه وأصغرها لا ينقص عن نخذ الانسان القوي وهذا الحيوان يسمى (الدينورنيس) وقد انقرض من أجل غير بعيد وسكان زيلاندا

يتناقلون خبره فيما بينهم . فأى مانع يمنع أن تكون العنقاء قد انقرضت من بلاد العرب وبقى الناس يتناقلون أخبارها وأصبحت خرافة وليس ينقص تحقيقها إلا العثور على بقايا عظامها كما عثر على طير يلاندا وياليت شعري أى عظمة للعنقاء وأى غرابة فيها بعد ما تبين أن هناك طيوراً هائلة بقيت آثارها الآن وهي أعظم من العنقاء وأن هناك في متحف باريس بيضة لطائر منقرض يسمى (البيورنيس) كان في ممداعسكر وحجم هذه البيضة يزيد على ستة أضعاف بيضة النعام الكبرى وهي تساوي (١٢٠٠٠) بيضة من بيض الطيور الصغيرة وتحتاج قشرتها تساوي مليمترين بحيث لا تكسر إلا بالمطرقة فملى ذلك تكون قوة منسرفرخ هذا الطائر عند خروجه من البيضة كقوة المطرقة حتى يتيسر له الخروج من البيضة بمنقاره

فاذا سمعنا القزويني يقول العنقاء أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحداة الفان لم يكن في ذلك بعدا لانه مبالغ فيه ويكون ذلك حيوانا انقرض أشبه بما ظهر اليوم في العالم كما تقدم . ويقول علماء طبقات الأرض انها كانت في غابر الدهور أوفر حرارة وأقوى حيوانات وكان نباتها وحيوانها أعظم جدا من النبات والحيوان اليوم . وكلما مرت عليها دهور صغرت حيواناتها . ويقول علماء الأرواح ان الأرضين التي حول الشمس مثل أرضنا تكون الأجسام فيها أعظم في أول أمرها . فاذا جاء دور انحلالها أخذت المخلوقات التي فيها تصغر أجسامها ولكن عقول العقلاء فيها تقترب من عالم الأرواح وتكون أكثر صفاء وأجل أخلاقا وأحسن علما - والله يعلم وأتم لاتعلمون -

### ﴿ العجيبة السابعة عشر . الحرباء ﴾

هذا الحيوان وديع جبان يعيش في الأقاليم الحارة مثل افريقيا واسبانيا وأمريكا وهو من رتبة الورل رأسه كبير بالنظر الى جسمه وظهره ذو أسنان وذنبه ولسانه طويلان وطول لسانه يساوي طول بدنه . وفي هذا الحيوان ﴿ ثلاث عجائب ﴾ أصلية لسانه . وتغير ألوانه . وطول أناته وصبره . أما لسانه فهو غدة حربه يقوم مقام المدافع والأساطيل والجيش لفتح المدن لقصد تحصيل الغذاء . لعمرى لم يحارب الناس ولم يجمعوا الجيوش إلا لصدة عدو أو جر مغنم وكل ذلك لمقصد الحياة . فهذا الحيوان اذا جثم على غصن يوقع في وهمك أنه مائت . ذلك لأنه يبقى زمنا طويلا لا حراك به وليس له رائد إلا عيناه يقابلهما ليراق حشرة طائرة ومتى مرت به فها هو إلا كليمح البصر حتى يختطفها به ويتلعها ويتغذى بها وذلك أن لسان هذا الحيوان مكسو في آخره بمادة لزجة متى لامست حشرة النصقت بها بسبب تلك المادة . ولهذا الحيوان أربع أرجل لكل رجل خمس أصابع وهذه الأصابع خزمتان متقابلتان . وبهذه الأرجل وأصابعها يتشبث بالأغصان واذا انتقل فانما يكون ذلك ببطء وحذر فلسانه وصبره هما عدته لاجتلاب الغذاء . أما عدته لدفع الأعداء فهو تغير ألوانه . إن لون هذا الحيوان يتغير تبعا لما يحيط به وقد قالوا إنه يغير لونه كيفما أراد في أى وقت شاء وذلك لبشاكل ما يحيط به من المخلوقات فان كان بجانب شجرة صار أخضر مشاكلا لها . ذلك ليسكون بأمن من مفاجأة العدو المغير فالولا اللون وتغيره لأصبح فريسة الحيوانات القانصة ولكن ذلك مفزعا للحشرات فلا تقترب منه . وهذا الحيوان اذا أخذ الانسان باليد صار أبرش وأكدلونه وظهر في جسمه بقع سود وجر وما بينهما واذا غضب اشتدت سمرة حتى يصير أسود اللون . وقد تشاؤوا في الخزم بالحرباء ومن أمثالهم أيضا ﴿ أصرد من عين الحرباء ﴾ أى أبرد يضرب لمن أصابه برد شديد لأن العرب تعتقد أن عين الحرباء تدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستدفى بها . ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء \* قال

ما بالها حسنت وإن رقيبها \* أبدا قبيح قبيح الرقيب

ما ذاك إلا أنها شمس الضحى \* أبدا يكون رقيبها الحرباء

فانظر كيف كان الصبر والناة وسكون الحركات سببا لاقترب الحشرات منه . وكيف طال لسانه حتى



يختطفها • وكيف انتهى بمادة لزجة فالتصقت بها الحشرات • وكيف تفنن في ألوانه ليسا كل ما حوله دفعا للامات وطلباً للخيرات فاقراً • وما كنا عن الخلق غافلين • واقراً • وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم • واقراً • سبح اسم ربك الأعلى \* الذي خلق فسوى \* والذي قدر فهدى • فهذه هي الهداية وهذا هو قوله تعالى • وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها • فاقراً القرآن في هذه العجائب ولا تكن من الغافلين النائمين

### ﴿ العجبة الثامنة عشر • من أهم سلاح بعض الحيوان الجلود المتينة ﴾

إن لكل حيوان سلاحاً فالفيلة بالخرطوم والانسان بالعقل والسلاح المشهور والوحوش بالانياب والسباع بالبرائن والفيضان ونحوها بالعدو والطير بالتحليق في الجو والثور بالقرون وما أشبه ذلك • وهناك حيوانات لا سلاح لها إلا جلودها كالتمساح انه لا يخترق جسمه الرصاص وكذا السلحفاة فاذا مشيت ترى عليها قبة قوية متينة فاذا خافت مما يؤذيها انكمشت وأخفت رأسها وأرجلها في ذلك الحصن الحصين • ومن هذا النوع السرطان والقنافذ وغيرها

### ﴿ العجبة التاسعة عشر شريعة الغربان ﴾

وقد تقدمت في هذه السورة فلانعيدها

### ﴿ العجبة العشرون • الفرس الحاسب المتعلم ﴾

كان قدماء العلماء يقولون إن الحيوان يتقابل مع الانسان في أوصاف شتى ففي الهيكل الظاهري كالقرد وفي الذكاء كالفيل وفي الأدب كالفرس وفي النطق كالبيغاء وفي حمل الأثقال كالجمال • فكل حيوان من هذه اقتراب من الانسان بخصلة ولم يقدر حيوان ما أن يشارك الانسان في سائر أحواله • ولقد كان الفرنجة في أول نهضتهم يظنون أن القرد وحده قد اختص بالقرب من الانسان • ولكن لما استمروا يجتدون في العلم ألقوا به الفرس والكلب والهر والفيل • ولقد كان العالم الألماني المسمى (هرفون أوستين) يقيم في شالي برلين متفرغاً لدرس طبائع الحيوان مدة (١٤) سنة ووجه عنايته الى فرس عنده وعلمه فنجح خيراً نجاحاً وقد سمي هذا الحصان (حنا النبيه) ولقد علمه على أحدث طريق تعليمي مدرسي بالطباشير والألواح السوداء والخرز وبالروائح العطرية والألوان وعلمه الحساب بالأرقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور العشرية وغير ذلك • ولما شاع أمر هذا الفرس شكلت لجنة من علماء الحيوان فامتحنوه فأقرّ العالم (هرشيلنس) أشهر علماء الحيوان في (برلين) أن هذا الحصان يقرأ الخط ويعرف الأعداد والنقود وكل الساعة دقائق وساعات وأجوبته على مسائل الحساب بالضرب على الأرض بحافره • وإذا أراد تأكيده الجواب ضرب الأرض بحافره الأيسر ورفس رفساً شديداً • ولما غالطه أستاذة إذ قال له اثنين واثنين عبارة عن خمسة ضرب بحافره الأرض أربع مرات ومع كل منها ضربة بحافره الأيسر • وسأله في عملية حسابية طويلة فأجاب ولم يخطئ • وملأوا قفة خرقاً بألوان مختلفة وسأله عن كل واحدة بألوانها فكان يجيب ولا يخطئ وسأله كم عدد الذين يتقلدون النظارات • وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء فأجاب ولم يخطئ • واللجنة لما رأت هذه النباهة أخرجت الأساتذة الذين سأله وابتدأ غيرهم في السؤال فقدم أحدهم له ريبالا وقال متى الساعة فلم يجبه • وقال بعضهم نظف معلفك بخرقه وأنا أريد في علفك فالتفت يمينا وشمالا حتى وقع نظره على خرقه أمام الاستاذ (شيلنس) فالتقطها بفيه وأسرع الى الاصطبل وأخذ يمسح معلفه بتلك الخرقه حتى نظف تماماً ثم أعاد الخرقه • ولقد أتوا به ثلاثة أسلاك في واحد أربع كرات وفي الثاني ست وفي الثالث ثلاث كرات وعلقوها بين يديه وطلبوا منه جمعها ف ضرب الأرض بحافره ١٣ ضربة • وهو يعرف الحروف بالأعداد فلكل حرف عنده عدد • وأتوا به بصحيفة عليها رقم خمسة وسأله كم واحدة من

هذه تساوى عشرين فضرب برجله الأرض أربع مرات وقد ميز أممهم بين الذهب والفضة والنحاس وجعل للذهب ضربة والفضة ضربتين . وأدوه ساعة وكان الوقت ١١ ونصفا فضرب أولاً ١١ ضربة وصبر قليلاً ثم ضرب ثلاثين ضربة . وقال العلماء ان نباهة هذا الفرس تقابل نباهة الانسان وعمره ١٣ سنة وكان يوم امتحانه مشهودا حضره الأطباء والعلماء وأعضاء الأكاديميات العلمية وكثير من الأسماء والأشراف وكان أمراً عظيماً . ولما عرف ذلك واشتهر طلب أحد الأمريكان أن يشتريه بمبلغ (٥٧٠٠) جنيه فلم يقبل صاحبه وقال أنا لا أبيع به بأى ثمن لأنى لا أطيق فراقه . ووقع العلماء والفضلاء ورجال الأكاديميات على الشهادة بما شاهدوه من هذا التاميز النبى

ولقد أجمعت جرائد برلين أن ﴿حنا النبى﴾ يمثل أعظم حادث يتعلق بعلم النفس فى المملكة الحيوانية هذه هى العجائب العشرة التى وعدتكم بها تذكرة لقوله تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها الخ - فبمثل هذا يدرس القرآن . وبمثل هذا فليرتق المسلمون . وبمثل هذا يكون مصداق قوله تعالى - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - . بمثل هذا يا أمة الاسلام ترتقون وعلى ذلك فلتعقلوا هو خير مما تقرؤن من العلوم القشرية . فإياكم أن تقفوا على القشور فاخرقوها واطلبوا الألباب . هذه هى الخزانة الالهية فى الآيات القرآنية . انما مثل سورة هود كمثل قصر مشيد فيه حجرات فاخرة فى كل حجرة ماغلا من الثياب وماجل من المتاع وفى داخل تلك الثياب الجيلة جواهر يتيمة كل جوهرة منها فى حجرة وتلك الجواهر هى عجائب الحيوان كما وضحت عند ما مثلت ذلك بثمره الجوز فن اكتفى بالثياب غابت عنه الجواهر فلم ينلها وخرج صفر اليدى منها . إن القرآن يقرؤه الناس ويكتفون بظواهر القصص وهم عن الجواهر معرضون . انما هذه القصص بحر فيه أنواع المخلوقات ولكن أجلاها وأغلاها وأضوأها وأبهرها الجوهر المكنون فى صدفه فهامى ذه الجواهر فى القرآن

لقد ضل قوم انصرفوا عن الجواهر الى الأصداف فقال الله فيهم - يضل به كثيرا - واهتدى قوم الى الجواهر فقال الله فيهم - ويهدى به كثيرا -

إن الكثير من المهتدين سيكونون من الآن الى مستقبل الأزمان . إن المسلمين سيقوم فيهم جيل جديد يتبعه أجيال وسيكون هذا التفسير وما مثله فى أم الاسلام من أنجع الوسائل لترقية المسلمين . إني بذلك موقن ولولا إيقانى به ما كتبت حرفاً ولا أضعت وقتاً . ومتى أراد الله أمراً هياً أسبابه

وقبل ختام التفسير فى هذه السورة أذكر ﴿حادثين الأولى﴾ اننى قرأت فى الجرائد هذين اليومين أن الأب (موفيه) الفلكى الشهير ومدير مرصد بروج هرتش بنموه أحدثت جزءاً . ذلك أنه تنبأ بوقوع حرب كبرى سنة ١٩١٨ أو أزمة خطيرة فى العالم وقال إن الأمم تتأثر بنشاط الأفلاك فى حركاتها ومواقع الشمس والنجوم وكذلك الأفراد . وقد حذر الأب (موفيه) المذكور حينما كان فى بروكسل سنة ١٩١٠ حكومات أوروبا من مصاب هائل يوشك أن يعصف بالعالم ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ وها هو ذا الآن يحذر العالم من جديد . ويقول ان الاضطراب فى مواقع الشمس يؤثر فى الجهاز العصبى الانسانى كما يؤثر فيه الاقليم وهذه المقالة كتبت فى جرائدنا يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٤ وانما كتبته لمناسبتها لما نحن فيه . ألا ترى أن هذا العالم فى نظر الحكماء كجسم واحد وحيوان واحد وانسان واحد - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والا فبالله أى فرق بين تأثير الزنبور فى السودة كما قدما وتأثير الشمس فى الأمم والأفراد . إن العالم كشخص واحد فالسكواكب والأقمار والنجوم لها ارتباط بكل حيوان وكل انسان تلك هى الوحدة العاقمة فى العالم والمحرك لها نظام واحد لا يخلت وما قتل الزناير للدود ولا فتك الأسود بالغزلان والذئاب بالجلان إلا حركات متصلة بالمبدأ الأعلى فظاهرها اختلال وباطنها حساب ونظام

## ﴿ أعمال تطابق غرائز الحيوان وديانات الانسان ﴾

ومن هذا المقام أن ذلك المبدأ الأعلى أوحى الى أمثال تلك الزنابير فقال لها متى اقترب زمان بيضها أن اقتنصني الباب واصطادى العنكبوت وأجذبيهما وأمثالهما الى منزلتك المنظم وأنزلى عليهما مالدريك من المادّة السامة وأتركيهما ثم بيضى عليهما فاذا فعلت ذلك باضت وتركت بيضها ليتغذى دودها الذى سيخرج من البيض مما تحته من هذا المصيد . إن هذه الحادثة التى قدّمنا ذكرها وما مائلها فيما ذكرناه ترينا نظاما واحدا فلهكل حيوان نظام تام ليعيش به وليعدّ العدة لأولاده . باض الطير فألهم أن يحتم على بيضه أياما ولم يلهم أن يجتذب حشرات لأولاده لأن مافى البيضة من الغذاء كاف . حملت البقرة والشاة والمرأة ولم يحتجن قط الى ما احتاجت اليه الدجاجة من حضنها بيضها ولا حشرة الزنبور من احضار الصيد لأولادها ذلك لأن الابن عندها قائم مقام ما ذكرناه . يا أيها الناس . يا أيها الأذكىاء . انظروا كيف تمّ هذا النظام . كيف ألهم كل حيوان قبل وجود أبنائه بما قصرت فيه الطبيعة فأحضره لذريته المقبلة . انظروا لهذا النظام . انظروا كيف كان الإلهام مطابقا للاحتياج ولا يلهم الحيوان إلا حاجته ويمنع عنه ما ليس اليه حاجة . نعطف على الانسان وننظر فنجد من أول التاريخ الى الآن لا يزال يحدّ في العبادة وينصب التماثيل تارة ويوحّد تارة أخرى وترسل له الأنبياء فيقولون أيها الناس هناك عالم آخر فاستعدّوا له فتراهم يعبدون ويوحّدون ومهماسافرت في البلاد واخترقت الطرقات وجبت المدن لم تجد إلّا ما ذن شاحخة ومساجد مشيدة وكنائس مبنية وبيعا منصوبة وآيات مكتوبة وأذكارا مقروعة ودعوات مطلوبة وأوراد متلوّة ودروسا مفهومة وعلوم صروية وأحاديث مرفوعة وكتب مقدّسة مسموعة ونواقيس مدقوقة ومؤذنين يؤذنون وقراء يربّون وصواما يجوعون وقواما بالليل يضلّون . أليس ذلك من الاستعداد للعالم الذى سنصل اليه بالوحى والإلهام كما استعدت الطيور في أعشاشها والحشرات فى أماكنها للذريّة المستقبلية . وإذا كان الجراد لا يضع بيضه إلا على بعد مخصوص فى مكان مخصوص ثم يتركه ويموت ويكون هذا الوضع وفق المطلوب وبه يعيش الجيل الجديد فكيف لا يكون الانسان وأنبياءه قد استعدّوا للمستقبل كما استعدّ أقلّ الحشرات وسائر الأممات لمستقبل الأبناء والبنات

إن صغار العقول من بنى الانسان قد استهزؤا بالديانات وقدجهوا نظام الأرض والسموات ونظام الذكران والاناث من أنواع الحيوان وغفلوا عن قوله تعالى - وما من ذابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - ثم هو لا يلهمها إلا على مقدار احتياجها فألهم الانسان ميعاده كما ألهم الحيوان ما يربى أولاده هذا هو المعنى من هذه الآية . وهذا هو الذى قصده الأنبياء إذ استدلوا بهذه على الله وعلى الميعاد وتمت السورة بقوله تعالى - والله غيب السموات والأرض الخ - فهل يصدق الحيوان ويخطئ الأنبياء والانسان وهما فى النظام سيران وفى الخلق صنوان وهل يصدق المفضول والفاضل فى بهتان إن العدل ينكر ذلك والميزان ﴿ الحادثة الثانية ﴾ أن سيدة من أشرف السيدات اطاعت على ما كتبته هنا فى أمر الجباحب فدهشت وقالت يا عجبا اذا كانت الجباحب هكذا تضىء على الناس فكيف يكون نور الله ففكرت فى نفسى وقلت ان الجباحب المضيئة من العالم الأرضى والأرض مشتقة من الشمس وهذه الحشرة أضاءت أمّها الكبرى وهى الشمس ونسبة ضوء الجباحب الى ضوء الشمس كنسبة الجباحب نفسها الى الشمس . إن عقولنا لها نور معنوى فنورها مستمد من نور معنوى أوسع ونسبة ادراك عقولنا الى ذلك العقل العالى المستمد من الله المدبر للعالم كنسبة ضوء الجباحب الى ضوء الشمس . هاتان الفسكاهتان ختمت بهما تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس من كتاب (الجواهر) فى تفسير القرآن الكريم  
ويليه الجزء السابع وأوله تفسير سورة يوسف عليه السلام )



( الخطأ والصواب )

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
ربك	رابك	٤	٥
الأول بالفرنسية والثاني بالانجليزية	الأول بالانجليزية والثاني بالفرنسية	٣	٨
لصفاء النفوس والمروءة	لصفاء النفوس والمروءة	٩	٩
كانت	كان	١	٩
تؤدي	يؤدي	١	٩
علم	بعلم	١٣	٩
وانما	نعم	١٣	١٥
توكان	لوكان	١٤	٣٤
(شكل ٩)	(شكل ٨)	٨	٣٦
(شكل ١٠)	(شكل ٩)	٩	٣٦
الهيئة	الهيئة	١٧	٥٤
العالم	العلم	١٢	٦٣
للعقول	للعقول	١٣	٦٩
انكارى	الانكارى	٧	٧١
يكون	فيكون	١٣	٧٩
وكرعوا	وكرهوا	٣١	٩٤
الخرايه	الخرايه	٥	١٠٠
يحصر الفكر وبالقرآن	و بالقرآن يحصر الفكر	٣٥	١٠٠
العروق	القرون	٢١	١١٤
يتنبه	يامر	٩٠	١١٦
	فيما تقدم	١٣	١١٨
راضين	راضون	٢٥	١١٩
نسب	بنسب	١٣	١٢١
عما	كما	٣٥	١٢٣
الأمة	الآية	١٨	١٢٥
العمى	العماء	١٦	١٢٩
موقع	فوقع	٤	١٦٦
وانظروا	وانظروا	٢٦	١٦٩
معلوم	الحاجة	١١	١٧١
الهالكة في هذه	الهالكة	٣	١٧٤
انا	ان	١٦	١٨٠
جبلتها	جبلتهما	٣٤	١٨٤

## ﴿ فهرست الجزء السادس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم ﴾

صحيحة

- ٢ تقسيم سورة يونس الى ﴿ سبعة أقسام ﴾ وتحديد كل قسم منها و بيان مقصوده اجمالاً
- ٣ ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين - مكتوباً مشكلاً • ثم بيان اتصال أول هذه السورة بآخر ما قبلها
- ٤ تفسير (الر) و بيان بعض سر هذه الحروف و تفسير ألفاظ هذا القسم
- ٥ تفسير بعض الألفاظ و بيان قوله تعالى - في ستة أيام -
- ٦ بيان أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان معروفاً ولذلك جاء صلة الموصول • وذكر ما جاء في الاصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة و بيان قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - العرش إما البناء وإما الملك والعرش مقرون بالتدبير • وتبيان أن ما غلب نفعه يبقى وذلك كالماء الذي جاء أنه استوى عليه العرش مع أنه قد يفرق الناسك والمرأة المجوز إذن الملك مبني على علم والعلم به يصطفي ما غلب خيره • جمال في اشراق شمس المعارف من قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - • وشرح شجرة (الكافور) الأستيك وأن السائل اللبني المستخرج منها يحفظ الأسلاك البرقية في البحر ومنه إطار المجلات والعربات والسيارات وقلل الماء الدافئ والوسائد ذات الهواء والأنابيب لاطفاء الحريق والمعاطف المانعة للطرولسقى الحداثق وهذه المادة مع الكبريت تكون مساطر ومقايض الخ
- ٩ رسم شجرة (الأستيك) بالتصوير الشمسي و بيان تدبير الله فيها الذي جاء في قوله - يدبر الأمر - فإنه خلق منفعتها في حفظ الأسلاك في البحر قبل أن تظهر الكهرباء ولاشئ يسد مسد هذه الشجرة في حفظ كهرباء الأسلاك البرقية والله خلقها في أقطار بعيدة وعرف الناس بها وأحوجهم اليها فخلوها بمشقة وعمل ليرتقوا وينشطوا
- ١٠ آراء نوع الانسان في مثل هذا المقام وأنه ﴿ ثلاث درجات ﴾ دنيا كالعامّة ووسطى وهم أكثر المتعلمين وعليا وهم الحكماء • والقسم الأول لانظر لهما في التدبير العام • والنسم الثالث هم قواد الأمم وهم الأقلون كقلاة هذه الشجرة ولكن عامهم يعم كما عمت منافعها وقل وجودها • وبهذا المثال ظهر أن العالم كجسم انسان واحد أو حيوان واحد كبيره مرتبط بصغيره ارتباط العين بأصبع الرجل مثلاً
- بيان تفصيل الآيات • و بيان آراء علماء القرن التاسع عشر وآراء القرن العشرين والآخرين هم الناظرون في التدبير العام كنص الآية مثل (ويسمان) و (سبنسر) و (كاميل فلامريون) و (فون باير) و (جينو) وغيرهم وأن آراءهم ترجع الى قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - وإن كانوا هم لا يعلمون ذلك
- ١٢ الأرض كأم تربي أولادها إذ يخلق للأُم الثديان قبل خلق الولد وهكذا خلقت هذه الشجرة قبل ظهور الكهرباء ومثل ذلك إلهام الحشرات وسائر الحيوانات التي استدل بها علماء القرن العشرين على وجود مدبر للوجود • و بيان أن هذا التفسير ظهر قبيل ظهور قادة من الأمم الاسلامية كما ظهرت الشجرة المتقدمة قبل ظهور الكهرباء فهذا التفسير من دلائل النهضة القرية في بلاد الشرق
- فريدة في التدبير العام • و بيان أن القوى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قوى الغرائز الحيوانية وقوة العقل والقوة القدسية والعقل فوق الغريزة وهو ينظر في الذي جاء به الوحي والالهام في كل أمة بحسب طباعها

- ١٤ الكلام على تدبير المادة فكما كان الأعلى في القوى يفيد الأدنى كالعقل بالنسبة للغريزة وكوحى الانبياء بالنسبة للعقول هكذا في المادة يمدد الاكبر منها الاصغر كالشمس بالنسبة للأرض تعطى بها الضوء الخ
- ١٥ لا معطل في الوجود . ان ما يزيد من الانهر أيام الفيضان يكون في البحار العظيمة طبقات في القاع لتكون أرضا يابسة في المستقبل وجبالا كفضلة الرجل والمرأة يتكوّن منهما ذرية تبقى كما كانت الجبال من فيضان الانهار . ازدياد الناس على الكرة الارضية . وبيان أن الناس قريبا ستحاسب كل أمة غيرها على ما عطلت من منافع موادها وعقودها وتبين أن ملابس صبي واحد قد أخذت أجزاءها من كل دولة من الدول . واجب المسلمين الذين ألف لهم هذا الكتاب أن يفكروا في تدبير الأمر في الآية والأثم قد أحاطت بهم فليدرسوا هذه الدنيا كالآدم وهذا التفسير مقدمة لهذه النهضة
- بيان - وقدره منازل - وأن القمر أصل الشهور والاسابيع وبيان آراء الأثم في اليوم ومبدئه كالفرس واليهود وأهل ايطاليا وأمة العرب وفرنسا وأن أسماء الأيام في الاسبوع مشتقات من أسماء الكواكب السيارة مثل (الثلاثاء) من مارس أى المريح الخ
- ١٧ بيان السنة عند الفرس والمصريين والشهور مثل توت وبابه الخ والسنة عند الصينيين والعرب واليهود وقدماء الرومان والكلام على الشهور عند الفرنجة وبيان أن الأصل في هذا كله سير القمر الذى اضطر الرومانيون الى الرجوع الى (١٢) شهرا كبقية الأمم والذى تظن لهذا (يوليوس قيصر) الذى سمي باسمه الشهر المعلوم وهذا سرّ قوله تعالى - وقدره منازل لتعلموا الخ -
- ١٨ السنة الشمسية الكبيسة والبسيطة وشرح قاعدتها والتمثيل بسنة ١٩٢٤ وهى سنة تفسير هذا المجلد وحسابها بالدقة . والكلام على تعديل (جريجوار ليليموس) الطليانى وكيف قبلت الأمم هذا التعديل إلا ثلاث أمم . وبيان أدوار السنين الكبيسة والبسيطة في الحساب العربى وهى ٢١٠ سنة من ضرب ٧ فى ٣٠ سنة أى ان الدور الكبير سبعة أدوار صغيرة
- ١٩ بهجة العلم في هذه الآيات . تقدير المنازل جعل الناس آمنين على (أمرين) حساب الدرجات الارضية وحساب الميزان والكيل والمساحة . فالأول جاء من فكرة كروية الأرض التى أول من فكر فيها (أراتوستانس) سنة ٢٧٦ ق م إذ قاس ما بين مدينة اسوان والاسكندرية وبهذا عرف كروية الأرض وأن المسافة بين اسوان واسكندرية جزء من خمسين من محيط الكرة الأرضية . ذلك بسبب العمود الذى نصبه عند الاسكندرية وقاس ظله الخ
- ٢٠ وبلى هذا فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والاواخر في الافلاك ومسألة الدوران وهل الشمس هى الدائرة أم هى الأرض من كتابى (جواهر العلوم)
- ٢١ فيثاغورس كان يعلم تلاميذه فى مدرسة (كروتونيا) بايطاليا على طريقة حركة الأرض حول الشمس سنة ٥٠٠ ق م وأن الأرض والسيارات كلها تجرى حولها وأن الطبقات سبع وهى الأقدار الستة ثم السابعة التى لانراها الخ فهذه سبع سموات الخ
- ٢٢ وجاء بطليموس سنة ١٤٠ ق م فعكس الوضع وحكم بدوران الشمس وظهر ذلك على يد الفارابى وابن سينا حوالى القرن الرابع الهجرى إذ يقولون أن الأرض ساكنة والشمس دائرة هى والكواكب حولها وهناك حركتان احدهما قسرية والاخرى اختيارية لنفس الكوكب الخ فهذه المذهب كان ضد العقيدة الاسلامية وفيه أخذ ورد . وظهر (كوبرنيكوس) ببلاد لهستان من سنة ٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ ميلادية وهى سنة ٩٣٧ هجرية ورجع الى رأى فيثاغورث وقد سبقه فى ذلك عضد الدين



عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة ٧٥٦ هجرية وشارحه السيد الشريف المتوفى سنة ٨١٦ هجرية  
فهما قالا بدوران الأرض لا الشمس وقد سبقا ( كوينيكوس ) بأكثر من قرن

٢٣ بيان الأدلة العلمية على دوران الأرض من مسألة وضع الزيت في الكؤول ومن ذبذبة البندول ومن  
تغير ظل الأرض ومن أن الجسم الأكبر لا يدور حول الأصغر ومن المشابهة للكواكب في دورانها  
حول نفسها

٢٤ أن علماء الإسلام قد كرهوا المذهب القديم لأن فيه النحس والسعد وفيه أنه لا خرق ولا التثام في الفلك  
وأن الأفلاك لها نفوس وأن بعد الهواء كسرة النار وكل ذلك باطل عند المسلمين إذن المذهب الجديد  
هو الموافق للإسلام . الشمس وشفاء الأمراض

٢٥ الاستشفاء بنور الشمس . الحمام الشمسي وذلك بتعريض الجسم للشمس بلا حائل بالتدريج بحيث  
يرفع ملابسه عن يديه وساعديه وقدميه وساقيه خمس دقائق وفي اليوم الثاني عن أطرافه العليا والسفلى  
خمس دقائق وفي الثالث يرفع عن البطن الخ وهكذا إلى السابع فيعرض الجسم كله ساعة فذلك قوة  
جميع الجسم ظاهرا وباطنا . وبيان أن هذا الأمر محتم في أوروبا لتقوية الأطفال  
صورة أوجه القمر (شكل ٢)

٢٧ المقام الثاني وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية تابعات لسير الشمس وأن الرطل  
والاوقية والوقية والدرهم والقنطار والكيلى والمائة والأردب والقصة والفدان والذراع النبلى والذراع البلدى  
والهنداسة . كل هذه مبنية على سير الشمس ذلك لأن محيط الهرم الأكبر جزء من مليار من محيط  
مدار الشمس السنوى . وبيان ارتفاعه وضعف الارتفاع وضعف الهرم ونسبة الذراع البلدى إليه وأن  
الدرهم منسوب لربع الذراع البلدى المكعب والأردب ذراع بلدى مكعب والفدان (١٠٠) هنداسة  
في (١٠٠) هنداسة الخ

٢٨ والذراع النبلى ٥ من ٦ من الهنداسة . هذا فعل قدماء المصريين وهو نفسه قول الله - لتعلموا عدد  
السنين والحساب - والكلام على المتر وهو مقياس الفرنسيين وأنه منسوب لمحيط الكرة الأرضية وعلى  
البارد عند الانجيز وهى منسوبة للساق المعدنى الذى هو رصاص الساعة المجذوب بالجذب العام

٢٩ من العار على المسلم أن يموت وهو لا يعلم أن الكيلة والذراع البلدى الخ لها اتصال بدوران الشمس  
تذكرة للأمة المصرية وللأمة الإسلامية وفيها صورة المذكرة المرسله لمجلس الشيوخ والنواب والوزراء فى  
اصلاح التعليم الثانوى وأن الابتدائى ليس كافيا لاتحاد العقول والعالى للاختصاص والثانوى هو الذى  
يصقل العقول ويقربها وهو فى زمن الاحتلال ضعيف لقلة العلوم الطبيعية والفلسفة . فالطالب يجهل  
ما فوقه وما تحته واذن لابد من رجوع هذه العلوم التى كانت قبل ٣٥ سنة فى بلادنا

٣٠ جوهرة سنية فى أن جبال الكواكب قبسة من عوالم الجنات عجلت فى هذه الدنيا والجمال على قسمين  
جمال يثير الشهوات وهذا عذاب معجل فى الدنيا كجمال بستان نملكه يخاطبه تكاليف الحياة وهو موما  
وجمال بستان عام فلا حسد فيه ولا تكاليف . ومن هذه البساتين المعتمدة للجمهور فى كل أمة لراحة  
الناس من مشاق الحياة وهذا للجهلاء وهناك بساتين للحكماء هى النجوم الجميلة التى تظهر ليلا

الكواكب جنات عجلت للمفكرين ولكن أكثر الناس عنها محجوبون وبيان أن العامة اذا فرحوا  
بالزهر فالخاصة بالنجوم بدل الأزهار . وبيان أن من الكواكب ما لا يصل ضوءه إلينا إلا بعد ألف  
ألف سنة وستين ألف سنة وقد يكون الكوكب أضوا من الشمس ثمانية آلاف مرة بل أكثر

- من ذلك . ثم ذكر رياض الجنات التي أعدها الله في هذه الدنيا للعارفين
- ٣٣ طريق التبانة وهي المجرة وعدد كواكبها ٢٤٢ ألف ألف شمس . ورسم صورتها (شكل ٣)
- وهذه الرياض (ثلاثة أقسام) قنوان يمكن تحليلها . وقنوان يحلل بعضها . وقنوان لا تحلل
- ٣٤ المجموعات الكوكبية . اسم بعض المجموعات الكوكبية التي في الجنوب (شكل ٤) وأشهرها قنوتوكان (شكل ٥) . القسم الثاني السدام التي يمكن تحليل بعضها مثل (شكل ٦) وفيه ست مجموعات في الجوزاء وفي الدلو وهكذا . وشكل ٧ يقرب من المستقيم الخ
- ٣٥ السدام الذي لا يحل مثل (شكل ٩) ومثل (شكل ١٠) . سديم المرأة المسلسلة وسديم الأسد
- ٣٦ و بيان انهم كشفوا نحو (ألف ألف) سديم و بعدها عنا (١٤٠) مليون سنة وفي كل سديم منها مادة تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا وهذا قوله تعالى - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم الخ -
- جوهرة في اشراق نور العلم في القلوب باشراف نور الكواكب
- ٣٨ صفة المجرة هي كحة عدس قطرها (٥٠) ألف سنة نورية وهناك عالمان آخران يبعدان نحو ٢٠٠ ألف سنة نورية والكلام على سديم المرأة المسلسلة المتقدم وأنه يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره ٥٠ ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم وهي شموس أضوأ من شمسنا أضعافا مضاعفة . هذا معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون -
- ٣٩ بيان أن هذا معنى - إن الذين لا يرجون لقاءنا الخ - وذكر أن المسلمين في حياة المؤلف وبعد موته سيهرعون الى بناء المراصد الفلكية وانهم كانوا أول المعادين لأوروبا كما قال (سديو) ثم جهلوا فخربت بلادهم وهاهوذا أوان مجدهم ورقبهم
- ٤٠ (شكل ٨) وهو السدام الخلق . (اللطيفة الأولى) النبات المفترس في أمريكا الشمالية (اللطيفة الثانية) النبات المائي الذي زهرته الأنثى فوق الماء أما زهرة الذكر فانها قريبة من قاع النهر فعند الالتقاء تنفصل وتذهب مقطوعة حتى تصل الى الأنثى
- ٤١ شجرة ففترس انسانا . اختلاف المخلوقات باختلاف الفصول كتلاؤ الزرع وكنضج الأثمار في الصيف وصرم الثمار في الخريف وفي الربيع وتساقط ورق الشجر في الشتاء
- ٤٢ بيان قوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا - ومناسبة هذه لما قبلها وأن الأعمال موزعة على الأشخاص بالاستعداد وأن عشاق هذا الجال في العالم مستعدون له بعد الموت والذين لا يعقلون إلا الملاذ البهيمية يكونون أدنى
- ٤٣ قسمت الآية الناس (قسمين) من لا يرجو لقاء الله ومن يرجو وهو لاهم ثلاث درجات يصفون الله بصفات التنزيه . ويحيي بعضهم بعضا وتحييهم الملائكة وتشهد لذلك روح (غاليو) الفلكي الشهير إذ قالت إن أرواح محبي العالم تتفرج على السكواكب كما تتفرج نحن على الزهر
- ٤٤ مناسبة هذه السورة لما قبلها وهكذا مناسبات آخر القائحة لأول البقرة وآخر البقرة لأول آل عمران وهكذا الى آخر التوبة وأول يونس . بيان الفارق بين توكل نبينا ﷺ وتوكل هود وأن الأول توكل على ذي العرش العظيم . إذن هو مستعد مع أمته لحفظ كيان الأمم ذوات العروش . والثاني توكل على من يسيده نواصي كل دابة يطلب حفظ نفسه وقومه وكل منهما نال ما طلب فليدبر المسامون الأمر فليتعمروا أولا تعلما عاما ثم يسوسوا العالم مع الأمم هذا هو اللائق بهم ولن يكون ذلك طفرة كالجنين العقائد لمقاصد فالملائكة لاصلاح الأخلاق والمسيح لاصلاح العمل

٤٦ ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله تعالى - ولويجعل الله للناس - الى قوله - فينبئكم بما كنتم تعملون -

٤٧ التفسير اللفظي للقسم الثاني

٤٨ تفسير قوله تعالى - وما كان الناس إلا أمة واحدة - فاختلّفوا باختلاف الأشجار في البستان وهذا الخلاف سبب الجبال

٤٩ تفسير قوله تعالى - واذا أذقنا الناس رجّة من بعد ضرّاء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا - الى قوله - بما كنتم تعملون -

٥٠ يسلم المؤمن في صلاته ٣٦ مرة الخ وهذا السلام ﴿ ثلاث طرق ﴾ اسناد الأمر لله . أن يرى كل مكروه ظاهراً محبواً باطنياً . الصبر والعزيمة . فعلى الانسان ثلاثة أمور أخلاق وعلم ومنفعة الناس

٥١ الابتهاال في الشدائد دال على وجود صانع للعالم

﴿ القسم الثالث ﴾ - انما مثل الحياة الدنيا - الى - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون - . التفسير اللفظي

٥٣ تفسير - والله يدعو الى دار السلام - . حديث النظر الى وجه الله وأن ذلك له مقدمات في الدنيا هي المعارف والعلوم

٥٤ تفسير - ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة - الى - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون -

لطيفة في النظر لوجه الله . اعتراض على المؤلف بان العلم ليس هو النظر والجواب بأن ازدياد علمنا بأخلاق محبوبنا من الناس يزيدنا حباً له . هكذا نزيد لذة بمعرفة جمال صفات الله ومبدأ ذلك علوم هذه الكائنات . والتقصير في علوم الكائنات يحرم أحياء المسلمين من الغلبة وأمواتهم من النظر لوجه الله تعالى

٥٥ شرح هذا الموضوع ﴿ القسم الرابع ﴾ - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون - . التفسير اللفظي من الأول الى - أمّن لا يهتدى إلا أن يهتدى -

٥٨ التفسير اللفظي من قوله - فما لكم كيف تحكمون - الى قوله - بما كانوا يكفرون -

غرائب القرآن في سورة يونس وهود ويوسف عليهم الصلاة والسلام

٦٣ السرّ في سورة يونس راجع الى تدبير الأمر العام وهو في سورة هود راجع الى أن كل دابة في الأرض على الله رزقها الخ والسرّ في سورة يوسف راجع الى الآيات العامة في السموات والأرض

٦٤ مقاصد قصص القرآن هي أشبه بأشجار . فصغار العلماء يكتفون بظواهرها والحكماء يستخرجون ثمرها . ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستلذاذ بمشاهدة التدبير . الثمرة العملية لذلك التدبير . والأم ﴿ قسمان ﴾ أم قامت بالعدل فسكّرت . وأم لم تعدل فقلت . كل ذلك سرّ التدبير والنظام فمن قلّ تدبيرهم عوقبوا بقتال من تمّ تدبيرهم اقتداء بعمل ربهم . كيف يشهد الناس التدبير في هذا النظام . لطيفة في قوله - ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم - وتحقيق هذا المقام

٦٦ أولياء الله هم المتحابون في الله . في الولاية معنى القرب وذلك بالعلم بشاره الولي بالرؤيا الصالحة

٦٧ الرؤيا الصادقة تدلّ على أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها وعلم الله ربط الأشياء ببعضها والمسلم في الصلاة يقول - اهدنا - ولا يقول اهديني ويقول الحمد لله كلها . الاستغراق في معرفة الله لحظة ما يجعل الولاية تامة

٦٨ حكاية عن ابراهيم الخواص . الناس في الدنيا ﴿ أربعة أقسام ﴾ مادي . مؤمن بالله وهو غافل . مؤمن تقي . مفكر عارف بالله



- ٦٩ ﴿ القسم الخامس ﴾ قصة سيدنا نوح عليه السلام وتفسيرها اللفظي
- ٧٠ ﴿ القسم السادس ﴾ قصة موسى عليه السلام مع فرعون من قوله - ثم بعثنا - الى قوله - فيما كانوا فيه يختلفون - والتفسير اللفظي
- ٧٢ طمس أموال قدماء المصريين والربط على قلوبهم ظهر أثر الأول في السكنوز التي ظهرت حديثا وظهر أثر الثاني بعكوفهم على التماثيل وعبادة الحيوان حتى اتخذ (قبزين) ذلك ذريعة لفتح مصر بوضع الهرير بين الصفيين
- ٧٣ تفسير الآيات من قوله - فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - الى قوله - لتكون لمن خلفك آية - بيان أن جثث المصريين من آيات الله بقيت للناس وأن المسلمين مقصرون فيها
- موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية وذكر ١٧ حالا من أحوال من دعاهم موسى الى الايمان وذكر ١٧ نظيرها في الأمة الاسلامية • لطيفة في قوله - وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -
- ٧٦ ﴿ النبعة الأولى ﴾ محاوره فلسفية بين مصري وروحه • ﴿ النبعة الثانية ﴾ لم يكن المتقدمون من أمتنا الاسلامية يعلمون كما نعلم عن الجثث المصرية لذلك ذكر بعض المفسرين ما لا ينطبق على الواقع كما ظهر في كنز (توت عنخ أمون) وبيان أن كاشفه (هوارد كارتير) • وبيان اهتمام أهل أمريكا وأوربا بهذا الكشف
- ٧٧ ﴿ النبعة الثالثة ﴾ أقدم كتاب في العالم نصائح الحكيم المصري (آتي) وذكر ١٥ حكمة مصطفىة من نصائحه لقراء هذا التفسير • وهناك نصائح لرجل يسمى (قلقنه) وله ٤٤ لوحة وذكر بعضها
- ٧٨ ﴿ النبعة الرابعة ﴾ ذكر اعتقاد المصريين القدماء في النفس وذكر ٢٢ قاضيا وذكر الميزان عندهم والحساب والجنات • وأن عملية التحنيط كانت منذ سنة ٤٥٠٠ ق م ولها قصة خرافية ترجع الى اوزوريس ومعه توت فتحت البلاد ففسد (سيت) أخاه وجعله في صندوق وبحث (ايزيس) عن زوجها وخبأته وذهبت تبحث عن ابنها (موريس) ثم ان (سيت) قطعه ١٤ قطعة فجعلتها (ايزيس) فن هنا جاء التحنيط • هل فرعون موسى وجد بدنه وهو الآن بالمتحف المصري هكذا يقول نجيب بك مفتش الآثار
- ٧٩ دخول العبرانيين برأس الوادي بمصر أيام العمالة • ذكر ألقاب الملوك كفرعون لمصر وكسرى للفرس وهكذا وبيان معنى فرعون - رمسيس ربي موسى وابنه (ريان با) هو الذي غرق في اليم
- مقياس جسم فرعون موسى • صورة خطاب أرسله أحد العمال لرئيسه محفوظ في ورقة البردي وكذا حجر بالمتحف المصري فيهما ذكر (منقطة) وهو فرعون موسى واذلال بني اسرائيل
- مسألة المطرية فيها وصف الالهية الملك في الأسرة الثانية عشرة • خطاب مصري اسمه (كانيزاك) الى رئيسه جاء فيه ذكر تسخير بني اسرائيل • مدينة (رعسيس) التي بناها بنو اسرائيل إما صان الحجر بالشرقية وأما المستخرطة بها أيضا
- ٨٠ ذكر ورقة من البردي فيها قصيدة شاعر مصري يصف مدينة رعسيس بعد فراغ الملك رمسيس من ولية عظيمة فيها تربي موسى وتحت مصر إذ ذاك (طيبة) بالصعيد • جدار معبد الكرنك عليه نصوص تعذيب الأسرى ونص في سطر ١٦ أنه خاطب جيوشه بما يقرب من الالهية وهو نفس فيعون موسى
- بيان أن هذه النصوص واجب علمها مصداقا للقرآن
- ٨١ الكلام على محاسن قدماء المصريين العامة • نظام السموات عندهم وعلم الفلك

٨٢ ان أول من تفتن لرفع الحجاب عن جبال السماء هم قدماء المصريين • هيئة السماء في صندوق حتر • أسماء البروج خيالية لاحقية • ذكر اختلاف أُم الأرض في أسماء هذه البروج كأهل الصين وسكان الهند القدماء والاسكيمو وهنود أمريكا • وصف ما وجد من البروج والكواكب على صندوق حتر • القرآن يأمر بالنظر لكل ما هو محكم الصنع سواء أكان بفعل الله أم بفعل الناس لندمه المعرضين عنه واتمام شرح ما وجد على صندوق حتر من الكواكب والبروج وغيرها ورسم صورة ما وجد على صندوق حتر

٨٧ رسم منطقة البروج التي وجدت في هيكل (دندره) وقد أخذها الفرنسيون من مصر بأمر محمد علي باشا وفيها بيان الجهات وقد قسمت (٣٦) قسما وكل قسم (١٠) أقسام فالجميع (٣٦٠) قسما

٨٨ شرح صور البروج المرسومة فيها كصورة الجبل والثور الخ وشرح السيارات والثوابت المرسومة فيها وهكذا ههنا تجلت معاني القرآن الخ

٨٩ ﴿الجوهرة الثانية﴾ في فوائد ذلك للمسلمين وأن ذلك داخل في قوله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الخ - وإذا كان سليمان عليه السلام علم منطق الطير وفهم لغة الحيوان وعد ذلك نعمة عليه فهكذا فلنعد فهم كلام الحكماء نعمة علينا من باب أولى كقدماء المصريين وغيرهم • ذكرى أيام الشباب وتحسر المؤلف على نفسه وعلى الأمم الإسلامية بسبب جهلها إذ سمع الندابات وشكره لله أيام المشيب على نعمة العرفان والعلم بجمال السماء وآثار الأمم

ذكر ما يجوز من الصور وما يمنع وأن الصور منها ما هو مذكور في الأحاديث كالصور التي لها ظل والتي لا ظل لها وصور لم تذكر وهي الشمسية وهي صور رسمها الله بشمسه ومن سترها خرج من عقله ودينه معا • إن التوحيد هو العلم بما في هذا الوجود • ملخص ما تقدم

٩٢ كلب الصيد وكناب الحراسة يجوز اقتناؤهما فن باب أولى يجوز تصوير الحيوانات النورية المهلكة لآلاف الآلاف من المسلمين لنحترس منها ونقتلها • ذم الأغبياء وأن من ينصر الدين بطريق الجهل أضرت عليه من أعدائه

٩٣ آراء بعض هيئة كبار العلماء في الأزهر أن التصوير الشمسي مباح ورأى المؤلف أنه واجب في التعليم

٩٤ تكثير القليل وتقليل الكثير في غزوة بدر فتح باب للتصوير الشمسي الذي يصغر الكواكب والبلدان والممالك فندرسها ويكبر الحيوانات النورية فنفهمها ونحترس منها

٩٥ ﴿الفصل الثالث في بناء الأهرام﴾ لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة • ادريس هو هرمس المثلث (اخنوخ) وبيان معنى (نوت) والكلام على الشعري وانها كعبة المصريين القدماء وذكر الأهرام الثلاثة وأن نور الشعري كان عموديا عليها وأن محمود باشا الفلكي عرف مدة البناء من ذلك النور والموازنة بين الكعبة وكوكب الشعري وأن كوكب الشعري اسكونه جميلا قد سحر عقول القوم حتى عبدوه • أما الكعبة فلا تسحر العقول ولا تفتنها لذلك اختارها الله قبلة لنا

٩٨ صورة الهرم بالتصوير الشمسي • ذكر ما فعله المأمون من فتح باب الهرم • يذكر المؤلف أيضا خزنه أيام الشباب على جهله بهذه العوالم واعطاء الله عهدا أنه ان عرف الحقيقة نشرها للمسلمين بعده وانه يحمد الله في المشيب على أن ذلك يتم الآن وبيان انه كيف أعتق الاسلام الأمم من الخرافات وبيان آراء قدماء المصريين في الروح بعد الموت وخطاب مصري لقلبه مكتوب على ورق البردي

ذكر تعدد الآلهة عند قدماء المصريين ثم التثليث المخترع عند المسيحيين ثم التوحيد عند المسلمين

١٠١ ميت مصري قديم وجهه ببلد المؤلف بالشرقية متجهة جهة الجنوب نحو الهرم

جمال هذا العالم في نظر المؤلف أيام الشباب والمشيب وكتاب الله تعالى وأهم الاسلام وأن عشقه للعلم في المشيب أكثر منه أيام الشباب وكان يسمى الظن في شبابه بمن يصدقون بالدين وانهم لادليل عندهم بل هم مراؤن . يحض المؤلف علماء الاسلام على وضع صور في الكتب جميلة للأطفال مع حكايات جميلة . القسم السابع ﴿ - فان كنت في شك - الى آخر السورة . التفسير اللفظي ﴾

١٠٥ خاتمة في عجائب السورة . بيان أن أوائل السور المتقدمة وأواخرها تحت على النظر في هذا العالم

١٠٧ سورة هود وتقسيمها أربعة أقسام وذكر ملخص تفسير السورة كلها وهذا الملخص ست مقاصد ﴿ المقصد الأول ﴾ من أوها الى قوله - أيكم أحسن عملا - ﴿ والثاني ﴾ من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلاتذكرون - ﴿ والثالث ﴾ من أول قصة نوح الى قوله تعالى - بض الرصد المرفود - ﴿ والرابع ﴾ استنتاج الأخلاق من القسم السابق ﴿ والخامس ﴾ استنتاج النظام الحالي العام من هذه السورة في بلاد مصر وأرض بابل وما بين البحرين ﴿ والمقصد السادس ﴾ دواء هذا الداء وأن أشنع داء في هذه الأمم ترك العلوم والصناعات واحكام التجارات والامارات الخ . آيات الأخلاق آيات العلوم آيات الأحكام آيات النظام العام . هذا هو ملخص السورة جاء فيه معناها كلها لا لفظها

١١٢ التفسير المفصل . ذكر آيات القسم الأول من أول السورة الى قوله - أيكم أحسن عملا - مشكلة كلماته . تفسير البسملة مع قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - . وبيان أن الرحمة مكررة في أول السور فوق مائتي مرة وأن نبينا ﷺ رحمة للعالمين والرحمة على ﴿ قسمين ﴾ رحمة للحيوان ورحمة للإنسان فمن جهل الرحمة العامة فكيف يستعملها وكيف ينشرها

١١٣ المسلمون مقصرون في الرحمة . يحسن الناس بنعمة العلم وبنعمة الجلال وبنعمة النور وهذه أقرب الى عالم المجردات والرحمة في الماديات باستعمال الحكمة مثل افناء الحشرات للرطوبة وافناء البرد لها ووجود الثلج لمنع تأثير البرد الخ

١١٤ حديث ﴿ جعل الله الرحمة مائة جزء الخ ﴾ . وبيان أن هذا الحديث لا يعقله إلا من درس الطبيعة والفلك الخ وحديث ﴿ الراحون يرحمهم الرحمن ﴾ وحديث أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار الخ وحديث الرجل الذي سقى الكلب وكذلك البغي التي سقته وحديث الجبل الذي شكاه صاحبه للنبي ﷺ وحديث حرق النمل وخطاب الى علماء الاسلام وأنه يجب دراسة هذه الحيوانات . وكيف أباح المسلمون الصيد بلا قيد والنبي ﷺ يقول من فجع هذه بولدها ردوا ولدها لها . وهناك فرق بين فرخ الدجاجة وفرخ الحمامة في الاستغناء عن الأم والرحمة تختلف باختلاف الأحوال بل يجب أن يحرم المسلمون صيد كل نافع لهم كما سيأتي في سورة يوسف ووجوب تأليف كتب للأطفال في الحيوان وعجائب هذه الدنيا ليحبوا ربهم ويرحموا الحيوان

١١٧ التفسير اللفظي - الر \* كتاب أحكمت آياته - الى - أيكم أحسن عملا -

١١٨ اللطيفة الأولى - الر \* كتاب أحكمت آياته ثم فصلت - وبيان سر هذه الحروف

١١٩ المسؤل عن الأمة هم المطلعون على أمثال ما كتبناه . من أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم . فهم لفظ الفقه على غير وجهه

١٢٠ سبب اقتصار بعض المسلمين على حفظ القرآن بلا عقل هو الحديث الطويل لفضائل القرآن الذي اخترعه شيخ صوفي بعبادان تقرّباً الى الله ليصرف قلوب الناس الى القرآن



١٢١ العناصر قد بلغت ثمانين وترتيبها ونظامها الآتي في سورة العنكبوت مدهش كأنها انسان واحد منتظم الأعضاء وجميع المركبات من سموات وأرضين راجعة اليها كما رجعت كل العاوم والخطب والديانات الى الحروف . اللغة لا تعرف إلا بتحليل ألفاظها الى حروفها والمادة لا تعرف إلا بتحليلها الى عناصرها ثم ذكر أنه حكيم وخبير وأنه فصل الآيات ودبر الأمر . كل ذلك يشير الى الحكمة في التركيب وفي العناصر الجسم الانساني كأنه خطاب من الله للعبد أسمعته واكتب عنه إذ يقول سبحانه أي عبادي المحسوسات التي تحيط بكم (٣١) كالأصوات والألوان الخ وقد قسمت على الحواس الخمس فهذه صفات المادة أما نفس المادة فهي تحلل في باطنكم فظاهرها تحلل حواسكم وحقائقها تحلل آلات خضمتكم إذن الأغذية والعاهم لا يتم إلا بالتحليل وهكذا قواكم العقلية وزعت عليها المعلومات . لهذا رمزت لكم بالحروف المفترقة وأفهمتها لكم الآن وهذا زمان عصر الكيمياء التي دخلت في جميع مرافق الحياة ويشار لها بهذه الحروف (الر) . أبو بكر الصديق والشافعي واستنتاجهما من ترتيب الكلمات علوما وهاتين أولاء نستنتج من حروف مفترقة في أكثر السور

اللطيفة الثانية في قوله تعالى . وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الخ .  
١٢٦ الحجيبة الأولى في تضايها الطير (١) الغربان ذات القنازع في جزائر (شتاندا) تتحاكم وتقتل المجرم ولها جنود يحرسون المجرم أن يفر الخ (٢) وهكذا غربان في بلاد الانكليز تحكم على المجرم أيضا (٣) وكذلك غربان في جبال (سويسرا) (٤) وكذلك العصفير تعاقب وتعفو (٥) مالك الحزين حكمت على واحد فقتلته (٦) وهكذا اللقاق لما استقبل الجراح الفرنسي بيضة من بيضه ببيضة أخرى وخرج المرخ قتلت اللقاق الأنثى الخ (٧) الكلب ابن ستمين يلعب مع ولد ابن خمس سنين وينشرحان معا باللعب ويفهم كما يفهم إذن عقل الكلب أشبه بعقل الانسان صغيرا (٨) الأمانة في كلاب (نيوفوندا) (٩) إناث الوحش تصبر على الجوع والعطش لاطعام صغارها  
اللطيفة الثانية . وكان عرشه على الماء . وحديث ﴿ أين كان ربنا ﴾ وتفسير العمى والعما من العلم الحديث ﴿ انقسم الثاني ﴾ القرآن مشكلا من قوله . ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت . الى قوله . أفلاتذكرون . ثم التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٣٣ لطيفة في قوله تعالى . من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليه سم الخ . وأحاديث الرياء وتحذير المسامين من ترك الأعمال خيفة الرياء

١٣٤ في القسم الثالث ﴿ . ولقد أرسلنا نوحا . الى قوله . بمس الرfid المرفود .  
١٣٩ صنع السفينة . استهزاء قومه به . النجاة من الهلاك بركوب السفينة . هلاك من عصاه من أهله . المقصود من القصة وهو أن العاقبة للمتقين وهناك لطائف اللطيفة الأولى . وقيل يا أرض اباهي ماءك . اللطيفة الثانية ذكر أن هذه القصة عبرة لجميع النابغين المجدين وذكر عشر أحوال في قصة نوح وما يوازنها من أحوال النبي ﷺ مثل قوله . فاصبر إن العاقبة للمتقين الخ . الطوفان في العلم الحديث

١٤٣ الطوفان العام . الأرض ٣٦ طبقة في ستة عصور . الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن وذكر البحر العظيم الممتد من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمالي وآثاره ظاهرة مثل البحيرات في بلاد روسيا وساجاء في أسفار الفيدا وأن السفينة قادتها سمكة واستقرت على جبال همالايا

١٤٤ . والى عاد أخاهم هودا . تفسير هذه القصة اللفظي  
١٤٥ جوهرة في معنى قوله تعالى . ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ .

- ١٤٦ الأرض تشبه درة بهجة الجمال مع نور المشرقات عليها فهناك نور على نور
- ١٤٧ النور ﴿نوران﴾ حسي وعقلي والثاني كما في نظام الدواب • الألوان على ﴿قسمين﴾ خفيفة ولامعة براقة والأولى تكون لحيوان مضطر للفريسة أو للهرب من مفترس
- ١٤٨ حلة الزنبور بسبب أنه له سلاح يحميه والفيران والوطايط الخ اسودت ألوانها لتخفي عن المفترسات عليها والسماك الذي في قاع البحر الجليل الأشكال يكون مثل ألوانه لحفظه • وهكذا الذي عند وجه الماء ليسا كل الجوّ يظهره والماء ببطنه وخفّ لون الجبل والأسد ليختفي الأول عن مفترسه والثاني عن فريسته
- ١٤٩ أكثر تلاميذ المدارس لا يعرفون مافي موسوعات العلوم في أوروبا • لون الأرنب والدب والثعلب في القطبين والغنم القطبية والسمور والفراخ وأن هذه الأنواع الثلاثة ألوانها مغيرة للثلج هناك لحماية الحيوان
- ١٥٠ سبب الألوان يرجع لحماية الحيوان لا للوسط الذي يعيش فيه الحيوان كما هو الرأي المشهور الخاطيء العرش والرجة والعلم • لانكون الرجة إلا مع العلم
- ١٥١ التسبيح يرجع لمعرفة التنزيه والحمد يرجع للنعم الطائر الأمريكي الذي جل لونه وطال ذيله وأعطى راحته بها يصدّ عدوه
- ١٥٥ زيادة ايضاح - إن ربي على صراط مستقيم - وأن مانكتبه هنا ففتح لباب سرّ القضاء والقدر وأن هذا بعض سرّ العلم في قوله تعالى - قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا -
- ١٥٦ بهجة الأنوار في عجائب الحيوان والكلام على النبات الجزار الذي يفترس الحيوان
- ١٥٧ حياة الأرضة وقد كتب عليها علماء في أوروبا مثل (كونج) وغيره وهذه الحشرة أرقى من النمل والنحل في مدنيتهما ومنها ما تمشي بين صفيين من جنودها ومنها ما تبني هضابا تعلو فوق الأرض أربعة أمتار وفي كنفها البلجيك (٨) أمتار وهما ملك ومملكة كبيرة تملأ اليد وحولها الكشافة والضباط وما يعطيها الطعام وما يتلقى بيضها وتصدر آلاف الآلاف منها كل سنة لتأكلها بعد خروجها من المدينة بعض الطيور
- ١٥٨ نظرة في هذه الدنيا عجب لها نبات يأكل حيوانا وبالعكس الفاعل مفعول والمفعول فاعل • صانع هذا العالم استخراج من المادة كل ما تستعد له كالحلوى والمر المتناقضين ومن أنفسنا كذلك كالمرض والصحة الخ ولم يبال باحساسنا وعواطفنا ليكون ذلك أشبه بمزرعة ننظر مختلف ألوانها بعد الموت كما رأينا في الحياة مختلف الزرع في الأرض وكأننا نحسّ بنقص فينا إذا لم نعلم ذلك كله في أنفسنا فنحن بين متناقضات كالأبوين للرجة والأعداء للنقمة الخ
- ١٦٠ شرف درس الحيوان ونظام الدنيا • أممي الآن ﴿كتابان﴾ كتاب مملكة الظلام تأليف (مترلنك) وكتاب موسوعات العلوم تأليف (روبرت براون) وأن الأول يرى أن الحشرات في تقايبها أشبه بجسم واحد له نفس واحدة والا فإماذا تعرف هذه الجوع كل ما ينفع قراها وسائر نظمها وفي الثاني أن دراسة ما حولنا تعرفنا نظام جسمنا لأن نظام الجسم عسر صعب لا يفهم إلا بالعلوم المحيطة بنا فهذان النصفان هما مضمون قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون - والأول مقدمة للثاني كنص الفلسفة الحديثة
- ١٦١ حشرة الأرضة في الظلام تمثل حال أهل جهنم بالنسبة للطيور والانسان
- ١٦٢ العقل الأكبر يجذب الأصغر والجسم الأكبر يجذب الجسم الأصغر والحشرة ينجدها عسل النبات الجزار فيأكلها كما ينمي الانسان جسمه ويحارب لحفظ الشرف فيأكله الأسود بعد الموت في الأولى ويكرين طعاما للسماك في الأخرى في حرب البحار وايس هذا خداعا بل هو سياسة ولطف

- ١٦٣ موازنة بين حياة وموت الحيوان ونظيرهما في الانسان . في الحرب تسع خصال من أنواع السكال الخ
- ١٦٤ عجائب القرآن وعجائب الطبيعة التي نزل لفهمها القرآن في غرضون سورة التكوين
- ١٦٥ المادة والكلام وأن بينهما مشابهة فلقد تصرف الله في المادة بفعل النبات المأكول أكلا كما يجعل التلميذ في التمرين المفعول فاعلا وأن اللغة وعلاومها قد جعلت لصغار العلماء وللأطفال تمرينا على التنويع لأن تنويع المادة أصعب . شمس هذا العقد . التفسير المفضل لقصة نوح ولقصة ابراهيم ولقصة لوط ولقصة شعيب ولقصة موسى الى قوله - بئس الرفد المرفود - والكلام على الود والرحمة وأن ود الله لكل حيوان كالنمل والنحل والانسان ليس كودنا مع بعضنا ومعاملة الله للنحلة والجرادة والنملة والنعامة والدودة وأن الانسان كلما كان أكثر نفعا كان أقرب الى ربه والوالدان يقتربان من ربهما في الود على مقدار تربيتهم لأولادهما ( القسم الرابع ) من قوله - ذلك من أنباء القرى - الى آخر السورة
- ١٦٥ مصداق هذه الآية وهي - ولا تركنوا الى الذين ظلموا الخ - في تاريخ الأندلس وفي الدولة العباسية بغزوة التتار
- ١٦٦ معاهدة أسراء الأندلس ورئيسهم ابن عباد مع الفرنجة بحرية الدين والتجارة وحرية التعليم واعتراض ابن مصعب عليها ونبذ قوله وظهور أثر ذلك بعد مدة في الاسراف والفسوق والخلاعة والمغازلة في الطرقات وادمان الخمر ثم اكتساح الملك ( فرديناند ) وزوجته الأمم الاسلامية من تلك البلاد وطردتهم أذلاء
- ١٦٧ التتار في الشرق ورئيسهم ( جنكيزخان ) أغاروا على المسلمين وأزالوا الدولة العباسية بعد أن أهلكوا الحرث والنسل بسبب أمرين (١) أن الملك قطب أرسلان ركن الى دسيسة التجار من المسلمين فقتل تجار التتار والمغول (٢) وأن المسلمين كان رؤسائهم يجهلون جغرافية بلاد التتار وقوتهم . مصداق هذه الآية في الأمم الاسلامية الخائفة فانهم قد ركنوا الى الفرنجة في مصر وبعض شمال أفريقيا وغيرها من البلدان وانكسروا على صناعاتهم وتركوا مواهب أنفسهم فذلوا إلا قليلا منهم
- ١٦٨ بيان أن الاختلاف عام في كل مخلوق ومستحيل وجود إلا مع الاختلاف بالبرهان . وبيان من هم هؤلاء الذين لا يختلفون أو يختلفون ويكون خلافهم نعمة عليهم
- ١٨١ هل العذاب مؤبد وكيف ذلك والله رحيم وماذا قال علماءنا وماذا قال ابن عمر في حديث أن النبي ﷺ قام لجنازة يهودي وقال العفيف التلمساني ( إذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة ) وقول ابن تيمية ان النار تنفى ورواية عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وهكذا كلام ابن القيم في ذلك . هذه السورة أشبه بثمره الجوز الخ
- ١٨٣ هذه السورة من أولها الى آخرها ترجع الى أمر واحد وهو مراعاة الله لكل مادي على الأرض من الانسان والحيوان وحفظه لها . فيقول الله للوط - لن يصلوا اليك - ويقول الله لنوح - واصنع الفلك بأعيننا ووحينا - ويقول لنبينا ﷺ - والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه - خزائن الجواهر في سورة هود
- أكثر الناس يتلهون بعلوم البلاغة والمنحو والصرف والتاريخ وهم عن الحقائق معرضون
- ١٨٤ ذكر عشرين عجيبة من عجائب الحيوان . عجيبة لغات الحيوان . وعجائب نظار النمل وأن لغة النحل ولغة النمل متقاربتان . حكاية نملة